

مكتبة المشرق للدراسات  
الشرقية والفكرية الحديثة

مجلد  
الكتاب: تاريخ مصر في العصور الحديثة  
مؤلف: محمد مصطفى كامل

341.132

مجلد  
تاريخ مصر في العصور الحديثة  
مؤلف: محمد مصطفى كامل







اهداءات ١٩٩٩

مكتبة

أ.د. محمد الحميد بدوي

القاضي بمحكمة العدل الدولية

الجزيرة



وزارة المعارف العمومية

# نَفْسِي الْقُرْآنَ الْجَلِيلَ السمي بآرك التنزيل وحقق التأويل

تأليف

الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي  
عليه صحائب الرحمة والرضوان آمين

قال في كشف الظنون :

(مدارك التنزيل ، وحقق التأويل) للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد  
النسفي المتوفى سنة ٧٠٩ وقيل عشرين سنة - أوله الحمد لله المزه بآته من إشارة  
الأوهام الخ. وهو كتاب وسطى آثار يلات ، جامع لوجوه الإعراب والقراءات ،  
متضمن لتمام علم البديع والإشارات ، موضح بأقوال أهل السنة والجماعة ، خال  
من الباطل أهل البدع والضلالة ، ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير الخلل (٠٠١)

## المجلد الثالث

حق الطبع محفوظ لوزارة

طبع بالمطبعة الأميرية ببغداد بالقاهرة ، سنة ١٩٤٢

تباع مطبوعات الحكومة بمائة البيع بوزارة المالية ، أما المكتبات الخاصة  
بهذه المطبوعات فترسل رأساً إلى طبع النشر بالمطبعة الأميرية ببغداد بالقاهرة  
ثم النسخة ... .. ٣٠٠ مل

لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ  
يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ

«كذبت». فناخبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين . فأخبر  
أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عليه السلام «زد في الخطر وأبعد في الأجل» .  
فغلبها مائة قلووس إلى تسع سنين . ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية . أو يوم بدو ، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى ،  
فقال عليه السلام «صلى به» . وهذه آية بينة على صحة نبوته وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء  
عن علم الغيب . وكان ذلك قبل تحريم القمار . عن قتادة . ومن مذهب أبى حنيفة ومحمد أن  
العقد الفاسدة كعقد الرابا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار . وقد احتجنا على  
صحة ذلك بهذه القصة .

(١) أى من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء . أو حين ظفروا وحين يغلبون . كأنه قيل .  
من قبل كونهم غالبين - وهو وقت كونهم مغلوبين - ومن بعد كونهم مغلوبين - وهو وقت  
كونهم غالبين . يعنى أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله وقضائه (وتلك  
الأيام نداولها بين الناس) .

(٢) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله)  
وتعليه من له كتاب على من لا كتاب له ، وغرير من شئت بهم من كفار مكة . وقيل  
نصر الله هو إظهار ضلوك المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم . والباء يتصل بـ (يفرح)  
فيوقف على (الله) لا على (المؤمنون) .

(٣) الغالب على أعدائه .

(٤) العاطف على أوليائه .

(٥) مصدر مؤكّد لأن قوله (وهم من بعد ظلمهم سيغلبون) وعد من الله للمؤمنين . فقوله  
(وعد الله) يتزلة وعد الله المؤمنين وعدا .

(٦) لا يخلف الله وعده . ينصر الروم على فارس .

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿١٢﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ  
مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى  
(١١) (لا يعلمون) ذلك .

(١٢) بدل من (لا يعلمون) . وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا .

(١٣) يفيد أن للناس ظاهرا وباطنا . فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها . وباطنها التي جازى إلى الآخرة يتروّد منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة . وتتكرر الظاهر يفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها .

(١٤) (هم) الثانية مبتدأ . و(غافلون) خبره . والجملة خبر(هم) الأولى . وفيه بيان أنهم معدن النفلة عن الآخرة ومقتضاها .

(١٥) يحتمل أن يكون ظرفا . كأنه قيل (أولم) يثبتوا التفكر في أنفسهم أى في قلوبهم الفارغة من الفكر . والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكر كقوله اعتقله في قلبك . وأن يكون صلة للتفكر نحو تفكر في الأمر وأجال فيه فكره . ومعناه على هذا (أولم يتفكروا في أنفسهم) التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى وقت تجازى فيه على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلهما ، حتى يعلموا عند ذلك أن ما ترأوا خللا في كمال أمرها جار على الحكمة في التدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت .

(١٦) متعلق بالقول المخدوف . معناه (أولم يتفكروا) فيقولوا هذا القول . وقيل معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه .

(١٧) أى ما خلقها باطلا وصيها بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة . إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه . وهو قيام الساعة ووقت الحساب والنواب والعقاب . ألا ترى إلى قوله (الحسبكم) إنما خلقناكم شيئا وأنكروا الدنيا لا ترجعون) كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عينا .

وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ <sup>(١١)</sup> أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ  
وَعَمَرُوهَا أَكْثَرُ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ <sup>(١٢)</sup> فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ <sup>(١٣)</sup>  
وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ <sup>(١٤)</sup> ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السَّوْءَ <sup>(١٥)</sup>  
<sup>(١٦)</sup> بِالْبَيْتِ وَالْجَزَاءِ .

<sup>(١٦)</sup> بالمحدثون . وقال الزجاج أى لكافرون بقاء ربهم .

<sup>(١٧)</sup> هو تقرير لرسولهم في البلاد ونظروهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم  
العاتية . ثم وصف حالهم فقال ( كانوا أشد منهم قوة ) .

<sup>(١٨)</sup> وحرثوها .

<sup>(١٩)</sup> أى المدمرون .

<sup>(٢٠)</sup> صفة مصدر محذوف .

<sup>(٢١)</sup> ما مصدرية أى من عمارة أهل مكة .

<sup>(٢٢)</sup> وتقف عليها لحق الحذف . أى فلم يؤمنوا فأهلكوا .

<sup>(٢٣)</sup> فما كان تدميره لإياهم ظلما لهم .

<sup>(٢٤)</sup> ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم .

<sup>(٢٥)</sup> بالنصب شامى وكوفى .

<sup>(٢٦)</sup> تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أتت الحسن تأنيث الأحسن . ومجملها رفع على أنها اسم  
(كان) عند من نصب (عاقبة) على الخير، ونصب عند من رفعها . والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا  
ثم كانت عاقبتهم السوأى — إلا أنه وضع المظهر وهو (الذين أساءوا) موضع المضمرة — أى  
العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى النار التى أعدت للكافرين .

أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ<sup>(١)</sup> ۝ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ<sup>(٢)</sup> ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ<sup>(٣)</sup> ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ<sup>(٤)</sup> وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ<sup>(٥)</sup> ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِقِدُ يُتَفَرَّقُونَ<sup>(٦)</sup> ۝ فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ<sup>(٧)</sup> ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ<sup>(٨)</sup>

(١) ل (ان كذبوا) أو ب (أن) . وهو يدل على أن معنى (أساءوا) كفروا . يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها .

(٢) ينشئهم .

(٣) يحييهم بعد الموت .

(٤) وبالياء أبو عمرو وسمل .

(٥) يبليس ويقتير . يقال ناظرته فالبس إذا لم ينبس وينس من أن يحتج .

(٦) المشركون .

(٧) من الذين عبدوهم من دون الله .

(٨) كتب في المصحف بواو قبل الألف كما كتب (علموا بنى إسرائيل) — وكذلك

كتبت (السواى) بالألف قبل الياء — إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها .

(٩) أى يكفرون باللهتهم ويحسدونها ، أو (وكانوا) فى الدنيا (كافرين) بسببهم .

(١٠) الضمير فى (يتفرقون) للساكنين والكافرين لدلالة ما بعده عليه .

(١١) أى بستان . وهى الجنة . والتكثير لإيهام أمرها وتفضيحه .

(١٢) يسرّون . يقال حبره إذا سره مروا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره . ثم اختلف فيه

لاحتمال وجوه المساء فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع فى الجنة .

(١٣) أى البعث .

فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ <sup>(١)</sup> فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ <sup>(٢)</sup> وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ <sup>(٣)</sup> يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup>

(١) مقيمون لا يغيثون عنه ولا يخفف عنهم كقوله (وما هم بخارجين منها) .

(٢) لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد، فقال : (فسبحان الله). والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيهه به الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة. أو الصلاة. فقيل لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ فقال نعم، وتلا هذه الآية. وهو نصب على المصدر. والمعنى تزعمه عمدا لا يليق به أو صلوا لله .

(٣) صلاة المغرب والعشاء .

(٤) صلاة الفجر .

(٥) افتراض . وقوله (وعشيا) متصل بقوله (حين تمشون) . ومعناه أن كل الميزرين كلهم من أهل السموات والأرض أن يمدوه . و(في السموات) حال من (الحمد) .  
(٦) صلاة العصر . وهو معطوف على (حين تمشون) .

(٧) صلاة الظهر . أظهر أى دخل في وقت الظهيرة. والقول الأكثر أن الصلوات الخمس فرضت بمكة .

(٨) الطائر من البيضة أو الإنسان من النطفة أو المؤمن من الكافر .

(٩) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الإنسان أو الكافر من المؤمن. و(الميت) بالتخفيف فيهما مكي وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وحامد ، وبالتشديد خيرهم .

(١٠) (ويحيى الأرض) بالنبات .

(١١) يمسها .

وَكَذَلِكَ نُخْرِجُونَ<sup>(١١)</sup> مِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ<sup>(١٢)</sup>  
تَبْتَشِرُونَ<sup>(١٣)</sup> وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا<sup>(١٤)</sup>  
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَفِرُونَ<sup>(١٥)</sup>

(١١) (نُخْرِجُونَ) حزة وعلى وحلف . أى ومثل ذلك الإخراج (نُخْرِجُونَ) من قبوركم .  
والكاف فى محل نصب بخروجون . والمعنى أن الإبداء والإعادة يتساويان فى قدرة من هو  
قادر على إخراج الميت من الحى وعكسه . روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال " من قرأ (فسيحان الله حين تمسون) إلى الثلاث وآخر سورة (والصافات) دبر  
كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الأمطار وورق الأشجار وتراب  
الأرض . فإذا مات أبرئ له بكل حرف عشر حسنة فى قبره " . قال عليه السلام " من قرأ  
حين يصبح (فسيحان الله حين تمسون وحين تصبحون) إلى قوله (وكذلك نُخْرِجُونَ) أدرك  
ما فاتته فى يومه . ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتته فى ليلته " .  
(١٢) ومن علامات ربوبيته وقدرته .

(١٣) أى أباكم .

(١٤) أى آدم وذريته .

(١٥) تتصرفون فيما فيه معاشكم ، و (إذا) المفاجأة . وتقديره (ثم) فاجأتكم وقت كونكم بشرا  
مبتشرين فى الأرض .

(١٦) أى حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام . والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال .  
أو من شكل أنفسكم وجلسها لا من جلس آخر . وذلك لما بين الاثنين من جلس واحد من  
الإلف والسكون ، وما بين الجلسين المختلفين من التنافر . يقال سكن إليه إذا مال إليه .

(١٧) أى (جعل بينكم) التواد والتراحم بسبب الزواج . وعن الحسن المودة كناية عن الجماع ،  
والرحمة من الولد . وقيل المودة للشابة ، والرحمة للمجوز . وقيل المودة والرحمة من الله ،  
والفرق من الشيطان ، أى بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة .

(١٨) (إِنَّ) فى ذلك لآيات لقوم يعترفون (يعلمون) أن قوام الدنيا بوجود التناسل .

وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّكَرِ وَالْوَنِكَرِ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup> وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
 وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ<sup>(٣)</sup>  
 وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً<sup>(٤)</sup>  
 (١) أى اللغات أو أجناس النطق وأشكاله .

(٢) كالسواد والياض وغيرهما . ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو تشاككت  
 وانفقت لوقع التجاهل والالتباس ولم تعطت المصالح . وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب  
 واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها إلا الله متفاوتون .

(٣) (للمؤمنين) جمع عالم . وبكسر اللام حفص جمع عالم . ويشهد للكسر قوله تعالى  
 (وما يعقلها إلا المعلوم) .

(٤) هذا من باب اللف . وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار .  
 إلا أنه فصل بين القرنين الأولين بالقرنين الآخرين . أو المراد منامكم فى الزمانين وابتغائكم  
 فيهما . والجهد على الأول لتكرره فى القرآن . وأسند المعانى ما دل عليه القرآن .  
 (٥) أى يسمعون سماع تدبر بأذان وأعية .

(٦) فى (بريك) وجهان إضماران كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ، وإنزال الفعل منزلة  
 المصدر . وجهما فسر المثل "تسمع بالمعبدى خير من أن تراه" أى أن تسمع أو سماعك .

(٧) (خوفا) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) فى الغنى . أو (خوفا) للسافر  
 (وطمعا) للحاضر . وهما منصوبان على المفعول له . على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه  
 مقامه — أى إرادة خوف وإرادة طمع ؛ أو على الحال أى خائفين وطامعين .  
 (٨) وبالتخفيف متكى وبصرى .

(٩) مطرا .



فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾  
 وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً  
 مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٢﴾ وَلَكُم مِّن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ  
 كُلِّ لَهْرٍ فَلْيَتَنَوَّنْ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿١٤﴾

﴿١١﴾ يَنْفَكُونَ بِقَوْلِهِ .

﴿١٢﴾ تَبَيَّنَ بِلَا عَمَد .

﴿١٣﴾ أَيْ بِإِقَامَتِهِ وَتَدْوِيرِهِ وَحِكْمَتِهِ .

﴿١٤﴾ (ثم إذا دعاكم) للبعث (دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) من قبوركم . هذا  
 كقوله (بريك) في إرفاع الجملة موقع المفرد على المعنى . كأنه قال (ومن آياته) قيام السموات  
 والأرض واستمساكها بغير عمد ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة : لأهل  
 القبور اخرجوا . والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف . وإنما عطف هذا على قيام السموات  
 والأرض بـمـ بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول أهل القبور  
 قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظركم قال (ثم ضغ فيه أخرى  
 فلذا هم قيام ينظرون) . و (إذا) الأولى للشرط والثانية للفاضة وهي تنوب متاب الفاء  
 في جواب الشرط . و (من الأرض) متعلق بالفعل لا بالمصدر . وقولك دعوته من مكان كذا  
 يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك .

﴿١٥﴾ متقادون لوجود أفعاله فهم لا يتمتعون عليه أو مقفون بالعبودية .

﴿١٦﴾ أَيْ يُلْشِّمُهُمْ .

﴿١٧﴾ (ثم يعيده) للبعث .

﴿١٨﴾ أَيْ الْبَحْثُ أَيْسَرُ (عليه) عندكم ، لأن الإعادة عندكم أسهل من الإنشاء . فلم انكم .

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾  
 ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ  
 فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُوتُهُمْ خِيفَتَكُمْ أَنفُسُكُمْ ﴿١١﴾

الإعادة ؟ وأثرت الصلة في قوله (وهو أهون عليه) وقدمت في قوله (وهو على هين) لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص . وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الأهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر أى كبير . والإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء . أو (هو أهون) على الخلق من الإنشاء . لأن قيامهم بصيغة واحدة أسهل من كونهم نظفا ثم علقا ثم مضى إلى تكميل خلقهم .

﴿١١﴾ أى (وله) الوصف الأعلى الذى ليس لغيره وقد عرف به ووصف (في السموات والأرض) على السنة انطلاق والسنة الدلائل . وهو أنه القادر الذى لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات . ويدل عليه قوله (وهو العزيز) أى القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذى يجرى كل فعل على قضايأ حكمته وعلمه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما المثل الأعلى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) . وعن مجاهد هو قول لا إله إلا الله . ومعناه (وله) الوصف الأرفع الذى هو الوصف بالوحدانية . ويعضده قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) فهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه . و(من) للابتداء . كأنه قال :

أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهى أنفسكم . (هل لكم) معاشر الأحرار (بما ملكت أيماكم) عبيدكم - و(من) للتعويض - (من شركاء) ؟ (من) مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفي . ومعناه هل ترضون لأنفسكم - وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر ، وعبيدكم كعبيدكم - أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها (فأنتم) معاشر الأحرار والعبيد في ذلك الرزق (سواء) (من) غير متميزة بين حر وعبد ، يحكم ممالككم حكمكم

كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ  
وَبَغْيَ غَيْرِ عَلَيْهِمْ قَسْرٍ يَهْدَىٰ مِنْ أَضَلِّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٢﴾  
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴿١٣﴾

(تخافونهم) حال من ضمير الفاعل في (سواء). أي متساوون خائفنا بعضهم بعضا مشاركته في المال..  
والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تخضون فيها حكما دون إذنها خوفا من لائمة  
تلتصق من جهتهم (تكتفتكم أنفسكم) يعني كما يخاف بعض الأحرار بعضا فيما هو مشترك  
بينهم . فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون رب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد  
أن يجعلوا بعض عبيده له شركاء .

﴿١١﴾ موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نقصل الآيات) تبينها لأن التمثيل مما  
يكشف المعاني ويوضحها (القوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الأمثال .

﴿١٢﴾ لما لم يتجرؤوا لضرب عنهم فقال ( بل اتبع الذين ظلموا ) أنفسهم بما أشركوا  
كما قال الله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) .

﴿١٣﴾ أي اتبعوا (أهواءهم) جاهلين .

﴿١٤﴾ أي أضله الله تعالى .

﴿١٥﴾ (وما لهم من ناصرين) من المذاب .

﴿١٦﴾ تقوم وجهك له وعقله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا . وهو تمثيل لإقباله على  
الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه . فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه، وسدد إليه نظره  
وقوم له وجهه .

﴿١٧﴾ حال من المأمور أو من الدين .

فَطَرَتْ <sup>(١١)</sup> اللَّهُ إِلَهِي فَعَطَرَ <sup>(١٢)</sup> النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ <sup>(١٣)</sup>  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١٤)</sup> مُنِيبِينَ <sup>(١٥)</sup> إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ <sup>(١٦)</sup>

(١١) أى الزموا (فطرة الله) والفطرة الخلقة . ألا ترى إلى قوله (لا تبدل خلق الله) . فاللهنى  
أنه خلقهم قابليين للتوحيد والإسلام غير ثابتن عنه ولا منكرن له لكونه مجاوباً للعقل مساوفاً  
للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر . ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن  
والإنس . ومنه قوله عليه السلام "كل عبادى خلقت حشفاً فاجتالهم الشياطين عن دينهم  
وأمرهم أن يشركوا بى غيرى" ، وقوله عليه السلام "كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون  
أبواه هم اللذان يؤدانه وينصرانه" . وقال الزجاج معناه أن الله تعالى فطر الخلق على  
الإيمان به ، على ما جاء فى الحديث "إن الله عز وجل أنزج من صلب آدم كائنات وأشهدهم  
على أنفسهم بأنه خالقهم" فقال (وإذا أخذ ربك) إلى قوله (فالوا إلى) . وكل مولود هو من  
تلك النورية التى شهدت بأن الله تعالى خالقها . فمعنى (فطرة الله) دين الله .

(١٢) أى خلق .

(١٣) (لا تبدل خلق الله) أى ما يبنى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير . وقال الزجاج :  
معناه لا تبدل لدين الله . ويدل عليه ما بعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أى المستقيم .

(١٤) (لا يعلمون) حقيقة ذلك .

(١٥) راجعين إليه . وهو حال من الضمير فى الزموا — وقوله (واتقوه) ، وأقيموا ، ولا تكونوا)  
معطوف على هذا المضممر . أو من قوله (فاقم وجهك) لأن الأمر له عليه السلام أمر  
لأنه فكأنه قال فاقموا وجوهكم (منيبين إليه) . أو التقدير كونوا (منيبين) . دليله قوله  
(ولا تكونوا) .

(١٦) أى أتوها فى أوقاتها .

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا  
 شَيْعًا كُلِّ حَزْبٍ مِمَّا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَا ﴿١٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا  
 رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَانُكُمْ مِمَّنْ رَحِمَهُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَمْ أَزَلَّنا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا  
 فَهُوَ يَسْكُتُ ﴿١٥﴾

(١١) من يشرك به غيره في العبادة .

(١٢) بدل من (المشركين) بإعادة الجاء .

(١٣) جعلوا آديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم . (فارقوا) حزة وعلى . وهي قراءة على رضى الله عنه . أى تركوا دين الإسلام .

(١٤) فرقا كل واحدة تشايح إمامها الذى أضلها .

(١٥) (كل حزب) منهم فرح بمذهبه ممرور بحسب باطله حقا .

(١٦) شقة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك .

(١٧) أى خلاصا من الشقة .

(١٨) (يشركون) في العبادة .

(١٩) (ليكفروا) — هذه لام كى . وقيل لام الأمر للوعيد — (بما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) بكفركم قليلا — أمر وعيد — (فسوف تعلمون) وبال تمتكم .

(١٠٠) حجة .

(١١١) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكنا وهذا مما نطق به القرآن . ومعناه الشهادة . كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته .

يَمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ﴿١٢﴾ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿١٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ فَعَاتِبْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ

(١١) ما مصدرية أى يكونهم بالله (يشركون) . أو موصولة ويرجع الضمير إليها أى فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون .

أو معنى الآية (لم أنزلنا عليهم) ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون .

(١٢) أى نعمة من مطر أو سعة أو محبة .

(١٣) بطروا بسببها .

(١٤) أى بلاء من جلب أو ضيق أو مرض .

(١٥) بسبب شؤم معاصيهم .

(١٦) (إذا هم يقنطون) من الرحمة . و(إذا) لمفاجأة جواب الشرط ثابت عن الفاء لتأخيمها فى التعقيب .

(١٧) أنكر عليهم بأنهم قد علموا بأنه القابض الباسط فما لم يقنطون من رحمة ومالهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمة .

(١٨) لما ذكر آفة السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال (فآت ذا القربى) أعط قريبك (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نفيهما من الصدقة الممعة لها . وفيه دليل وجوب النفقة للهارم كما هو منجهتا .

(١٩) أى لئلا حقوقهم .

جَحِيرٌ لِلَّذِينَ يَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ وَمَا آتَيْتُمْ  
مِنْ رَبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ  
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَلَاؤَلَيْكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ ﴿١٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْمِنُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ  
مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾

(١١) أى ذاته أى يقصدون بمعرفتهم لآياه خالصا .

(١٢) يريد وما أعطيت أكلة الربا (من ربا ليربوا) فى أموالهم ، فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه .  
وقيل هو من الربا الحلال ، أى وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها (فلا يربوا عند الله)  
لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله (آتيت من ربا) بلا مة مكى . أى وما غشيتهموه إعطاء ربا .  
(ليربوا) مدنى . أى لتريدوا فى أموالهم .

(١٣) (وما آتيت من) صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء  
ولا سمعة ، (فأولئك هم) ذور الإضغاف من الحسرات . ونظير المضغف المقوى والموسر لذى  
القوة واليسار . وقوله (فأولئك هم المضغفون) التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل : من فعل هذا  
فسيله سبيل المخاطبين والمعنى (المضغفون) به لأنه لا بد له من ضمير يرجع إلى (ما) الموصولة .  
وقال الزجاج فى قوله (فأولئك هم المضغفون) أى فأهلها (هم المضغفون) أى هم الذين  
يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة مشرا أمثالا .

(١٤) أشار إلى عجز آلهتهم فقال (الله الذى خلقكم) — مبتدأ وخبر — أى هو المختص  
بالخلق والرزق والإماتة والإحياء (هل من شركائكم) أى أصنامكم التى زعمتم أنهم شركاء لله  
(من يفعل من ذلك) أى من الخلق والرزق والإماتة والإحياء (من شئ) أى شيئا من  
تلك الأفعال . فلم يجهلوا عجزا . فقال استبعادا : (سبحانه وتعالى عما يشركون) . و(من)  
الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن . مستقلة بتأكيد لتمييز شركائهم وتجهيل عبادتهم .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي  
 عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿١١﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ  
 (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠)  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿١٢﴾  
 مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْحَدُونَ ﴿١٣﴾

(١١) (ظهر الفساد في البر والبحر) — نحو الفحط وقلة الأمطار والريغ في الزراعات والريخ  
 في التجارات ووقوع المواتن في الناس والدواب وكثرة الحرق والفرق ومحى البركات من كل شيء —  
 بسبب معاصيهم وشركهم — كقوله (وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) —  
 (ليذيقهم) وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يماقهم بجميعها في الآخرة — وبالنون عن قبل —  
 (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي . ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله .  
 (قل سيرا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم  
 بأن يسيرا فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم .

(١٢) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه حرج .

(١٣) هو مصدق بمعنى الرد .

(١٤) يتعلق ب (يأتى) . والمعنى (من قبل أن يأتى) من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى  
 (فلا يستطيعون ردها) . أو ب (مرد) على معنى لا يرده هو بعد أن يحى به ولا رد له من جهته .

(١٥) يتصنعون أى يتفوتون .

(١٦) أشار إلى غناه عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره (ومن عمل  
 صالحا فلا نفسم يمهلون) أى يسوون لأنفسهم ما يسوونه لنفسه الذى يمهّد لنفسه فراشه



لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
 الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ  
 رَحْمَتِهِ وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٣﴾

ويؤتله ثلاثا يصيبه في مضجعه ما يتنفس عليه مرقده من شئ وغيره . والمعنى أنه يمهدهم  
 الجنة بسبب أعمالهم فأضيف إليهم . وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر  
 الكفر لا يعود إلا على الكافر ، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوز .  
 (١١) (يجزى) متعلق بـ (يمهدون) وتعليل له . وتكرر (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)  
 وترك الضمير إلى الصريح ، لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن .

(٣٢) أى عطائه .

(٣٣) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس .

(٣٤) أى ومن آيات قدرته .

(٥) (الرياح) هى الجنوب والشمال والصبأ . وهى رياح الرحمة . وأما الدور فرياح  
 العذاب . ومنه قوله عليه السلام "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا" . وقد عدّد الفوائد  
 فى إرسائها فقال (مبشرات) أى أرسلها للإشارة بالثبوت ، (وليذيقكم من رحمته) ولإذاعة الرحمة  
 وهى نزول المطر ، وحصول الخصب الذى يتبعه ، والروح الذى مع هبوب الريح ، وزكاء  
 الأرض ، وغير ذلك — (وليذيقكم) معطوف على (مبشرات) على المعنى . كأنه قيل ليذيقكم  
 وليذيقكم ، (ولتجزي الفلك) فى البحر عند هبوبها (بأمره) أى بتدبيره أو بتكويره كقوله  
 (إنما أمره إذا أراد شيئا) الآية ، (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر ، (ولعلكم تَشْكُرُونَ)  
 وتشكروا نعمة الله فيها .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِخَاءٍ وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا  
 مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِى  
 يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ  
 كِسْفًا فَرَى الْوَدْقُ مِنْ خِلَالِهِ ﴿١٢﴾ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ  
 مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٣﴾

(١١) (لجأهم بالبينات) أى قامن بهم قوم وكفر بهم قوم . ويدل على هذا الإضمار قوله  
 (فانتقمنا من الذين أجمعوا) — أى كفروا — بالإهلاك فى الدنيا، (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)  
 أى وكان نصر المؤمنين حقاً علينا بإنجائهم مع الرسل .

وقد يوقف على (حقاً) . ومعناه (وكان) الانتقام منهم (حقاً) . ثم تبدئ (علينا نصر  
 للمؤمنين) . والأول أصح .  
 (١٢) (الرَّيحُ) مَكِّي .

(١٣) (فَيَبْسُطُهُ) أى السحاب (فى السماء) أى فى سميت السماء وشققها — كقوله (وفرعها  
 فى السماء) — و(كَيْفَ يَشَاءُ) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (ويجعله كسفاً)  
 قطعاً جمع كسفة أى يجعله منسطحاً يأخذ وجه السماء مرة، ويجعله قطعاً متفرقة ذرة بنسطة  
 مرة — (كسفاً) يزيد وابن ذكوان — (فَرَى الْوَدْقُ) المطر (يُخْرِجُ) فى التارين جميعاً  
 (من خلاله) وسطه .

(١٤) بالودق .

(١٥) يريد إصابة بلادهم وأراضيهم .

(١٦) يفرحون .

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لُمِبِلِينَ ﴿١١﴾ فَانظُرْ  
إِلَىٰ أَثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ  
لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا  
فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٣﴾

(١١) (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر - (من قبله) كرر التأكيد كقوله (فكان عاقبتهم أيهما في النار خالدين فيها) . ومعنى التوكيد فيها الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تناولوا فاستحكم بأسمهم فكان الاستبشار على قدر اغتنامهم بذلك - (المبلسين) آيسين .

(١٢) شامئ وكوفي غير أبي بكر . وغيرهم (أثر) .

(١٣) أي المطر .

(١٤) (كيف يحيي الأرض) بالنبات وأنواع الثمار .

(١٥) أي الله .

(١٦) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم .  
فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات .

(١٧) أي (وهو على كل شيء) من المقدورات قادر . وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء .

(١٨) أي الديور .

(١٩) (فأروه) أي أثر رحمة الله - لأن رحمة الله هي الفيت وأثرها النبات . ومن قرأ بالجمع رجح الضمير إلى معناه . لأن معنى آثار الرحمة النبات . واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر متى به ما ينبت - (مصفراً) بعد اخضراره . وقال (مصفراً) لأن تلك صفرة حادثة . وقيل (فأروا السحاب مصفراً) لأن السحاب الأصفر لا يطر . واللام في (لئن) موطنه للقسام

فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَ وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ <sup>(٢)</sup>  
وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا  
فَهُمْ مُسْلِمُونَ <sup>(٥)</sup> اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً <sup>(٦)</sup>

دخلت على حرف الشرط . وسد مسد جوابى القسم والشرط (انظروا) ومعناه ليظن (من بعده)  
أى من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار . (يكفرون) . ذمهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم  
المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبسبين . فإذا أصابهم برحمته ورزقهم  
المطر استهشروا . فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصغار سحقوا وكفروا بنعمة الله .  
فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله ، فغنطوا ؛  
وأن يشكروا نعمته ويمجدوه عليها ، ففحروا ، وأن يصبروا على بلائه ، فكفروا .

(١) أى موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك .

(٢) (وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ) — مكي — (الدعاء إذا ولّوا مدبرين) . فإن قلت : الأصم لا يسمع  
مقبلا أو مدبرا ، فما فائدة هذا التخصيص ؟ قلت هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والإشارة .  
فإذا ولّى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة .

(٣) أى عمى القلوب . (وما أنت تهدى العمى) — حمزة — أى لا يمكنك أن تهدى العمى  
إلى طريق قد ضل عنه بإشارة منك له إليه .

(٤) ما تسمع .

(٥) متفادون لأوامر الله تعالى .

(٦) من النطف كقوله (من ماء مهين) .

(٧) يعنى حال الشباب وبلوغ الأشد .

ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ <sup>(١)</sup> وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ <sup>(٢)</sup>  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ <sup>(٣)</sup> يُقَسِّمُ <sup>(٤)</sup> الْمُجْرِمُونَ <sup>(٥)</sup> مَا لَبِثُوا <sup>(٦)</sup> غَيْرَ سَاعَةٍ <sup>(٧)</sup> كَذَلِكَ كَانُوا  
يُؤْفَكُونَ <sup>(٨)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ <sup>(٩)</sup> وَالْإِيمَانَ <sup>(١٠)</sup>

(١) يعنى حال الشيخوخة والمهرم .

(٢) من ضعف وقوة وشباب وشيبة .

(٣) (وهو العلم) بأحوالهم (القدير) على تغييرهم . وهذا التردد في الأحوال آية دليل على الصانع العلم القدير .

فتح الضاد في الكل ماصم وحزمة ، وضـمـ غيرهما . وهو اختيار حفص . وهما لفتان والضم أقوى في القراءة لما روى عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ضعف) فأقرأني (من ضعف) .

(٤) أى القيامة . سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ، أولاتها تقع بفترة كما تقول "في ساعة" لمن تستعجله . وجرى عليها كالتجيم للثريا .

(٥) يخلف الكاثرون . ولا وقف عليه ، لأنه (مالبثوا) جواب القسم .

(٦) (مالبثوا) في القبور أو في الدنيا (غير ساعة) . استقلوا مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا حول يوم القيامة وطول مقامهم في شدائدھا ، أو يسون ، أو يكذبون .

(٧) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق إلى الكذب في الدنيا ويقولون (ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمجمعين) .

(٨) هم الأنبياء والملائكة والمؤمنون .

لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَیْعَةِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَیْعَةِ وَلَكِنْ نَكَّرَ  
 كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ  
 يُسْتَعْتَبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ  
 بِبَيِّنَاتٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَطَلُونَ ﴿١٣﴾

(١١) (لقد لبثتم) فى علم الله الموت فى اللوح ، أو فى حكم الله وقضائه (الى يوم البعث) .  
 ودوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة . ثم وصلوا ذلك بتقريرهم حل انكار  
 البعث بقولهم (فهذا يوم البعث) . والثفاء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره إن كنتم منكبين  
 البعث (فهذا يوم البعث) الذى أنكرتموه .

(١٢) (ولكنكم كنتم) فى الدنيا (لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه .

(١٣) بالياء ، كوفى .

(١٤) كفروا .

(١٥) عذرتهم .

(١٦) أى لا يقال لهم أَرْضُوا رَبَّكُمْ بثوبة . من قولك "استعنى فلان فاعتبه" أى استرضانى  
 فأرضيته .

(١٧) أى ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة  
 عجبية الشأن كصفة الميعوتين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من  
 اعتذارهم ولا يسمع من استعجابهم . ولكنهم لقسوة قلوبهم إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا  
 جئنا بزور وباطل .

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴿١٢﴾  
وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿١٣﴾

(١١) أى مثل ذلك الطبع — وهو انلتم — يطبع الله على قلوب الجهالة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا الحقيقين مبطلين . وهم أغرق خالق الله في تلك الصفة .

(١٢) (فاصبر) على أذاهم أو عداوتهم (إنَّ وعد الله) بنهرتك على أعدائك وإظهار دين الإسلام على كل دين (حق) لا بد من إنجازه والوفاء به .

(١٣) أى لا يمحنتك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والمجلة في الدعاء عليهم بالمداب . أو لا يمحنتك على الخفة والقلق جزعاً بما يقولون ويفعلون . فانهم ضلال شاكون لا يستدع منهم ذلك . (ولا يستخفئك) بسكون النون عن يعقوب . والله الموفق للصواب .

## سورة لقمان مكية

وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ تَرَ كَيْفَ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ <sup>(١)</sup> هُدًى وَرَحْمَةً  
لِّلْمُحْسِنِينَ <sup>(٢)</sup> اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
يُوقِنُونَ <sup>(٣)</sup> اُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ <sup>(٤)</sup> وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ <sup>(٥)</sup>

(١) ذى الحكمة . أو وصف بصفة الله عز وجل على الإسناد المجازى .

(٢) (هدى ورحمة) حالان من الآيات . والامل معنى الإشارة في (تلك) . حمزة بالرفع  
هل أن (تلك) مبتدأ و (آيات الكتاب) خبره و (هدى) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف .  
أى هو أو هي (هدى ورحمة للحسين) للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله (الذين  
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) . ونظيره قول أوس .

الأملى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمى

أوللذين يعملون جميع ما يحسن . ثم خص منهم الثائمين بهذه الثلاثة لفضلها .

(٣) مبتدأ وخبر .

(٤) صفة لهدى .

(٥) عطف عليه .



وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَوِثْلًا بِحَدِيثٍ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا  
هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا (١٧)

(١٦) نزلت في النضر بن الحرث . وكان يشتري أخبار الأكامرة من فارس ويقول إنّه مجدداً يقصّ طرفاً من قصّة عاد ومُحَمَّد . فانا أحدثكم بأحدث الأكامرة . فيميلون إلى حديثه ويتركون استماع القرآن . والله وكل باطل ألمى عن الخير وعمّا يعنى . وهو الحديث نحو السمر بالأساطير التي لا أصل لها والغناء . وكان ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يحلفان أنّه الغناء . وقيل : الغناء مفسدة للقلب منفذة للآل مسخطة للرب . وعن النبي صلى الله عليه وسلم "مما من رجل يرفع هوته بالغناء إلّا يموت الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتّى يكون هو الذى يسكت" . والاشتراء من الشراء كما روى عن النضر ، أو من قوله (اشترؤا الكفر بالإيمان) أى استبدلوه منه واختاروه عليه . أى يختارون الباطل على حديث الحق . وإضافة اللهو إلى الحديث للتبيين بمعنى من لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث . والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث "الحديث في المسجد يأكل الحسنة كما تأكل البهيمة الحشيش" . أو للتبويض كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذى هو اللهو منه .

(١٧) أى ليصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن . (ليضل) تنكى وأبو عمرو أى ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ويزيد فيه .

(١٨) عن دين الإسلام والقرآن .

(١٩) أى جهلا منه بما عليه من الوزر به .

(٢٠) أى السبيل . بالنصب ؛ كوفى خبر أبى بكر ، عطفاً على (ليضل) . ومن رفع عطفه على (يشتري) .

(٢١) بسكون الزاى والمهمزة ، حمزة . ويضم الزاى بلا همز ، حفص . وغيرهم بضم الزاى والمهمزة .

(٢٢) أى يبينهم — و(من) لإيهامه بقع على الواحد والجمع — أى النضر وأمثاله .

(٢٣) أعرض عن تدبرها متكبّراً رافضاً نفسه عن الإصغاء إلى القرآن .

كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ۖ إِنَّ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۖ خَالِدِينَ  
فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
يَغْيِرُ عَمَدَ تَرَوْنَهَا ۖ وَالْأَقْصَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسَىٰ أَنْتَ نَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ  
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ

(١) يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها . وهو حال من (مستكبرا) . والأصل كأنه .  
والضمير ضمير الشأن .

(٢) بَقَلَا . وهو حال من (لم يسمعها) . (أذنيه) نافع .

(٣) لا وقف على (لم جنات النعيم) . لأن (خالدين فيها) حال من الضمير في (لم) .

(٤) مصدران مؤكدان . الأول مؤكّد لنفسه . والثاني مؤكّد لغيره . إذ (لم جنات النعيم)  
في معنى ومدحهم الله جنات النعيم . فأكد معنى الوعد بالوعد . و (حقاً) يدلّ على معنى الثبات .  
فأكد به معنى الوعد . ومؤكّد هما (لم جنات النعيم) .

(٥) (وهو العزيز) الذى لا ينفيه شيء فبين أعداءه بالعذاب المهين ، (الحكيم) بما يفعل  
فينيب أوليائه بالنعيم المقيم .

(٦) جمع عماد .

(٧) الضمير للسموات . وهو استنهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله (بنير عمد) .  
كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تانى . ولا هلّ لها من الإحراب لأنّها مستأنفة .  
أو في محلّ الجزاء لعمد أى بنير عمد مرثية . يعنى أنّه عمدها بعمد لا ترى . وهى إمساكها  
بقدرته .

(٨) جبالاً ثوابت .

(٩) لئلا تضطرب بكم

(١٠) ونشر .

(١١) صنف .

كَرِيمٌ ﴿١١﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ

(١١) حسن .

(١٢) (هذا) - إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته - (خلق الله) أى مخلوقه (أأرونى) ماذا خلق الذين من دونه) يعنى ألهتهم . بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله فأرونى ما خلقته ألهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة .

(١٣) أضرب عن تبركيتهم إلى التسجيل عليهم بالورط في ضلال لاس بعده ضلال .

(١٤) هو لقمان بن يعقوب، ابن أخت أيوب أو ابن خالته. وقيل كان من أولاد آزر. ومات ألف سنة. وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم. وكان يقضى قبل مبعث داود عليه السلام. فلما بعث قطع الفتوى. فقيل له. فقال: ألا أكتفى إذا كُفيت؟ وقيل كان خياطاً. وقيل نجاراً. وقيل راعياً. وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل. وقال عكرمة والشعبيّ كان نبياً . والجمهور على أنه كان حكماً ولم يكن نبياً . وقيل خبر بين النبوة والحكمة . وهى الإصابة فى القول والعمل . وقيل تتلمذ لألف نبيّ - وتتلمذ له ألف نبيّ .

(١٥) (أن) مقسرة . والمعنى أى (اشكركم) لأن إيتاء الحكمة فى معنى القول . وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما ، وعبادة الله والشكر له ، حيث فسر إيتاء الحكمة بالحث على الشكر . وقيل لا يكون الرجل حكماً حتى يكون حكماً فى قوله وفعله ومعاشرته وصحبته . وقال السرى السقطى - اشكر ألا نعصى الله بنعمه . وقال الجندى : ألا نرى معه شريكاً فى نعمه . وقيل : هو الإقرار بالعجز عن الشكر . والحاصل أن شكر القلب المعرفة ، وشكر اللسان الحمد ، وشكر الأركان الطاعة . ورؤية العجز فى السكّن ، دليل قبول الكل .

وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ (١) وَإِذْ قَالَ  
لِقَوْمِهِ لَابَنِيَّ هُوَ يَعْبُدُكُمْ وَيَبْغِي بِيَدِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (٢)  
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُ الْفِطْرِ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ  
لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (٣) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (٤)

(١) لأن منفعة تعود إليه فهو يريد المزيد .

(٢) (ومن كفر) النعمة (فإن الله غنى) غير محتاج إلى الشكر (حميد) حقيقى بأن يحمده وإن لم يحمده أحد .

(٣) أى (و) اذكر (إذ) .

(٤) أنهم أو أشكم .

(٥) بالإسكان ، مكى . (يا بنى) ، حفص بفتح هـ فى كل القرآن

(٦) لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا وهى منه ومن لا نعمة له أصلا .

(٧) أى (حملته) تن (وهنا على وهن) أى تضعف ضعفا فوق ضعف ، أى يتزايد ضعفها ويتضاعف . لأن الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا .  
(٨) أى فطامه عن الرضاع لتسام عامين .

(٩) هو تفسير (ووصينا) أى وصينا بذكرنا وبشكر والديه . وقوله (حملته أمه وهنا على وهن وفصله فى عامين) اعتراض بين المفسر والمفسر ، لأنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأُم وتأمينه من المشاق فى حملته وفصله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقوقها العظيمة مفردا . وعن ابن عيينة : "من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دما للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما" .

(١٠) أى مصيرك إلى "وحسابك على" .

(١١) أراد بنى العلم به نفيه . أى لا تشرك بى ما ليس بشئ ، يريد الإحصام .

فَلَا تَطْعَمُهُمَا<sup>(١)</sup> وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا<sup>(٢)</sup> وَأَتَّبِعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ  
إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٣)</sup> يٰبَنِيَّ  
إِنِّهَا إِن تَكَ ثَقْلًا حَبِيبَةً مِنْ نَارٍ فَنَذِلَّ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي  
السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ<sup>(٤)</sup> إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ<sup>(٥)</sup>

(١) فلا تطعمهما في الشرك .

(٢) صفة مصدر محذوف . أى صحابا (معروفا) حسنا بخلاق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة .

(٣) أى (أتبع سبيل) المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا . وقال ابن عطاء : "صاحب من ترى عليه أنوار خدمتي" .

(٤) أى مرجعك ومرجعهما .

(٥) فأجازيك على إيمانك وأجازيها على كفرهما .

وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك . يعنى أنا وصيئاه بوالديه وأمرناه ألا يطعهما في الشرك ، وإن جهدا كل الجهد ، لقبه .

(٦) (مقال) بالرفع ، مدنى . والضمير للقصة . وأنت المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال :

« كما شرفت صدر الفتاة من الدم » وكان تامة . والياقون بالنصب . والضمير للهنة من الإساءة والإحسان . أى إن كانت مثلا في الصفر كحبة نردل ، فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه بكوف الصخرة ، أو حيث كانت في العالم الملوئى أو السفلى — والأكثر على أنها التي عليها الأرض وهي السجين يكتب فيها أعمال القبار . وليس من الأرض — (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها أهلها .

(٧) (إن الله لطيف) بتوصل علمه إلى كل خفى (خير) عالم بكنهه . أو (لطيف)

بإستخراجها (خير) بمستغزها .

يُنَبِّئُنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ <sup>(١١)</sup>  
 إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ <sup>(١٢)</sup> وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ <sup>(١٣)</sup>  
 فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ <sup>(١٤)</sup> وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ <sup>(١٥)</sup>

(١١) (عل ما أصابك) من الأذى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر .  
 أو (عل ما أصابك) من الحزن ، فأتها تورث المنع .

(١٢) (إن ذلك) الذى وصيتك به مما عزمه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب وإلزام  
 أى أمر به أمرا حتما . وهو من تسمية المفعول بالمصدر . وأصله من معزومات الأمور  
 أى مقطوعاتها ومفروضاتها . وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الأيام .

(١٣) أى ولا مرض عنهم تكبرا . (تصاعر) ، أبو عمرو ونافع وحزمة وعلى . وهو بمعنى  
 (تصعر) . والصعر داء يصيب البعير يلوى منه عقه . والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا  
 ولا توفهم شق وجهك وصعخته كما يفعله المتكبرون .

(١٤) أى تريح (مرحا) . أو أوقع المصدر موقع الحال أى مرحا . أو (لا تمش) لأجل  
 المرح والأشهر .

(١٥) متكبر .

(١٦) من يمدد مناقبه تطاولا .

(١٧) القصد التوسط بين العلو والتقصير أى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا يندب  
 ديب المتواوتين ولا تثب وثوب الشطار . قال عليه السلام "سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن" .  
 وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنه : "كان إذا مشى أسرع" ، فإنما أرادت السرعة المرتفعة  
 عن ديب المتفاوت . وعن ابن مسعود رضى الله عنه "كانوا يتهوون عن خيب اليهود وديب  
 النصارى ولكن مشيا بين ذلك" وقيل : معناه وانظر موضع قدميك قدميك متواضعا .

وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ <sup>(٢١)</sup> أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ  
يَخْرُجُ لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَاءِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ <sup>(٢٢)</sup>  
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْئَلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرَ عَلَيْهِ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابَ مِنْهُ <sup>(٢٣)</sup>

(٢١) واقصص منه أى اخفض صوتك .

(٢٢) أى (إن) أوحشها (لصوت الحمير) لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار .  
وعن الثوري صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان . ولذلك سمّاه الله  
منكرا . وفى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالهناق تنبيه على أن رفع الصوت  
في غاية الكراهة . يؤيده ما روى أنه عليه السلام كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت  
ويكره أن يكون مجهور الصوت . وإنما وحّد صوت الحمير ولم يجمع لأنه لم يرد أن يذكّر صوت  
كل واحد من أحاد هذا الجنس حتى يجمع ، بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت  
وأكثر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده .

(٢٣) يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك .

(٢٤) يعنى البهار والأنهار والمعادن والدواب وغير ذلك .

(٢٥) وأتم .

(٢٦) مدنى وأبو عمرو وسهل وحفص . (تمنّته) غيّرهم . والنعمة كل نفع قصد به الإحسان .

(٢٧) (ظاهرة) بالمشاهدة (وباطنة) ما لا يعلم إلا بدليل . ثم قيل الظاهرة البصر والسمع  
واللسان وسائر الجوارح الظاهرة ، والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك . وروى  
في دواء موسى عليه السلام : إلى دلتى على أخفى نعمتك على عبادك . فقال أخفى نعمتى عليهم  
النفس . وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع ، والخلق والخلق ، ونيل العطايا وصرف  
البلايا ، وقبول الخلق ورضا الرب . وقال ابن عباس : الظاهرة ما سوى من خلقك ، والباطنة  
ما ستر من عيوبك .

(٢٨) نزلت في النضر بن الحرث . وقد مرّ في الحجّ .

(٢٩) نعمة .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا  
 أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ <sup>(١)</sup> وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى  
 اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ <sup>(٢)</sup>  
 وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ  
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ <sup>(٣)</sup> ثُمَّ تَعَبَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطَّرَّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ <sup>(٤)</sup>

(١) معناه (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى فى حال دعاء الشيطان إياهم إلى  
 العذاب .

(٢) عدى هنا بلى وفى (بلى من أسلم وجهه لله) باللام . فمعناه مع اللام أنه جعل وجهه —  
 وهو ذاته ونفسه — سالماً لله أى خالصاً . ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع  
 إلى الرجل إذا دفع إليه . والمراد التوكّل عليه والتفويض إليه .

(٣) (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن) فيما يعمل (فقد) تمسك وتملق (بالعروة)  
 هى ما يعلق به الشيء (الوثقى) تأنيث الوثقى . مثل حال المتوكّل بحال من أراد أن يتبدل  
 من شاقق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه .

(٤) أى هى صائرة إليه فيجازى عليها .

(٥) (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن (يحزنك) نافع  
 من أحزن . أى لا يهملك كفر من كفر .

(٦) فتعاقبهم على أعمالهم .

(٧) (إن الله) يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه .

(٨) (نمتعهم) زماناً (قليلاً) بدنيهم (ثم نضطّرهم) نلجّهم (إلى عذاب غليظ) شديد . شبه  
 لإزاهم العذاب وإرهاقهم إياه بالضطرار المضطر إلى الشيء . فاللفظ مستعار من الأجرام  
 الغليظة . والمراد الشدة واليقل على المحدث .



وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٣﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ  
 أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴿١٤﴾

(١١) إلزام لم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر ولا يعبد معه غيره .

(١٢) (لا يعلون) أت ذلك يزيههم . وإذا تبوأ عليه لم يتنبهوا .

(١٣) (الغنى) عن حمد الحامدين (الحمد) المستحق للحمد وإن لم يحمده .

(١٤) قال المشركون إن هذا — أى الوسى — كلام سينفذ . فأعلم الله أنه كلامه لا ينفذ .  
 (والبحر) بالنصب ، أبو عمرو ويعقوب ، عطفاً على اسم أت وهو (ما) . والرفع على محل (أت)  
 ومعمولها . أى ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبهر . أو على الابتداء  
 والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام فى حال كون البحر ممدوداً . وقرئ (يمده) . وكان  
 مقتضى الكلام أن يقال ولو أت الشجر أقلام والبحر ممداد . لكن أغنى عن ذكر الممداد قوله  
 (يمده) لأنه من قولك مده الدواء وأمدّها . جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواء وجعل الأبحر  
 السبعة مملوءة ممداداً فهي تصب فيه مدامها أبداً صباً لا ينقطع . والمعنى : ولو أن أشجار الأرض  
 أقلام والبحر ممدود بسبعة أبهر ، وكُتبت بتلك الأقلام وبذلك الممداد كلمات الله ، لما نفدت  
 كلماته ونفدت الأقلام والممداد . كقوله (قل لو كان البحر ممداداً لكلمات ربى لنفدت البحر  
 قبل أن تنفذ كلمات ربى) . فإن قلت زعمت أت قوله (والبحر يمدّه) حال فى أمد وجهى  
 الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال . قلت هو كقولك جفت والجيش مصطف وما أشبه  
 ذلك من الأحوال التى حكمها حكم الظروف . وإنما ذكر شجرة على التوحيد لأنه أريد تفصيل  
 الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد برت أقلاماً .  
 وأوز الكلمات وهى جمع قلّة على الكلم وهى جمع كثرة لأن معناه أن كلماته لا تنفد بكينتها  
 البحار ، فكيف بكلمه ؟

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَّسٌ وَاحِدٌ ﴿١٢﴾  
 إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ  
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَيَخْطَرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ  
 اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٥﴾

(١١) (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يهجزه شيء (حَكِيمٌ) لا يخرج من علمه وحكمته شيء، فلا تنفسد كتاباته وحكمه .

(١٢) (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ) إِلَّا تَقَاتَى نَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَبَعَثَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، خُفِضَ لِلْعِلْمِ بِهِ .  
 أى سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن .

(١٣) (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) لقول المشركين إنه لا بعث (بَصِيرٌ) بأعمالهم فيجازيهم .

(١٤) يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار إذا أقبل الليل .

(١٥) (وَيَخْطَرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) لمنافع العباد .

(١٦) أى كل واحد من الشمس والقمر (يجرى) في تلكه ويقطعه (إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى يوم القيامة . أو إلى وقت معلوم — الشمس إلى آخر السنة ، والقمر إلى آخر الشهر .  
 (١٧) وبإلياء عيَّاش .

دَلَّ أَيْضًا — بتعاقب الليل والنهار، وزيادتهما ونقصانهما، وجرى الزَّيْرَيْنِ في فلكيهما على تقدير وحساب، وإحاطته بجميع أعمال الخلق — على عظم قدرته وبكمال حكمه .

(١٨) (يَدْعُونَ) بإلياء عراقة غير أبي بكر . أى ذلك الوصف الذى وصف به — من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الأحياء القادرون المألون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله — إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الإلهية وأن من دونه باطل الإلهية وأنه (هو العلى) الشأن (الكبير) السلطان .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِرَبِّكُمْ مِنْ عَائِنِهِ ۚ إِنَّ  
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَالظُّلُمِ (٦) دَعَا اللَّهَ  
 مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا  
 إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝

(١) وقرئ (الْفُك) . وكلُّ فُعل يَمْجُوزُ بِهِ فُعلٌ كما يَمْجُوزُ فِي كُلِّ فُعلٍ فُعلٌ .

(٢) بِإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ . أَوْ بِالرَّيْحِ لِأَنَّ الرِّيحَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ .

(٣) (لِرَبِّكُمْ مِنْ) عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ فِي الْبَحْرِ إِذَا رَكِبْتُمُوهَا .

(٤) (صَبَّارٍ) عَلَى بَلَاءِهِ (شَكُورٍ) لِنِعْمَائِهِ . وَهُمَا صِفَتَا الْمُؤْمِنِ . فَالْإِيمَانُ نِصْفَانِ نِصْفُهُ

شُكْرٌ وَنِصْفُهُ صَبْرٌ . فَكَانَتْهُ قَالَ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ .

(٥) أَيْ الْكَفَّارِ .

(٦) الْمَوْجُ يَرْتَفِعُ فَيَعُودُ مِثْلَ الظَّلَالِ . وَالظَّلَّةُ كُلُّ مَا أَطْلَكَ مِنْ جَبَلٍ أَوْ مَهَابٍ أَوْ ذِيهِمَا .

(٧) أَيْ بَاقٍ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ وَلَمْ يَبْدُ إِلَى الْكُفْرِ . أَوْ (مُقْتَصِدٌ)

فِي الْإِخْلَاصِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ . يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ الْإِخْلَاصَ الْحَادِثَ عِنْدَ الْغُلُوفِ لَا يَبْقَى  
 لِأَحَدٍ قَطُّ . وَالْمُقْتَصِدُ قَلِيلٌ نَادِرٌ .

(٨) أَيْ بِحَقِيقَتِهَا .

(٩) ظَنَّارٌ . وَانْخَرَأَقِيحُ الْقَمَرُ .

(١٠) (كَفُورٍ) لِرَبِّهِ .

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ  
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ  
وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴿٤٢﴾ وَمَا تَكْتُمُ نَفْسٌ مَّا ذَا تَكْسِبُ غَدًا  
﴿٤٣﴾

(١) لا يقضى عنه شيئا . والمعنى (لا يجزى) فيه تخفيف .

(٢) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه . لأن الجملة الإنشائية  
أكد من الجملة الفعلية . وقد انضم إلى ذلك قوله (هو) ، وقوله (مولود) . والسبب في ذلك  
أن الخطاب للؤمنين . وعليهم قبض آباؤهم على الكفر . فأريد حسم أطاعهم أن ينفعوا آباءهم  
بالشفاعة في الآخرة . ومعنى التأكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للآب الأدنى  
الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لأجداده . إذ الولد يقع على الولد وولد الولد  
بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك ، كذا في الكشف .

(٣) (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث والحساب والجزاء (حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بزينة  
فوات نعمتها دانية ، ولقبتها فانية .

(٤) الشيطان أو الدنيا أو الأمل .

(٥) أى وقت قيامها .

(٦) بالتشديد شامى ومدنى وعاصم . وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل  
تقديره (إِنَّ اللَّهَ) يثبت (عنده علم الساعة ويُنَزِّلُ النَّبِيَّ) في إبانة من غير تقديم ولا تأخير .

(٧) (ويعلم ما فى الأرحام) أذكر أم أمي وأتم أم ناقص .

(٨) (وما تكتسب نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر . وربما كانت  
عازمة على خير فعملت شرا ، وعازمة على شر فعملت خيرا .

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ <sup>(١)</sup> إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ <sup>(٢)</sup>

(١) أى (وما تدرى نفس) أين تموت . وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترى بها مراعى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها . روى أن ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه . فقال الرجل من هذا ؟ قال له ملك الموت . قال كأنه يريدنى . وسأل سليمان عليه السلام أن يجعله على الريح ويأقيه ببلاد الهند ففعل . ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى إليه تعجباً منه لأنى أحسرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك . وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما فى الدراية من معنى الخلق والحيلة . والمعنى أنها لا تعرف وإن أحملت حيلها ما يختص بها . ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وطاقته . فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان ما عداهما أبعد . وأما المنجم الذى يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر فى الطالع . وما يدرك بالدليل لا يكون غيباً . على أنه مجرد الظن والظن غير العلم . وعن النبي صلى الله عليه وسلم "مفاتيح الغيب خمس" وتلا هذه الآية . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب" . وراى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره . فأشار بأصابعه الخمس فغيرها المعبرون بنحس سنوات وبخمس أيام . فقال أبو حنيفة رضى الله عنه هو إشارة إلى هذه الآية فإن هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلا الله .

(٢) (إن الله عليم) بالغيوب (خبير) بما كان ويكون . وعن الزهري رضى الله عنه :  
"أكثرنا قراءة سورة لقمان فإن فيها أعاجيب" . والله أعلم .

## سورة السجدة مكية

وهي ثلاثون آية مدنية وكوفية وتسع وعشرون آية بصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ  
اَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ ﴿٢﴾

(١) (الْم) - على أنها اسم السورة - مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب). وإن جعلتها تعديداً للعروف  
ارتفع (تنزيل) بأنه خبر مبتدأ محذوف . أو هو مبتدأ خبره (لاريب فيه) . أو يرتفع بالابتداء  
وخبره (من رب العالمين) و(لا ريب فيه) افتراض لا محل له . والضمير فيه راجع إلى مضمون  
الجملة كأنه قيل لاريب في ذلك أى في كونه منزلاً من رب العالمين لأنه معجز للبشر ومثله  
أبعد شئ من الرب . ثم أضرب عن ذلك إلى قوله (أم يقولون افتراه) - أى اختلقه محمد -  
لأن (أم) هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة . معناه بل أيقولون افتراه ، إنكاراً لقولهم  
وتعجيلاً منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه . ثم أضرب عن الإنكار  
إلى إثبات أنه (الحق من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتا وجهلاً .

(٢) أى العرب .

(٣) (ما) للنفى . والجملة صفة لـ (قوما) .

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا  
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴿١٢﴾  
 وَلَا شَفِيعٍ إِلَّا نَعَدَكُمُوهُ ﴿١٣﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ  
 يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ  
 عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ

(١١) على الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان (لعله يتذكر) على الترتيب  
 من موسى وهرون .

(١٢) استولى عليه بإحدىاته .

(١٣) من دون الله .

(١٤) أى إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولأى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم .

(١٥) تتعظون بمواظع الله .

(١٦) أى (يدبر) أمر الدنيا (من السماء إلى الأرض) إلى أن تقوم الساعة (ثم يعرج إليه)  
 ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه (في يوم) — وهو يوم القيامة — (كان مقداره ألف سنة  
 مما تعدون) من أيام الدنيا . ولا تترك للشبهة بقوله (إليه) فى إثبات الجهة لأن معناه إلى حيث  
 يرضاه أو أمره ، كما لا شئت لهم بقوله : (أنى ذاهب إلى ربى) . (أنى مهاجر إلى ربى) .  
 (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله) .

(١٧) أى ذلك الموصوف بما مر (عالم) ما غلب من الخلق وما شاهدوه (العزير) الغالب  
 أمره (الرحيم) البالغ لطفه وتيسيره . وقيل لا وقف عليه لأن (الذى) صفته .

(١٨) أى حسنه لأن كل شئ من رب على ما اقتضته الحكمة .

خَلَقَهُ <sup>(١)</sup> وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ <sup>(٢)</sup> مِنْ طِينٍ <sup>(٣)</sup> ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ <sup>(٤)</sup> مِنْ سُلَالَةٍ <sup>(٥)</sup> مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ <sup>(٦)</sup> ثُمَّ سَوَّاهُ <sup>(٧)</sup> وَنَفَخَ فِيهِ <sup>(٨)</sup> مِنْ رُوحِهِ <sup>(٩)</sup> وَجَعَلَ لَكُمُ <sup>(١٠)</sup> السَّمْعَ <sup>(١١)</sup> وَالْأَبْصَرَ <sup>(١٢)</sup> وَالْأَفْئِدَةَ <sup>(١٣)</sup> قَلِيلًا <sup>(١٤)</sup> مَّا تَشْكُرُونَ <sup>(١٥)</sup> وَقَالُوا <sup>(١٦)</sup> أَؤَظُنُّا <sup>(١٧)</sup> فِي الْأَرْضِ <sup>(١٨)</sup> أَنْعَمَّا <sup>(١٩)</sup> لَنِي <sup>(٢٠)</sup> خَلَقَ <sup>(٢١)</sup> جَدِيدَ <sup>(٢٢)</sup> بَلْ هُمْ <sup>(٢٣)</sup> بِلِقَاءِ <sup>(٢٤)</sup> رَبِّهِمْ <sup>(٢٥)</sup> كَفَرُونَ <sup>(٢٦)</sup>

(١) كوفى ونافى وسهل على الوصف أى كل شئ، خلقه فقد أحسن. (خقه) غيرهم على البذل أى أحسن خلق كل شئ.

(٢) آدم .

(٣) ذريته .

(٤) من نطفة .

(٥) أى منى . بدل من (سلالة) .

(٦) ضعيف حقير .

(٧) قومه كقوله ( فى أحسن تقويم ) .

(٨) أدخل .

(٩) الإضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به ويعلمه .

(١٠) ( وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ) لتسمعوا وتبصروا وتمقلوا .

(١١) أى تشكرون قليلا .

(١٢) القائل أبى بن خلف . ولرضاهم أسند إليهم .

(١٣) ضللنا أى صرنا ترابا وذهبنا غلطين بتراب الأرض لا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن .

أوغينا فى الأرض بالدفن فيها . وقرأ على ( ضللنا ) بكسر اللام يقال ضلّ يضلّ وضلّ يضلّ .

وانتصب الظارف فى ( أنذا ضللنا ) بما يدلّ عليه ( أننا لفي خلق جديد ) وهو نبعث .

(١٤) جاحدون . لما ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو أبلغ وهو أنهم كافرون

بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالبعث وحده .



قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ <sup>(١١)</sup>  
 وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا <sup>(١٢)</sup>  
 فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ <sup>(١٣)</sup> وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى <sup>(١٤)</sup>

<sup>(١١)</sup> أى (يتوفاكم ملك الموت الذى وُكِّلَ قبض أرواحكم) ثم (تُرجعون) (إلى ربكم) بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء . وهذا معنى لقاء الله . والتوفى استيفاء النفس وهى الروح كَمَلًا أى يقبض أرواحكم أجمعين . من قولك توفيت حتى من فلان إذا أخذته وإني أكملها من غير قصمان . ومن مجاهد "حُوتِ ملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء" . وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه قبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كله وهو الخالق لأعمال المخلوقات . وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله (توفيه رسلاً) وقوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها) .

<sup>(١٢)</sup> الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد . ولو امتناعية . والجواب محذوف أى (أيت أمراً عظيماً) .

<sup>(١٣)</sup> هم الذين قالوا (إننا ضللتنا فى الأرض) . ولو وإذ لضى . وإتما جاز ذلك لأثر المترقب من الله بمثلة الموجود . ولا يقدر ل (ترى) ما يتناولوه ، كأنه قيل (ولو) تكون منك الرؤية . و (إذ) ظرف له .

<sup>(١٤)</sup> (ناكسوا رؤوسهم) من الذل والحياء والتذم .

<sup>(١٥)</sup> (عند حساب ربهم) . ويقف عليه لائق الحذف ، إذ التقديرية ولون (ربنا أبصرنا) صدق وعدك وعيدك (وسمعا) منك تصديق رسلك . أو كما عيا وصفاً فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) . إلى الدنيا .

<sup>(١٦)</sup> أى الإيمان والطاعة .

<sup>(١٧)</sup> (إننا موقنون) بالبعث والحساب الآن .

<sup>(١٨)</sup> (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فى الدنيا . أى لو شئنا أعطينا كل نفس ما عدنا من اللطف الذى لو كان منهم اختيار ذلك لاحتدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لعلنا منهم

وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ <sup>(١)</sup>  
فَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ <sup>(٢)</sup> إِنَّمَا نَسِينَاكُمْ <sup>(٣)</sup> وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ <sup>(٤)</sup>  
إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٥)</sup> إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا <sup>(٦)</sup>  
سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ <sup>(٧)</sup> وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ <sup>(٨)</sup> تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ <sup>(٩)</sup>  
<sup>(١٠)</sup>

اختيار الكفر وإثارة وهوجة على المعتزلة . فإن عندهم شاء الله أن يعطى كل نفس ما به اهتدت .  
وقد أعطاهما . لكنهما لم تهتد . وهم أولوا الآية بشبهة الجبر . وهو تأويل فاسد لما عرف  
في تبصر الأدلة .

<sup>(١)</sup> (ولكن) وجب (القول مني) بما علمت أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم . وهو  
ما علم منهم أنهم يختارون الرذ والتكذيب . وفي تخصيص الإنس والجن إشارة إلى أنه عصم  
ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم .

<sup>(٢)</sup> (فذوقوا) العذاب بما تركتم من عمل لقاء (يوهكم هذا) وهو الإيمان به .

<sup>(٣)</sup> تركناكم في العذاب كالمسقى .

<sup>(٤)</sup> أى العذاب الدائم الذى لا انقطاع له .

<sup>(٥)</sup> (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي .

<sup>(٦)</sup> أى وعظوا بها .

<sup>(٧)</sup> سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام .

<sup>(٨)</sup> وترهبوا الله عما لا يليق به وأثنوا عليه حامدين له .

<sup>(٩)</sup> (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان والمجود له .

<sup>(١٠)</sup> ترفع وتنحى عن الفرض ومضاجع النوم . قال سهل : وهب لقوم هبة وهو أن أذن لهم

في مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته . ثم مدحهم عليه . فقال (تجافى جنوبهم عن المضاجع) .

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ<sup>(٣٢)</sup> فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ<sup>(٣٣)</sup>  
لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٣٤)</sup> أَفَنُفِثَ<sup>(٣٥)</sup> أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ  
قَاسِمًا لَا يَسْتَوُونَ<sup>(٣٦)</sup> فِيهَا أَمَّا الَّذِينَ<sup>(٣٧)</sup> آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ  
دَاعِينَ<sup>(٣٨)</sup> (رَبِّهِمْ) دَاعِينَ لَهُ .

<sup>(٣٢)</sup> مفعول له . أى لأجل خوفهم من محضه وطمعهم فى رحمته . وهم المتجهدون . وعن  
النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها "قيام العبد من الليل" . وعن ابن عطاء "أبت جنوبهم  
أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة" . يعنى صلاة الليل . وعن أنس "كان أناس  
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة  
فنزلت فيهم" . وقيل هم الذين يصلون صلاة التمة لا يتأمون عنها .

<sup>(٣٣)</sup> (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله تعالى .

<sup>(٣٤)</sup> (مَا) بمعنى الذى . (أُخْفِيَ) على حكاية النفس<sup>(٣٩)</sup> ، حمزة و يعقوب .

<sup>(٣٥)</sup> أى لا يعلم أحد ما أعد هؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر . أى جوزوا (جزاء بما كانوا  
يعملون) . عن الحسن رضى الله عنه "أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت  
ولا أذن سمعت" . وفيه دليل على أن المراد الصلاة فى جوف الليل ليكون الجزاء وثاقا .

<sup>(٣٦)</sup> بين أن من كان فى نور الطاعة والإيمان لا يستوى مع من هو فى ظلمة الكفر والعصيان  
بقوله (أَفَنُفِثَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) . أى كافرا وهما بمنزلة على لفظ (من) ،  
وقوله (لَا يَسْتَوُونَ) على المعنى بدليل قوله (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) الآيتين .

<sup>(٣٧)</sup> هى نوع من الجنان تأوى إليها أرواح الشهداء . وقيل هى عن يمين العرش .

<sup>(٣٨)</sup> قوله على حكاية النفس أى بأن يقرأ (أخفى) بصيغة المضارع .

تَزَلَّيْمًا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

(١١) عطاء بأعمالهم . وللتزل عطاء النازل ثم صار عاتماً .

(١٢) أى ملجؤهم ومنزلهم .

(١٣) أى يقول لهم خذوا خزنة النار .

(١٤) وهذا دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان .

(١٥) أى ( ولنذيقنهم من ) عذاب الدنيا من الأسر وما عمنوا به من السنة سبع سنين (دون) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة — وعن الداراني العذاب الأدنى الخذلان والعذاب الأكبر الخلود في النيران وقيل العذاب الأدنى عذاب القبر — لعل المعتدين بالعذاب الأدنى يتوبون عن الكفر .

(١٦) (ومن أظلم ممن) وعظ (آيات ربّه) — بالقرآن — فتوى عنها ولم يتدبر فيها . (ثم) للاستبعاد . أى أن الإعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وإثباتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تتبذلها استبعاداً لفرصة الإتيان .

(١٧) ولم يقل منه لأنه إذا جملة أظلم كل ظالم ثم توعد المحرمين عامة بانتقام منهم فقيد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام . ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة .

(١٨) التوراة .

فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ<sup>(١)</sup> وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ<sup>(٢)</sup> وَجَعَلْنَا  
 مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا<sup>(٣)</sup> وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ<sup>(٤)</sup> إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
 يَقْضِي<sup>(٥)</sup> بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ<sup>(٦)</sup> أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْهُهُمْ<sup>(٧)</sup> أَلَمْ نَكُنْ

(١) شك .

(٢) من لقاه موسى الكتاب . أو من لقاه موسى ليلة المراج ، أو يوم القيامة ، أو لقاه  
 موسى ربه في الآخرة . كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى ( هدى ) لقومه .

(٤) بهمذين كوفي وشامي .

(٥) ( يهدون ) الناس ويدهونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه ( بأمرنا ) أي بأمر  
 بذلك حين صبروا على الحق بطاعة الله . أو عن المعاصي ( لما صبروا ) . حمزة وعلى أي لصبرهم  
 عن الدنيا . وفيه دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس .

(٦) ( وكانوا يأتينا ) — التوراة — يعلمون علما لا يحتاجه شك .

(٧) ( إن ربك هو ) يقضى بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين ( يوم القيامة )  
 فيما كانوا فيه يختلفون ( فيظهر الحق من المبطل ) .

(٨) الواو للمطف على معطوف عليه منوًى من جنس المعطوف . أي ( أ ) لم يدع ( ولم يهد )  
 بين — وألفاقل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب ( نه ) — لأهل مكة .

(٩) لا يجوز أن يكون ( كم ) فاعل ( يهد ) ، لأن ( كم ) للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله .  
 وعنه نصب بقوله ( أهلكا ) .

مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ الْقُرُونُ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ  
الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾  
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ  
لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٤﴾

(١١) كهاد وثمود وقوم لوط .

(١٢) أى أهل مكة يمشون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم .

(١٣) (أفلا يسمعون) الملاحظ فيمتطوا .

(١٤) يجرى المطر والأثمار .

(١٥) أى الأرض التى جرز نباتها أى قطع إما لعدم الماء أو لأنه رعى . ولا يقال لى  
لأنه كالمسباح جرز بدليل قوله (فخرج به زردا) .

(١٦) (فخرج) بالماء (زرعا تأكل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأفهمهم)  
من حبه .

(١٧) (أفلا يبصرون) بأعينهم فيستدلوا على إحياء الموتى .

(١٨) (الفتح) النصر أو الفصل بالحكمة من قوله (ربنا افتح بيننا) . وكان المسلمون  
يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين . أو يفتح بيننا وبينهم . فإذا سمع المشركون ذلك ،  
قالوا (متى هذا الفتح) أى فى أى وقت يكون (إن كنتم صادقين) فى أنه كائن .

(١٩) أى يوم القيامة — وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ، ويوم نصرهم عليهم .  
أو يوم بدر . أو يوم فتح مكة — (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) .

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ ﴿١١﴾

وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا . ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقبل لهم لاستعجالوا به ولا تستهزئوا فكأن فيكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وأمنتم فلا ينفذكم الإيمان أو استنظرتهم في إدراك العذاب فلم تنتظروا . ومن فسر يوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فإنهم لا ينفذهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الفرق .

(١١) (وانتظر) النصره وهلاكهم (إنهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم . وكان عليه السلام لا ينأى حتى يقرأ (الم تنزيل) السجدة (تبارك الذي بيده الملك). وقال من قرأ (الم تنزيل) في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سورة (الم تنزيل) هي المأنة تمنع من مذهب الباطن . والله أعلم .

## سورة الأحزاب مدنية

وهى ثلاث وسبعون آية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا  
حَكِيمًا ﴿١﴾

(١) قال أبى بن كعب رضى الله عنه لوزر : كم تعدون سورة الأحزاب ؟ قال ثلاثا وسبعين : قال فولاذى يخلف به أبى إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول . ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة (نكالا من الله والله عز ورحيم) . أراد أبى أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن . وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضى الله عنها فأكتبها العاجن فن تأليفات الملاحدة والروافض .

(٢) وبالهمزة تافع ، أى يَا أَيُّهَا الْمُنْبَغَرُّ عَنَّا الْمَامُونُ عَلَى أَسْرَارِنَا الْمَبَاحِ خُطَابِنَا إِلَى أَحِبَابِنَا . وَأَمَّا لَمْ يَقُلْ يَأْخُذُكَ قَالَ (يَا آدَم) (يَا مُوسَى) تَشْرِيفًا لَهُ وَتَنْوِيهَا بِفَضْلِهِ . وَتَهْرِيغُهُ بِاسْمِهِ فِي قَوْلِهِ (عِدَّ رَسُولُ اللَّهِ) وَنَحْوِهِ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ .

(٣) أَكْبَرْتَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَدَمَ عَلَيْهِ وَازْدَدَ مِنْهُ فَهُوَ بَابٌ لَا يَدْرُكُ مَدَاهُ .

(٤) وَلَا تَسَاعُدْهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَاحْتَرَسَ مِنْهُمْ فَاتَّهَمَ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ . وَرَوَى أَنَّ أَبَاسُفِيَانَ وَعُكْرَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ وَأَبَا الْأَعْوَرِ السَّامِيَّ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ بَعْدَ قِتَالِ أَحَدٍ فَتَرَلُّوا عَلَى عِدَائِهِ بْنِ أَبِي وَأَعْطَاهُمُ النَّبِيُّ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَكْتُمُوهُ . فَقَالُوا أَرِغَضَ ذَكَرَ الْفَتْنَا وَقُلْ لِمَنْهَا تَنْفَعُ وَتَشْفَعُ . وَوَأَزْهَمَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى ذَلِكَ . فَهَمَّ الْمَسَامُونُ بِقَتْلِهِمْ . قَتَلَتْ . أَيْ (اتَّقِ اللَّهَ) فِي تَقْضِ الْعَهْدِ (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ) مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (وَالْمُنَافِقِينَ) مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِيمَا طَلَبُوا (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) . بِمَنْحِثِ أَعْمَالِهِمْ (حَكِيمًا) فِي تَأْخِيرِ الْأَمْرِ بِمَتَالِهِمْ .



وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾  
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ  
 قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلْفَىٰ تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ  
 أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴿٣﴾

(١) وأتبع ما يوحى إليك من ربك في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين  
 (إن الله) الذي يوحى إليك لم يزل حالاً بأعمالكم وأعمالكم . وقيل إنما جمع لأن المراد بقوله  
 (أتبع) هو وأصحابه . وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم  
 ومكرهم بكم .

(٢) أسند أمرك إليه وكله إلى تديره .

(٣) حافظ موكولاً إليه كل أمر . وقال الزجاج لفظه وإن كان لفظ الخبر فالمرنى  
 اكتف بالله وكيلاً .

(٤) أى ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنتوة ودعوة في رجل .  
 والمرنى أنه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين — لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل  
 بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضيلة غير محتاج إليه ، وإما أن يفعل بهذا فغيراً يفعل بذلك  
 فذلك يؤدي إلى انصاف الجملة بكونه مريداً كارها حالاً ظناً مؤقتاً شاكاً في حالة واحدة —  
 لم يحكم أيضاً أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل وزوجاً له ، لأن الأم مخدومة والمرأة خادمة  
 وينهما منافاة ، وأن يكون الرجل الواحد دعيّاً لرجل وإبناً له لأن البنتوة أمانة في النسب  
 والدعوة الصباغ عارض بالتسمية لا غير ، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل .  
 وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً فاشتراه حكيم  
 ابن حزام لعنته خديجة . فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه  
 وهمه بغفر فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه . وكانوا يقولون زيد بن عبد  
 فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج عبد امرأة ابنة  
 وهو ينهى عنه . فانزل الله هذه الآية . وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم

ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١١﴾  
 أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ  
 فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ

وقلب مع أصحابه . وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب لقليل له ذو القليلين فأكذب الله قولهم  
 وضربه مثلا في الظهار والتبني . والتذكير في (رجل) وإدخال (من) الاستغراقية على (قلبين)  
 وذكر الجوف ، للتأكيد . (اللائى) بياء بعد المزة حيث كان كوفي وشامي . (اللاء) نافع  
 وبمقوب وسهل . وهى جمع التى . (تُظَاهِرُونَ) طاصم من ظاهر إذا قال لامرأته أنت على  
 كظهر أمى . (تُظَاهِرُونَ) على حمزة وخلف . (تُظَاهِرُونَ) شامى من أظهار بمعنى تظاهر .  
 فهم (تُظَاهِرُونَ) من أظهر بمعنى تظهر . وعدى بمن لتضمنه معنى البعد لأنه كان طلاقا  
 فى الجاهلية ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدى بمن . وإلا ، فآلى فى أصله  
 الذى هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمة . والدعى فعل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا .  
 وقيل كان الرجل فى الجاهلية إذا أعجبه ولد الرجل ضمنه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر  
 من أولاده من ميراثه وكان يلسب إليه فيقال فلان بن فلان . وجمع على أضلاء شاذًا — لأن أباه  
 ما كان منه بمعنى فاعل كتنى وأتقياء وشقى وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رعى ومسمى —  
 للتشبيه اللفظى .

(١١) أى أن قولكم للزوجة هى أم والدعى هو ابن قولهم قولونه بالسنتكم لا حقيقة له  
 لاذ لا يكون بالولادة وكذا الأم والله يقول الحق أى ما حق ظاهره وباطنه (وهو يهدى السبيل)  
 أى سبيل الحق . ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق وبين أن طاصم لأبائهم  
 هو أدخل الأمرين فى القسط والعدل وهو قوله (أدعوهم لأبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله) .  
 ثم أنظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطليية ثم فصل الخبرية عنها ووصل  
 بينها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطليية .

(١٢) فإن لم تعالوا لهم آباء تنسبونهم إليهم ، فهم إخوانكم فى الدين وأولياؤكم فى الدين  
 فقولوا هذا أنسى وهذا مولاي وإيانى وإيامولاي يريد الأخوة فى الدين والولاية فيه .

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا <sup>(٢)</sup> أَلَمْ يَكُنِ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ <sup>(٣)</sup> وَأَزْوَاجُهُمْ  
أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ <sup>(٤)</sup>

(١) أى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك خطئين جاهلين قبل ورود النبى ولكن الإثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النبى ، أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد فيكم يا بنى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متمدين . و (ما) فى موضع الجزع عطف على (ما) الأولى . ويجوز أن يراد المغفون عن الخطأ دون الممد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التنبى وعمده . وإذا وجد التنبى فان كان التنبى مجهول النسب وأصغر سناً منه ثبت نسبه منه ، وعق إن كان عبداً له . وإن كان أكبر سناً منه لم يثبت النسب وعق عند أبى حنيفة رضى الله عنه . وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتنبى ، وعق إن كان عبداً .  
(٢) لا يؤاخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد .

(٣) أى أحق بهم فى كل شئ من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها . فغلبهم أن يذلوها دونه ويجعلوها فداءه . أو هو أولى بهم أى أرفأهم وأعطف عليهم وأرفع لهم كقوله (بالمؤمنين يعوف رحيم) . وفى قراءة ابن مسعود (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وهو أب لهم . وقال بجاهد كل نبي أبو أمته . ولذلك صار للمؤمنون إخوة لأن النبى صلى الله عليه وسلم أبوهم فى الدين .

(٤) (وأزواجه أمهاتهم) فى تحريم لكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن نيا وراء ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم إلى بناتهن .

(٥) وذوو القربايات (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث . وكان المسلمون فى صدر الإسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة . ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة .

فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْكَ  
أُولَئِكَ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٢٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا  
مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعَهِسَى  
أَنْ يَرِىَهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢٣﴾ لَيَسْئَلَ الْمُتَّقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴿٢٤﴾

(٢١) في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله .

(٢٢) يجوز أن يكون بيانا لأولى الأرحام: أى الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث  
بعضا من الأجانب، وأن يكون لابتداء الغاية: أى أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من  
المؤمنين من الأنصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة .

(٢٣) الاستثناء من خلاف الجنس: أى لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز . وهو أن  
توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بنىء، فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث . وعدى (فعلوا) بـ إلى  
لأنه في معنى تسدوا . والمراد بالأولياء المؤمنين والمهاجرون للولاية في الدين .

(٢٤) أى التوارث بالأرحام كان مسطورا في اللوح .

(٢٥) (و) إذ كرمين (أخذنا من النبيين ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومعك)  
خصوصا . وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم  
أولو العزم وأصحاب الشرائع . فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم . ولولا  
ذلك لقدم من قدمه زمانه .

(٢٦) (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا — وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف إليه —  
وإنما فعلنا ذلك (لئسأل) الله (الصادقين) أى الأنبياء (عن صدقهم) عما قالوه لقومهم .  
أو (لئسأل) المصدقين للأنبياء عن تصديقهم . لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا  
في قوله . أو (لئسأل) الأنبياء ما الذى أجابتهم أمهم . وهو كقوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول  
ما أنا أجبت) .

وَأَعِدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾ يَلْبِثُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴿١٢﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٣﴾

(١١) (وأعد للكاافرين) بالرسول (عذابا أليما) . وهو عطف على (أخذنا) لأنة المعنى ان الله أشد على الأتباء الدعوة إلى دينه لأجل إناثة المؤمنين (وأعد للكاافرين عذابا أليما) . أو على ما دل عليه (يسأل الصادقين) كأنه قال فأتاى المؤمنين (وأعد للكاافرين) .

(١٢) أى ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب . وهو يوم الخندق . وكان بعد حرب أحد بسنة .

(١٣) أى الأحزاب . وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير .

(١٤) أى الصبا . قال عليه السلام (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالديور) .

(٥) وهم الملائكة . وكانوا ألفا . بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وأسفت التراب في وجوههم . وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطشاب وأطفت النيران . وأكفأت القدور وماجت الخيل بمضيا في بعض وقنف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال . وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان . ثم نزع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم . وأمر بالذراري والنسوان فرفضوا في الأظلام . واشتد الخوف . وكانت قريش قد أبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائهم أبرسفيان . ونزع غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عينة بن حصن وطامر بن الطفيل في هوازن . وضامتهم اليهود من قريظة والنضير . ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا التراى بالنبل والمجارة حتى أنزل الله النصر .

(٦) أى (وكان الله) بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق واليات على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم (بصيرا) . وبإلقاء أبو عمرو أى بما يعمل الكفار من البنى والسعى في إطفاء نوره .

لَمَّا جَاءَهُمْ مِّنْ فَوْقَكُم مِّمَّنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ <sup>(١)</sup> وَلَمَّا زَاغَتِ <sup>(٢)</sup> الْأَبْصَارُ  
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ <sup>(٣)</sup> وَتَظُنُّونَ <sup>(٤)</sup> بِاللهِ الظُّنُونَا <sup>(٥)</sup> هُنَالِكَ ابْتُلِيَ  
الْمُؤْمِنُونَ <sup>(٦)</sup> وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا <sup>(٧)</sup> وَلَمَّا يَقُولُ <sup>(٨)</sup> الْمُنْفِقُونَ <sup>(٩)</sup>

(١) بدل من (إذ جاءكم) .

(٢) أى من أعلى الوادى من قبل المشرق . بنو غطفان .

(٣) من أسفل الوادى من قبل المغرب . قريش .

(٤) مالت عن سبيلها ومستوى نظرها حيرة . أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى  
مدتها لشدة الروع .

(٥) الحنجرة رأس الفلصمة وهى منتهى الحلقوم . والحلقوم مدخل الطعام والشراب .  
قالوا إذا انتفضت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس  
الحنجرة . وقيل هو مثل في اضطراب القلوب وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة . روى أن المسلمين  
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال " نعم .  
قولوا اللهم استر عورتنا وآمن روعاتنا " .

(٦) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على  
حرف ، والمنافقون . فظن الأولون بالله أنه يتلهم يخافوا الزلل وضعف الاحتمال . وأما الآخرون  
فظنوا بالله ما حكي عنهم . قرأ أبو عمرو وحمة (الظنون) بنى ألف في الوصل والوقف . وهو  
القياس . و بالألف فيها مدنى وشامى وأبو بكر إجراء للوصل مجرى الوقف . وبالألف  
في الوقف مكى وعلى وحفص وشله الرسولا والسبيلا . زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية  
من قال : أقل اللوم عاذل والتابا هـ وهن كلهن في الإمام بالألف .

(٧) امتحنوا بالصبر على الإيمان .

(٨) وحركوا بالخوف تحريكا يليغا .

(٩) عطف على الأول .

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ۖ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۖ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۖ وَيَسْتَلِدُّ قَوْمٌ مِّنْهُمُ النَّسِيءَ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۖ

(١٢) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقولهم :

إلى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكنية في المزدحم

وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المناقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم .

(١٣) روى أن معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال : يسدنا عهد فتح فارم والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا . ما هذا إلا وعد غرور .

(١٤) من المناقذين وهم عهد الله بن أبيه وأصحابه .

(١٥) هم أهل المدينة .

(١٦) وبضم الميم حفص . أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تهومون فيه أو تهيمون .

(١٧) (فارجعوا) عن الإيمان إلى الكفر . أو من عسكر رسول الله إلى المدينة .

(١٨) أى بنو حارثة .

(١٩) أى ذات عورة .

(٢٠) العورة الخلل . والعورة ذات العورة . وهى قراءة ابن عباس يقال عور المكان عورا إذا بدا منه خلل يخاف منه العدو والشارق . ويجوز أن يكون (عورة) تخفيف عورة . اعتذروا أن بيوتهم عرضة للعدو والشارق لأنها غير محصنة فاستأذنه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه . فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار من القتال .

وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنفَقْنَاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١١﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْلُونَ إِلَّا دُبُرًا ﴿١٢﴾ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسَوِّدًا ﴿١٣﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ

(١١) (ولو دخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم — من قولاك دخلت على فلان داره — من جوانبها . أى ولو دخلت هذه المساكن المتحيزة التي يفزون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها وانتالت على أهاليهم وأولادهم ناهيين سائين (ثم سألوا) عند ذلك الفزع (الفتنة) أى الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين (لأنوها) لأعطوها . (لأنوها) بلا مدح مجازى أى لجأوها وفعلوها (وما تلبثوا) بإجابتها (إلا يسيرا) ربنا يكون السؤال والجواب من غير توقف . أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم (إلا يسيرا) فإن الله يهلكهم . والمعنى أنهم يتغلبون بأعداء بيوتهم لينفروا عن نصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مضافة الأحزاب الذين ملقوهم هولا ورعبا . وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم ودارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كفوا على المسلمين لاسرعوا إليه وما فعلوا بشيء . وما ذلك إلا لقمعهم الإسلام وحبهم الكفر .

(١٢) أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم إلى الأحزاب .

(١٣) (لا يؤلون إلا دُبُرًا) منزمين .

(١٤) مطلوباً مقتضى حتى يوفى به .

(٥) أى إن كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وإن لم يحضر وفرتم لم تتدوا فى الدنيا إلا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل . وعن بعض الروايات أنه مر بمخاض مائل فأسرع فطبت له هذه الآية فقال : ذلك القليل نطلب .

(٦) أى بما أراد الله إزاله بكم .



إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْصِيْنَ مِنَ الَّذِينَ إِخْوَانِهِمْ هَلَمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ أَشْجَىٰ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴿٣﴾

(١) (إن أراد بكم سوءاً) في أنفسكم من قتل أو غيره .

(٢) أى إطالة عمر في عافية وسلامة . أى من يمنح الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع .

(٣) ناصراً .

(٤) أى من يعوق من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يمنع . وهم المنافقون .

(٥) (والقائلين لإخوانهم) في الظاهر من المسلمين .

(٦) أى تزيروا أنفسكم إلينا ودعوا مجدا . وهى لغة أهل الحجاز فإنهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة . وأما تميم فيقولون هلم ياربجل واهلموا ياربجل . وهو صوت سمى به فعل متمتع نحو أحضروا وتزب .

(٧) أى الحرب .

(٨) إلا إتيانا قليلا أى يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون .

(٩) جمع شحيح وهو البخيل . نصب على الحال من الضمير في (يأتون) . أى يأتون الحرب بخله (عليكم) بالظفر والنفيمة (إذا جاء الخوف) من قبل العدو أو منه عليه السلام (رأيتهم ينظرون إليك) في تلك الحالة ((تدور أعينهم) بينا وشمالا كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولو أذا بك .

فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْنَةِ حَدَادٍ أَشْجَةً عَلَى أَنْخِيرِ أُولَئِكَ<sup>(١)</sup>  
 لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ<sup>(٢)</sup> وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا<sup>(٣)</sup> يَحْسَبُونَ  
 الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ<sup>(٤)</sup>  
 يَسْتُلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا<sup>(٥)</sup>

(١) (فإذا) زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الغنائم خاطبوكم مخاطبة شديدة وأذوكم  
 بالكلام . خطيب مسلّح نصيح ورجل مسلّح مبالغ في الكلام ، أى يقولون وقروا قسمتنا فإننا قد  
 شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكانياتنا غلبتم عدوكم .

(٢) أى خاطبوكم أشجّة على المال والنعمة . و (أشجّة) حال من فاعل (سلقوكم) .

(٣) (لم يؤمنوا) فى الحقيقة بل بالأسفة .

(٤) أبطل بإضمارهم الكفر ما أظهروه من الأعمال .

(٥) إحباط أعمالهم .

(٦) هينا .

(٧) أى لجنهم يظنون أنّ الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنّهم قد انصرفوا .

(٨) (وإن يأت الأحزاب) كرة ثانية .

(٩) البادون جمع البادى . أى يتجنى المناقون لجنهم أنّهم خارجون من المدينة إلى البادية  
 حاصلون من الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا بما فيه الخوف من القتال .

(١٠) (يسألون) كلّ قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعمّا جرى عليكم .

(١١) (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا إلا قليلا) رياء وسمعة .

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۖ

(١١) (أسوة) بالضم حيث كان، عاصم. أى أنه فى نفسه (أسوة حسنة) — أى قدوة. وهو  
المؤتمى به أى المقتدى به — كما تقول فى البيضة عشرون مئاً حديداً، أى هى فى نفسها هذا  
البلغ من الحديد. أو فيه خصلة من حقها أن يؤتمى بها حيث قاتل بنفسه.

(١٢) أى يخاف الله ويخاف اليوم الآخر. أو يأمل ثواب الله وتعيم اليوم الآخر. قالوا  
(لن) بدل من (لكم). وفيه ضعف. لأنه لا يجوز البدل من ضمير المخاطب. وقيل يتلقى  
بحسنة. أى (أسوة حسنة) كاشنة (لن كان).

(١٣) أى (وذكر الله كثيراً) فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء.

(١٤) وعدمهم الله أن يزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة  
ولم يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) إلى قوله (قريب). فلما جاء الأحزاب واضطربوا ورجعوا  
الرب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلموا أن الغلبة والنصرة  
قد وجبت لهم. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه  
إن الأحزاب سائرون إليكم فى آخر تسع ليال أو عشر. فلما رأوهم قد أقبلوا ليماذ قالوا ذلك.  
و (هذا) إشارة إلى الخطب والبلاء.

(١٥) (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ويعيهم (إلا إيماناً) بالله وبوعايد  
(وتسليماً) لقضائه وقدره.

مَنْ الْمُتْرَمِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٤١﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ  
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٤٢﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْلُوا خَيْرًا

(٤١) أى فى ما عاهدوه عليه . غلظ الجار كما فى المثل "صدقتى سن بكرة" أى صدقتى فى سن بكرة بطرح الجار وإيصال الفعل . نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبوا وقاتلوا حتى يُستشهدوا . وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحزرة ومصعب وغيرهم .

(٤٢) أى مات شهيدا كعزة ومصعب . وقضاء النحب صار عبارة عن الموت ، لأن كل حى من المحدثات لابد له أن يموت فكانه نذر لازم فى رقبته فإذا مات فقد قضى نحوه أى نذره .

(٤٣) (ومنهم من ينتظر) الموت أى على الشهادة كعثمان وطلحة .

(٤٤) (وما بدلوا) المهد (تبديلا) ولا ضروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة . وفيه تعريض لمن بدلوا من أهل الشقاق ومرضى القلوب كما مر فى قوله تعالى (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار) .

(٤٥) (ليجزى الله الصادقين) بوفائهم بالمهد (ويعذب المنافقين إن شاء) إذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) إن تابوا (إن الله كان غفورا) يقبل التوبة (رحيما) بسفوح الحوبة . جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكانت استويا فى طلبها والسعى فى تحصيلها .

(٤٦) الأحزاب .

(٤٧) حال ، أى متغيظين كقوله (تهت بالدخن) .

(٤٨) (لم يئالوا) ظفروا أى لم يظفروا بالمسلمين . وسماه خيرا بزعمهم . وهو حال أى غيظا فرين .

وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿١١﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن صَبَّاحِهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فِرْقًا فِرْقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْمُرُونَ قَرِيقًا ﴿١٢﴾ وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

(١١) (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة .

(١٢) قادرا غالبا .

(١٣) ماوتوا الأحزاب .

(١٤) من بنى قريظة .

(١٥) من حصونهم . الصبعية مأخوذة به . روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صبيحة الليلة التي انتهز فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوها سلاحهم ، على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج . فقال ماهذا يا جبريل ؟ قال من متابعة قريش . بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه . فقال يا رسول الله : إنا الملائكة لم تضع السلاح . إن الله يأمرك بالمشير إلى بنى قريظة وأنا مأمور إليهم فأت الله دأقهم ذق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة . فأذن للناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلى العصر إلا في بنى قريظة . فاصروهم خمسا وعشرين ليلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكي . فأبوا . فقال على حكم سعد بن معاذ . ففرضوا به . فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم ونسبي ذراريهم ونسأؤهم . فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . ثم استتر لهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة . وقيل كانوا ثمانمائة مقاتل وسبعمائة أسير .

(١٦) انطوف . وبضم العين شامخة وعلى .

(١٧) (فريقا) نصب بقوله (تقتلون) وهم الرجال .

(١٨) وهم النساء والذراري .

(١٩) أى المواشى والتقود والأمتعة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للهاجرين دون الأنصار وقال لهم إنكم في منازلكم .

وَأَرْضًا لَّ تَطْهَرُهَا<sup>(١)</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا<sup>(٢)</sup> يَتْلِيهَا<sup>(٣)</sup> النَّبِيُّ قُلْ  
لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ<sup>(٤)</sup>  
سَرَاحًا جَمِيلًا<sup>(٥)</sup> وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ<sup>(٦)</sup>  
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا<sup>(٧)</sup> يَنْكِسَاءُ<sup>(٨)</sup> النَّبِيُّ مِنْ بَيَاتٍ مِنْكُنَّ بِفَلَحْشَةٍ<sup>(٩)</sup>  
<sup>(١١)</sup> (وَأَرْضًا لم تطهوها) بقصد القتال . وهى مكة . أو فارس والروم . أو غير . أو كل

أرض تفتح إلى يوم القيامة .

<sup>(٢)</sup> قادرا .

<sup>(٣)</sup> أى السعادة وكثرة الأموال .

<sup>(٤)</sup> أصل قال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المنخفض . ثم كثر حتى استوت  
في استعماله الأمكنة . ومعنى (تعالين) أقبلن بإرادتك واختيارك لأحد الأمرين ولم يرد  
نهوضن إليه بأفهمن كقوله قام يهدنى .

<sup>(٥)</sup> أعطكن منعة الطلاق . ونسحب لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء .

<sup>(٦)</sup> وأطلقكن (سراحا جميلا) لا ضرا فيه .

أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتنازل . فعم ذلك رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فزلت . فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن إليه فغيرها وقرأ عليها القرآن .  
فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، فرؤى الفرج في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ثم اختار جميعهن اختيارها . وروى أنه قال لعائشة : إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجل  
فيه حتى تسامرى أبويك . ثم قرأ عليها القرآن . فقالت أفى هذا أستمأ أبوى ! فأتى  
أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

وحكم التغيير في الطلاق أنه إذا قال لها اختارى ، فقالت اخترت نفسي أن تقع تطليقة  
بائنة . وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء . وعن علي رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة  
وجبة . وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة .

<sup>(٧)</sup> من البيان لا للتبعض .

<sup>(٨)</sup> سيفة بليغة في القبح .

مُبِينَةٍ يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ (٣) وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٤)  
وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفُوتُهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ (٥) وَأَعْتَدْنَا  
لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٦) يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لِسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ (٧) إِنْ أَتَقَيْنَ (٨)

(١) ظاهر مجسما . من بين بمعنى نيين . وفتح الباء مكى وأبو بكر . قيل هى عصيان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفشوزهن . وقيل الزنا . والله حاصم رسوله من ذلك .

(٢) (يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ) مكى وشامى ، (يُضَعِّفُ) أبو عمرو ويزيد ويقوب .

(٣) ضعى مذاب فيهرق من النساء لأن ماقيح من سائر النساء كان أقيح منهن فزيادة فيح  
المعصية تتبع زيادة الفضل . وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم .  
ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقيح . ولذا فضل  
حد الأحرار على العبيد . ولا يرجم الكافر .

(٤) أى تضيف العذاب عليهن .

(٥) هيتا .

(٦) القنوت الطاعة .

(٧) وبالياء فهما حمزة وعل .

(٨) مثل ثواب غيرها .

(٩) (رِزْقًا كَرِيمًا) جليل القدر . وهو الجنة .

(١٠) أى لستن بكجاعة واحدة من جماعات النساء إذا تقصيت أئمة النساء جماعة جماعة  
لم توجد منهن جماعة واحدة تساو يكن فى الفضل . وأحد فى الأصل بمعنى واحد وهو الواحد .  
ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراه .

(١١) إن أردت القوى أو إن كنت متقيات .

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا  
مَعْرُوفًا ﴿١١﴾ وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى  
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ  
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١٢﴾

(١١) أى إذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجتن بقولكن خاضعا أى لينا خشنا مثل  
كلام المرات .

(١٢) بالنصب على جواب النهى .

(١٣) ربة وفجور .

(١٤) حسنا مع كونه خشنا .

(١٥) مدنى وعاصم فخرية، وأصله آقرن . لحذفت الراء تخفيفا وأقيت فتحتها على ما قبلها  
أو من قار يقار إذا اجتمع . والياقون (قرن) من وقر يقر وقارا، أو من قر يقر حذفت الأولى  
من رأى آقرن قرارا من التكرار ، وقلبت كسرتها إلى القاف .

(١٦) يضم الباء بصرى ومدنى وحفص .

(١٧) أى القديمة والتبرج التبغرفى المشى أو إظهار الزينة . والتقدير (ولا تبرجن) تبرجا مثل  
تبرج النساء فى الجاهلية الأولى . وهى الزمان الذى ولد فيه إبراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما  
السلام ، أو زمن داود وسليمان . والجاهلية الأخرى ما بين ميسى وعهد عليهما السلام . أو الجاهلية  
الأولى الكفر قبل الإسلام ، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الإسلام .

(١٨) خص الصلاة والزكاة بالأمر ثم ضم بجميع الطاعات تفضيلا لها لأت من وانطب  
عليهما جزاءه إلى ما وراءهما .

(١٩) نصب (أهل) على النداء أو على المدح . وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته . وقال (عنكم)  
لأنه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (و يطهركم تطهيرا) من نجاسة الآتام . بين أنه إنما  
نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارفن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاثم وليتصنوا



وَأَذْكُرَنَّ مَا يَكُنْ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا  
 خَبِيرًا ﴿٣٧﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ  
 وَالْقَنِينِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ  
 وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ

هنا بالفتوى . واستمار للذنوب الرجس والتفتوى الطهر لآفة عرض المغترب للقبائح يتلوث  
 بها كما يتلوث بدنه بالأرجاس . وأما الحسنات فالعرض منها نقي كالتوب الطاهر . وفيه تنفير  
 لأولى الأبواب عن المنهى وترغيب لهم في الأوامر .  
 (١١) القرآن .

(٣٧) أى السنة أو بيان معاني القرآن .

(٣٨) (إن الله كان لطيفاً) عالم بغوامض الأشياء (خبيراً) عالم بمخاطباتها . أى هو عالم  
 بالهالكين وأقوالهم ، فأحذر مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله .

(٣٩) لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء .  
 فقلت : المسلم الداخل في السلم بعد الحرب ، المتفاد الذي لا يماند ، أو المفوض أمره إلى الله  
 المتوكل عليه ، من أسلم وجهه إلى الله .

(٤٠) المستدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به .

(٤١) القائمين بالطاعة .

(٤٢) (والصادقين) في النيات والأقوال والأعمال .

(٤٣) (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيئات .

(٤٤) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخاشعين .

(٤٥) (والمستدقين) (فرضا ونفلا) (والصائمين والصائمات) (فرضا ونفلا) .

وقيل من تصدق في كل أسبوع بدمهم فهو من المستدقين . ومن صام البيض من كل شهر  
 فهو من الصائمين .

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالَّذِينَ كَرِهَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرِهَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ<sup>(١١)</sup> وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ<sup>(١٢)</sup> وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا<sup>(١٣)</sup>

(١١) (والحافظين فروجهم) عما لا يحل (والحافظات والذات كثر) والذات كرات (بالسبيح والحميد والتبليغ والتكبير . وقراءة القرآن والاشتغال بالمسلم من الذكر . والمعنى (والحافظات) فروجهن (والذات كرات) الله . غطف لدلالة ما تقدم عليه . والفرق بين عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين أن الأول نظير قوله (نبيات وأبكارا) في أنهما جلسان مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف بينهما . وأما الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع . ومثناه أن الجاهدين والجاهعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) على طاعتهم .

(١٢) خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أمية على مولاه زيد بن حارثة فأبى وأبى أخوها عبد الله . فقتلت . أى وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (أمر) من الأمور ، أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا . بل من حقهم أن يعملوا رأيهم فيما رأوه واختيارهم تلوا لاختياره . فقالا رضيينا يا رسول الله فانكحها إياه وساق عنه إليها مهرها . وأتينا جمع الضمير لـ (لهم) وإن كان من حقه أن يوسد لأنك المذكورين وقما تحت النفي فمأكل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ . و(يكون) بالياء كوفي . والطرية ما يتغير . ودل ذلك على أن الأمر للوجوب .

(١٣) فإن كان المصيان عصيانا رذو وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر ، وإن كان مصيانا فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ ونفسى .

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ  
وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ<sup>(١)</sup>  
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا<sup>(٢)</sup>

(١) (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام الذي هو أجل النعم (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالإحسان والتبني -- فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله . وهو زيد بن حارثة : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) زينب بنت جحش . وذلك أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْرَحَهَا بَعْدَ مَا أَنْكَحَهَا لِأَيَّاهُ فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَقْبَلُ الْقُلُوبِ . وذلك أَنْ نَفْسَهُ كَانَتْ تَجْفُو عَنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ لَا تَرِيدُهَا . وَبَعَثَتْ زَيْنَبَ بِالتَّسْبِيحَةِ فَذَكَرَتْهَا زَيْدٌ فَقَطِنَ وَالْقِيَّ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ كَرَاهَةً صَاحِبَتِهَا وَالرَّغْبَةَ عَنْهَا لِرسول الله فقال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَفَارِقَ صَاحِبَتِي فَقَالَ مَا لَكَ؟ أَرَأَيْتَ مِنْهَا شَيْءٌ؟ قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْهَا إِلَّا خَيْرًا وَلَكِنَّهَا تَتَعَطَّمُ عَلَيَّ لِشَرَفِهَا وَتُؤَذِّنِي فَقَالَ لَهُ (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) فَلَا تَطْلُقْهَا — وَهُوَ نَهَى تَزْوِجَهُ إِذِ الْأُولَى إِلَّا بِطَلْقِ (أَوْ وَاتَّقِ اللَّهَ) فَلَا تَتَّخِذْهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكِبَرِ وَأَذَى الزَّوْجِ .

(٢) أَيِ تَخْفِي فِي نَفْسِكَ نِكَاحَهَا إِنْ طَلَقَهَا زَيْدٌ وَهُوَ الَّذِي أَبْدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقِيلَ الَّذِي أَخْفَى فِي نَفْسِهِ تَمَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا وَمَوَدَّةَ مَفَارِقَةِ زَيْدٍ لِأَيَّاهَا .  
(٣) أَيِ (وَتَخْشَى) قَالَةَ النَّاسَ إِنَّهُ نِكَحَ امْرَأَةِ ابْنِهِ .

وَالْوَاوُ فِي (وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ ، وَتَخْشَى النَّاسَ ، وَاللَّهُ أَحَقُّ) ، وَאו الْحَالِ . أَيِ تَقُولُ زَيْدٌ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ خَفِيًّا فِي نَفْسِكَ إِزَارَةً إِلَّا يَسْكُهَا ، وَتَخْفِي خَاشِيًا قَالَةَ النَّاسَ ، وَتَخْشَى النَّاسَ حَقِيقًا فِي ذَلِكَ بِأَنْ تَخْشَى اللَّهَ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْ كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ لَكُنْتُ هَذِهِ الْآيَةَ .

(٤) الطَّرَافُ الْحَاجَةُ ، فَإِذَا بَلَغَ الْبَالِغُ حَاجَتَهُ مِنْ شَيْءٍ لَهُ فِيهِ هِمَّةٌ قِيلَ قَضَى مِنْهُ وَطَرَهُ . وَالْمَعْنَى (فَلَمَّا) لَمْ يَبْقَ زَيْدٌ فِيهَا حَاجَةٌ وَتَقَاعَصَتْ عَنْهَا هِمَّتُهُ وَطَلَقَهَا وَاتَّقَضَتْ مَدَّتَهَا (زَوَّجْنَاهَا) . وَرَوَى أَنَّهُمَا لَمَّا اعْتَدَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدٌ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَوْثَقَ مِنْ نَفْسِي مِنْكَ . أَخْطَبَ عَلَيَّ زَيْنَبَ . قَالَ زَيْدٌ فَانْطَلَقْتُ وَقُلْتُ يَا زَيْنَبُ أَبْشِرِي إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

لَيْكَيَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعَيْتَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا<sup>(١)</sup>  
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا<sup>(٢)</sup> مِمَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ<sup>(٣)</sup>  
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ  
يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَ<sup>(٥)</sup> وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا<sup>(٦)</sup>

عليه وسلم يخطبك . ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها . وما أولم  
على امرأة من نسائه ما أولم عليها : ذبح شاة وأطعم الناس الخبز والتمر حتى امتد النهار .

(١) قيل قضاء الوطر إدراك الحاجة وبلوغ المراد منه .

(٢) (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكونه مكتونا لا محالة . وهو مثل لما أراد كونه  
من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينا .

(٣) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد . أو قدر له من عدد النساء .

(٤) اسم موضوع موضع المصدر - كقولهم تزايا وجندلا - مؤكداً لقوله (ما كان على  
النبي من حرج) . كأنه قيل من الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين وهو ألا يخرج عليهم  
في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره . وقد كانت تحتمهم المهائر والسراري  
وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية .

(٥) في الأنبياء الذين مضوا من قبل .

(٦) (قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا . ولا وقف عليه إن جعلت (الذين يبلّغون  
رسالات الله) بدلا من (الذين) الأول . وقف إن جعلته في محل الرفع أو النصب على المدح  
أى هم (الذين يبلّغون) أو أعنى (الذين يبلّغون) .

(٧) وصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريضاً بعد التصريح في قوله (وتخشى الناس  
والله أحق أن تخشاه) .

(٨) كافيا للناويف ، أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة ، فكان جديرا بأن تخشى منه .

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ <sup>(١)</sup>  
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا <sup>(٢)</sup> يٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا  
كَثِيرًا <sup>(٣)</sup> وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا <sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> أى لم يكن أباً رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح — والمراد من رجالكم البالغين . والحسن والحسين لم يكونا بالغير حينئذ . والطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم توفوا صبياناً — (ولكن) كان (رسول الله) . وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوفير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه ، لا فى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء . وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم . والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير .

<sup>(٢)</sup> بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع . أى أحرم . يعنى لا يلبأ أحد بعده . وعيسى بمن نبي قبله . وحين يتزل يتزل عاملاً على شريعة عهد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض أمته . وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم . وتقويه قراءة ابن مسعود (ولكن نوباً ختم النبيين) .

<sup>(٣)</sup> أشوا عليه بضر وب التاء وأكثروا ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلاً) آخر النهار . وخصماً بالذکر لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما . وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والفلان أى اذكروا الله وسبحوه موجّهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصلّ يوم الجمعة . والتسبيح من جملة الذكر . وإنما اختص من بين أنواع اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة إبانة لفضله على سائر الأذكار ، لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات . وجز أن يراد بالذکر وإخاره تكثير الطاعات والعبادات فإنها من جملة الذكر . ثم خص من ذلك التسبيح (بكرة) وهى صلاة الفجر (وأصيلاً) وهى صلاة الظهر والمصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاءين .

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُهُ سُلَيْمٌ <sup>(١٧)</sup> وَاعْدَ لَهُمْ آجَرًا  
كَرِيمًا ﴿١٨﴾ يَتْلَاهَا أَلَنِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا <sup>(١٩)</sup> وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٠﴾  
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَصِرَاحًا مُبِينًا <sup>(٢١)</sup>

(١٦) لما كان من شأن المصلّي أن ينعطف في ركوعه ويمجوده استعير لمن ينعطف على  
غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها . ثم كثّر  
حتى استعمل في الرحمة والترؤف . ومنه قولهم صلى الله عليك ، أى ترحم عليك وترأف . والمراد  
بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين . جملوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون  
الرحمة والرأفة . والمعنى هو الذى يترحم عليكم وترأف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإثارة  
الذكر والتوقر على الصلاة والطاعة .

(٢٢) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة .

(٢٣) هو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة . وروى أنه لما نزل ( إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ  
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ) قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركا فيه فنزلت .

(٢٤) من إضافة المصدر إلى المفعول أى تحية الله لهم .

(٢٥) يرفقه .

(٢٦) يقول تبارك وتعالى السلام عليكم .

(٢٧) يعنى الجنة .

(٢٨) شاهدا على من بهشت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم . أى مقبولا قولك عند الله  
لم وطهيم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم . وهو حال مقدره كما تقول صررت برجل  
معه صقر صائما به غذا أى مقدرا به الصيد غذا .

(٢٩) ( ومبشرا ) للمؤمنين بالجنة ( ونذيرا ) للكافرين بالنار ( وداعيا إلى الله )

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا <sup>(١)</sup> وَلَا تَطِيعِ الْكَافِرِينَ  
وَالْمُنَافِقِينَ <sup>(٢)</sup> وَدَعَا أَذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا <sup>(٣)</sup>  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ <sup>(٤)</sup>

بأمه أو بتيسره — والكل منصوب على الحال — (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك  
واهتدى به الضالون كما يملئ ظلام الليل بالسراج المنير ويتدى به . والجمهور على أنه القرآن .  
فيكون التقدير وذا سراج منير . أو وتاليا سراجا منيرا . ووصف بالإشارة لأن من السرج مالا يضيء  
إذا قل سيطه ودقت فتيلته . أو (شاهدا) بوحداً نبينا (ومبشرا) برحمتنا ، (ونذيرا) بنقمتنا ،  
(وداعيا إلى) عبادتنا ، (وسراجا) وحجة ظاهرة لحضرتنا .

(١) ثوابا عظيما .

(٢) المراد التيسير أو الدوام والثبات على ما كان عليه .

(٣) (ودع أذاهم) بمعنى الإيذاء . فيحتمل أن يكون مضافا إلى الفاعل أى اجعل إيذاهم  
أيالك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من إيذاهم . أو إلى المفعول أى دع إيذاك إيذاهم مكافاة لهم  
(وتوكل على الله) فإنه يكفيهم وكفى به مقوضا إليه .

وقيل إن الله تعالى وصفه بخسة أوصاف وقابل كلاً منها بخطاب مناسب له . قابل  
الشاهد بقوله (وبشّر المؤمنين) لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على مبائر الأمم  
وهو الفضل الكبير ، والمبشّر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا عرض عنهم  
أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة ، والنذير بـ (دع أذاهم) لأنه إذا ترك أذاهم  
في الحاضر، والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل ، كانوا منذرين به في المستقبل ، والداعى  
إلى الله بتيسره بقوله (وتوكل على الله) فإن من توكل على الله يسر عليه كل عسير ، والسراج المنير  
بالإكتفاء به وكيفا لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكفى به عن جميع خلقه .

(٤) أى تزوجتم . والنكاح هو الوطء في الأصل . وتسمية العقد نكاحا لملاسته له من  
حيث إنه طريق إليه كنسمة الخمر إنما لأنها سببه وكقول الرازي • أسفة الآبال في صحابه •

ثُمَّ طَلَّقَهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحْسُوهُنَّ <sup>(١)</sup> قَالَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا <sup>(٢)</sup>  
فَتَعْلَمُوهُنَّ مَسْرُوحَهُنَّ مَرَّاحًا <sup>(٣)</sup> جَمِيلًا <sup>(٤)</sup> يَتْلِيهَا <sup>(٥)</sup> النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ  
الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ <sup>(٦)</sup> وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ بِمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ  
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ <sup>(٧)</sup> الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ

سمى الماء بإسفة الآبال لأنه سبب سمن الآبال وارتفاع أسنتها . ولم يرد لفظ النكاح في كتاب  
الله تعالى إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به . ومن آداب القرآن  
الكاية عنه بلفظ الملاسة والماسة والقران والتفتى والإتيان . وفي تخصيص المؤمنات مع  
أن الكايات تساوى المؤمنات في هذا الحكم إشارة إلى أن الأولى بالمؤمن أن ينكح مؤمنة .

(١) والخلاوة الصحيحة كالمس .

(٢) فيه دليل على أن العدة تجب على النساء للرجال . ومعنى (تعتدونها) تستوفون مدهداً —  
تفتعلون من العدة .

(٣) والمتعة تجب للتي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها .

(٤) أى لا تحسوهن ضرارا وأنرجوهن من منازلكم إذا لا عدة لكم عليهن .

(٥) مهورهن إذا المهر أجر على البضع . ولهذا قال الكزنجى إن النكاح بلفظ الإجارة جائز  
وقلنا التأيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الإجارة وبينهما منافاة . وإيتاؤها إعطاؤها  
ماجلا ، أو فرضها وتسميتها في العقد .

(٦) وهى صفة وجورية فاعتقهما وترؤجهما .

(٧) (مع) ليس للقران بل لوجودها بحسب، كقوله (وأسلمت مع سليمان). وعن أم هانئ  
بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني فانزل الله هذه الآية  
فلم أحل له لائى لم أهاجر معه .



وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ  
يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا  
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَلَّا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ

(١) وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرًا من النساء المؤمنات  
إن اتفق ذلك . ولذا نكحها . قال ابن عباس هو بيان حكم المستقبل ولم يكن عنده أحد ممن  
بالهبة . وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحارث أو زينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر  
أو خولة بنت حكيم . وقرأ الحسن (أن) بالفتح على التعليل بتقدير عذف اللام . وقرأ ابن مسعود  
رضي الله عنه بغير (إن) .

(٢) استنكحها طلب نكاحها والرفقة فيه . وقيل نكح واستنكح بمعنى . والشرط الثاني  
تقييد للشرط الأول . شرط في الإحلال هبتها نفسها . وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله  
صلّى الله عليه وسلم كأنه قال أحللنا لها أن تهب لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن  
إرادته هي قبول الحبوة بما به تم . وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وأئمة سواه في الأحكام إلا فيما خصه الدليل .

(٣) (خالصة لك) بلا مهر — حال من الضمير (وهبت) أو مصدر مؤكد أى خلص لك  
إحلال ما أحللنا لك (خالصة) بمعنى خلوصا . والفاعلة في المصادر غير عزير كالماضية والكاذبة  
(من دون المؤمنين) بل يجب المهر على غيرك وإن لم يسمه أو نقاه .  
عدل عن الخطاب إلى التنية في قوله (إن أراد النبي) . ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن  
أث الاختصاص تكملة له لأجل النبوة . وتكريره أى تكرر النبي تفخيخ له .  
(٤) أى ما أوجبنا من المهور على أمتك في زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من  
الحقوق .

(٥) (وما ملكت أيمانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك .

(٦) ضيق . متصل بـ (خالصة لك من دون المؤمنين) وقوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم  
في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) جملة اعتراضية .

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا <sup>(١١)</sup> تَرْجِي مَنْ نَسَاءَ مِنْهُنَّ وَتَوِيءُ إِلَيْكَ مَنْ نَسَاءَ <sup>(١٢)</sup> وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَرِضِينَ <sup>(١٣)</sup> بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ <sup>(١٤)</sup> وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ <sup>(١٥)</sup>

(١١) (وكان الله غفورا رحيمًا) بالتوسعة على عباده .

(١٢) (ترجي) بلا همز ، مدني وحزمة وعلّ وخلف وحفص . وبهمز ، غيرهم . تؤخر (من نساء منهن وتؤوي إليك من نساء) تضم . بمعنى تترك مضاجعة من نساء منهن وتضاجع من نساء . أو تطلق من نساء وتمسك من نساء . أولا تقسم لأتيت شئت وتقسم لمن شئت . أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت . وهذه قسمة جامعة لما هو الفرض ، لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك ، فإذا أمسك ضاحج أو ترك وقسم أو لم يقسم . وإذا طلق وعزل فإما أن يحل المعزولة لا يبتئها أو يبتئها . وروى أنه أرجى منهن جويرية وسودة وصفيّة وميمونة وأم حبيبة . وكان يقسم لمن ما شاء كما شاء . وكانت ممن أوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب . أرجى نحسا وأوى أربعا . وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة . فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نساءك .

(١٣) أي ومن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالإرجاء فلا ضيق عليك في ذلك ، أي ليس إذا عزلتها لم يزل لك ردّها إلى نفسك . و(من) رفع بالابتداء وخبره (فلا جناح) .

(١٤) (ذلك) التوفيض إلى مشيئتك أقرب إلى قوة عيونهنّ وقلة حزنهنّ ورضاهنّ جميعا ، لأنهنّ إذا علمن أن هذا التوفيض من عند الله اطمانت نفوسهنّ وذهب التناير وحصل الرضا وقوت الميول . (كلهنّ) بالرفع تأكيد لنون (يرضين) وقرئ (ويرضين كلهنّ بما آتيتنّ) على التقديم . وقرئ شاذّا (كلهنّ) بالنصب تأكيد لمن في (آتيتنّ) .

(١٥) فيه وعيد لمن لم ترض منهنّ بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله .

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿١١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ  
تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴿١٢﴾  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿١٣﴾

(١١) (وكان الله عالماً) بذات الصدور (حليماً) لا يماجل بالمقوبة فهو حقيق بأن يتقى ويمذر.

(١٢) بالثناء أبو عمرو ويقوب. وضرباً بالتذكير. لأن تأنيث الجمع غير حقيق، وإذا جاز  
بغير فصل فمع الفصل أجوز .

(١٣) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج ، كما أن  
الأربع نصاب أمته .

(١٤) (ولا أن تبدل بهن) بالطلاق . والمعنى ولا أن تستبدل هؤلاء التسع أزواجاً أخرى  
بكلهن أو بعضهن كرامة لمن وجزاء على ما اخترن ورضين. فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عليهن . وعن التسع التي ماتت عنهن عائشة ، حفصة ، أم حبيبة ، سودة ، أم سلمة ، صفية ،  
مميونة ، زينب بنت جحش ، جويرية . و(من) في (من أزواج) لتأكيد النفي. وفائدته استغراق  
جلس الأزواج بالتحريم .

(١٥) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في (تبدل) أي تبدل، لأن المفعول الذي  
هو (من أزواج) لتوقله في التنكير . وتقديره مفروضاً إعجابك بهن . وقيل هي أسماء بنت عميس  
امرأة جعفر بن أبي طالب . فإنها ممن أعجبه حسنهن . وعن عائشة وأم سلمة : ما مات رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء . يعني أن الآية نسخت . ونسخها  
إنما بالسنة أو بقوله (إنما أحلنا لك أزواجك) وترتيب التول ليس على ترتيب المصحف .

(١٦) استثنى من حرم عليه الإمام ومحل (ما) رفع بدل من (النساء) .

(١٧) حافظاً . وهو تحذير عن مجاوزة حدوده .

يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ<sup>(١)</sup> وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ حَدِيثٌ<sup>(٢)</sup> إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ<sup>(٣)</sup>

(١) (أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ (لَا تَدْخُلُوا) إِلَّا مَا ذُكِرَ لَكُمْ . أَوْ فِي مَعْنَى الظُّرُوفِ تَقْدِيرُهُ إِلَّا وَقْتُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ . وَ (غَيْرِ نَظِيرٍ) حَالٌ مِنْ (لَا تَدْخُلُوا) . وَقَعَ الْإِسْتِثْنَاءُ عَلَى الْحَالِ وَالْوَقْتُ مَعًا . كَأَنَّهُ قِيلَ (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ) إِلَّا وَقْتُ الْإِذْنِ وَلَا تَدْخُلُوهَا إِلَّا (غَيْرِ نَظِيرٍ) ، أَيْ غَيْرِ مُنْتَظَرٍ . وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَانُوا يَحْتَسِبُونَ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ وَيَقْعُدُونَ مُنْتَظَرِينَ لِإِدْرَاكَهِ . وَمَعْنَاهُ (لَا تَدْخُلُوا) بِأَيِّهَا الْمُتَحَيِّتُونَ لِلطَّعَامِ (إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرٍ) إِيَّاهُ . وَإِنِّي الطَّعَامُ إِدْرَاكَهُ . يَقَالُ أَنِّي الطَّعَامُ إِنِّي كَقَوْلِكَ قَلَاءُ قُلِي . وَقِيلَ إِيَّاهُ وَقْتَهُ أَيْ (غَيْرِ نَظِيرٍ) وَقْتُ الطَّعَامِ وَسَاعَةُ أَكْلِهِ . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا عَلَى زَهَبٍ بِتَرَسٍ وَسُوقٍ وَشَاةٍ وَأَمَرَ أَنَسًا أَنْ يَدْعُوَ بِالنَّاسِ فَنَادَوْا أَفَاجَا يَا كُلُّ فَوْجٍ وَيَخْرُجُ ثُمَّ يَدْخُلُ فَوْجٌ ، إِلَى أَنْ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ . فَقَالُوا ارْجِعُوا طَعَامَكُمْ وَتَفَرَّقُوا النَّاسُ وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ تَحْتَضِرُونَ فَأَطَالُوا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْرِجُوا فَطَافَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَجْرَاتِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ وَدَعَوْنَ لَهُ وَرَجَعَ فَإِذَا الثَّلَاثَةُ جُلُوسٌ يَحْتَضِرُونَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ الْحَيَاءِ فَتَوَلَّى . فَلَمَّا رَأَوْهُ مَتَوَلِّيًا تَرَجَّعُوا .

فَرَجَعَ وَتَوَلَّى .

(٢) فَتَفَرَّقُوا .

(٣) هُوَ مَجْرُورٌ مُعْطُوفٌ عَلَى (نَظِيرٍ) أَوْ مُنْصَوِّبٌ أَيْ (وَلَا تَدْخُلُوهَا) (مُسْتَأْنَسِينَ) .

نُحُوا عَنْ أَنْ يَطْلُبُوا الْجُلُوسَ يَسْتَأْنَسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِأَجْلِ حَدِيثٍ يَحْدِثُهُ بِهِ .

(٤) مِنْ إِخْرَاجِكُمْ .

وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ  
ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ<sup>(١)</sup> وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا  
أَنْ تُسْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا<sup>(٢)</sup>  
إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا<sup>(٣)</sup> لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ  
فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ  
وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>

(١) يعنى أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه . ولما كان الحياء مما يمنع الحي من  
بعض الأعمال قيل (لا يستحي من الحق) أى لا يمنع منه ولا يتركه ترك الحي منكم . هذا أدب  
أدب الله به القلاء . وعن عائشة رضى الله عنها حسبك في القلاء أن الله تعالى لم يحتلمهم  
وقال (فإنما طعمتم فانثشروا) .

(٢) الضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لأن فيها نساءه .

(٣) عارية أو حاجة .

(٤) (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب . ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر  
الشیطان وعوارض الفتن . وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن الرجال . وكان عمر  
رضى الله عنه يحسب ضرب الحجاب عليهن ويؤذ أن ينزل فيه ، وقال يارسول الله يدخل  
عليك البر والفاجر فلو أمرت أمتهات المؤمنين بالحجاب ففعلت .

(٥) ذكر أن بعضهم قال انتهى أن تكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب؟ لئن مات عهد  
لأتزوجن فلانة فقل . أى وما سمع لكم إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من  
بعد موته .

(٦) أى ذنباً عظيماً .

(٧) (إن تبدوا شيئاً) من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن (أو تخفوه)  
في أنفسكم (فإن الله كان بكل شيء علياً) فيعاقبكم به .

(٨) لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يارسول الله ونحن أيضاً نكلمهن

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا<sup>(١١)</sup> ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ  
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا<sup>(١٢)</sup> ﴿١٢﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>(١٣)</sup>

من وراء حجاب؟ فترى (الاجتماع طين في آياتهم ولا أبنائهم ولا إخوانهم ولا أبناء إخوانهم ولا أبناء أخواتهم ولا نساء المؤمنات (ولا ما ملكت إيمانهم) أي لا إثم طين في ألا يحتجب من هؤلاء . ولم يذكر الم والم لآلها يجرى والدين . وقد جاءت تسمية الم آبا . قال الله تعالى (والله آباك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) وإسماعيل هم يعقوب . وعيدهم عند اليهود كالأجانب . ثم نقل الكلام من النبوة إلى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كآله قيل (واثنين الله) فيما أمرت به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتجب فيه .

(١١) طاب . قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح .

(١٢) (صَلُّوا عَلَيْهِ) أي قولوا اللهم صل على محمد أو صل الله على محمد (وسلموا تسليماً) أي قولوا اللهم سلم على محمد أو اتقادوا لأمره وحكمه انقياداً . ومثل عليه السلام عن هذه الآية فقال "إنا لله وكل من ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي على" إلا قال ذاك الملكان غفر الله لك، وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين . ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي على إلا قال ذاك الملكان لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين . ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي، وكما ذكر اسمه عند الكشي . وهو الاحتياط وطيه الجمهور . وإن صل على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه . وأما إنا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فكروه وهو من شعائر الروافض .

(١٣) أي يؤذون رسول الله . وذكرا اسم الله للتشريف . أو عبر بإيذاء الله ورسوله عن فعل مالا يرضى به الله ورسوله كالكفر وإنكار النبوة ، مجازاً . وإنما جعل مجازاً فيهما وحقيقة الإيذاء يتصور في رسول الله لثلاث يتجمع المجاز والحقيقة في لفظ واحد .

لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا <sup>(١)</sup> وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا آكَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهِنَّ وَإِنَّمَا  
 بُهِنَ <sup>(٢)</sup> بَنَاتُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ  
 عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
 رَحِيمًا <sup>(٣)</sup>

(١) طردهم الله عن رحمته في الدارين (وأعد لهم) في الآخرة (عذابا مهينا) .

(٢) أطلق إيداء الله ورسوله وقيد إيداء المؤمنين والمؤمنات لأن ذلك يكون غير حق أبدا .  
 وأما هذا منه حق — كالحقد والتعزير — ومنه باطل . قيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون  
 عليا رضي الله عنه ويسمعونه ، وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات . وعن الفضيل  
 لا يجل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف إيداء المؤمنين والمؤمنات .

(٣) (فقد) تحملوا (بهناتا) عظيما (وإنما) ظاهرا .

(٤) الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة ، عن المبرد . ومعنى (يدنين عليهن من جلابيبهن) يرغبنها  
 عليهن وينظرن بها وجوههن وأعطاهن ، يقال إذا زلّ الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على  
 وجهك . (ومن) للتبويض أى ترعى بعض جلبابها وفضلته على وجهها تنقح حتى تنقح من الأمة .  
 أو المراد أن يقبلن ببعض ما هن من الجلابيب والآ تكون المرأة متبذلة في درع وحمار  
 كالأمة ولما جلبابان فصاعدا في بيتها . وذلك أت النساء كن في أول الإسلام على هجرتهن  
 في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وحمار لا يفضل بين الحرة والأمة . وكان الثنيان  
 يتوضون للإماء إذا نرجعن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والنيطان : وربما تموضوا للهرة  
 لحسان الأمة . فأمرن أن يخالفن برئتهن عن زنى الإماء بلعن الملاحف وسترالروض والوجوه  
 فلا يطمع فيهن طامع . وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى أولى وأجدز بأن يعرفن  
 فلا يتموضن هن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفریط (رحيما) بتعليمهن آداب المكالم .

لَيْنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ (١١) وَالْمُرْجُفُونَ  
فِي الْمَدِينَةِ لِنُفْرَتِكَ بِهِمْ (١٢) ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (١٣)  
مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفِيلًا (١٤) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا (١٥)

(١١) (والذين في قلوبهم) بخور ، وهم الزناة . من قوله (فقطع الذي في قلبه مرض) .

(١٢) هم أناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين . يقال أرجف بكنا إذا أخبر به على غير حقيقة ، لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت ، من الرحفة وهي الزلزلة .

(١٣) لنأمرتك بقتلهم أو لنسلطنك عليهم .

(١٤) (ثم لا يجاورونك) في المدينة . وهو عطف على (لنفرتك) لأنه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لمن لم يتهوا لا يجاورونك . ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بهم بعد حاله عن حالة المخطوف عليه .

(١٥) (إلا) زمانا (قليلًا) .

والمعنى (لئن لم ينته المنافقون) عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقة عن لجاجهم (والمرجفون) هم الذين يؤلفون من أخبار السوء لنأمرتك بأن تفعل الأفعال التي تسوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى ألا يساكنوك فيها إلا زمانا قليلا ربما يرتحلون . فسعى ذلك إغراء — وهو التحريش — على سبيل المجاز .

(١٦) نصب على التثنية أو الحال . أى (لا يجاورونك) إلا (ملعونين) . فالاستثناء دخل على الظرف والحال مما كما مر . ولا يتعصب عن (أخفوا) لأنه ما بهد كلمة الشرط لا يعمل فيها ليها .

(١٧) وجعلوا .

(١٨) التشديد يدل على التكثير .

(١٩) في موضع مصدر مؤكد . أى من الله في الذين يناقون الأنبياء أن يقتلوا أينما وجدوا .

(٢٠) مضوا .



مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا <sup>(١)</sup> يَسْتَلِكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ  
 قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا <sup>(٢)</sup> إِنَّ  
 اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا <sup>(٣)</sup> خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ  
 وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا <sup>(٤)</sup> يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا  
 أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ <sup>(٥)</sup> وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا <sup>(٦)</sup>

(١) أى لا يبدل الله سنته بل يجرى مجرى واحدا في الأمم .

(٢) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا  
 على سبيل الهزء ، واليهود يسألونه امتحانا لأنة تعالى عى وقتها في التوراة وفى كل كتاب .  
 فأمر رسوله بأن يجيبهم بأنه لم قد استأثرا به ، ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا  
 للمستعجلين وإسكاتا المتحتمين بقوله ( قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون  
 قريبا ) شيطا قريبا . أو لأنة الساعة في معنى الزمان .

(٣) (وأعد لهم) نارا شديدة العقاب . ولا وقف على (سعيًا) لأنة قوله (خالدين فيها) حال  
 من الضمير في (لهم) .

(٤) هذا يراد منه الجهمية لأتهم يزعمون أن الجنة والنار تخفيان .  
 (٥) ناصرا بعتهم .

(٦) اذكر (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر  
 إذا غلت . وخصصمت الوجوه لأنة الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده . أو يكون  
 الوجه عبارة عن الجملة .

(٧) (يقولون) — حال — (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فتخلص من هذا العذاب .  
 تمنوا حين لا يفهم التقي .

(٨) جمع سيد . (ساداتنا) شامخ وسهل ويعقوب جمع الجمع . والمراد رؤساء الكفرة الذين  
 لقنوم الكفر وزينوه لهم .

(٩) قوى الأسنان من أوعلماءنا .

فَاضْلُوا السَّبِيلَ<sup>(١)</sup> رَبَّنَا إِنِّي ضَعِفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمِ<sup>(٢)</sup>  
لَعَنًا كَبِيرًا<sup>(٣)</sup> يَتَابِعُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا  
مُوسَىٰ قَبْرَهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً<sup>(٤)</sup> يَتَابِعُ  
الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا<sup>(٥)</sup> يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ<sup>(٦)</sup>

(١) يقال ضل السبيل وأضله إياه . وزيادة الألف لإطلاق الصوت . جعلت فواصل  
الآي كقوافي الشعر . وفاءتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده  
مستأنف .

(٢) للضلال والإضلال .

(٣) بالباء حاصم يدل على أشد اللعن وأعظمه . وضمه بالياء تكثيراً لأعداد اللعائن .

(٤) نزل في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا  
كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية أو موصولة . وأيهما كان فالمراد البراءة  
عن مضمون القول ومؤذاه وهو الأمر المغيب . وأذى موسى عليه السلام هو حديث المؤمسة  
التي أرادها قارون على قذفه بنفسها ، أو أنها بهم إياه بقتل هرون فأحياه الله تعالى فأخبرهم  
برأه موسى عليه السلام كما برأ نينا عليه السلام بقوله ( ما كان عهداً بأحد من رجالكم ) .

(٥) ذاباه ومتزلة مستجاب الدعوة . وقرأ ابن مسعود والأعمش ( وكان عبداً لله وجيهاً ) .

(٦) (وقولوا قولا سديداً) صدقاً وصواباً أو قاصداً إلى الحق . والسداد التقصد إلى الحق  
والقول بالعدل . والمراد نهيم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول  
والبعث على أن يستندوا قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير .  
ولا تقف على (سديداً) لأن جواب الأمر قوله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل طاعتكم  
أو يوفقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أي يمحوها . والمعنى راقبوا الله في حفظ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿١٢﴾

الستكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها . وهذه الآية مقترنة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الأمر بأقواء الله في حفظ اللسان ليرادف طيهم النهي والأمر مع إجماع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام وإتباع الأمر الوعد البالغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعى إلى تركه .

(١١) لما خلق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها) . وهو يريد بالأمانة الطاعة لله وبحمل الأمانة الخيانة . يقال فلان حامل الأمانة وعمله لما أى لا يؤذنها إلى صاحبها حتى تزل عن ذقنه ، إذ الأمانة كآنها راكبة للؤمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حق ، فإذا أذاها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها . يعنى أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد اتفادت لأمر الله انقياد مطها وهو ما يتأتى من الجمادات ، وأطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث لم تمنع على مشيئته وإرادته إجمادا وتكوننا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة ، كما قال (ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وأخبر أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وإن من الحجارة لما هبط من خشية الله . وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيهِ وهو حيوان مائل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى أبين الخيانة فيها والآيؤذنها وخفن من الخيانة فيها (وحملها الإنسان) أى خان فيها وأبى إلا أن يكون محتلا لها لا يؤذنها

لِيَعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ  
وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ <sup>(١)</sup> وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا <sup>(٢)</sup>

(إنه كان ظلوماً) لكونه تاركاً لأداء الأمانة (جهولاً) لإخطائه مايساعده مع تمكنه منه وهو أدائها . قال الزجاج الكافر والمنافق حملاً للأمانة أى خانا ولم بطبعنا . ومن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوماً جهولاً .

وقيل معنى الآية أت ماكلفه الإنسان بلغ من عظمه أنه عرض على أعظم ماخلق الله من الإجمام وأقواء فأبى حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه (إنه كان ظلوماً جهولاً) حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمها ثم خاس بضمانه فيها . ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن إلا على أساليبهم . من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج .

<sup>(١)</sup> اللام للتعليل لأن التعذيب هنا نظير التأديب فى قولك ضربته للتأديب . فلا تحذف على (جهولاً) وقرأ الأعشى (ويتوبُ الله) بالرفع ليحمل العلة قاصرة على فعل الحامل ويتدنى (ويتوبُ الله) . ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافى كان نوعاً من عذاب الغادر . أو للعاقبة أى حملها الإنسان قال الأمر إلى تعذيب الأشقياء وقبول توبة السعداء .

<sup>(٢)</sup> (وكان الله غفوراً) للتائبين (رحيماً) بمبادئ المؤمنين والله الموفق للصواب .

سورة سبأ مكية  
وهي أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ  
فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا  
وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝

(١) إن أجرى على المهود، فهو بما حمد به نفسه محمود . وإن أجرى على الاستفراق ،  
فله لكل الحمد الاستحقاق .

(٢) بلام التثنية لأنه خالق ناطق الحمد أصلاً ، فكان بملكه مالك الحمد للحميد أهلاً .

(٣) و (له ما في السموات وما في الأرض) خلقا وملكاً وقهراً ، فكان حقيقاً بأن يحمده  
سراً وجهاً .

(٤) وله الحمد في الآخرة كما هو له في الدنيا . إذ النعم في الدارين من المولى . فبرأى الحمد  
هنا واجب لأن الدنيا دار تكليف ، ولم لا ، لعدم التكليف . وإنما يحمده أهل الجنة مسروراً  
بالتنم ، وتلذذا بما نالوا من الأجر العظيم ، يقولون (الحمد لله الذي صدقنا وعده) ، (الحمد لله الذي  
أنهت عنا الحزن) .

(٥) (وهو الحكيم) بتدبير ما في السماء والأرض ، (الخبير) بضمير من يحمده ليوم الجزاء  
والمرض .

(٦) (يعلم) — مستأنف — ما يدخل (في الأرض) من الأموات والدفائن ،  
(وما يخرج منها) من النبات وجوهر المعادن ، (وما ينزل من السماء) من الأمطار وأنواع  
البركات ، (وما) يصعد إليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بإنزال ما يحتاجون إليه ،  
(الغفور) لما يحثرون عليه .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَنِ الْغَيْبِ  
لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ  
وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

(٦١) أى منكرو البعث .

(٦٢) قى للبعث وإنكار لمحىء الساعة .

(٦٣) أوجب ما بعد النفي : (بل) على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها . ثم أعيد إيجابه مؤكداً  
بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل . ثم أمد التوكيد القسمي  
بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله ( عالم الغيب ) لأن عظيمة حال المقسم به تؤذن بقوة  
حال المقسم عليه ، وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر . وكلما كان  
للمستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكثر ، والمستشهد عليه أثبت وأرجح .  
ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية ، كان الوصف بما يرجع  
إلى علم الغيب أولى وأحق . ( عالم الغيب ) مدنى وشامى ، أى هو ( عالم الغيب ) . ( عالم الغيب )  
حمزة وعلى على المبالغة .

(٦٤) وبكسر الزاى على . يقال حزب يهزب ويهزب إذا غاب ويعد .

(٦٥) مقدار أصغر نقطة .

(٦٦) ( ولا أصغر ) من مثقال ذرة ( ولا أكبر ) من مثقال ذرة إلا في اللوح المحفوظ .

( ولا أصغر ، ولا أكبر ) بالرفع عطوف على ( مثقال ذرة ) . ويكون ( إلا ) بمعنى لكن . أو رضا  
بالابتداء والخير ( في كقلب ) .

لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢﴾  
 وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٢٣﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾  
 وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي  
 لَكُمْ صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٢٥﴾

﴿٢٢﴾ اللام متعلق بآيتينكم تليلا له .

﴿٢٣﴾ (أولئك لم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الإيمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من منافع الإحسان .

﴿٢٤﴾ (والذين) جاهدوا في ردّ القرآن مسابقين ظالمين أنتم يفوتوننا . (مُعْجِزِينَ) مكي وأبو عمرو أى متبطين الناس عن أتباعها وتأملها ، أو ناسبين الله إلى العجز .

﴿٢٥﴾ رفع (أليم) مكي وحفص ويعقوب صفة لعذاب أى عذاب أليم من سبي العذاب . قال قتادة الرجز سوء العذاب . وقهرهم بالجز صفة لرجز .

﴿٢٥﴾ (ويرى) في موضع الرفع بالاستئناف . أى ويسلم (الذين أوتوا العلم) — يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته ، أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه — (الذى أنزل إليك من ربك) — يعنى القرآن . المفعول الأول يرى — (هو الحق) أى الصدق . و (هو) فعل ، و (الحق) مفعول ثان . أو في موضع التنبه معطوف على (ليجزي) . أى وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزداد فيه في الإيقان .

﴿٢٦﴾ (ويهدى) الله أو الذى أنزل إليك (إلى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ يَشِيْكَرُ إِذَا مَرَّ بِكُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ  
 إِنَّكَ لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٣١﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ  
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٣٢﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ  
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ لَأَنفُسًا مِّنْهُنَّ مُّسْقِطَةٌ ﴿٣٣﴾

(١) (وقال) قرئ بضمهم لبعض .

(٢) يعنون هذا صلى الله عليه وسلم . وإنما نكروه مع أنه كان مشهوراً علماً في قرئش  
 وكان إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم ، تجاهل به وأمره . وباب التجاهل في البلاغة وإلى بحرهما .

(٣) أى يحدتكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتفتشون خلقاً جديداً بعد أن تكونوا  
 وفاناً وتزايماً ويمزق أجسادكم البلى (كل ممزق) أى يفترق كل تفريق . فالمرق مصدر بمعنى التفريق  
 والعامل فى (إذا) مادل عليه (أنكم لى خلق جديد) أى تبعثون . والجديد فيل بمعنى فاعل  
 عند البصريين ، تقول جد فهو جديد كفل فهو قليل ولا يجوز أنكم بالفتح للآدم في خبره .

(٤) أهو مفتر على الله كذباً فيما ينسب إليه من ذلك ؟ — والهمزة للاستفهام وهمزة  
 الوصل حذف استثناء عنها — (أم به) جنون يومه ذلك ويلقيه على لسانه .

(٥) قال سبحانه وتعالى ليس جد من الاقتراء والجنون في شيء وهو مبداً منهما . بل هؤلاء  
 القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤذونهم إليه من الضلال عن الحق . وهم  
 غافلون عن ذلك . وذلك أجر الجنون . جعل وقوعهم في العذاب وسيلة لوقوعهم في الضلال  
 كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان المذاب من لوازمه جعلاً كأنهما مقترنان .  
 ووصف الضلال بالبعيد من الإسناد المجازى لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الحاجة .

(٦) وبالإدغام على التقارب بين الفاء والباء . وضمه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء .

(٧) الثلاثة بالياء كوفي غير حاصم ، لقوله (أقرئ على الله كذباً) .



عَلَيْهِمْ كَسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ <sup>(١١)</sup> إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ <sup>(١٢)</sup> وَلَقَدْ آتَيْنَا  
دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِيَالِ أَوِيٍّ <sup>(١٣)</sup> مَعَهُ <sup>(١٤)</sup> وَالطَّيْرَ <sup>(١٥)</sup> وَالنَّارَ لَهَ الْخَلِيدِ <sup>(١٦)</sup> إِنَّ أَعْمَلَ <sup>(١٧)</sup>

(١١) (كَسَفًا) حفص .

أى أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا وأيضا صاروا أمامهم وخلفهم  
عيطان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارها وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ،  
ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول  
وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة .

(١٢) (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلّان عليه من قدرة  
الله تعالى ، لدلالة (لِكُلِّ عَبْدٍ) راجع إلى ربه مطيع له ، إذ المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله  
على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به .

(١٣) بدل من (فضلا) أو من (آيتنا) بتقدير قولنا (يا جبال) أو قلنا (يا جبال) .

(١٤) من التأويل . رَجَىٰ معه التسليح . ومعنى تسليح الجبال أَنَّ الله يخلق فيها تسليحا  
فيسمع منها كما يسمع من المسيح معجزة داود عليه السلام .

(١٥) (وَالطَّيْرَ) عطف على محلّ الجبال ، (وَالطَّيْرَ) عطف على لفظ الجبال .

وفى هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم  
بالطاعة أطاعوا وإذا دعاهم أجابوا لإشعارها بأنه ما من حيوان وجماد إلّا وهو متقاد  
لمشيئة الله تعالى . ولو قال آتينا داود منّا فضلا تأويل الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة .

(١٦) وجعلناه له ليئا كالطين المحجور بصرفه بيده كيف يشاء من ضرب نار ولا ضرب بمطرقة .  
وقيل لأن الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة .

(١٧) (أَنَّ) بمعنى أى . أو أمرناه (أَنَّ أَعْمَلَ) .

سَخِغْتِ وَقَوَّرْتِ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِلَىٰ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا <sup>(٣)</sup>  
 وَلَسَلِمَنَّ الْرِيحُ غَدُوَهَا شَهْرًا وَوَوَّاحَهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ <sup>(٦)</sup>  
 وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُأْذِنُ لَهُ رَبُّهُ <sup>(٧)</sup> وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنَ أَمْرِنَا  
 نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ <sup>(٨)</sup>

(١) درودا واسعة تامة. من السبوع. وهو أول من اتخذها. وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فيغنى منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء. وقيل كان يخرج متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود؟ فيثنون عليه. فقيض الله له الملكا في صورة آدمي فسأله على عادته. فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو أنه يطعم عياله من بيت المال. فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع.

(٢) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا تنفصم الحلق. والسرمد نسج الدروع.

(٣) (واعملوا) - الضمير لداود وأهله - خالصا يصلح للقبول (إلى بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه.

(٤) أي (و) سخرنا (السليان الريح) وهي الصبا. ورفع (الريح) أبو بكر وحماد والفضل، أي (السليان الريح) مسخرة.

(٥) جرحها بالفسادة مسيرة شهر وجرحها بالمشق كذلك. وكان يغدو من دمشق فيقبل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب السريع. وقيل كان يتغذى بالري ويتغنى بسمرقند.

(٦) أي مدائن النحاس. فاقطر النحاس وهو الصُّفْر ولكنه أسأله وكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب. وسماء عين القطر باسم ما آل إليه.

(٧) (من) في وضع نصب. أي (و) سخرنا (من الجن) من يعمل بين يديه بأمر (ربه).

(٨) ومن يعدل (منهم عن أمرنا) الذي أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب الآخرة). وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضرب به ضربة أحرقتة.

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرُوبٍ <sup>(١)</sup> وَمِنْ ثَمَرَاتِ <sup>(٢)</sup> جَنَّاتٍ كَالْجَوَابِ <sup>(٣)</sup> وَقُدُورٍ <sup>(٤)</sup>  
رَاسِبَاتٍ <sup>(٥)</sup> اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ <sup>(٦)</sup> شُكْرًا <sup>(٧)</sup> وَقَلِيلٍ <sup>(٨)</sup> مِنْ عِبَادِي <sup>(٩)</sup> الشُّكْرُ <sup>(١٠)</sup>

(١) أى مساجد أو مساكن .

(٢) أى صور السباع والطيور . روى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرميه ونسرين فوقه . فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما . وإذا نهد أظله النسران بأجنحتهما . وكان التصوير مباحا حينئذ .

(٣) جمع جفنة .

(٤) جمع جابية . وهى الحياض الكبار . قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل . (كالحواجر) فى الوصل والوقف مكى ويعقوب وسهل . وافق أبو عمرو فى الوصل . الباقر بن زياد اكتفاء بالكسرة .

(٥) ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لمظنها . وقيل إنها باقية باليمن .

(٦) وقلنا لم (اعملوا آل داود شكرا) أى ارحموا أهل البلاد واسألوا ربكم العافية ، عن الفضيل . و(شكرا) مفعول له أحوال أى شاكرين . أو اشكروا شكرا لأن (اعملوا) فيه معنى اشكروا من حيث إن العمل للنعم شكر له . أو مفعول به ، يعنى إننا نحضرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا . وسئل الجنيدي عن الشكر فقال "بذل المجهود ، بين يدي المعبود" .

(٧) يسكبون المياه حمزة ، وفيه بفتحها .

(٨) المتوقر على أداء الشكر البائل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعتزافا وكدها . وعن ابن عباس رضى الله عنه "من يشكر على أحواله كلها" : وقيل من يشكر على الشكر . وقيل من يرى عجزه عن الشكر . وحكى عن داود عليه السلام أنه جازأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإسنان من آل داود قائم يصلى .

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَهُ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ  
 مِنْسَاكُهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجَنَّةُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي  
 الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٥٠﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ  
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩)

(١) أى على سليمان .

(٢) أى الجن وآل داود .

(٣) أى الأرض وهى دويبة يقال لها سرفة . والأرض فعلها ، فأضيفت إليه .  
 يقال أَرْضَتِ الخَشِيبَةُ أَرْضًا إِذَا أَكَلَتْهَا الْأَرْضُ .

(٤) العصا تسمى منسأة لأنه ينسأ بها أى يطرد . (وملصاته) بغير همز مدنى وأبو عمرو .  
 (٥) (فلما) سقط سليمان عالت (الجن) كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عاتقهم  
 وضعفهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) . وروى  
 أن داود عليه السلام آتس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات  
 قبل أن يتم فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه . فلما بقي من عمره سنة سأل ربه  
 أن يعطى عليهم موته حتى يفرغوا منه ، وتبطل دعوهم علم الغيب . وكان عمر سليمان  
 ثلاثا وخمسين سنة . ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة . وأبند بناء  
 بيت المقدس لأربع ماضين من ملكه . وروى أن أفريديون جاء ليصعد كرسيه ، فلما دنا  
 ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يحضر أحد بعده أن يدنو منه .

(٦) بالعرف بتأويل الحق ، وبعبارة أبو عمرو بتأويل القليلة .

(٧) حمزة وحفص . (مسكنهم) على وخلف . وهو موضع سكناهم . وهو بلدهم وأرضهم  
 التي كانوا مقيمين فيها باليمن . أو مسكن كل واحد منهم . غيرهم (مسكنهم) .

(٨) اسم كان .

(٩) بدل من (آية) . أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية (جنتان) . ومعنى كونهما آية أن  
 أهلها لما عرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا  
 من الكفر وغمط النعم . أو جعلها آية أى علامة دالة على قدرة الله وإحسانه ووجوب شكره .

عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً رَبُّكُمْ  
غَفُورٌ (٤) فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ (٥) وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ (٦) جَنَّتَيْنِ

(١) أراد جماعتين من البسائين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى من شمالها . وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامتها كأنها جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة . أو أراد بسائين كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله .

(٢) حكاية لما قال لم أنبياء الله المبعوثون إليهم ، أولاً قال لهم لسان الحال ، أو هم أحقاه بأن يقال لهم ذلك .

(٣) ليس فيها بمرض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يتر بها من الغرياء يموت قلبه لطيب هوائها .

(٤) أى هذه البلدة التى فيها رزقكم (بلدة طيبة) وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم (رب غفور) لمن شكره . قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاثة فرائخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكمل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكمل مما يتساقط فيه من الثمر .

(٥) (فأعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة .

(٦) أى المطر الشديد ، أو العرم اسم الوادى ، أو هو الجرد الذى لقب عليهم السكر . لما طغوا سخط الله عليهم الجرد فلقبه من أسفلهم ففرقهم .

(٧) (وبدّلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنتين) وتسمية الهدى (جنتين) للشاكلة وازدواج الكلام كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

ذَوَاتِي أَكُلِي تَعْمَطُ وَأَتِيلُ وَشَيْءٌ مِّنْ سِنْدَرٍ قَلِيلٍ ۖ ذَٰلِكَ  
 جَزَيْتُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ۖ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ  
 وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَهْرَهُ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ

(١١) الأكل التريثقل ويثقف . وهو قراءة نافع ومكي . والخط شبر الأراك . وقيل كل  
 شير ذي شوكة . ووجه من تون الأكل — وهو غير أبي عمرو — أن أصله ذواتي أكل  
 أكل لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . أو وصف الأكل بالخط كأنه قيل ذواتي  
 أكل بشع . ووجه أبي عمرو أن أكل الخط في معنى التبر — وهو ثمر الأراك إذا كان غضا —  
 فكانه قيل ذواتي تبر .

(١٢) الأتل شبر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا . والأتل والسدر معطوفان على (أكل)  
 لا على خط ، لأن الأتل لا أكل له . وعن الحسن قلل السدر لأنه أكرم ما بدّلوا لأنه يكون  
 في الجنان .

(١٣) أي جزيتهم ذلك بكفرهم ، فهو مفعول ثان مقدم .

(١٤) كوفي غير أبي بكر . (وهل يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ) ، غيرهم . يعني (وهل يُجْزَى) مثل هذا  
 الجزاء إلا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله . أو هل يعاقب . لأن الجزاء وإن كان تاما  
 يستعمل في معنى المعاقبة وفي معنى الإثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب .  
 وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

(١٥) (وجعلنا) بين سبأ (وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها في النعم والمياه  
 . وهي قرى الشام — (قرى) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين  
 الناظرين . أو (ظاهرة) للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم . وهي أربعة آلاف  
 وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام .

(١٦) أي جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقبل المسافر في قرية ويروح في أخرى إلى  
 أن يبلغ الشام .

سَيَرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا ۖ آمِنِينَ ﴿١١﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿١٢﴾  
 فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۖ وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ  
 شَكُورٍ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

(١١) وقلنا لهم (سيروا) . ولا قول ثمة ولكنهم لما مكثوا من السير وسؤيت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك .

(١٢) أى (سيروا فيها) إن شتم بالليل ، وإن شتم بالنهار . فإنة الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات . أى سيروا فيها (آمين) لا تخافون صدقا ولا جوما ولا عطشا وإن تطاولت مدة سفركم واستدت أأياما وليالى .

(١٣) قالوا يا ليتنا كانت بيعة ففسير على نجائنا ونرج في التجارات ونفانحرف الدواب والأسباب . بطروا النعمة وملأوا العافية فطلبوا الكد والتعب . (بمد) مكى وأبو عمرو .

(١٤) (وظلموا) بما قالوا (أنفسهم) .

(١٥) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم .

(١٦) وفوقناهم فريقا اتخذنا الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أبداى سبا ونهزقوا أبداى سبا . فلفق غسان بالشام وأنصار يثرب ، وجندام بهامة والأزد يمان .

(١٧) (إن في ذلك لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم . أولكل مؤمن لأنة الإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر .

(١٨) (صديق) بالتشديد كوفى أى حقق عليهم ظنه ، أو وجدته صادقا . وبالتخفيف غيرهم أى صدق فى ظنه . الضمير فى (عليهم) و (اتبعوه) لأهل سبا أولبنى آدم .

(١٩) قلل المؤمنين لقلتهم بالإضافة إلى الكفار (ولا تجد أكثرهم شاكرين) .

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ<sup>(١١)</sup> مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ<sup>(١٢)</sup> قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ<sup>(١٣)</sup> وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ<sup>(١٤)</sup>

(١١) (وما كان) للإبليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا من تسلط واستيلاء بالموسومة (الآن لنعلم) موجودا ما علمناه معلوما . والتفكير على المعلوم لا على العلم .

(١٢) عافظ عليه . وفعل ومفاصل متأخيان .

(١٣) (قل) لشركي قومك (ادعوا الذين) زعمتموه آلهة من دون الله . فالمفعول الأول الضمير الرابع إلى الموصول . وحذف كما حذف في قوله ( أهذا الذي بعث الله رسولا ) استخفافا لطول الموصول بصلته . والمفعول الثاني آلهة . وحذف لأنه موصوف صفته (من دون الله) والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوما . فإذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين . والمعنى (ادعوا الذين) عبدتهم من دون الله من الأصنام والملائكة وبشيتهم باسمه والتجئوا إليه بما يبروكم كما تتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته . ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضرر (في السموات ولا في الأرض وما لهم) في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك (وما له) تعالى من آلهتهم من عيون عينه على تدبير خلقه . يريد أنهم على هذه الصفة من العجز ، فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ؟

(١٤) أي (أذن له) الله يعني ألا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله . وهي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمر أو لأجله . وهذا تكذيب لقولهم (هؤلاء شفعاؤنا) عند الله . (أذن له) كوفي غير عاصم إلا الأعشى .



حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ <sup>(١١)</sup>  
 وَهُوَ أَعْلَى الْكَعْبِ <sup>(١٢)</sup> قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(١٣)</sup>

<sup>(١١)</sup> أى (حتى إذا) كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها ربّ الدرة في إطلاق الإذن . و(فزع) شاعى أى الله تعالى . والتفزع لمزلة الفزع . و(حتى) غايية لما فهم من أنتم انتظارا الإذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أولا يؤذن لهم . كأنه قيل يتربصون ويتوقعون مليا فزعين (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا) سأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق . وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى .

<sup>(١٢)</sup> ذو الملوك والكبرياء ليس الملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم ألا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى .

<sup>(١٣)</sup> أمره بأن يقرهم بقوله (من يرزقكم) . ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم (الله) . وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم : فما لكم لا تبطلون من يرزقكم وتأثرون عليه من لا يقدر على الرزق ؟ وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذى — إن لم يزد على إقرارهم بالسنتهم — لم يتقاصر عنه : (وإننا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) . ومعناه وإن أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لى أحد الأمرين من الهدى والضلال . وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خاطب به قد انصفك صاحبك . وفى درجه بعد مقدمة ما قدم من التقرير دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ، ولكن التعريض أوصل بالمجادل إلى الغرض . ونحوه قولك للكاذب إن أحدا لكاذب . وخولف بين حرفي الجزأ الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كأنه مستعمل على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضلال كأنه ينغمس فى الظلام لا يرى أين يتوجه .

قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْسَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ قُلْ يَجْمَعُ  
 بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ قُلْ أُرُونِي  
 الَّذِينَ ادَّعَوْا الْحَقَّ بِهٖ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
 إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾

(١١) هذا أدخل في الإنصاف من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين وهو من جور  
 عنه محظور ، والعمل إلى المخاطبين وهو مأمور به مشكور .

(١٢) قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة (ثم) يحكم (بيننا) بلا جور ولا ميل (وهو) الحاكم  
 (العليم) بالحكم .

(١٣) أى (أروني الذين) الحقنموهم بالله (شركاء) في العبادة معه . ومعنى قوله (أروني) -  
 وكان إبراهيم - أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الإشراك به .  
 (١٤) ردع ونبه ، أى ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم .

(١٥) (بل هو) الثالب فلا يشاركه أحد - (وهو) ضمير الشأن - (الحكيم) في تديره .

(١٦) (إلا) رسالة عامة لم يحيط بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتم أن يخرج منها أحد منهم .  
 وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الإحاطة ، والمعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والإبلاغ  
 بفعله حالا من الكاف . والناء على هذا البالغة كناه الراوية والعلامة .

(١٧) (وما أرسلناك إلا كافة الناس بشيرا) بالفضل لمن أقر (ونذرا) بالعدل لمن أصر .  
 (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك .

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ <sup>(١)</sup> إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ <sup>(٢)</sup>  
 لَا تَسْتَحْشِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْلِبُونَ <sup>(٣)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ  
 نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ <sup>(٤)</sup> وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ  
 عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْجَعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ <sup>(٥)</sup> أَلْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا <sup>(٦)</sup>

(١) أى القيامة المشار إليها في قوله (قل يجمع بيننا ربنا) .

(٢) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان . وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ (ميعاد يوم) فأبدل منه اليوم . وأما الإضافة لإضافة تبيين كما تقول بغير سانية .

(٣) أى لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ، ولا التقدم إليه بالاستعجال . ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم متكبرون له تمتنا لا استرشادا ، بغناه الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على سبيل الإنكار والتعنت ، وأنهم مرصدون ليوم يحتاجهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه .

(٤) أى أبو جهل وذووه .

(٥) أى ما نزل قبل القرآن من كتب الله . أو القيامة والجنة والنار . والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله ، وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة .

(٦) (ولو ترى إذ الظالمون) محبسون يردّ (بعضهم إلى بعض القول) في الجدل . أخير عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوللنا طيب : ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادون أطراف المخابرة ويتراجعونها بينهم ، رأيت العجب . فحذف الجواب .

(٧) أى الاتباع .

لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنُحْنُ صَدَدٌ نَّكَرٌ عَنِ الْهَلَكَةِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمُ  
بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ  
مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا

(١) أى للرءوس والمقدمين .

(٢) (لولا) دعاؤكم إيانا إلى الكفر (لكننا مؤمنين) باقوه ورسوله .

(٣) أولى الاسم أى (نحن) حرف الإنكار ، لأن المراد إنكار أن يكونوا هم الصائين لهم  
عن الإيمان ، وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأفهمهم عنه ، وأنهم أنوا من قبل اختيارهم .

(٤) إنما وقعت (إذ) مضافا إليها وإن كانت إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية لأنه  
قد أتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليها الزمان .

(٥) (بل كنتم) كافرين لاختياركم وإيثارك الضلال على الهدى لا بقولنا وتقولنا .

(٦) لم يأت بالعاطف في (قال الذين استكبروا) وأتى به في (وقال الذين استضعفوا) لأن  
الذين استضعفوا مرأولا كلامهم بغيره بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف .  
ثم جاء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول .

(٧) بل مكرم بنا بالليل والنهار . فأتسع في الطرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة  
المكر إليه . أو جعل ليهم ونهارهم ما كرم على الإسناد المجازي ، أى الليل والنهار مكر بطول  
السلامة فيهما حتى ظننا أنكم على الحق ( إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له ) أشباها .  
والمعنى أن المستكبرين لما أنكروا بقولهم (نحن صدقناكم) أن يكونوا هم السبب في كفر  
المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم ، كره عليهم  
المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) . فابطلوا إضرابهم بإضرابهم . كأنهم قالوا ما كان  
الإجرام من جهة بل من جهة مكرم لنا دأبا ليلا ونهارا ، وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد .

وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ  
الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا  
فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٢﴾  
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي  
يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾

(١١) أسروا أو أظهروا وهو من الأضداد . وهم الظالمون في قوله (إِنَّ الظَّالِمِينَ مَوْقُوفُونَ) .  
يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم ، والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين .

(١٢) الجحيم .

(١٣) أى في أعناقهم . بجاء بالصرح للدلالة على ما استحقوقا به الأغلال .

(١٤) (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) في الدنيا .

(١٥) (وما أرسلنا في قرية من نبي) (إلا قال) منتعموها ورؤساؤها (إنا بما أرسلتم  
به كافرون) . هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما  
جاء به ، وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم أهل مكة ، وانفخروا بكثرة الأموال والأولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا  
وأولادا وما نحن بمعتدين) . أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يمتد بهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا  
وظنوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله . ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم .  
فأبطل الله ظنهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء . فربما وسع على العاصي وضيق  
على المطيع . وربما عكس وربما وسع عليهما أو ضيق عليهما فلا يتقاس عليه أمر الثواب .  
وذلك قوله (قل إن ربى يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) — قدر الرزق تضيقه قال الله تعالى  
(ومن قدر عليه رزقه) — (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك .

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِلَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِن رَّبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ

(١) أى وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم (بالتى تهزّبكم). وذلك أن الجمع المكسر مقلّاه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث . والزنى والزلفة كالقربى والقربة . ومحلها النصب على المصدر . أى تهزّبكم قربة كقوله (أنهكم من الأرض نباتا) .

(٢) الاستثناء من "كم" في (تهزّبكم). يعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى يتقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورتبهم للصالح والطاعة . وعن ابن عباس (إلا) بمعنى لكن . (ومن) شرط جوابه (فأولئك لهم جزاء الضعف) وهو من إضافة المصدر إلى المفعول . أصله (فأولئك لهم أن ييازوا الضعف ، ثم جزاء الضعف ، ثم جزاء الضعف . ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة . وقرأ يعقوب (جزاء الضعف) ، على (فأولئك لهم) الضعف جزاء بأعمالهم .

(٣) أى غرف منازل الجنة . (الغرفة) حمزة .

(٤) (آمنون) من كل هائل وشاغل .

(٥) في إبطالها .

(٦) يوسع .

(٧) ما شرطية في موضع النصب .

(٨) بيانه .

(٩) (فهو) يمؤضة . لا معوض سواء إما عاجلا بالمال ، أو آجلا بالثواب . جواب الشرط .

وَهُوَ خَيْرٌ أَرْزُقِينَ <sup>(١)</sup> وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكِ  
 أَهْتُولَاءَ إِيَّاكَ كَانُوا يَعْبُدُونَ <sup>(٢)</sup> قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَابْنُ  
 مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرُهُمْ <sup>(٣)</sup> مُؤْمِنُونَ <sup>(٤)</sup>

(١) المطمئنين لأن كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرها فهو من رزق الله  
 أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينفع المرزوق بالرزق .  
 وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي . فكلم من مشته لا يجد ، وواجد  
 لا يشتهي .

(٢) وإلياه فيهما حفص ويعقوب .

(٣) هذا خطاب للملائكة وتبريع للكفار وارد على المثل السائر \* إِيَّاكَ أَعْبَدُوا  
 يا جاره \* ونحوه قوله : ( أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا ) الآية .

(٤) أى الملائكة .

(٥) نزعنا لك أن يعبد معك غيرك .

(٦) الموالاة خلاف المعاداة وهى مفاعلة من الولى وهو القرب . والولى يقع على الموالى  
 والموالى جميعا . والمعنى أنت الذى نواله ( من دونهم ) إذ لا موالاة بيننا وبينهم . فيبتدأ  
 بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براقتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة  
 كانت حاله منافقة لذلك .

(٧) أى ( بل كانوا يعبدون ) الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله . أو كانوا يدخلون  
 فى أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها . أو صوّرت لهم الشياطين صُور قوم  
 من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاحملوها .

(٨) أكثر الإنس أو الكفار .

(٩) بالجن .

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا <sup>(١)</sup> وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِإِذْنِ قَالُوا مَا هَٰذَا <sup>(٣)</sup> إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ <sup>(٤)</sup> ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ <sup>(٥)</sup> وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا <sup>(٦)</sup>

(١) لأن الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد ، لأن الدار دار ثواب وعقاب . والمثيب والمثاقب هو الله . فكانت حاملة خلاف حال الدنيا التي هي تكليف والناس فيها غلّ بينهم يتضارون ويتنافعون . والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو .

(٢) ذكر عاقبة الظالمين بقوله ( ونقول للذين ظلموا ) بوضع العبادة في غير موضعها — معطوف على ( لا يملك ) — ( ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ) في الدنيا .

(٣) أى إنا قرئ عليهم القرآن .

(٤) وإصحاحات .

(٥) أى المشركون

(٦) أى محمد

(٧) أى القرآن

(٨) أى وقالوا — والمدلول منه دليل على إنكار عظيم وغضب شديد — للقرآن أو لأمر النبوة كله ( لما جاءهم ) وعجزوا عن الإتيان بمثله ( إن هذا ) أى الحق ( إلا سحر مبين ) . يتوه على أنه سحر ثم يتوه على أنه بين ظاهر كل قائل تأمله سماه سحرا .

(٩) أى ما أعطينا مشركي مكة كتباً يدرسونها فيها بهتان على صحة الشرك .



وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ <sup>(١١)</sup> وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَمَا بَلَغُوا مَعْشَرَ مَا أَتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ <sup>(١٢)</sup>  
قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا <sup>(١٣)</sup>

(١١) ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا .

(١٢) توعدهم على تكذيبهم . أى وكذب الذين يهدسونهم من الأمم الماضية والقرون  
الخالفة الرسل كما كذبوا . وما بلغ أهل مكة عشرين أوقى الأولون من طول الأعمار وقوة الأجرام .  
وكثرة الأموال والأولاد ( فكيف كانت نكير ) للكافرين الأولين . فليحذروا من مثله —  
وبإياه في الوصل والوقف يعقوب — أى حين كذبوا رسلهم جامهم إنكارى بالتدمير  
والاستئصال ولم ينف عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون . فما بال هؤلاء ؟ وإنما قال  
( فكذبوا ) وهو مستغنى عنه بقوله ( وكذب الذين من قبلهم ) ، لأنه لما كان معنى قوله  
( وكذب الذين من قبلهم ) وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه ، جعل تكذيب  
الرسل مسببا عنه . وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(١٣) ( إنما أعظكم ) بخصلة واحدة . وقد قرأها بقوله ( أن تقوموا ) على أنه عطف  
بيان لها ، وقيل هو بطل . وعلى هذين الوجهين هو في محل الجز . وقيل هو في محل الرفع  
على تقدير هي ( أن تقوموا ) ، أو النصب على تقدير أعنى . وأراد بقيامهم القيام عن مجلس  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفترقهم عن مجتمعهم عنده . أو قيام القصد إلى الشيء  
دون النهوض والاتصاف . والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتحلستم .  
وهي ( أن تقوموا لله ) أى لوجه الله خالصا — لا لمحبة ولا عصبية بل لطلب الحق —  
اثنتين اثنتين وفردا فردا ( ثم تتفكروا ) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به .

مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ  
عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢١﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ  
إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ

أما الانتان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محمول فكره على صاحبه وينظرات في  
نظر الصدق والإنصاف حتى يؤدبهما النظر الصحيح إلى الحق. وكذلك الفرد يتفكر في نفسه  
بعدل ونصفه ويعرض فكره على عقله . ومعنى تفقههم مثني وفرادي أن الاجتماع مما يشوش  
الخواطر ، ويعمى البصائر ، ويمنع من الروية ، ويقفل الإنصاف فيه ، ويكثر الاعتصاف ،  
ويشود عجاج التعصب ، ولا يسمع إلا نصرة المذهب . و (تفكروا) معطوف على (تقوموا) .

﴿٢١﴾ (ما بصاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من) جنون . والمعنى (ثم تفكروا) فعملوا  
(ما بصاحبكم من جنة) .

﴿٢٢﴾ قدام (عذاب شديد) . وهو عذابه الآخرة . وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي  
الساعة .

﴿٢٣﴾ بين أنه لا يطلب أجرا على الإنذار بقوله (قل ما سألتم من أجر) على الإنذار وتبليغي  
الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط . تقديره أى شيء سألتم من أجر (فهو لكم) كقوله (ما يفتح  
الله للناس من رحمة) . ومعناه فى مسألة الأجر رأسا نحو ما لى فى هذا فهو لك ، أى ليس لى  
فيه شيء .

﴿٢٤﴾ مدنى وشامى وأبو بكر وحفص . ويسكون الياء غيرهم .

﴿٢٥﴾ (وهو على كل شيء شهيد) فيعلم أنى لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه  
إلا منه .

﴿٢٦﴾ بالوحى . والقذف توجيه المسموع ونحوه بلفظ واعتقاد ، ويستمار لمعنى الإلقاء . ومنه :  
(وقف في قلوبهم الرعب) . (أن أقذفه في التابوت) . ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه ويترله  
إلى أنبيائه أو يرى به الباطل فيلمغه ويترقه .

عَلَّمَ الْغُيُوبِ ﴿١١﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿١٢﴾  
 قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَأُضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِن اهْتَدَيْتُ فِيمَا  
 يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿١٣﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ

(١١) مرفوع على البذل من الضمير (يقذف) . أو على أنه خبر مبتدأ محذوف .

(١٢) الإسلام والقرآن .

(١٣) أى زال الباطل وهلك . لأن الإبداء والإعادة من صفات الحق فعدمهما عبارة عن الهلاك . والمعنى جاء الحق وزهق الباطل ، كقوله : (جاء الحق وزهق الباطل) . وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام جعل يلعنها بسود معه ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد . وقيل الباطل الأصنام . وقيل ليس لأنه صاحب الباطل ، أو لأنه هالك . كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك . أى لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحدا ولا يبعثه ، فالمنشئ والباعث هو الله .

(١٤) لما قالوا قد ضللت بترك دين آبائكم قال الله تعالى ( قل إن ضللت ) عن الحق ( فإني أضل على نفسي ) إن ضللت فني وعلى ، ( وإن اهتديت ) فیتسديده بالوحى إلى . وكان قياس التقابل أن يقال ( وإن اهتديت ) فإني اهتدي لما كقوله : ( فمن اهتدى فليجهد ) ومن ضل فإني أضل عليها . ولكن هما متقابلان معنى ، لأن النفس كل ما عليها وضارها فهو بها وبسببها لأنها الأمانة بالسوء ، وما لها مما ينفعها فهداية ربها وتوفيقه . وهذا حكم عام لكل مكلف . وإني أمر رسوله أن يستند إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحت مع جلالة علمه وسداد طريقته كان غيره أولى به .

(١٥) (إنه سميع) لما أقوله لكم (قريب) مني ومنكم يحاذيني ويحاذيكم .

(١٦) جوابه محذوف أى رأيت أمرا عظيما وحالا هائلة .

(١٧) (إذ فزعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر .

(١٨) فلا مهرب ، أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه .

وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ <sup>(١١)</sup> وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ <sup>(١٢)</sup> وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ  
مَّكَانٍ بَعِيدٍ <sup>(١٣)</sup> وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ <sup>(١٤)</sup>

(١١) عطف على (فزعوا) أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم . أو على (لا فوت) على معنى (إذ فزعوا) فلم يفوتوا (وأخذوا من مكان قريب) من الموقف إلى النار إذا بثوا . أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا . أو من صحراء بدر إلى القليب .

(١٢) (وقالوا) حين عابوا العذاب إنا (آمنّا) بمحمد عليه السلام لمروا ذكره في قوله :  
(ما بصاحبكم من جنة) ، أو بالله .

(١٣) التناوش التناول . أى كيف يتناولون التوبة وقد بددت عنهم . يريد أن التوبة كانت تقبل منهم في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة . وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون . وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا . مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع . (التناوش) بالهمزة أبو عمرو وكوفي غير حفص . همزت الواو لأن كل أو مضمومة ضمته لازمة إن شئت أبدلتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك أدور وتقاوم وإن شئت قلت أدؤو وتقاؤم . وعن ثعلب التناوش بالهمز التناول من بعد ، وبغير همز التناول من قرب .

(١٤) من قبل العذاب أو في الدنيا .

(١٥) معطوف على (قد كفروا) على حكاية الحال الماضية . يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لا يمت ولا حساب ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والصواب . أو هو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب . وهذا تمكلم بالغيب والأمر الخفى ، لأنهم لم يشاهدوا منه سمرا ولا شعرا ولا كذبا . وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به السحر والشعر وأبعد شيء من عادته التى عرفت بينهم وجريت الكذب . (ويقذفون بالغيب) عن أبى عمرو على البناء للفعول أى تأتهم به شياطينهم ويلقونهم إياه . وإن شئت فقلقه بقوله (وقالوا)

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ <sup>(١)</sup> كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا  
 فِي شَكٍّ مُّريبٍ <sup>(٢)</sup>

آمنّا به) على أنّه متّلم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنّا في الآخرة،  
 وذلك مطلب مستبعد ، بمن يقذف شيئاً من مكان بعيد لا مجال للفارق في لحوقه حيث يريد  
 أن يقع فيه لكونه غائباً عنه بعيداً . ويحوز أن يكون الضمير في (آمنّا به) للعذاب الشديد  
 في قوله : (بين يدي عذاب شديد). وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون  
 من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا فأفسين أمر الآخرة على  
 أمر الدنيا . فهذا كان قذفهم بالغييب . وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة ، لأنّ دار الجزاء  
 لا تنقاس على دار التكليف .

<sup>(١)</sup> وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من فزع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز  
 بالجنة . أو من الرّد إلى الدنيا كما حكى عنهم بقوله (أرجعنا نعمل صالحاً) . والأفعال التي هي  
 فزعوا وأخذوا وحيل كلّها للضي . والمراد بها الاستقبال ، لتحقيق وقوعه .  
<sup>(٢)</sup> بأشباعهم من الكفرة .

<sup>(٣)</sup> (إنهم كانوا في شك) من أمر الرسل والبعث (مرريب) موقع في الرية من أراهه إذا  
 أوقعه في الرية . هذا ردّ على من زعم أنّ الله لا يعتدّ على الشك والله أعلم .

## سورة فاطر مكية

وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ<sup>(١)</sup>  
 مِثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ<sup>(٢)</sup> إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(٣)</sup>

(١) حمد ذاته تعليما وتفظيا .

(٢) مبتدئها ومبتدئها . قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى  
 اختصم إلى أعرابيان في برق قال أحدهما أنا فطرتهما أي ابتدئتهما .

(٣) (رسلا) إلى عباده .

(٤) ذوى . اسم جمع لذو . وهو يدل من (رسلا) أو نعت له .

(٥) جمع جناح .

(٦) صفات لأجنحة . وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها . وذلك أنها عدلت عن ألفاظ  
 الأعداد عن صيغ إلى صيغ آخر ، كما عدل عمر عن عامر ، وعن تكرير إلى غير تكرير . وقيل للعدل  
 والوصف . والتعويل عليه . والمعنى أن الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد  
 منهم جناحان ، وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة — ولعل الثالث يكوف في وسط الظهورين  
 الجناحين يمدّها بقوة ، وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة .

(٧) أى يزيد في خلق الأجنحة وغيره ما يشاء . وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن  
 والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين . والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق  
 من طول قامت واعتدال صورة وتماسك في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في النقل وحزلة  
 في الرأى وذلاقة في اللسان وعجبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك .

(٨) قادر .

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا  
مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١﴾ يَتْلُوهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا  
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿١٢﴾

(١١) تَكَرَّرَتِ الرَّحْمَةُ لِلإِشَاعَةِ وَالْإِبْهَامِ . كَأَنَّهُ قَالَ ( مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ ) أَيْةٍ ( رَحْمَةٍ ) رَزَقَ  
أَوْ مَطَرٍ أَوْ صَحَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى إِسْكَانِهَا وَسِمِهَا . وَاسْتَعْمِلَ الْفَتْحَ لِلإِطْلَاقِ  
وَالْإِرْسَالِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ ( وَمَا يُمْسِكُ ) يَمْنَعُ وَيَحْبَسُ ( فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ) مُطَاقٍ لَهُ ( مِنْ بَعْدِهِ )  
مِنْ بَعْدِ إِسْكَانِهَا . وَأَتَتْ الضَّمِيرَ الرَّاجِعَ إِلَى الْأَسْمِ الْمَتَضَمِّنِ مَعْنَى الشَّرْطِ عَلَى مَعْنَى الرَّحْمَةِ .  
ثُمَّ ذَكَرَهُ حَمَلًا عَلَى اللَّفْظِ الْمَرْجِعِ إِلَيْهِ إِذْ لَا تَأْنِيثَ فِيهِ لِأَنَّ الْأَوَّلَ فُسِّرَ بِالرَّحْمَةِ فَحَسُنَ اتِّبَاعُ  
الضَّمِيرِ التَّفْسِيرِ . وَلَمْ يَفْسِّرِ الثَّانِي فَتَرَكَ عَلَى أَصْلِهِ التَّنْذِيرَ . وَعَنْ مَعَاذِ مَرْفُوعًا " لَا تَرَالِ  
يَدُ اللَّهِ مَبْسُوطَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا لَمْ يَرْفِقْ خِيَارَهُمْ بِشِرَارِهِمْ ، وَيَعْظُمَ بِهِمْ فَاجِرُهُمْ وَتَعْنِ قُرْآنُهُمْ  
أَمْرَاهُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ . فَإِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ تَرَعُ اللَّهُ يَدَهُ عَنْهُمْ " .

(١٢) الْغَالِبُ الْفَادِرُ عَلَى الْإِرْسَالِ وَالْإِمْسَالِ .

(١٣) الَّذِي يَرْسِلُ وَيُمْسِكُ مَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ إِرسَالَهُ وَإِمْسَالَهُ .

(١٤) ( إِذْ كَرُوا ) بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ ( نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِمْ ) وَهِيَ الَّتِي تَهَلَّتْ مِنْ بَسْطِ الْأَرْضِ  
كَالْمَهَادِ ، وَرَفْعِ الْمَاءِ بِإِعْمَادٍ ، وَإِرْسَالِ الرِّسْلِ لِيَبْلُغَ السَّبِيلَ دَعْوَةً إِلَيْهِ ، وَزَلْفَةً لَهُ بِهِ ، وَالْإِزَادَةَ  
فِي الْخَلْقِ ، وَفَتْحَ أَبْوَابِ الرِّزْقِ . ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى رَأْسِ النِّمِّ وَهُوَ اتِّحَادُ الْمُنِّمِ بِقَوْلِهِ ( هَلْ مِنْ خَالِقٍ  
غَيْرِ اللَّهِ ) يَرْفَعُ ( غَيْرِ ) عَلَى الْوَصْفِ لِأَنَّ ( خَالِقَ ) مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ مُحَذَّوْفٌ أَيْ لَكُمْ . بِالْجُرْعِ عَلَى وَحْمَةٍ  
عَلَى الْوَصْفِ لَفْظًا .

(١٥) ( يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ) . بِالْمَطَرِ ( وَالْأَرْضِ ) : بِأَنْوَاعِ النَّيْلِ ؛ يَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا .  
وَيَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لَخَالِقٍ .

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنْ تَوَفَّيْتُمْ<sup>(١)</sup> وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ<sup>(٢)</sup>  
وإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ<sup>(٣)</sup> يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ<sup>(٤)</sup> إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا  
إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ<sup>(٦)</sup>

(١) جملة مفصلة لا محل لها .

(٢) نبياً - وجه تصريفون عن التوحيد إلى الشرك .

(٣) نبي به على قريش سوء تفهيم لآيات الله وتكذيبهم بها ، ورسوله بأن له في الأنبياء  
قبله أسوة . ولهذا تكرّر (رسول) أى رسول ذو عدد كثير ، وأولو آيات ونذر ، وأهل أعمار طوال ،  
وأصحاب صبر وعزم . لأنه أسله . وتقدير الكلام (وإن يكذبوك) فتأس بتكذيب الرسل من قبلك  
لأنّ الجزاء يتعقّب الشرط . ولو أجرى على الظاهر يكون سابقا عليه . ووضع (نفسك كذب  
رسول من قبلك) موضع فتأس استثناء بالسبب عن المسبب أى بالتكذيب عن التأسى .

(٤) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذّب  
والمكذّب بما يستحقّاه . (ترجع) بفتح التاء شأى وحزمة وعلى - يعقوب وخلف وسهل .

(٥) (إن وعد الله) بالبعث والجزاء كائن فلا تخدعونكم الدنيا ولا يذهبنكم التّعجب بها والتلذذ  
بمناضها عن العمل للأخرة وطلب ما عند الله .

(٦) (ولا يفتنكم) الشيطان فإنه يمتنع الأمانى الكاذبة ويقول إن الله غنى عن عبادتك  
وعن تكديك .

(٧) (إن الشيطان لكم عدو) ظاهر المداوة . فعل بأبيكم ما فعل وأتمّ تاملونه معاملة  
من لا علم له بأحواله (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجبت منكم إلا ما يدلّ  
على معاداته فى شرك وجهركم . ثمّ تلخص مرأىه وخطأه من اتبعه بأن فرضه الذى يؤتمه فدعوة  
شيئته هو أن يوردهم ورد الهلاك بقوله (إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) .



أَمَّنْ زَيْنَ لَّهُمْ سَوْءُ عَمَلِهِ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي  
مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرْتَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿١١﴾  
وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ مَحَابِبًا فَسُقْنَهَا إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴿١٢﴾

ثم كشف الغطاء فبنى الأمر كله على الإيمان وتركه فقال : (الذين كفروا لهم مذاب شديد) أى لمن أجاهه حين دعاه فله مذاب شديد لأنه صار من حربه أى أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجهيوه ولم يصيروا من حربه بل عادوه (لم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم ﴿١١﴾ لما ذكر الفريقين قال لنبية عليه السلام (أمن زين له سوء عمله) يزين الشيطان ، كمن لم يزين له . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ، فقال (فإن الله يفضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) . وذكر الزجاج أن المعنى (أمن زين له سوء عمله) ذهبت نفسك عليه حسرة . فحذف الجواب لدلالة (فلا تذهب نفسك) عليه . أو أمن زين له عمله كمن هداه الله لحذف لدلالة (فإن الله يفضل من يشاء ويهدي من يشاء) عليه . (فلا تذهب نفسك) يزيد . أى لا تهلكها (حسرات) مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات . و(عليهم) صلة (تذهب) كما تقول هلك عليه حيا ومات عليه حزنا . ولا يجوز أن يتلقى بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صله .

﴿١٢﴾ وعيد لهم بالعقاب على سوء صليهم .

﴿١٣﴾ (الريح) مكنى وحزمة وعل .

﴿١٤﴾ إنما قيل (فتثير) تحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتسحقض تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية . وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال استغفر . ولما كان سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ التوبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلى عليه .

﴿١٥﴾ بالشديد مدنى وحزمة وعل وحض . وبالتخفيف غيرهم .

فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا <sup>(١١)</sup> كَذَلِكَ النُّشُورُ <sup>(١٢)</sup> مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ  
فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ <sup>(١٣)</sup>

(١١) (فأحيينا) بالمطر - لتقدم ذكره ضمنا - (الأرض بعد موتها) يمسا .

(١٢) الكلف في محل الرفع أى مثل إحياء الموات، نشور الأموات . قيل يحيى الله الخلق  
بمساء يرسله من تحت العرش تنهت منه أجساد الخلق .

(١٣) أى العزة كلها مختصة بالله عزّة الدنيا وعزّة الآخرة . وكان الكافرون يتعزّزون  
بالأصنام كما قال (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّا). والذين آمنوا بالسّهم من غير وطأة  
قلوبهم كانوا يتعزّزون بالمشرّكين كما قال : (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين  
أيبتغون عندهم العزّة فات العزّة لله جميعا) . فبين أن لا عزّة إلا لله . والمعنى فليطلبها عند الله  
فوضع قوله (لله العزّة جميعا) موضعه استثناء عنه به لدلالته عليه لأنّ الشئ لا يطلب إلا عند  
صاحبه ومالكه . ونظيره قولك لمن أراد النصيحة "فهى عند الأبرار" تريد فليطلبها عندهم . إلا  
أنك أقمت مايلّد عليه مقامه . وفي الحديث "إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فن أراد عز الدارين  
فليطع العزيز" . ثم عرّف أنّ ما يطلب به العزّة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (إليه يصعد الكلم  
الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومعنى قوله (إليه) إلى محل القبول والرضا وكلّ ما أنصف بالقبول  
وصف بالرفعة والصعود . أو إلى حيث لا ينفذ فيه إلا حكمه . و(الكلم الطيب) كلمات التوحيد  
أى لا إله إلا الله . وكان القياس الطيبة . ولكن كلّ جمع ليس بينه وبين واحد إلا التاء  
يذكر ويؤنث . (والعمل الصالح) العبادة الخالصة . يعنى (والعمل الصالح يرفعه) الكلم الطيب .  
فالرفع الكلم . والمرنوع العمل . لأنّه لا يقبل عمل إلا من موحد . وقيل الرفع الله والمرنوع  
العمل . أى (العمل الصالح يرفعه) الله . وفيه إشارة إلى أنّ العمل يتوقّف على الرفع .  
والكلم الطيب يصعد بنفسه . وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشترّفه . أى من أراد العزّة  
فليعمل عملا صالحا فإنّه هو الذى يرفع العبد .

وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ <sup>(٣)</sup> وَاللَّهُ  
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا  
تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ <sup>(٦)</sup>

<sup>(١)</sup> هي صفة لمصدر محذوف أى المكرات (السيئات) لأن مكرف فعل غير متعد لا يقال  
مكر فلان عمله . والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال  
الله تعالى (وإذ يمكركم الذين كفروا لينبتوك) الآية .

<sup>(٢)</sup> لهم عذاب شديد) فى الآخرة .

<sup>(٣)</sup> (ومكر أولئك) مبتدا (هو) فصل (يبور) خبر . أى (ومكر أولئك) الذين مكروا (هو)  
خاصة (يبور) أى يفسد و يطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة ، وقتلهم ،  
وأبنتهم فى قليب بدر . بجمع عليهم مكانهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى : (ويمكرون ويمكر الله  
والله خير الماكرين) . وقوله : (ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله) .

<sup>(٤)</sup> أى أبائكم .

<sup>(٥)</sup> (ثم أنشأكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) أصنافا أو ذكرا وإناثا .

<sup>(٦)</sup> هو فى موضع الحال أى إلا معلومة له .

<sup>(٧)</sup> أى (وما يعمر من) أحد — وإنما سماه معمرًا بما هو صائر إليه — (ولا ينقص  
من عمره إلا فى كتاب) يعنى اللوح أو صحيفة الإنسان . (ولا ينقص) زيد . فإن قلت الإنسان  
إما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره . فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فالحال  
فكيف صح قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) ؟ قلت هذا من الكلام المتساع فيه  
ثقة فى تأويله بأنهم السامعين وأنكالا على تسديدهم معناه بقولهم وأنه لا يتنفس عليهم إحالة

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ<sup>(١١)</sup> وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فُرَاتٌ  
سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّي تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ  
حُلِيَّةً تَلْبُسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ<sup>(١٢)</sup>

الطول والقصير عمر واحد . وعليه كلام الناس . يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا  
بحق . أو تأويل الآية أنه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك  
ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك نقصان عمره . وعص فتادة المعمر من يبلغ  
ستين سنة . والمقصود من عمره من يموت قبل ستين سنة .

(١١) (إِنَّ) لإحصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله) سهل .

(١٢) (وما يستوى البحرين) أحدهما (عذب فرات) شديد المذوبة — وقيل هو الذي  
يكسر العطش — (سائغ شرابه) مرىء سهل الانحدار لعذوبته وبه يتفقع شرابه .  
(وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة . وقيل هو الذي يحرق بملوحته . ضرب البحرين العذب  
والمالح مثين للمؤمن والكافر . ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما خلق بهما  
من نعمته وعطائه (ومن كل) ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك  
(وتستخرجون حلية تلبسونها) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك) في كل شواقي لاه بجزيرها —  
يقال غرت السفينة المساء أى شققته . و (مواثر) جمع ماهرة — (لتبتغوا) من فضل الله —  
ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيها قيلها . ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه — (ولعلكم تشكرون)  
الله على ما آتاكم من فضله .

ويحتمل غير طريقة الاستطراد . وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج  
على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه ، والكافر

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَخَسَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
 كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١١﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ  
 وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ

خلو من الشفع . فهو في طريقة قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) . ثم قال : (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) .

(١١) يدخل من ساعات أحدهما في الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا .

(١٢) أى ذلّل أضواء صوره ، لاستواء سيره .

(١٣) أى يوم القيامة يتقطع جرحهما .

(١٤) (ذلكم) مبتدأ (الله ، ربكم ، له الملك) أخبار مترادفة . أو (الله ربكم) خبر إن .  
 و(له الملك) جملة مبتدأة واقعة في قرآن قوله (والذين تدعون من دونه) يعنى الأصنام التى تعبدونها من دون الله — (يدعون) قتيبة — (ما يملكون من قطمير) هى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة .  
 (١٥) أى الأصنام .

(١٦) لأنهم جاهد .

(١٧) (ولو سمعوا) على سبيل القرض (ما استجابوا لكم) لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرعون منها .

(١٨) بإنشراككم لهم وعبادتهم إياهم ويقولون : (ما كنتم إلهانا تعبدون) .

وَلَا يَنْفِيكَ مِثْلُ خَيْرٍ <sup>(١١)</sup> يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ <sup>(١٢)</sup>  
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ <sup>(١٣)</sup>

(١١) ولا ينفيك أيها المفتون بأصباب الغرور ، كما ينفيك الله الخبير بآيات الأمور .  
وتحقيقه ولا ينفيك بالأمر مخبر هو مثل خير عالم به . يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي  
ينفيك بالحقيقة دون سائر المخبرين به . والمعنى أن هذا الذي أخبركم به من حال الأوثان هو  
الحق لأن خير بما أخبرتم به .

(١٢) قال ذو النون الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة لحظة وكيف لا ووجودهم  
به وبقائهم به .

(١٣) (واؤه هو النفي) عن الأشياء أجمع ، المحمود بكل لسان .

ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتبريض على الاستغناء . ولهذا وصف نفسه بالنفي الذي  
هو مطعم الأغنياء . وذكر (الحميد) ليدل به على أنه النفي النافع بفناء خلقه ، والجود بالمنعم  
عليهم ، إذ ليس كل غني نافعا بفناء إلا إذا كان النفي جوادا منما . وإذا جاد وأنعم حمده  
المنعم عليهم . قال سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالنفي ولم بالفقر . فمن ادعى النفي  
حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه . فينبغي للعبد أن يكون مفتقرا بالسر إليه ،  
ومتقطعا عن الغير إليه ، حتى تكون عبوديته محضة . فالعبودية هي النذل والخضوع . وعلامته  
ألا يسأل من أحد . وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفقر . ومن تمزق بالله لا يذل .  
وقال الحسين على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنيا بالله . وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى .  
وقال يحيى الفخر خير للعبد من النفي . لأن الذلة في الفقر ، والكبر في الغنى . والرجوع إلى الله  
بالتواضع والذلة ، خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال . وقيل صفة الأولياء ثلاثة الثقة بالله في كل  
شيء ، والفقر إليه في كل شيء ، والرجوع إليه من كل شيء . وقال الشبلي الفقير يحز البلاء .  
وبلاؤه كله عز .

إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْ جَدِيدِ ۞ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۞  
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۖ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَةٍ لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ  
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ

(١) (إِنْ يَسْأَلْكُمْ) كلّمكم إلى العدم، فإن غناه بئانه لا يكم في القدم، (وَيَاتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)، وهو بدون حدكم حيد. وعن ابن عباس يخافى بعدكم من عبده لا يشرك به شيئا (وما ذلك) الإنشاء والإفناء (على الله) بممتنع.

(٢) ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى. والوزر والوقر أخوان. ووَزَرَ الشيء إذا حمّله. والوازنة صفة للنفس. والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقرنته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جارية الدنيا الولي بالولي والجار بالجار. وإنما قيل (وازنة) ولم يقل (ولا تزد) نفس (وزر أخرى) لأن المعنى أن النفوس الوزرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها. وقوله (وليحملن أثقالهن وأثقالا مع أثقالهن)، وارد في الضالين المضلين. فإنيهم يحملون أثقال الضالين الناس مع أثقال ضلالهم. وذلك كلمة أوزارهم ما فيها شيء من وزر فيهم. ألا ترى كيف كتبهم الله تعالى في قولهم: (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ)، بقوله: (وما هم بمحمليين من خطاياهم من شيء).

(٣) (وإن تدع) نفس مثقلة بالذنوب أحدا (إلى) تَقْلُهَا أي ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شيء ولو كان) المدعو—وهو مفهوم من قوله (وإن تدع)—(ذا قرين) ذا قرابة قريبة كآب أو ولد أو أخ. والفرق بين معنى قوله: (ولا تزد وازرة وزر أخرى)، ومعنى: (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء)، أن الأول دال على عدل الله في حكمه وألا يؤاخذ نفسا بغير ذنوبها، والثاني في بيان أنه لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسا قد أثقلتها الأوزار لودعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تفت وإن كان المدعو بعض قرابتها.

إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ<sup>(١)</sup> وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ<sup>(٢)</sup> وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا النُّورُ<sup>(٣)</sup> وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ<sup>(٤)</sup> وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ<sup>(٥)</sup> إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ<sup>(٦)</sup>

(١) (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم ظاهرين عن عذابه. أو يخشون عذابه غائبا عنهم. وقيل (بالغيب) فى السر حيث لا اطلاع للغير عليه ، أى إنما ينفع بإبدارك هؤلاء (الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) فى مواقيتها .  
(٢) (ومن) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى (فإنما يتزكى لنفسه) . وهو اعتراض مؤكّد تخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأشتهما من جملة التزكى .

(٣) المرجع . وهو وعد للتركى ، بالتواب .

(٤) مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم .

(٥) مثل للكفر والإيمان .

(٦) الحقّ والباطل . أو الجنة والنار . والحرور الريح الحارّة كالسوم إلا أنّ السوم تكون بالنهار ، والحرور بالليل والنهار ، عن الفراء .

(٧) مثل الذين دخلوا فى الإسلام والذين لم يدخلوا فيه . وزيادة "لا" لتأكيد معنى النفى .

والفرق بين هذه الواوآت أن بعضها ضمت شقعا الى شفع وبعضها ورتا الى وتر .

(٨) يعنى أنه قد علم من يدخل فى الإسلام ممن لا يدخل فيه فهدى من يشاء هدايته . وأما أنت نغفى عليك أمرهم . فلذلك تحرص على إسلام قوم غنودلين . شبه الكفار بالموق حيث لا يفتنون بمسودعهم .



إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١٢﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿١٣﴾ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٤﴾

(١١) أى ما عليك إلا أن تبليغ . فإن كان المنتذر ممن يسمع الإنذار ففع . وإن كان من المحترين فلا عليك .

(١٢) حال من أحد الضميرين يعنى محققاً أو محققين أو صفة للصدر أى إرسالاً مصحوباً (بالحق) .

(١٣) (بشيراً) بالوعد (ونذيراً) بالوعيد .

(١٤) وما (من أمة) قبل أمتك (إلا) معنى (فيها نذير) يخوفهم وخامة الطغيان ، وسوء عاقبة الكفران . واكتفى بالنذير عن البشير في آخر الآية بعد ما ذكرهما لأن النذارة مشفوعة بالبشارة فدلّ ذكر النذارة على ذكر البشارة . والأمة الجماعة الكثيرة (وجد عليه أمة من الناس) . ويقال لأهل كل عصر أمة . والمراد هنا أهل العصر . وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى وعهد عليهما السلام فلم تحصل تلك الأمم من نذير . وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث عهد عليه السلام .

(٥١) (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسلهم (جاءتهم رسلهم) — حال . و"قد" مضمرة . — بالمعجزات وبالصحف (و بالكتاب المنير) التوراة والإنجيل والزبور . ولما كانت هذه الأشياء في جملهم أسند المحيى بها اليهم إسناداً مطلقاً ، وإن كان بعضها في جميعهم وهى البينات ، وبعضها في بعضهم وهى الزبر والكتاب . وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
 أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْجَبْنَا بِهِ عَمْرَةَ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا وَمِنَ  
 الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنًا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿١٢﴾  
 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلَّا تَعْلَمَ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى  
 اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ أَلْعَلَّيْكُمْ ﴿١٣﴾

(١١) (ثم) عاقبت (الذين كفروا) بأنواع العقوبة (فكيف كان) إنكارى عليهم وتذبيهم.

(١٢) (فانجبتنا) بالماء (عمرات مختلفا) أجناسها من الزمان والتفتح والتين والعنب وغيرها  
 كما لا يحصر. أو هياتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها .

(١٣) طرق مختلفة اللون جمع جثة كثرة ومدد . ولا بد من تقدير حذف المضاف ، أى  
 (ومن الجبال) ذو جدد بيض وحمر وسود ، حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه ،  
 كما قال (ثمرات مختلفا ألوانها) .

(١٤) (وغرابيب) جمع غريب . وهو تأكيد للأسود يقال أسود غريب . وهو الذى  
 أهدى في السواد وأغرب فيه . ومنه الغراب . وكان من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك  
 أصفر فاقع إلا أنه أضمر المؤكد قبله . والذى يمهده تفسير للضمير . وإنما يفعل ذلك لزيادة  
 التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعا .

(١٥) يعنى ومنهم بعض (مختلف ألوانه) كاختلاف الثمرات والجبال .

(١٦) لما قال (ألم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) وعددًا يات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته  
 وما خلق من القطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إنما يخشى الله  
 من عباده العلماء) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعمّموه . ومن ازداد علما به ازداد  
 منه خوفا . ومن كان علمه به أقل كان آمن . وفي الحديث «أعلمكم بالله أشدكم له خشية» .  
 وتقدم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿١٢﴾ لِيُؤَيِّدَهُم  
أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٣﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ

ذيرهم . ولوعكس لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله : (ولا يخشون أحدا إلا الله) .  
ويبينها تفاريف الأولى بيان أن الخاشعين هم العلماء ، وفي الثاني بيان أن الخاشعين منه هو الله تعالى .  
وفراً أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضي الله عنهم ( إنما يخشى الله من عباده  
العلماء ) . والخشية في هذه القراءة استمارة . والمعنى إنما يعظم الله من عباده العلماء .

﴿١١﴾ تحليل لوجوب الخشية لدلائله على عبودية العباد وفهمهم ، وإجابة أهل الطاعة  
والغفو عنهم . والمعاقب المتيب حقه أن يخشى .

﴿١٢﴾ (إن الذين) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم)  
مسيرين النفل ومعلمين القرض . يعنى لا يقتنعون بتلاوة عن حلاوة العمل به (يرجون) -  
خبر إن - (تجارة) - هى طلب الثواب بالطاعة - (أن تبور) لئن تكيد يعنى تجارة يتنى عنها  
الكساد وتتفق عند الله (ليؤييدهم) متعلق بـ تبور أى (ليؤييدهم) بنفاقها عنده (أجورهم) ثواب  
أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم ، أو بتضعيف  
حسنتهم ، أو بتحقيق وعد لقائه . أو يرجون في موضع الحال أى راجين . واللام في (ليؤييدهم)  
تتعلق بـ يتلون وما بعده . أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق لهذا الغرض .  
وغير (إن) : (إنه غفور شكور) أى (غفور) لشرطاتهم (شكور) لأعمالهم . أى يعطى  
الجزيل على العمل القليل .

﴿١٣﴾ أى القرآن . . . (من) للتبيين .

هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ <sup>(٢١)</sup> إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ <sup>(٢٢)</sup> ثُمَّ أَوْرَثْنَا  
الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا مِنْ عِبَادِنَا فَهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ  
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ <sup>(٢٣)</sup>

(٢١) حال مؤكدة لأن الحق لا يتفك من هذا التصديق .

(٢٢) لما عظمه من الكتب .

(٢٣) (إن الله بهباده لخبير بصير) فعليك وأبصر أحوالك وراك أهلا لأن يوحى إليك مثل  
هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب .

(٢٤) أى أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك — أى حكنا بتورثه الذين اصطفينا من  
عبادنا وهم أئمة من الصحابة والتابعين وتابعهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة . لأن الله اصطفاهم  
على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الاتيائه إلى أفضل  
وسله . ثم رتبهم على مراتب فقال : (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المرجأ لأمر الله . (ومنهم مقتصد)  
وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا . (ومنهم سابق بالخيرات) . وهذا التأويل يوافق التنزيل  
فإنه تعالى قال : (والسابقون الأولون من المهاجرين) الآية ، وقال بعد (وآخرون اعترفوا بذنوبهم)  
الآية ، وقال بعد (وآخرون مرجون لأمر الله) الآية ؛ والحديث : فقد روى عن عمر رضى الله عنه  
أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سابقنا سابق ،  
ومقتصدنا تاج ، وظالمنا مغفول له » ، وعنه طلبة السلام « السابق يدخل الجنة بنير حساب ،  
والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة » ، وأما الظالم لنفسه فيحسب حتى يظن أنه  
لا يحسب ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة . رواه أبو الدرداء ، والأثر : فعن ابن عباس رضى الله عنهما  
السابق المخلص ، والمقتصد المرائى ، والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة  
بدخل الجنة ؛ وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر ، والمقتصد  
صاحب الصغائر ، والسابق المحتجب لها ؛ وقال الحسن البصرى الظالم من رجحت سيئاته ،  
والسابق من رجحت حسناته ، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته ؛ ومثل أبو يوسف

يَأْذِنُ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴿١٢﴾  
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴿١٣﴾ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٤﴾

رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله . (والذين كفروا لهم نار جهنم) . وأما العليقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فإنه قال فمنهم ومنهم والكل راجع الى قوله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور . وإنما قدم الظالم للإيمان بكثرتهم ، وأنت المقتصدين قليل بالإضافة إليهم . والسابقون أقل من القليل . وقال ابن عطاء إنما قدم الظالم لتلايأس من فضله . وقيل إنما قدمه ليعرفه أنه ذنبه لا يبعده من ربه . وقيل إنه أول الأحوال معصية ثم توبة ثم استقامة . وقال سهل السابق العالم ، والمقتصد المتمم والظالم الجاهل . وقال أيضا السابق الذي اشتغل بعباده ، والمقتصد الذي اشتغل بعبادته ومعباده ، والظالم الذي اشتغل بعبادته عن معاده . وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة ، والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق . وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما ، والمقتصد من يمتدد ألا يأخذها إلا من حلال ، والسابق من أعرض عنها حيلة . وقيل الظالم طالب الدنيا ، والمقتصد طالب العقبى ، والسابق طالب المولى .

﴿١١﴾ بأمره أو بصلته أو بتوقيفه .

﴿١٢﴾ أى إمرات الكلاب .

﴿١٣﴾ (جَنَّات) خبر ثان لذلك . أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وانحدر (يدخلونها)

أى الفرق الثلاثة . (يَدْخُلُونَهَا) أبو عمرو .

﴿١٤﴾ (أَسَاوِرَ) جمع أسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤ) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ . (ولؤلؤا) بالنصب والهمزة نافع وحفص . عطفا على ههنا (من أساور) أى يحلّون أساور ولؤلؤا .

﴿١٥﴾ لما فيه من اللذة والريفة .

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾  
 الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا  
 لُغُوبٌ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُورُ  
 وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٨﴾ وَهُمْ  
 يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ  
 أَوْ لَرُّنَا نَعْمَلْ مَا نَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ ﴿٣٩﴾

(٣٦) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا .

(٣٧) ينفجر الجنائيات وإن كثرت .

(٣٨) يقتل الطامعات وإن قلت .

(٣٩) أى الإقامة لا يفرج منها ولا تفارقها يقال أملت إقامة ومقاما .

(٤٠) من عطاؤه وإنضاله لا باستحقاقنا .

(٤١) تعب ومشقة .

(٤٢) إعياء من التعب وقلة . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي (الغوب) بفتح اللام . وهو شئ يلغى منه . أى لا تتكلف عملا يلغينا .

(٤٣) (فيموتوا) جواب النفي ونصبه بإضمار أن . أى (لا يقضى عليهم) بموت ثان فيستريحوا . (ولا يخفف عنهم) من عذاب نار جهنم .

(٤٤) مثل ذلك الجزء .

(٤٥) (يجزى كل كافر) أبو عمرو .

(٤٦) يستغيثون . فهو يقتلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة . واستعمل في الاستغاثة بلهز صوت المستغيث .

(٤٧) يقولون (ربنا أخرجنا) من النار ردتا إلى الدنيا ثم بدل الكفر ونطبع بعد المعصية . فيجاءون بعد قدر عمر الدنيا (أو لم نعلمكم) يجوز أن يكون (ما) نكرة موصوفة

وَجَاءُكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا <sup>(١)</sup> مَا لِلظَّالِمِينَ <sup>(٢)</sup> مِنْ نَصِيرٍ ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ  
الْأَسْمَانِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ <sup>(٣)</sup> ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقًا  
فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا <sup>(٤)</sup> ﴿١٢﴾

أى تعميماً (يتذكر فيه من تذكر). وهو تناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه  
وإن قصر. إلا أن التوبيخ في المتناول أعظم. ثم قيل هو ثمان عشرة سنة. وقيل أربعون.  
وقيل ستون سنة.

(١) الرسول عليه السلام أو المشيب. وهو عطف على معنى (أولم نمركم) لأن لفظة  
استخبار ومعناه إخبار. كأنه قيل قد همزناكم (وجاءكم النذير).

(٢) (فذوقوا) العذاب (ما للظالمين) فاطر يمينهم.

(٣) ما غاب فيهما عنكم.

(٤) كالتلليل. لأنه إذا علم ما في الصدور، وهو أخفى ما يكون، فقد علم كل غيب  
في العالم. وذات الصدور مضمرا لها. وهى تأنيث ذو في نحو قول أبى بكر رضى الله عنه  
"ذو بطن خارجة جارية" أى ما فى بطنها من الحبل. لأن الحبل يصحب البطن.  
وكذا المضمرات تصحب الصدور. وذو موضوع لمعنى الصلبة.

(٥) يقال للمستخلف خليفة. ويجمع على خلفاء. والمعنى أنه جعلكم خلفاء فى أرضه  
قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعتها لتشكروه بالتوحيد  
والطاعة. (من كفر) منكم ومخط مثل هذه النعمة السنية، فو بال كفره راجع عليه. وهو مقت الله  
وخسار الآخرة كما قال: (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقنا). وهو أشد البقض.  
(ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا)، هلاكا وخساراً.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

(١١) أَلْتَكْفُرُ إِلَىٰ أَشْرِكْتُمُوهُمْ فِي الْعِبَادَةِ .

(١٢) (أروني) بدل من (أرايتهم) لأن معنى (أرايتهم) أخبروني . كأنه قيل أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشراكة . (أروني) أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله .

(١٣) أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ شِرْكَةٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ .

(١٤) أى معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاءه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب . (بينات) على وابن حاصر ونافع وأبو بكر .

(١٥) ما (بعد الظالمون بعضهم) — بدل من (الظالمون) وهم الرؤساء — (بعضاً) أى الأتباع (ألا غرورا) هو قولهم ( هؤلاء شفعاءنا عند الله) .

(١٦) يمينهما من (أن تزولا) لأن الإسماعك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض ما أمسكهما (من أحد) من بعد إسماعكه . و (من) الأولى منزلة لتأكيد النفي ، والثانية الابتداء .

(١٧) غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهذهلنا لعظم كلمة الشرك كما قال : ( تكاد السموات يتفطرن منه وتتشق الأرض ) الآية .

(١٨) نصب على المصدر أى إقساما بليغا . أو على الحال أى جاهدين في إيمانهم .



لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٠﴾ اسْتَجَارُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ  
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿١١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾  
فَلَنَ نَحْدِلْ لِسَنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنَ نَحْدِلْ لِسَنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿١٣﴾

(١١) بلغ قريشا قبل مبث النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا برسلمهم . فقالوا لعن الله اليهود والنصارى . أتتهم الرسل فكذبوهم . فوالله لئن أنا رسول (لكنون) أهدى من إحدى الأمم) أى من الأئمة التى يقال فيها هى إحدى الأمم ، تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ، كما يقال للدهية المظيمة هى إحدى الدواهي . فلما مبث رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازادهم) بحىء الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تباعدا عن الحق — وهو إسناد مجازى — (استجاروا فى الأرض) مفعول له . وكذا (ومكر السيئ) . والمعنى و(ما زادهم إلا نفورا) للاستنجار (ومكر السيئ) . أو حال يعنى مستكبرين وما كزين برسول الله صلى الله عليه وسلم . وأصل قوله (ومكر السيئ) وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكروا السيئ ثم ومكر السيئ . والدليل عليه قوله (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) . يحيط ويذل . ولقد حاق بهم يوم بدر . وفى المثل "من حفر لأخيه جبا ، وقع فيه مكا" .

(١٢) وهو إزال العذاب على الذين كذبوا برسلمهم من الأمم قبلهم . والمعنى (فهل ينظرون) بعد تكذيبك إلا أن يترل بهم العذاب مثل الذى تزل بن قبلهم من مكذبى الرسل . جمل استقبالم لذلك انتظارا له منهم .

(١٣) بين أن سته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل سته لا يلبثها فى ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لاهالة .

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً <sup>(١١)</sup> وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ <sup>(١٢)</sup> مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ <sup>(١٣)</sup> كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا  
كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظُهُورِهِمْ <sup>(١٤)</sup> مِنْ ذَّاتٍ <sup>(١٥)</sup> وَلَكِنْ يُؤَنِّهِمْ <sup>(١٦)</sup> إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى <sup>(١٧)</sup> فَإِذَا  
جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ <sup>(١٨)</sup> بَصِيرًا ﴿

(١١) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسائرهم إلى الشام وإثني والعراق من آثار  
الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد) من أهل مكة اقتدارا فلم يمحكنوا  
من الفرار .

(١٢) (وما كان الله) ليسبقه ويقوته أى شيء .

(١٣) (إنه كان عليما) بهم قادرا عليهم .

(١٤) بما اقترفوا من المعاصي .

(١٥) على ظهر الأرض لأنه جرى ذكر الأرض في قوله : ( ليعجزه من شيء في السموات  
ولاً في الأرض ) .

(١٦) من نعمة تدب عليها .

(١٧) إلى يوم القيامة .

(١٨) أى لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم . والله الموفق للصواب .

## سورة يس مكية

وهي ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ ١١ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ١٢ إِنَّكَ لَنَ الْمُرْسَلِينَ ١٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ١٥

(١) من ابن عباس رضى الله عنهما : معناه يا إنسان في لغة طي . وعن ابن الحنفية : يا محمد . وفي الحديث : إن الله تعالى سمانى في القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطهوس والمزمل والمذثر وعبد الله . وقيل : يا سيد . (يس) بالإمالة على حمزة وخلف وحماد ويحيى .  
(٢) قسم .

(٣) ذى الحكمة . أولآته دليل ناطق بالحكمة . أولآته كلام حكيم . موصف بصفة المتكلم به .

(٤) جواب القسم . وهورد على الكفار حين قالوا ( لست مرسلًا ) .

(٥) خبر بعد خبر . أو صلة للرسلين . أى الذين أرسلوا ( على صراط مستقيم ) أى طريقة مستقيمة وهو الإسلام .

(٦) بنصب اللام شامئ وكوف غير أبى بكر ، على اقرا ( تنزيل ) أو على أنه مصدر أى نزل ( تنزيل ) . وغيره بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو ( تنزيل ) . والمصدر بمعنى المفعول .

(٧) الغالب بقصاحة نظم كتابه أوهام ذوى السناد .

(٨) انماذب بلطافة معنى خطابه أنهم أول الرشاد .

لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ<sup>(١)</sup> لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيْنَا أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(٢)</sup> إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ<sup>(٣)</sup> وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا<sup>(٤)</sup>

(١) اللام متصل بمعنى (المرسلين) أى أرسلت (تنذرو قوما) .

(٢) (ما) نافية عند الجمهور أى (قوما) غير منذر آبائهم على الوصف بدليل قوله (تنذرو قوما ما أأنهم من نذير من قبلك) (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) . أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى . أى المذاب الذى أنذره آبائهم كقوله (إننا أنذرناكم عذابا قريبا) . أو مصدرية أى تنذرو قوما إنذار آبائهم أى مثل إنذار آبائهم .

(٣) إن جعلت (ما) نافية فهو متعلق بالنفى . أى لم ينذروا (فهم غافلون) . وإلا فهو متعلق بقوله (أأنك لمن المرسلين تنذرو) كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل .

(٤) يعنى قوله (لأغلال جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى متعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر .

(٥) مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى إرضائهم بأن جعلهم كالمفلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يطفئون أعناقهم بنحوه ولا يبطئون رؤسهم له ، وكالحاصبين بين سدين لا يبعثون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى ألا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (إننا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان) معناه فالأغلال وأصله إلى الأذقان ملوزة إليها .

(٦) مرفوعة روعهم يقال قح البعير فهو قاح إذا روى فرقع رأسه ، وهذا لأن طرق النعل الذى فى عنق المفلول يكون فى مقلق طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الذقن فلا يخله يباطع رأسه فلا يزال مقمحا .

(٧) بفتح السين حمزة وعلى وحفص . وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح ، وما كان من خلق الله كالجليل ونحوه فبالضم .

فَاعْشِبْنَهُمْ قَهْمٌ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِعَفْوَ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ ﴿١٩﴾

(١٦) فاعشبتنا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة .

(١٧) فهم لا يبصرون ( الحق والرشاد .

وقيل نزلت في بنى غزوم . وذلك أن أبا جهل حلف أن رأى محمداً صلى ليرضخ رأسه . فأناه وهو يصلى ومعه حجر ليمنعه به فلما رفع يده أنشئت الى عنقه وارتق الحجر بيده حتى فكه عنها بجهد . فرجع الى قومه فآخبرهم . فقال غزومي آخر : أنا أقتله بهذا الحجر . فذهب فأرعى الله بصره .

(١٨) أى سواء عليهم الإنذار وتركه . والمعنى من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار . وروى أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على خيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى تأتب عن قولى فى القدر . فقال عمر : اللهم إن صدق قلبه عليه . وإن كذب فسلط عليه من لا يرحمه . فأخذ هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق .

(١٩) أى إنما يلتفت بإنذارك من أتبع القرآن .

(٢٠) وخاف عقاب الله ولم يره .

(٢١) وهى المغفون ذنوبه .

(٢٢) أى الجنة .

(٢٣) ينبهم بعد عتابهم أو يخرجهم من الشرك الى الإيمان .

(٢٤) ما أسأفوا من الأعمال الصالحات وغيرها .

(٢٥) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه ، أو كتاب صنفوه أو حيس حسوه أو رباط أو مسجد صنعوه . أو سبي كوظيفة وظفها بعض الظلمة . وكذلك كل سنة حسنة ، أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ( يابى الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ) من أعماله وأثر من آثاره . وقيل هى خطاهم الى الجمعة أو إلى الجمعة .

وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ <sup>(١٢)</sup> وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ  
الْقَرْيَةِ <sup>(١٣)</sup> إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ <sup>(١٤)</sup> إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ <sup>(١٥)</sup> <sup>(١٦)</sup> <sup>(١٧)</sup> <sup>(١٨)</sup>

(١١) عددناه وبيّناه .

(١٢) يعنى اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب ومقتضاها .

(١٣) ومثل لهم . من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أى من هذا المثال . وهذه الأشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد . والمعنى ( واضرب لهم مثلا ) مثل أصحاب القرية أى أنطاكية أى اذ كرم قصة عجيبه قصة أصحاب القرية . والمثل الثانى بيان للأول .

(١٤) بدل من أصحاب القرية .

(١٥) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها . بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان .

(١٦) بدل من (إذ) الأولى .

(١٧) أى أرسل عيسى بأمرنا .

(١٨) صادقا وصدوقا . فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنمات له وهو حبيب التجار فقال عن حالهما . فقالا : نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن . فقال : أممكا آية ؟ فقالا : نشفى المريض ، ونبرئ الأكف والأبرص . وكان له ابن مريض مدة ستين . فسحاه فقام . فأمن حبيب . وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير . فدعاهما الملك وقال لهما : ألنا إله سوى آلهتنا ؟ قالوا نعم . من أوجدك وآلهتك . فقال : حتى أنظر فى أمركا . فتبعهما الناس وضر يوهما . وقيل جهسا . ثم بعث عيسى شمعون فدخل متكررا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأئس به . فقال له ذات يوم : بلغنى أنك جبهست رجلا . فهل سمعت قولها ؟ قال لا . فدعاها . فقال شمعون : من أرسلك ؟ قال الله الذى خلق كل شئ ووزق كل شئ وليس له شريك . فقال : صفاه وأوجز ، قال : يفضل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال : وما آيتك ؟ قال : ما يتمنى الملك . فدعا بنام أكمه . فدعوا الله فأبصر النلام . فقال له شمعون : أرايت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون

فَكَذَّبُوهُمَا فَعَمَزْنَا يَمَاسٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿٣٧﴾  
 قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ  
 إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿٣٩﴾

لك وله الشرف؟ قال الملك: ليس لي منك سر. إن إلها لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع.  
 ثم قال: إن قدر إلهك كل إحياء ميت آمننا به. قدعوا بفلاممات من سبعة أيام فقام. وقال  
 إني أدخلت في سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه.  
 فأمنا. وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لمؤلاء الثلاثة. قال الملك  
 ومن هم؟ قال شمعون وهذان فتعجب الملك. فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه  
 قامن وأمن قوم. ومن لم يؤمن صالح عليهم جبريل فهلكوا.

﴿٣٧﴾ فكَذَّبَ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ الرُّسُلَ.

﴿٣٨﴾ فَقَوْمَانِهَا — (فَعَمَزْنَا) أَيْ بَرَكَمِنْ عَزَمَهُ يَزِمُهُ إِذَا غَلَبَهُ. أَيْ فَنَلَبْنَا وَقَهَرْنَا —  
 (يَمَاسٍ) وَهُوَ شَمْعُونُ. وَتَرَكَ ذِكْرَ الْمَفْعُولِ بِهِ لِأَنَّ الْمُرَادَ ذِكْرَ الْمَعْرُوفِ بِهِ وَهُوَ شَمْعُونُ وَمَا لَطَفَ  
 فِيهِ مِنَ التَّنْذِيرِ حَتَّى عَزَّ الْحَقُّ وَذَلَّ الْبَاطِلُ. وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَنْصِبًا إِلَى غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ  
 جُمِلَ سِيَاقُهُ لَهُ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ كَأَنَّ مَا سِوَاهُ مَرْغُوضٌ.

﴿٣٩﴾ أَيْ قَالَ الثَّلَاثَةُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ.

﴿٤٠﴾ أَيْ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ.

﴿٤١﴾ رَفَعَ (بَشَرًا) هُنَا وَنَصَبَ فِي قَوْلِهِ (مَا هَذَا بَشَرًا) لِاسْتِغْنَاءِ النَّفْيِ بِإِلَّا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَيْءٌ  
 يَلِيْسُ وَهُوَ الْمَوْجِبُ لِعَمَلِهِ.  
 ﴿٤٢﴾ أَيْ وَحْيًا.

﴿٤٣﴾ مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَذِبَةٌ.

﴿٤٤﴾ أَكَّدَ الثَّانِي بِاللَّامِ دُونَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ ابْتِدَاءُ إِنْخِبَارٍ وَالثَّانِي جَوَابٌ عَنْ إِنْكَارٍ  
 فَيَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةِ تَأْكِيدٍ. (وَرَبَّنَا يَعْلَمُ) جَارٌ يَجْرِي الْقَسَمُ فِي التَّوَكُّيدِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ شَهِدَ اللَّهُ  
 وَعَلَّمَ اللَّهُ.

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكَ بِكَرِّ لَيْلٍ  
لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكَ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ قَالُوا طَّيَّرُكُمْ  
مَعَكُمْ أَلَيْسَ ذِكْرُكُمْ بِأَنَّكُمْ قَوْمٌ مَّسْرُفُونَ ﴿١٣﴾

(١١) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته .

(١٢) تشامنا بكم ، وذلك أنهم كرهوا دينهم وقررت منه نفوسهم . وعادة الجهال  
أن يَتَمَنَّوْا بكل شيء مالمالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه .  
فإن أصحابهم بلاه أو نعمة قالوا يشؤم هذا وبركة ذلك . وقيل حسب منهم المظر  
فقالوا ذلك .

(١٣) (لئن لم تنتهوا) عن مقالاتكم هذه لقتلنكم أو لنطرذنكم أو لنشتمنكم وليصيبنكم  
مذاب النار وهو أشد عذاب .

(١٤) أى سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر .

(١٥) همزة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي . (أين) همزة مدودة بعدها ياء مكسورة  
أبو عمرو . و(أين) همزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى وثانع .

(١٦) وعظمت ودعيت إلى الإسلام وجواب الشرط مضمرة . وتقديره تطيئتم . (ذكرتم)  
بالتخفيف يزيد .

(١٧) مجاوزون الحد في العصيان . فمن ثم أناكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله  
وتذكيرهم . أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم وفيكم حيث تشاءمون بمن يجب التبرك به من  
رسل الله .



وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ آتِيْعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾  
 آتِيْعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ  
 الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرَدَّنْ  
 الرُّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٤﴾ إِنِّي إِذَا  
 لِنَفْسٍ ضَلَّالٍ مُبِينٍ ﴿٥﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٦﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿٧﴾

(١) وجاء من أقصى المدينة رجل هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال : أتسالون على ما جئتم به أجرا ؟ قالوا لا . ( قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا ) على تبليغ الرسالة ( وهم مهتدون ) أى الرسل . فقالوا : أو أنت على دين هؤلاء ؟ فقال ( وما لى لا أعبد الذى فطرنى ) خلقنى ( وإليه ترجعون )

(٢) همزة كوفى .

(٣) بنى الأصنام .

(٤) ( إن يردن الرحمن بضراً ) شرط جوابه ( لا تنن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ) من مكروه . ( ولا ينقذونى فاسمعونى ) فى الحالين يعقوب .

(٥) أى اذا اتخذت .

(٦) ظاهر بين .

(٧) لما نصيح قومه أخذوا يرجونه فأصرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم ( إنى آمننت بربكم فاسمعون ) أى اسمعوا إسرائى لتشهدوا لى به . ولما قتل ( قيل ) له ( ادخل الجنة ) وقبره فى سوق أنطاكية . ولم يقل قيل له لأنت الكلام سبق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما . وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة . وقال الحسن : لما أراد القوم أن يقتلوه رقهه الله إليه وهو فى الجنة ولا يموت ألا بفناء السموات والأرض .

قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ ﴿١٢﴾  
وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿١٣﴾ إِنْ  
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خُمُودٌ ﴿١٤﴾ يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ  
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرِهَ اللَّهُ قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ

(١١) فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) أي بمغفرة  
ربي لي أو بالذي غفر لي (وجعلني من المكرمين) بالجنة .

(١٢) (ما) نافية. (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أي من بعده قتلته أو رفعه (من جند من السماء)  
لتعذيبهم (وما كنا منازين) وما كان يصح في حكمتنا أن نزل في إهلاك قوم حبيب جندا  
من السماء ، وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة  
اقتضت ذلك .

(١٣) (إن كانت) الأخذة أو العقوبة (إلا صيحة) صاح جبريل عليه السلام صيحة (واحدة)  
فإذا هم خامدون (ميتون كما تمخض النار . والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم يزل  
لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخنديق .

(١٤) الحسرة شدة الندم . وهذا نداء الحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من  
أحوالك التي حقت أن تحضري فيها وهي حال استنزائهم بالرسول . والمعنى أنهم أحقاء بأن  
يقتصر عليهم المتحسرون ويتلهف كل عالم المتلهفون . أو هم متحسرون عليهم من جهة الملائكة  
والمؤمنين من الثقلين .

(١٥) ألم يعلموا .

(١٦) (كم) نصب بأهلكوا. و(روا) معلق عن العمل في (كم) لأن (كم) لا يعمل فيسا  
طامل قبلها كانت للاستفهام أو الخبر لأن: صليها الاستفهام. إلا أن معناه نافذ في الجملة .

أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ <sup>(١١)</sup> وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ <sup>(١٢)</sup>  
 وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا <sup>(١٣)</sup> وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَسُوا أَكْثَرَ <sup>(١٤)</sup>  
 وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتَيْنِ مِنْ نَحْلٍ <sup>(١٥)</sup> وَنَخِيلٍ <sup>(١٦)</sup> وَأَعْنَبٍ <sup>(١٧)</sup> وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ <sup>(١٨)</sup>

<sup>(١١)</sup> بدل من (كم أهلكنا) على المعنى لا على اللفظ، تقديره (الم يروا) كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم .

<sup>(١٢)</sup> (لما) بالتشديد شاعى وعاصم وحزمة بمعنى إلا (وإن) نافية . وضريحهم بالتخفيف على أن (ما) صلة للتأكيد (وإن) غفقة من الثقيلة . وهى مثقلة اللام لا عالة . والتثوين فى (كل) عوض من المضاف إليه . والمعنى إن كلهم محشورون مجموعون محضرون للساب أو معذبون . وإتينا أخيراً عن كل يجمع لأن "كل" يفيد معنى الإحاطة . والجمع فاعل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع . يعنى أن المحشر يجمعهم .

<sup>(١٣)</sup> (آية لهم) مبتدأ وخبر . أى علامة تدل على أن الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميتة . ويصور أن يرتفع (آية) بالابتداء و(لهم) صفتها وخبرها (الأرض الميتة) اليابسة . وبالتشديد مدنى .

<sup>(١٤)</sup> (أحييناها) بالمطر . وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية . وكذلك (نسلخ) . ويجوز أن توصف (الأرض) و(الليل) بالفعل لأنه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل بأعيانهما . فعولاً معاملة التكرار فى وصفهما بالأفعال ونحوه \* ولقد أسر على اللثيم يسئنى \*

<sup>(١٥)</sup> أريد به الجنس .

<sup>(١٦)</sup> قدم الظرف ليدل على أن الحب هو النوى الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنسان . وإذا قل جاء التقطع ووقع الضرر . وإنا فقد حضر الملاك وزل البلاء .

<sup>(١٧)</sup> فى الأرض .

<sup>(١٨)</sup> بسائمين .

<sup>(١٩)</sup> (من) زائدة عند الأخفش . وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتقمون به .

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ سُبْحَنَ الَّذِي  
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

(١١) الضمير لله تعالى ، أى (ليأكلوا) مما خلقه الله من الثمر . وأصله من ثمرنا كما قال  
(وجعلنا . وبقرنا) ففعل الكلام من التكلم إلى النية على طريق الالتفات . ويجوز أن يرجع  
الضمير إلى النخيل وترك الأعتاب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به  
من أكل ثمرة . ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنة كما قال رؤية :

فيها خطوط من بياض وبقى \* كأنه في الجلد توليع البق

فقليل له . يقال أردت كأت ذاك . (من ثمرة) حمزة وعق

(١٢) أى ومما عملته أيديهم من النرس والسقي والتلقيح وغير ذلك من الأعمال إلى  
أن يبلغ الثمر منتهاه . يعنى أت الثمر في نفسه فعل الله وخلق وفيه آثار من كذبى آدم .  
(وما عملت) كوفت غير حفص . وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك ، وفى مصاحف  
أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير . وقيل (ما) نافية على أت الثمر خلق الله ولم عمله  
أيدي الناس ولا يقتلون عليه .

(١٣) استبطاء وحث على شكر النعمة .

(١٤) الإصناف .

(١٥) من النخيل والشجر والزرع والتمر .

(١٦) الأولاد ذكورا وإناثا .

(١٧) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها . ففى الأودية والبحار أشياء  
لا يعلمها الناس .

وَأَيُّهُ لَمُ أَلِيلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَالشَّمْسُ  
تَجْرِي لِمْسْتَقَرِّهَا ﴿١٣﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٤﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ ﴿١٥﴾  
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿١٦﴾

(١٢) نخرج منه النهار إنجاء لا يبقى معه شيء من ضوء النهار . أو نزع عنه الضوء نزع  
القميص الأبيض فيعري نفس الزمان كشخص زنجي أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض  
من الهواء الظلمة لا تكتفى بعضه ضوء الشمس كييت مظلم أسرج فيه فإذا غاب السراج اظلم.  
(١٦) داخلون في الظلام .

(١٣) (و) آية لم (الشمس تجري) لحادث لها مؤقت مقدر تنهى إليه من فلحها في آخر  
السنة . شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره . أو لحادث لها من مسيرها كل يوم في صرائي حيوتنا  
وهو المغرب . أو لانتهاه أمرها عند انقضاء الدنيا .

(١٤) (ذلك) الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته  
على كل مقدور (العلم) بكل معلوم .

(١٥) (القمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) . وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو ومهل على  
الابتداء والخبر (قدرناه) أو على وآية لم القمر .

(١٦) وهي ثمانية وعشرون منزلاً يزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر  
عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ، ثم يستمر ليبتين أولية إذا  
نقص الشهر . ولا بد في (قدرناه منازل) من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر  
منازل . أى قدرناه نوره فيزيد وينقص أو قدرناه مسيره (منازل) فيكون ظرفاً .

(١٧) فإذا كان في آخر منازل دق واستقوس (حتى عاد كالرجون) — وهو عود الشعراخ  
إذا يس وأعوج . ووزنه فلون من الانحراج وهو الانعطاف — (القديم) المتين المحلول  
وإذا قدم دق وانحنى واصغر . فشبه القمر به من ثلاثة أوجه .

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ  
يَسْبَحُونَ ﴿٣١﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُورِ ﴿٣٢﴾  
وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ  
لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقُلُونَ ﴿٣٤﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمُنْعًا لَكَ حِينٍ ﴿٣٥﴾

(٣١) أى لا ينبغي لها ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره . لأن لكل واحد من النيران سلطانا على حاله . فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل . ولا يسبق الليل النهار . أى آية الليل آية النهار . وهما النيران . ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها .

(٣٢) التوئين فيه عوض من المضاف إليه أى وكأهم . والضمير للشعوس والأفلاك .

(٣٣) يسبحون .

(٣٤) (آية لهم أنا حملنا ذرياتهم) — مدنى وشامى — (في الفلك) الملوء . والمراد بالذرية الأولاد ومن يهيمهم حمله . وكانوا يعثونهم إلى التجارات في بر أو بحر . أو الآباء لأنهم من الأضداد . والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام . وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آبائهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم . وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم .

(٣٥) (وخلقنا لهم) من مثل الفلك (ما يركبون) من الإبل . وهى سفائن البر .

(٣٦) (وإن نشأ نفرقهم) في البحر فلا مفيت أو فلا إغاثة (لهم ولا هم) ينجون إلا لرحمة منا ونتج بحياة إلى انقضاء الأجل . فهما منصوبان على المفعول له .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ  
 تُرْحَمُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا  
 مُعْرِضِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا  
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَسَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ  
 مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ مَا يَنْظُرُونَ

(١) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أتم تعملون من بعد . أو من مثل الوقائع التى  
 ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفهم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة .

(٢) فتكونوا على رجاء رحمة الله .

وجواب (إذا) مضمرة أى أعرضوا . وجاز حذفه لأن قوله (وما تأتيتهم من آية من آيات  
 ربهم إلا كانوا عنها معرضين) يدل عليه .

(٣) (من) الأولى لتأكيد النفي ، والثانية للتبويض . أى ودأبهم الإعراض عند كل آية  
 وموعظة .

(٤) لمشركي مكة .

(٥) أى تصدقوا على الفقراء .

(٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين  
 قالوا : لا والله ! أيفقره الله ونظمه نحن ؟

(٧) قول الله لهم . أو حكاية قول المؤمنين لهم . أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين .

(٨) أى وعد البعث والقيامة .

(٩) (إن كنتم صادقين) فيما تقولون . خطاب للنبي وأصحابه .

(١٠) ينتظرون .

إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ<sup>(١)</sup> فَلَا يَسْتَطِيعُونَ<sup>(٢)</sup>  
تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ<sup>(٣)</sup> وَنُفِخَ فِي الصُّورِ<sup>(٤)</sup> فَإِذَا هُمْ مِنَ  
الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ<sup>(٥)</sup> قَالُوا<sup>(٦)</sup> يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعَثَنَا<sup>(٧)</sup> مِنْ  
مَرْقَدِنَا<sup>(٨)</sup> هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ<sup>(٩)</sup> إِنْ كَانَتْ<sup>(١٠)</sup>  
الْآخِرَةُ<sup>(١١)</sup>

(١) هي النفخة الأولى .

(٢) حمزة يسكون الخاء وتحفیف الصاد من خصمه إذا ظله في الخصومة . وشدد الباقون  
الصاد أى يخصمون بادغام التاء في الصاد . لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة إليها ،  
ويسكون الخاء مدنى ، ويكسر الياء وانحاء يحيى ، فاتبع الياء الخاء في الكسر ، وفتح الياء وكسر  
الخاء فيهم . والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم .

(٣) ( فلا يستطيعون ) أن يوصوا في شيء من أمورهم ( توصية ) ولا يقدرون  
على الرجوع إلى منازلهم . بل يموتون حيث يسمعون الصيحة .

(٤) هي النفخة الثانية . والصور القرن ، أو جمع صورة .

(٥) أى القبور .

(٦) يموتون بكسر السين وضمها .

(٧) أى الكفار .

(٨) من أنشأنا .

(٩) أى مضجعنا . وقف لازم عن حفص . وعن مجاهد " للكفار مضجعة يحدون فيها

طعم النوم . فإذا أصبح بأهل القبور قالوا ( من بعثنا ) " .

(١٠) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيئون به  
أنفسهم أو بعضهم بعضا . و ( ما ) مصدرية . ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين  
على تسمية الموعود والمصدق فيه بالوعد والصدق . أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده  
الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون .

(١١) النفخة الأخيرة .



إِلَّا صَبَاحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿١١﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ  
نَفْسٌ شَيْعًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ  
فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿١٣﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكَبِرُونَ ﴿١٤﴾  
لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿١٥﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿١٦﴾

(١١) محضرون) للحساب .

(١٢) ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم . (شغل) بضمتين كوفي وشاعى ، وبضمة وسكون  
متكى ونافع وأبو عمرو . والمعنى (في شغل) في أى شغل وفي شغل لا يوصف . وهو اختصاص  
الأبطال ، على شطأ الأنهار ، تحت الأشجار . أو ضرب الأوتار . أو ضيافة الجبار .

(١٣) خبر ثان (فكاهون) يزيد . والفاكه والفكه المتمتع المتلذذ . ومنه الفاكهة لأنها  
تتَلَذَّذُ به . وكذا الفكاهة .

(١٤) مبتدأ .

(١٥) عطف عليه .

(١٦) حال جمع ظلّ . وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس . كذئب وذئاب . أو جمع  
ظُلَّةٍ كبيرة وبرام . دليله قراءة حمزة وعلى (ظَلَّلَ) جمع ظُلَّةٍ . وهى ما سترك عن الشمس .

(١٧) جمع الأريكة وهى السرير فى الجملة أو الفراش فيها .

(١٨) خبر . أو (فى ظلال) خبرو (على الأرائك) مستأنف .

(١٩) يقتلون من الداء . أى كل ما يدعو به أهل الجنة بأنهم . أو يبتغون من قولهم  
”ادع على ما شئت“ أى تمنه على . عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون .

(٢٠) (سلام) بدل مما يدعون . كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) . والمعنى  
أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بنير واسطة تمظيا لهم . وذلك متممهم ولهم ذلك  
لا يعمونه . قال ابن عباس ”والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين“ .

وَأَمْنَزُوا الْيَوْمَ أَيَّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿١١﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَلْبَنِي ءَادَمَ  
 أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَأَن أَعْبُدُونِي  
 هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا  
 أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٥﴾  
 أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ

(١١) وأفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة . وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم  
 إلى الجنة . ومن الضحك : لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبنا .

(١٢) يقول لهم يوم القيامة (ألم أعهدهم) المهاد الوصية . وعهد إليه إذا وصاه . وعهد الله  
 إليهم ما ذكره فيهم من أدلة العقل ، وأزل عليهم من دلائل السمع . وعبادة الشيطان طاعته فيما  
 يوسوس به إليهم وزينه لهم .

(١٣) وحسنوني وأطيعوني .

(١٤) إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان ، وطاعة الرحمن .

(١٥) أي صراط يبلغ في استقامته ولا صراط أقوم منه .

(١٦) بكسر الجيم والياء والتشديد مدني وعاصم وسهل (جبل) بضم الجيم والياء والتشديد  
 يعقوب (جبل) مخففا شامي وأبو عمرو (جبل) بضم الجيم والياء وتخفيف اللام غيرهم . وهذه  
 لغات في معنى الخلق .

(١٧) استفهام تدرج على تركهم الانتفاع بالعقل .

(١٨) (توعدون) بها .

(١٩) أدخلوها بكفركم وإنكاركم لها .

(٢٠) أي تمنعهم من الكلام .

وَتَكَلَّمْنَا إِلَيْهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا  
عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى  
مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿١٣﴾ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نَنْكِسْهُ فِي الْخَلْقِ

(١١) يروى أنهم يصعدون ويخاضعون . للتعبد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائهم .  
فيحلفون ما كانوا مشركين . لحلفهم بيمينهم على ألواحهم وتكلم أيديهم وأرجلهم . وفي الحديث  
”يقول العبد يوم القيامة إني لا أجزى على ألا شاهدا من نفسي، فيعتم على فيه ويقال لأركانها  
انطق . فتتطرق بأعمالهم ثم يحل بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لك وصفا . فتكلم كنت  
أناضل“ .

(١٢) لأعينهم وأذهينا أبصارهم . والطمس تعفية شق العين حتى تعود بمسوحة .

(١٣) على حلف الجواز وإيصال الفعل . والأصل فاستبقوا إلى الصراط .

(١٤) فكيف (يُصِرُونَ) حيلث وقد طمسنا أعينهم .

(١٥) (لمسخناهم) قرودة أو خنازير أو حجارة .

(١٦) (على مكاناتهم) أبو بكر وحماد . والمكانة المكان واحد كالمقام والمقام . أي

(لمسخناهم) في منازلهم حيث يجتمعون المسام .

(١٧) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء . أو (مضيا) أمامهم (ولا يرجعون) خلفهم .

(١٨) (ننكسها) حاصم وحمزة . والتنكيس جعل الشيء أعلاه أسفله . الباقون (ننكسها  
في الخلق) أي قلبه فيه . بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب  
هرما . وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده ، وخلق من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد إلى أن  
يبلغ أشده ويستكمل قوته ويقبل ويعلم ماله وما عليه . فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه  
يتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم .  
كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله . قال عز وجل (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا  
يعلم من بعد علم شيئا) .

أَفَلَا يَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup> وَمَا عَلَّمْتَهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ<sup>(٢)</sup> إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ<sup>(٣)</sup>

(١) (أفلا يقولون) أن من قدر على أن يقلعهم من الشباب إلى الهرم ، ومن القوة إلى الضعف ، ومن راحة العقل إلى الخوف وقلة التمييز ، قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسحهم على مكاتهم ويمسحهم بعد الموت . وبالتالي مدنى وسيقوب وسهل .

(٢) كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فقتل . أى وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعراء . أو (وما علمناه) بتعليم القرآن (الشعر) على معنى أن القرآن ليس بشعر . فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى . فإين الوزن وأين التقفية ؟ فلا مناسبة بينه وبين الشعر إنا حققته .

(٣) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه . أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يثأت له ولم يتسمل كما جعلناه أنثياً لا يتدى إلى الخط لتكون المجعة أثبت والشبهة أدهى . وأما قوله :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كُذِبَ • أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

وقوله هل أنت إلا أصبع دمية • وفى سبيل الله ما لقيت

فما هو إلا من جنس كلامه الذى كان يرى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه أنفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزوناً كما يتفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعراً لأن صاحبه لم يقصد الوزن . ولا يد منه . على أنه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباب فى كذب وخفض الباب فى المطلب .

(٤) لما نرى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إن هو) أى المعلم (إلا ذكر وقرآن مبين) . أى ما هو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنسان والجن وما هو إلا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب وينزل فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين . فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين .

لَيَنْذِرَنَّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا  
خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿١٥٠﴾ وَذَلَّلْنَاهَا  
لَهُمْ فَنَبَّاهُمْ رُكُوبَهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ  
أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٥٣﴾

(١٤٩) لينذر (القرآن أو الرسول) . (لتنذر) مدنى وشامى وسهل ويسقوب .

(١٥٠) عاقلا متأملين لأن الغافل كاليت ، أو حيا بالقلب .

(١٥١) ويحب كلمة العذاب .

(١٥٢) الذين لا يتأقنون وهم فى حكم الأموات .

(١٥٣) أى مما تولىنا نحن إلهنا ولم يقدر على توليه غيره .

(١٥٤) أى خلقناها لأجلهم فلنكافأهم فهم متصرفون فيها تصرف المالك مختصون  
بالاستفاد بها ، أو فهم لها ضابطون قاهرون .

(١٥٥) وصيرناها مقادير لهم وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تدليله تعالى وتسفيره لها .  
ولهذا ألزم الله سبحانه الركب أن يشكر هذه النعمة ويستجيب بقوله ( سبحان الذى تفرقنا هذا  
وما نكأ له مقرين ) .

(١٥٦) وهو ما يركب .

(١٥٧) أى يتفرقنا لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها .

(١٥٨) من الجلود والأوبار وغير ذلك .

(١٥٩) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب .

(١٦٠) ( أفلا يشكرون ) الله على إتمام الأنعام .

(١٦١) أى لعل أصنامهم تنصرهم إذا حز بهم أمر .

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٣﴾ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ  
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٤﴾

(١) أى آلهتهم .

(٢) نصر عابديهم .

(٣) أى الكفار لأصنام أعوان وشيعة يخدمونهم ويدبّون عنهم . أو المخلوهم لينصروهم  
عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معلّون لهم  
محضرون لهذا بهم لأتهم يسمعون وقود النار .

(٤) وبضم الياء وكسر الزاى نافع . من حزنه وأحزنه . يعنى فلا يهكم تكذيبهم وأذاهم  
وجفائهم . (إنا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وإنا مجازوهم عليه . خلق مثلك أن  
يتسلّى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينتشع عنه الهم  
ولا يرهقه الحزن . ومن زعم أنك من قرأ (إنا نعلم) بالفتح فسدت صلاته وإن اعتقد بمنه كفر ،  
فقد أخطأ لأنه يمكن حمله على حذف لام التعليل . وهو كثير في القرآن والشعر وفي كلّ كلام .  
وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا الحمد والنعمة لك" . كسر أبوحنيفة وفتح الشافعي  
رحمة الله عليهما . وكلاهما تعليل . فإن قلت إن كان المفتوح بدلا من (قولهم) كأنه قيل (فلا يحزنك)  
أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ، ففساده ظاهر . قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها  
مفعولة للقول . فقد تبين أنك تملأ الحزن بكون الله علما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن  
وفتحها . وإنما يدوران على تقديرك ، تفصل إن فضحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى  
البدل . كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ، ثم إن قترته  
كسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل ، لما فيه ألا ينهى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عن الحزن على علمه تعالى بمرهم وعلايتهم والنهى عن حزنه ليس إثباتا لحزنه بذلك . كما  
في قوله (فلا تكون ظهيرا للكافرين . ولا تكون من المشركين . ولا تدع مع الله إلها آخر) .

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿١﴾  
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٢﴾  
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

(١) (من نطفة) منة خارجة من الإحليل الذي هو قناة التجماسة. نزل في أبي بن خلف حين أخذ صطفاً بالياً وجعل يفتنه بيده ويقول: يا محمد أنزى الله يحيي هذا بعد ما رمى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، وببئسك ويدخلك جهنم.

(٢) بين الخصومة. أي فهو حل مهانة أصله ودنائة أوله يتصدى للخاصمة ربّه وينكر قدرته على إحياء الميت بعد ما رمى عظامه. ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصفة به. وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشائه من موات. وهو غاية المكابرة.

(٣) (وضرب لنا مثلاً) بفتنه العظم (ونسى خلقه) من المني فهو أغرب من إحياء العظم. المصدر مضاف إلى المفعول أي خلقنا إياه.

(١) هو اسم لما إلى من العظام، غير صفة كالرمة والرفات. ولعلنا لم يؤث وقد وقع خبراً مؤث. ومن يثبت الحياة في العظام ويقول إن عظام الميت نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحملها، يتشبهت بهذه الآية. وهي عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب، لأن الحياة لا تحملها فلا يؤثر فيها الموت. والمراد بإحياء العظام في الآية ردّها إلى ما كانت عليه فضة رطبة في بدن حي حساس.

(٥) خلقها.

(٦) أي ابتداء.

(٧) مخلوق.

(٨) لا تخفى عليه أجزأه وإن تفرقت في البر والبحر ليجمعه ويبدله كما كان.

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ ﴿١١﴾  
 أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ  
 مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا  
 أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٣﴾

(١١) (توقدون) تقدحون . ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به . وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المَرِخِ والعَفَارِ . وفي أمثالهم "في كل شجر نار واستجد المَرِخِ والعَفَارِ" لأن المَرِخِ شجر سريع الوري . والعَفَارِ شجر تقدح منه النار . يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المَرِخِ — وهو ذكر — على العَفَارِ — وهي أنثى — فتندح النار بإذن الله . عن ابن عباس رضي الله عنهما "ليس من شجرة إلّا وفيها النار إلّا النَّابِ" لمصلحة الدق للنَّابِ . فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر ، قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر . وإجراه أحد الضمّنين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب . والأخضر على اللفظ . وقرئ الخضراء على المعنى . ثم بين أن من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر بقوله ( أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ) في الصغر بالإضافة إلى السموات والأرض . أو أن يمدحهم لأنّ المعاد مثل للبندأ وليس به .

(١٢) أي قل ( بلى ) هو قادر على ذلك ( وهو ) الكثير المخلوقات ، الكثير المعلومات ( إنّا ) شأنه ( إنّا أراد ) أن يكون ( شيئاً أن يقول له كن ) فيحدث . أي فهو كائن موجود لا محالة . فالخلاصة أن المكونات بتخليقه وتكوينه . ولكن مبرر عن إيجادها بقوله ( كن ) من غير أن كان منه كاف ولون ، وإنما هو بيان لسرعة



فَسُبْحَنَّ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣١﴾

الإيجاد كأنه يقول كما لا يتقل قول (كن) عليكم ، فكذا لا يتقل على الله ابتداء الخلق وإعادتهم . (فيكون) شأى وعلى عطف على (يقول) . وأما الرفع فلا تأمل جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي (أمره أن يقول له كن) .

﴿٣١﴾ تزيه بما وصفه به المشركون وتجييب من أن يقولوا فيه ما قالوا .

﴿٣٢﴾ أى ملك كل شيء . وزيادة الواو والتاء للبالغة . يعنى هو مالك كل شيء .

﴿٣٣﴾ تعادون بعد الموت بلا فوت (ترجعون) يعقوب . قال عليه الصلاة والسلام "إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس . من قرأ يس يريد بها وجهه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كما تأمراً قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة" وقال عليه السلام "من قرأ يس أمام حاجته قضيت له" وقال عليه السلام "من قرأها إن كانت جائعاً أشبعه الله ، وإن كان ظمآن أرواه الله ، وإن كان غريباً ألبسه الله ، وإن كان خائفاً أطمئنه الله ، وإن كان مستوحشاً آانسه الله ، وإن كان فقيراً أغناه الله ، وإن كان فى السجن أخرجته الله ، وإن كان أسيراً خلصه الله ، وإن كان ضالاً هده الله ، وإن كان مدينوناً قضى الله دينه من خزائنه" . وتدعى الدافعة والمقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة . والله أعلم .

## سورة الصافات مكية

وهي مائة وإحدى أو اثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۖ فَالْزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۖ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۚ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ  
لَوَحِيدٌ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ رَبُّ الْمَشْرِقِ ۚ

(١) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقسامها في الصلاة (فالزاجرات) السحاب سوقا ، أو عن المعاصي بالإلهام (فالتاليات) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها . وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد . أو بنفوس العلماء الهال الصافات أقسامها في التهجد وسائر الصلوات (فالزاجرات) بالمواظع والنصائح (فالتاليات) آيات الله والدارسات شرائعه . أو بنفوس الفزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وترجع الخيل للجهاد وتبلى الذكر مع ذلك . و (صفا) مصدر مؤكد . وكذلك (زجرا) والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل تفيد الفضل للصف ثم للزجريم للتلاوة أو على العكس .

(٢) جواب القسم . قيل هو جواب قولهم (أجعل الآلهة إلها واحدا) .

(٣) خبر بد خبر . أو خبر مبتدأ محذوف . أي هو (رب) .

(٤) أي مطالع الشمس وهي ثلثمائة وستون مشرقا . وكذلك المغارب . تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب . ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين . وأما (رب) المشرقين ورب المغربين فإنه أراد مشرق الصيف والشتاء وغربيهما ، وأما (رب المشرق والمغرب) فإنه أراد به الجهة . فالمشرق جهة والمغرب جهة .

إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٢١﴾ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ ﴿٢٣﴾

(١١) القوي منكم . تأييد الأدنى .

(٢١) حفص وحمزة على البذل من (زينة) . والمعنى (إنا زيننا السماء الدنيا) بالكواكب . (بزينة الكواكب) أبو بكر على البذل من محل (بزينة) أوصل إضمار أعني . أو حل إعمال المصدر متوفا في المفعول . (بزينة الكواكب) غيرهم بإضافة المصدر إلى الفاعل . أى إن زانتها الكواكب . وأصله بزينة الكواكب . أو على إضاخه إلى المفعول أى إن زان الله الكواكب وحسبنا لأنها إنما زينت السماء لحسنا في أنفسها . وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبي بكر .

(٢٢) محمول على المعنى ، لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب بزينة السماء (وحفظا) من الشياطين ، كما قال (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) أو الفعل المثلل مقدر كأنه قيل (وحفظا من كل شيطان) قد زينها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا .

(٢٣) خارج من الطاعة .

(٢٤) (لا يسمعون) الضمير ل (كل شيطان) لأنه في معنى الشياطين . (يسمعون) كوفي غير أبي بكر . وأصله يسمعون . والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع . ويغنى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرُونَ أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يسمعوا . وقيل أصله لئلا يسمعوا . لحذفت اللام كما حذفت في جنتك أن تكرهني . فبقى ألا يسمعوا لحذفت أن وأهدر عملها كما في قوله \* ألا أيهَذَا الزاجري أحضر الوشى \* وفيه تصف يجب صون القرآن عن مثله ، فإن كل واحد من الحاذقين غير مردود على أفرادده . ولكن اجتماعهما منكر . والفرق بين سمعت فلاتا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه أن المعنى بنفسه يفيد الإدراك ، والمعنى إلى يفيد الإحصاء مع الإدراك .

(٢٥) أى الملائكة لأنهم يسكنون السموات . والإنس والجن هم الملا الأسفل لأنهم سكان الأرض .

(٢٦) يرمون بالشهب .

مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿١١﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ  
الْخِطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٣﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَسَدٌ خَلَقًا أَمْ مَنْ  
خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١٤﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٥﴾

(١١) من جميع جوانب السماء من أى جهة صنعوا للاستراق .

(١٢) مفعول له . أى (ويقذفون) للدحور . وهو الطرد . أو مدحورين على الحال . أو لأت  
النفث والطرد متقاربان فى المعنى ، فكأنه قيل يدحرون أو قذفوا .

(١٣) دائم من الوصوب . أى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب . وقد أعد لهم  
فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع .

(١٤) (من) فى محل الرفع بدل من الواو فى (لا يسمعون) أى لا يسمعون الشياطين إلا الشيطان  
الذى (خطف الخطفة) أى سلب السلبه . يعنى أخذ شيئاً من كلامهم بسرعه (فاتبعه)  
لحقه (شهاب) أى نجم رجم (ثاقب) مضى .  
(١٥) فاستخبر كفار مكة .

(١٦) أى أقوى خلقاً من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة ، أو أصعب خلقاً وأشقّه ، على  
معنى الرد لإنكارهم البعث ، وأت من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه  
اختراعها كان خلق البشر عليه أهون .

(١٧) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما . ووجه بمن  
تغليبا للعلاء على غيرهم . ويبدل عليه قراءة من قرأ (أم من عددنا) بالتشديد والتخفيف .  
(١٨) لاصق أو لازم . وقرئ به . وهذا شهادة عليهم بالضعف . لأن ما يصنع من الطين  
غير موصوف بالصلابة والقوة . أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب ،  
فإن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا (ألنا نحن ربنا) ؟ وهذا المعنى يعضده  
ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث .

(١٩) (بل عجب) من تكذيبهم إياك (ويسخرون) هم منك ومن تعجبك . أو (عجبت)  
من إنكارهم البعث (و) هم (يسخرون) من أمر البعث (بل عجب) حمزة (عل) أى استعظمت .

وَإِذَا دُكُّوا لَا يَدْكُرُونَ<sup>(١)</sup> وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ<sup>(٢)</sup> وَقَالُوا  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ<sup>(٣)</sup> أَوْ هَذَا مِتْنَا<sup>(٤)</sup> وَكَا تَرَابًا وَعِظْلًا<sup>(٥)</sup> أَوْنَا لَمُبْعُونُ<sup>(٦)</sup>  
أَوْ أَبَاؤُنَا<sup>(٧)</sup> أَلَاؤُلُونُ<sup>(٨)</sup> قُلْ نَعَمْ<sup>(٩)</sup> وَأَنْتُمْ دَارِحُونَ<sup>(١٠)</sup> فَأَمَّا هِيَ زَبْرَةٌ<sup>(١١)</sup> وَاحِدَةٌ

والعجب روعة تترى الإنسان عند استعظام الشيء، يفرّد لمعنى الاستعظام في حقه تعالى لأنه لا يجوز عليه الروعة . أو معناه قل يا محمد ( بل عجت ) .

(١) ودأبهم أنهم إذا عطلوا بشيء لا يتعطلون به .

(٢) معجزة كانشقاق القمر ونحوه .

(٣) يستدعى بعضهم بعضاً أن يسخر منها . أو يبالغون في السخرية .

(٤) ما ( هذا إلا سحر مبين ) ظاهر .

(٥) استفهام إنكار .

(٦) أى أتيت إذا كثر تراباً وعظاماً .

(٧) معطوف على محلّ إنك واسمها ، أو على الضمير في ( مبعوثون ) والمعنى أبيعث أيضاً  
آبائنا على زيادة الاستبعاد . يمتنون أنهم أقدم . فيعظم أبعد وأبطل ( أو آباؤنا ) يسكون  
الواو مدني وشاعى . أى أبيعث واحد متناً على المبالغة في الإنكار .

(٨) الأقدمون .

(٩) ( نعم ) تبعتون . ( نعم ) على . وهما لفتان .

(١٠) صاغرون .

(١١) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان كذلك فما هي ( زبرة واحدة ) . وهي  
لا ترجع إلى شيء أعما هي مبهمة موضحها خبرها . ويجوز فلأما البعثة ( زبرة واحدة ) وهي  
النفخة الثانية . والزبرة الصبيحة . من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليهم .

فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١١﴾ وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿١٢﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي  
كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٤﴾  
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْلُكُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ ﴿١٥﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿١٦﴾

(١١) (فإذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم .

(١٢) الويل كلمة يقولها القاتل وقت المهلكة .

(١٣) أى اليوم الذى فلان فيه ، أى يجازى بأعمالنا .

(١٤) (هذا يوم) القضاء—والفرق بين فرق الهدى والضلال—(الذى كنتم به تكذبون).  
ثم يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) إلى قوله (احشروا) من كلام الكفرة بعضهم مع بعض ،  
وأن يكون من كلام الملائكة لهم ، وأن يكون (يا ويلنا هذا يوم الدين) من كلام الكفرة  
(وهذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جواباً لهم .

(١٥) خطاب الله للملائكة .

(١٦) كفروا .

(١٧) أى وأشبهائهم وقرنائهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات . والواو بمعنى مع .  
وقيل للمطف . وقرئ بالرفع عطفاً على الضمير (ظلموا) .

(١٨) أى الأصنام .

(١٩) دلّوهم ، عن الأصمى . هديته في الدين هدى وفى الطريق هداية .

(١٠٠) طريق النار .

(١١١) احسوهم .

(١١٢) (مسئولون) عن أفعالهم وأعمالهم .

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿١١﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ ﴿١٢﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ  
 عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿١٤﴾  
 قَالُوا بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ  
 بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿١٦﴾ حَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاقُونَ ﴿١٧﴾

(١١) أى لا ينصر بعضهم بعضاً ، وهذا توخي لم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا . وقيل هو جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر (نحن جميع متصر) . وهو في موضع التصب على الحال . أى (مالك) غير متناصرين .

(١٢) متقادون . أو قد أسلم بعضهم بعضاً وغلبه عن عجز . فكأنهم مستسلم غير متصر .

(١٣) أى التابع على المتبوع .

(١٤) يتخاصمون .

(١٥) أى الإلتحاق للتبوعين .

(١٦) عن القوة والقهر . إذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش . أى أنكم كنتم تحملونا على الضلال وتفسروننا عليه .

(١٧) أى الرؤساء .

(١٨) أى بل أيقنتم أتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكينكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين .

(١٩) تسلط تسليكم به تمكينكم واختياركم .

(٢٠) بل كنتم قوما مختارين الطغيان .

(٢١) فلزمنا جميعاً .

(٢٢) يعنى وعيد الله بأننا ذائقون لعذابه لأعماله بجالنا . ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم . ونحوه قوله : \* فقد زعمت هوازن قل مالى \* ولو حكى قولها لقال قل مالك .

فَأَعْوَبْتُمْ<sup>(١)</sup> إِنَّا كُنَّا عَنِيرِينَ<sup>(٢)</sup> ﴿١﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ<sup>(٣)</sup> ﴿٢﴾  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ<sup>(٤)</sup> ﴿٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ  
 إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ<sup>(٥)</sup> ﴿٤﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا<sup>(٦)</sup> إِلَهَ الْهِنَا لِشَاعِرٍ<sup>(٧)</sup> تَجْنُونَ<sup>(٨)</sup> ﴿٥﴾  
 بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ<sup>(٩)</sup> ﴿٦﴾ إِنَّكَ لَدَاقُوا<sup>(١٠)</sup> الْعَذَابِ<sup>(١١)</sup> الْأَلِيمِ<sup>(١٢)</sup> ﴿٦﴾  
 وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(١٣)</sup> ﴿٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ<sup>(١٤)</sup> ﴿٨﴾  
 أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ<sup>(١٥)</sup> ﴿٩﴾ فَوَاكِهِ<sup>(١٦)</sup>

(١) (فاغوبناكم) فدموناكم إلى النى (إننا كنا غاوين). فاردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا.

(٢) فإنا كذا (الأتباع والمتبوعين جميعاً يوم القيامة) (في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في النواية.

(٣) أى بالمشركين. (إننا) مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم.

(٤) (إنهم كانوا) إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الشرك.

(٥) بهمزتين شامى وكوفى.

(٦) يستنون عجباً عليه السلام.

(٧) ردة على المشركين.

(٨) كقولهم (مصلطاً لى بين يديه).

(٩) بلاز يادة.

(١٠) (المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى. وكذا ما بعده. أى لكن عباد الله — على الاستثناء المقطع — (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فمسر الرزق المعلوم بالقواكه. وهى كل



وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿١٦﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٧﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٨﴾  
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٩﴾ بَيَّضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٢٠﴾  
لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٢١﴾

ما يتلذذ به ولا ينقُوت لحفظ الصحة . يعنى أنَّ رزقهم كله فواكه لأنهم مستفنون عن حفظ الصحة بالأقوات ، لأنَّ أجسادهم محمكة مخلوقة للأبد ، لما يأكلونه للتلذذ . ويعوز أن يراد ( رزق معلوم ) منوع بخصائص خلق عليها من طيب علم ورأعة ولذة وحسن منظر . وقيل معلوم الوقت كقوله ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) والنفس إليه أسكن .

(١٦) (وهم) منعمون (في جنات النعيم) يجوز أن يكون ظرفا ، وأن يكون حالا ، وأن يكون خبرا بعد خبر . وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للمرور وآنس .

(٢٢) بنير همز أبو عمرو وحمزة في الوقف ، وضميرها بالهمزة . يقال للزجاجة فيها الخمر كأس . وتسمى الخمر نفسها كأسا . ومن الأخفش : كل كأس في القرآن فهي الخمر . وكذا في تفسير ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢٣) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الأرض الظاهر للعيون . وصف بما وصف به الماء لأنه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء . قال الله تعالى ( وأنهار من نهر ) .

(٢٤) صفة للكأس .

(٢٥) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وحيثما ، أو ذات لذة .

(٢٦) أى لا تنتال عقولهم تكفهمور الدنيا . وهو من غاله يفوله غولا إذا أهلكه وأفسده .

(٢٧) يسكرون من ترف الشارب إذا ذهب عقله . ويقال للسكان زريف ومتزوف . (يتزفون) على حمزة ، أى لا يسكرون أولا يتزف شرابهم من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه .

وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَرَفِ عَيْنٌ ﴿١١﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿١٢﴾ فَأَقْبَلَ  
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿١٤﴾  
يَقُولُ أَهَذَاكَ لِمَنَ الْمُصْطَفِينَ ﴿١٥﴾ أَوَذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا  
لَمَدِينُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿١٧﴾ فَأَطْلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾

(١١) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يملحن طرفا إلى غيرهم .

(١٢) جمع عيناء أى نجلاء واسمة العين .

(١٣) مصنون . شبههن ببيض النعام المكنون في الصفاء . وبها تشبه العرب النساء وتسمين  
بيضات الخلدود .

(١٤) (قائِلٌ بعضهم) يعنى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) . عطف على (يطاف عليهم)  
والمعنى يشرون ويبتاعون على الشراب كمادة الشرب . قال :

وما بقيت من اللذات إلّا • أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وطيبهم في الدنيا . إلّا أنه جيء به ماضيا  
على ما عرّف في أخباره .

(١٥) بهمزتين شامخة وكوفيّة .

(١٦) (لِمَنَ الْمُصْطَفِينَ) بيوم الدين .

(١٧) لمجزيون . من الذين وهو الجزء .

(١٨) (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) إلى النار لأريكم ذلك القرين . قيل إن  
في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار . أو قال الله تعالى لأهل الجنة (هل أنتم مطلعون)  
إلى النار فقاموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار .

(١٩) (فأطلع) المسلم (قراه) أى قرينه (في سواد الجحيم) في وسطها .

قَالَ تَلَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَرِدَّيْنِ ۖ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝<sup>(٣)</sup>  
 أَفَأَنْ تَحْنُ بِمُحْسِنٍ ۖ إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلُ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۖ<sup>(٤)</sup>  
 إِنْ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۖ<sup>(٥)</sup>  
 أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ ۖ إِنْ أَعْبَدْتُمْ عِندَ الشَّجَرِ الْأَيْمَنِ ۖ<sup>(٦)</sup>

(١) (إن) مخففة من الثقيلة . وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية . والإرادة الإهلاك . وبإياء في الحالين يعقوب .

(٢) وهي الصمة والتوفيق في الاستمسك بهجرة الإسلام .

(٣) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك .

(٤) الفاء اللطف على محذوف تقديره (أن) نحن نخلدون متعمون (فانحن بمبين) ولا معذبين . والمعنى أن هذه حال المؤمنين . وهو ألا يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فلأنهم فيما يمتنون فيه الموت كل ساعة . وقيل لحكيم : ما شر من الموت ؟ قال : الذي يمتنى فيه الموت . وهذا قول يقول المؤمن تحذرتا بنعمة الله بمسمع من قريبه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب . (و) (موتنا) نصب على المصدر . والاستثناء متصل بتقديره ولا نموت إلا مرة . أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قد كانت في الدنيا . ثم قال لقريبه تهريما له : (إن هذا) أي الأمر الذي نحن فيه (هو الفوز العظيم) . ثم قال الله عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) . وقيل هو أيضا من كلامه .

(٥) (نزلا) تميز . أي نعم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا (أم شجرة الزيتون) خير نزلا ؟ والتزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق . والزقوم شجر مر يكون بهامة .

(٦) عنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا ، وذلك أنهم قالوا : كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر ؟ فكذبوا .

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١١﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ  
الشَّيَاطِينِ ﴿١٢﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا قَائِمُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ إِنَّ  
هُمْ عَلَيْهَا لَشَوَّابًا مِنْ حِمِيمٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿١٥﴾  
لَهُمْ أَلْقَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿١٧﴾

(١١) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتنا .

(١٢) الطلع للنفخة . فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها . وشبه برؤوس الشياطين  
للدلالة على تناعيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقاده  
أنه شر محض . وقيل الشيطان حبة صرفاء فيبحة المنظر هائلة جدًا .

(١٣) (فإنهم لا يكونون) من الشجرة ، أى من طلوعها (فالقائون) بطونهم لما يغلهم من  
الجوع الشديد (ثم إن لهم) على أكلها تلطًا ولزاجًا (من) ماء حار يسوى وجوههم  
ويقطع أمعائهم ، كما قل في صفة شراب أهل الجنة (ومزاجه من تسليم) . والمعنى ثم إنهم  
يمثلون البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ما  
تعذبا لهم بذلك العطش . ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم .

(١٤) أى أنهم يذهب بهم عرب مقرهم ومنازلهم في الجحيم — وهى الدركات التى  
أسكنوها — إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتأثوا ويسقون به ذلك . ثم يرجعون إلى  
دركاتهم . ومعنى الترائى في ذلك ظاهر .

(١٥) حلل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتباعهم إياهم  
في الضلال وترك اتباع الدليل . والإهماع الإسراع الشديد كأنهم يُحتَوَن حَتَا .

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣٧﴾ فَأَنْظَرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا  
 نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٤٠﴾ وَنَحْنُ أَهْلُهُ وَأَهْلُهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَا  
 ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٤٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٤٣﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ

(١) قبل قومك قريش .

(٢) يعنى الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل .

(٣) أنبياء حذروهم العواقب .

(٤) أى الذين أنذروا وحذروا ، أى أهلكوا بجيما .

(٥) أى إلا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين .

(٦) دعانا لتنجيح من الفرق . وقيل أريد به قوله (أتى مغلوب فاتصم) . لما ذكر  
 إرسال المنذرين فى الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعاه وإياه حين  
 أيس من قومه .

(٧) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف . والمخصوص بالمدح محذوف تقديره  
 (ولقد نادانا نوح) فوالله نعم المهييئون نحن . والجمع دليل العظمة والكبرياء . والمعنى أنا أجيبناه  
 أحسن الإجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون .

(٨) ومن آمن به وأولاده .

(٩) وهو الفرق .

(١٠) وقد فنى ذريهم . قال قتادة : الناس كلهم من ذرية نوح . وكان لنوح عليه السلام  
 ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم ، وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب ،  
 ويافث وهو أبو الترك وماجوج .

(١١) (وتركنا عليه فى الآخرين) من الأمم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) . يعنى  
 يسلمون عليه تسليما ويدعون له . وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها .

فِي الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾  
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٤﴾ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٥﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ  
سَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٧﴾ أَفَيُكَاءُ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ ﴿٨﴾

(١) أى ثبت هذه النتيجة فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها . كأنه قيل ثبت الله التسليم  
على نوح وأدائه في الملائكة والتقليد يسلمون عليه عن آخرهم .

(٢) علل مجازاته بتلك التكرمة السيئة بأنه كان محسنا .

(٣) ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة علل الإيمان وأنه القصارى  
من صفات المدح والتعظيم .

(٤) أى الكافرين .

(٥) أى من شيعه نوح . أى ممن شايحه على أصول الدين . أو شايحه على التصالب  
في دين الله ومصاراة المكذبين . وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة وما كان  
بينهما إلا نبيان هود وصالح .

(٦) (إذ) تعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة . يعنى (واك) ممن شايحه على دينه  
وتقواه حين (جاءه ربه بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب ، (لإبراهيم) . أو يمحذوف  
وهو اذكر . ومعنى المحيى بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فغضب المحيى  
مثلا لذلك .

(٧) يدل من الأولى .

(٨) (إفكا) مفعول له تهديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا . وإنما قدم المفعول به  
على الفعل للتناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكلفهم بأنهم على  
إفك وباطل في شركهم . ويجوز أن يكون (إفكا) مفعولا به . أى أتريدون إفكا . ثم فسر  
الإفك بقوله (آلهة دون الله) على أنها إفك في نفسها ، أو حالا ، أى أتريدون آلهة من دون  
الله أفكين .

فَا ظَنَنْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿١٢﴾ فَقَالَ  
إِنِّي سَقِيمٌ ﴿١٣﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿١٤﴾ فَرَاغَ إِلَهُ الْهِنِيِّمْ فَقَالَ  
أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٥﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١٦﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿١٧﴾

(١١) (فَا ظَنَنْكُمْ) أى شئ ظنكم (رب العالمين) وأتم تعيدون فيه . و (ما) رفع  
بالابتداء . والتعجب (ظنكم) . أو فَا ظَنَنْكُمْ به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عذبتم فيه  
وعلمتم أنه النعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة ؟

(١٢) أى نظر (في النجوم) رايا يبصره إلى السماء متفكرًا في نفسه كيف يحتمل . أو أراهم أنه  
ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأومهم أنه استدلل بأماره على أنه يسقم .

(١٣) أى (فقال) مشارف للسقم — وهو الطاعون وكان أغلب الأقسام عليهم . وكانوا يخافون  
الموت — ليتفرقوا عنه . فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد .  
ففعل بالأصنام ما فعل . وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمهرته . والكذب حرام  
إلا إذا عرض . والذي قاله إبراهيم عليه السلام مِعْرَاضٍ مِنَ الْكَلَامِ ، أى ساسقم . أو من  
الموت في عقه سقيم . ومنه المثل : كفى بالسلامة داء . ومات رجل بغفاه . فقالوا مات وهو  
صحیح . فقال أعرابي أصحیح من الموت في عقه ؟ أو أراد (إني سقيم) لكفركم كما يقال  
أنا مريض القلب من كذا .

(١٤) فأعرضوا (عنه) مولين الأدبار .

(١٥) فإل اليهم سرا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) ؟ وكان عندها طعام . (ما لكم  
لا تنطقون) ؟ وإلجم بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من عقل .

(١٦) فأقبل عليهم مستغفيا . كأنه قال فضربهم (ضربا) لأق (راغ عليهم) بمعنى ضربهم .  
أو (فراغ عليهم) يضربهم (ضربا) أى ضاربا ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين  
وأشدّها . أو بالقوة والمثانة . أو بسبب الحلف الذي سبق منه وهو قوله (ثالث لا كيدت  
أصنامكم) .

فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ  
وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا أَبْنَاؤُا لَهُ بُنَيْنَا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿١٤﴾  
فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٥﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي  
مَسِيدِينَ ﴿١٦﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٨﴾

(١١) (فأقبلوا) إلى إبراهيم يسرعون . من الزيف وهو الإسراع (يَزْقُونَ) حمزة من أزق  
إذا دخل في الزيف إزفا . فكانه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره . فأقبل من رآه مسرعا  
نحوه . ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه (من فعل هذا بألفنا لأنه من الظالمين) . فأجابوه على  
سبيل التعريض بقولهم (سمعتنا قتي يذكرهم فقال له إبراهيم) . ثم قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وانت  
تكسرها . فأجابهم بقوله (أتعبدون ما تحتون) أيديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه  
من الأصنام؟ أو (ما) مصدرية أي وخلق أعمالكم . وهو دليلنا في خلق الأنفال . أي الله خالقكم  
وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره ؟

(١٢) (قالوا ابنوا) لأجله (بنيانا) من الجحر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا  
(فألقوه) في النار الشديدة . وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهي بحيم .

(١٣) (فأرادوا) بإلقائه في النار (كيدا فجعلناهم) المتهودين عند الإلقاء . نخرج من النار  
(وقال إني ذاهب إلى ربِّي) إلى موضع أمرني بالذهاب إليه . سيرشدني إلى ما فيه صلاح  
في ديني ويعصمني ويوقني . (مسيديني) فيهما يعقوب .

(١٤) بعض الصالحين . يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد .

(١٥) انطوت الإشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر ، وأنه يبلغ أو أن الحلم لأن  
الصبي لا يوصف بالحلم وأنه يكون حليما ، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه  
الذبح فقال (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) ثم استسلم لذلك .



فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ قَالَ يَبْنَؤُنِي إِلَى أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَكَابُتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٦١﴾

(٦١) بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحواله . و (معه) لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ، ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فيق أن يكون بيانا . كأنه لما قال فلما بلغ السعي أى الحد الذى يقدر فيه على السعي قيل مع من ؟ قال مع أبيه . وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة .

(٦٢) حفص . والباقون بكسر الياء .

(٦٣) وبفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو، قيل له في المنام اذبح ابنك . ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى في البقرة . وإنما لم يقل رأيت لأنه رأى مرة بعد مرة . فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له : إن الله يأمرك بذيئ ابنك هذا . فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان ؟ فن ثم سئى يوم التروية . فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله . فن ثم سئى يوم عرفة . ثم رأى مثل ذلك في الليلة الثالثة فهم بغيره فسئى اليوم بيوم النحر .

(٦٤) من رأى على وجه المشاورة، لا من رؤية العين . ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أينزع أم يصبر ؟ (تري) على حزمة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه .

(٦٥) أى (ما تؤمر) به . وقرئ به .

(٦٦) (من الصابرين) على الذبح . روى أن النبي قال لأبيه : يا أبت خذ بناصيتي واجلس بين كنفى حتى لا أؤذيك إذا أصابني الشفرة ولا تنبجني وأنت تنظر في وجهي عسى أن ترحمني . واجلس وجهي إلى الأرض . ويروى اذبحني وأنا ساجد واقرا على أمي السلام . وإن رأيت أن ترد قيمي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها .

قَلْبًا أَسْلَبَ وَتَلَّهِ لِلْجَيْنِ ۖ وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمْ ۖ قَدْ  
صَدَقْتَ الرَّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ  
الْبَلَاءُ الْأَمِينُ ۖ وَنَدَيْنَهُ يَذِجْ عَظِيمٌ ۖ

(١١) (فلما أسلمها) أعاد الأمر الله وخضما - وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه - وصرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ، ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونردى (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) . روى أن ذلك المكان عند الصخرة التي بجنى . وجواب (لما) محذوف تقديره (فلما أسلمها وتله للجين ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) - أى حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح - كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استشارهما وحدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله . أو الجواب قبلنا منه (ونادياه) معطوف عليه .

(١٢) تليل لتحويل ما خوطب من الفرج بعد الشدة .

(١٣) الاختبار الين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة الينة .

(١٤) هو ما يذبح . وعن ابن عباس : هو الكبش الذى قرب به هابيل فقبل منه ، وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل . وعنه : لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم .

(١٥) ضم المنة سمين . وهى السنة في الأضاحى وروى أنه هرب من إبراهيم عند الجمره فرماه بسبع حبشيات حتى أخذه . فبقيت سنة في الرى . وروى أنه لما ذبحه قال جبريل : الله أكبر الله أكبر . فقال الذبيح : لا إله إلا الله والله أكبر . فقال إبراهيم : الله أكبر والله الحمد فيق سنة . وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة .

والأظهر أن الذبيح إسماعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

عبد الله . وذلك أن عبد المطلب نذر أن يبلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقربا . وكان عبد الله آخرًا ففداه بمائة من الإبل ، ولأن قرنى الكهش كانا متوطنين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن استرق البيت في زمن الجحاج وابن الزبير . وعن الأصمعي أنه قال : سألت أبا عمرو بن الصلاء عن الذبيح فقال : يا أصمعي أين عزب عك عقلك ؟ ومتى كان يصحق بمكة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكة . وهو الذي بنى البيت مع أبيه ، والمنحصر بمكة . ومن على وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أنه يصحق . ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف طليهما السلام . من يعقوب لإسرائيل الله ابن يصحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله . وإنما قيل (وفديناه) وإن كان الفادى إبراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لأنه الأمر بالذبيح ، لأنه تعالى وهب له الكهش ليفتدى به . وهما إشكال : وهو أنه لا يخلو إما أن يكون ما أتى به إبراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حاقه في حكم الذبيح أم لا ؟ فإن كان في حكم الذبيح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبيح ببذل ؟ وإن لم يكن فما معنى قوله (قد صدقت الرؤيا) ؟ وإنما كان يصحبها لوضح منه الذبيح أصلا أو بدلا . ولم يصح . والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الدائح . ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه . وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم ووهب الله له الكهش ليقم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس إسماعيل بدلا منه . وليس هذا بنسخ منه للحكم ، كما قال البعض ، بل ذلك الحكم كان ثابتا إلا أن المحل الذي أضيف إليه لم يحل الحكم على طريق الفداء دون النسخ . وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الأمر عند المخاطب في آخر الحال . على أن المبني منه في حق الولد أن يصبر قرأنا بنسبة الحكم إليه ، مكرما بالفداء الحاصل لمحنة الذبيح ، مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة . وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله . وقد سمى فداء في الكتاب لا نسفا .

(١١) (في الآخِرِينَ) لا وقف عليه لأنه (سلام على إبراهيم) مفعول (وتركنا) .

(١٢) ولم يقل إنا كذلك هنا كما في غيره لأنه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة في ذكره ثانية .

لَهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِخْتِاقِ نَبِيٍّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢١﴾  
 وَبَشَّرْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْتِاقِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ  
 مُبِينٌ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا  
 مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٤﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢٥﴾ وَآتَيْنَاهُمَا  
 الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٢٦﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٧﴾

(١١) حال مقدرة من إصحق . ولا بد من تقدير مضاف محذوف أى (وبشرناه بـ) وجود (إصحق نبيا) . أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا الإشارة .

(١٢) حال ثانية . وورودها على سبيل التناء لأن كل نبى لابد أن يكون من الصالحين .  
 (١٣) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا . وقيل بارتكا على إبراهيم في أولاده وعلى إصحق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبى أقدم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام .

(١٤) (محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مين) ظاهر . أو محسن إلى الناس وظالم على نفسه بتعديده عن حدود الشرع . وفيه تلميح على أن الخبيث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والمنصر . فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر . وهذا مما يهدم أمر الطبايع والعناصر ، وعلى أن الظلم في أعقابها لم يعد عليهما يعيب ولا تقصصة ، وأن المرء إنما يعاقب بسوء فعله ويعاقب على ما اجتrect يذاه لا على ما وجد من أصله وفرعه .

(١٥) (منا) أئمتنا (على موسى وهرون) بالنبوة .

(١٦) بنى إسرائيل .

(١٧) من الفرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشهم .

(١٨) (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه .

(١٩) البليغ في بيانه وهو التوراة .

(٢٠) صراط أهل الإسلام وهى صراط الدين أئمت الله عليهم (غير المنضوب عليهم

ولا الضالين) .

وَتَرْكُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوْسَى وَهَارُونَ ﴿١١﴾  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾  
 وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾  
 أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٦﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ  
 الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ﴿١٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٩﴾

(١١) هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أمي موسى . وقيل هو إدريس النبي عليه السلام . وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ( وإك إدريس ) في موضع ( إلياس ) .  
 وقيل في إلياس والخضر إنهما حيّان . وقيل إلياس وكلّ بالقياف كما وكلّ الخضر بالهمزة . والحسن يقول قد هلك إلياس والخضر ولا تقول كما يقول الناس إنهما حيّان .

(١٢) ألا تخافون الله ! أتمبدون (بعلا) — هو علم لصنم كان من ذهب . وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه . فتنوا به وعظموه حتى أخذموه أربعاً سادن وجعلوهم أنبياء . وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعليكة . وهو من بلاد الشام — وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المقتدرين ؟

(١٣) ينصب الكلّ عراقاً غير أبي بكر وأبي عمرو على البذل من ( أحسن ) . وغيرهم بالنفع على الابتداء .

(١٤) ( المحضرون ) في التار ( إلا عباد الله المخلصين ) من قومه .

وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنْ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾  
 إِذْ يَخِيشُهُ أَهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ إِلَّا نَجَّوْا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا  
 الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩﴾  
 وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٢١﴾ فَسَاهَمَ

(١١) أى إلياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيدون يعنى أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه . (آل ياسين) شائى ونافع ، لأن ياسين اسم أبى الياس فاضيف إليه الال .

(٢٢) فى الباقيين .

(٢٣) أهلكتا .

(٢٤) (وإنكم) يأهل مكة (تتمون عليهم) داخلين فى الصباح .

(٢٥) والوقوف عليه مطلق .

(٢٦) يعنى تمزقون على منازلهم فى متاجرهم إلى الشام ليلا ونهارا لما فيكم عقول تتنبهون بها .  
 وأما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما ، لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام .

(٢٧) الإباق الحروب إلى حيث لايتندى إليه الطلب . فسعى هربه من قومه بغير إذن ربه إباقا مجازا .

(٢٨) (المشحون) المملوء . وكان يونس عليه السلام ومدد قومه العذاب . فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم . فقصده البحر وركب السفينة فوشت . فقالوا ههنا عبد آبق من سيده . وفيما يزعم البحارون أنه السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر . فافتزعوا فخرجت القرعة على يونس . فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء . فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالساهم . والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة .

فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ  
 مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ فَنَبَّأَهُ بِالْعَرَاءِ  
 وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٥﴾ وَأُنَبِّئُكَ عَلَيْهِ فَخْرَةٌ مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ

(١١) المغلوبين بالقرعة .

(١٢) فابتلعه (الحوت وهو) داخل في الملامة .

(١٣) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح . أو من الظالمين ( لا إله إلا أنت سبحانك إني  
 كنت من الظالمين ) أو من المصلين قبل ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح  
 في القرآن فهو صلاة . ويقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عمر .

(١٤) الظاهر ليته حيا إلى يوم البعث . وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم  
 القيامة . وقد لبث في بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما . وعن الشعبي التقمه سمكة  
 ولفظه عشيّة .

(١٥) فالقيناه بالمكان الخالي الذي لا شجرة فيه ولا نبات .

(١٦) عليل مما ناله من انتقام الحوت . وروى أنه عاد بدنه كبذن الصبي حين يولد .

(١٧) أي أجهتها فوقه مظلة له كما يطئب البيت على الإنسان .

(١٨) الجمهور على أنه القرع . وقائمه أث الذباب لا يجمع عنده ، وأنه أسرع الأثجار  
 نباتا وامتدادا وارتعاضا . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك تحب القرع . قال :  
 " أجل . هي شجرة أخى يونس " .

(١٩) المراد به القوم الذين بعث إليهم قبل الإنتقام . فتكون قد مضمة .

أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١١﴾ فَنَامَنُوا فَتَعَنَّتُهُمُ إِلَٰكٌ حِينَ ﴿١٢﴾ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ  
 الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٣﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٤﴾  
 أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦﴾ أَصْطَفَى  
 الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٧﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٨﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾

(١١) (أو يزيدون) في مرأى الناظر . أى إذا رآها الرأى قال هى مائة ألف أو أكثر .  
 وقال الزجاج قال غير واحد : معناه بل يزيدون . قال ذلك الفراء وأبو عبيدة . ونقل عن  
 ابن عباس كذلك .

(١٢) (فنامنوا) به وبما أرسل به .

(١٣) إلى متى آجالهم .

(١٤) معطوف على مثله فى أول السورة . أى على (فاستفتهم أم أشد خلقا) وإن تباعدت  
 بينهما المسافة . أمر رسول الله باستفتاء قرين عن وجه إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام  
 موصولا بعبه بعض . ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث  
 جعلوا لله تعالى الإناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لمن  
 ورائهم واستنكالهم من ذكرهن .

(١٥) حاضرون . تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لأنهم كما لم يعلموا  
 ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال  
 ونظر . أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم .  
 (لكاذبون) فى قولهم .

(١٦) (أصطفى) بفتح الهمزة للاستفهام . وهو استفهام توبيخ . وحذفت همزة الوصل  
 استثناء عنها بهمزة الاستفهام . (مالك كيف تحكون) هذا الحكم الفاسد .

(١٧) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص .



أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ فَأَتَوْا بِكَتْمِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾  
 وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٣﴾  
 مُبَحِّنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٥﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا  
 تَعْبُدُونَ ﴿٦﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴿٧﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾

(١) أم لكم (لم) حجة نزل عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتمكم) الذي  
 أنزل عليكم (إن كنتم صادقين) في دعواكم .

(٢) (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم  
 أنهم بناته . أو قالوا إن الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة . (ولقد علمت الجنة  
 أنهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة إن الذين قالوا هذا القول (لمحضرون) في النار .  
 (٣) تزه نفسه عن الولد والصاحبة .

(٤) استثناء منقطع من المحضرين . معناه ولكن المخلصين ناجون من النار . و (مبحان  
 الله) افتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه . ويجوز أن يقع الاستثناء من (أو) (يصفون)  
 أى يصفه هؤلاء بذلك . ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به .

(٥) (فإنكم) يأهل مكة (وما تعبدون) ومعبودكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) هل الله  
 (بفتنتين) بمضلين (إلا من هو صال الجحيم) يكسر اللام . أى لستم تفضلون أحدا إلا أصحاب  
 النار الذين سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها . يقال قتل فلان على فلان  
 امرأته كما تقول أفسدها عليه . وقال الحسن : فإنكم أنبا القائلون بهذا القول والذي تميدونه  
 من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمضلين أحدا إلا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل  
 النار . وقيل ما أنتم بمضلين إلا من أوجب عليه الضلال في الساقية . و (ما) في (ما أنتم)  
 نافية . و (من) في موضع النصب بفتاتين . وقرأ الحسن (صال الجحيم) بضم اللام . ووجهه  
 أن يكون جمعا حذف النون للإضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هي واللام في الجحيم .  
 و (من) موحد اللفظ مجموع المعنى لحمل (هو) على لفظه والصابون على معناه .

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١١﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّاقُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ  
 الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٣﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٤﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾  
 لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾  
 ﴿١١﴾ (وما مِنَّا) أحد (إلا له مقام معلوم) في العبادة لا يتجاوزه . غنظ الموصوف  
 وأقيمت الصفة مقامه .

﴿١٢﴾ نصف أقدامنا في الصلاة أو نصف حول العرش داعين للؤمنين .

﴿١٣﴾ المترهون أو المصلون . والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله (سبحان الله عما  
 يصفون) من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله (ولقد ملئت الجنة) كأنه قيل :  
 ولقد علم الملائكة وشهدوا أت المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا (سبحان الله)  
 فأنهروهم عن ذلك واستنوا عباد الله المخلصين وبرءوهم منه وقالوا للكفرة : فإذا سمع ذلك فإنكم  
 والنتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه إلا من كان من أهل النار  
 وكيف نكون مناسين لرب العزة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من  
 الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لمظمته ، ونحن الصاقون أقدامنا لعبادته مسبحين  
 ممتدحين كما يجب على العباد لربهم . وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . يننى وما  
 من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى (عسى أن  
 يبعثك ربك مقاما محمودا) . ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله  
 ويترهونه عما لا يجوز عليه .

﴿١٤﴾ (وإن) كان مشركو قريش (ليقولون) قبل مبعثه عليه السلام (لو أت عندنا)  
 كتابا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا للعبادة لله ولما كذبنا  
 كما كذبوا ولما خافنا كما خالفوا . بغايم الذكر الذى هو سيد الأذكار والكتاب الذى  
 هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من  
 الانتقام .

(وإن) غففة من الثقلة . واللام هي الفارقة . وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين  
 للقول جاذين فيه . فكيف بين أول أسرهم وآخره .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْآمُرَيْنِ ﴿١١﴾ إِنَّهُمْ لَمُصْرُورُونَ ﴿١٢﴾  
وَأِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٣﴾ فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ  
يُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَفَعِزَّنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ  
الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧﴾ وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٩﴾

(١١) الكلمة قوله (إنهم لم المصرون وإن جندنا لم الغالبون) . وإنما سماها كلمة  
وهي كلمات لاقتها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة . والمراد الموعد  
بعلوهم على عدوهم في مقام الجحاح وملاحم القتال في الدنيا ، وعلوهم عليهم في الآخرة . وعن  
الحسن : ما ظب نبي في حرب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا نصروا  
في القيامة . والحاصل أن قاعدة أمرهم وأسامه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع  
في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والحنة . والعبرة للغالب .

(١٢) فأعرض عنهم إلى مدة يسيرة . وهي المدة التي أمهلوا فيها أو إلى يوم بدر . أو إلى  
فتح مكة . (وإبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك . وهو للوعيد  
لا للتباعد . أو انظر إليهم إذا عذبوا (فسوف يبصرون) ما أنكروا ؛ أو أعلمهم فسوف يعلمون .  
(أفبعنا ياستعجلون) قبل حينه ؟ (فإذا نزل العذاب) بساحتهم (فساء صباح  
المنذرين) صباحهم . واللام في (المنذرين) مبهم في جئس من أنذروا لأن ساء وبئس  
يقتضيان ذلك . مثل العذاب النازل بهم ، بعد ما أنذروه فأنكروه ، يبعث أنذر بهجومه قومه  
بعض نصائحهم فلم يشتفتوا إلى إنذاره حتى أبلغ بفنائهم بئس فشن عليهم الغارة . وكانت عادة  
مفادهم ان ينفروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر . وقيل هو نزول  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة .

(١٣) وإنما نعى ليكون تسلياً على تسلياً ، وتأكيذا لوقوع الميعاد إلى تأكيد . وفيه  
فائدة زائدة . وهي إطلاق الفعلين معا عن التقيد بالفعل وأنه يبصر وهم يبصرون  
ما لا يحيط به الذكر من صنوف المصرة وأنواع المساة . وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا ،  
وبالآخر عذاب الآخرة .

سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٣١﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٢﴾  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾

(٣١) اضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما قول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق . ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد إلا وهو ربها ومالكها . كقوله (تَعَزَّ مِنْ تَشَاءَ) .

(٣٢) من الولد والصاحبة والشريك .

(٣٣) هم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لأن في تجميعهم كل بالذكر تطويلا .

(٣٤) (والحمد لله) على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء . اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه إليه مما هو متبر عنه وما طافه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم تختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قبض لهم من حسن العواقب . والمراد تلميح المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يحتلوا به ، ولا ينفلوا عن مضمّنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد . وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) .

## سورة ص مكية

وهي ثمان وثمانون آية كوفي وقسم بصري وست مدني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾  
كَرَّ أَعْيُنَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَبْلٍ فَتَأَدَّبُوا ﴿٣﴾ وَآتَتْ حِينَئِذٍ مِّنَاصٍ ﴿٤﴾

(١) (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتثنية على الإنجاز .  
ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال ( والقرآن ذى الذكر ) أى  
ذى الشرف إنه لكلام معجز . ويحوز أن يكون ( ص ) خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم  
للسورة . كأنه قال : هذه (ص) أى هذه السورة التى أعجزت العرب ( والقرآن ذى الذكر )  
كما تقول هذا حاتم والله . تريد هذا هو المشهور بالسقاء والله . وكذلك إذا أقم بها كأنه  
قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر إنه لمعجز . ثم قال ( بل الذين كفروا فى عزّة ) تكبر عن  
الإذعان لذلك والاعتراف بالحق ( وشقاق ) خلاف لله ولرسوله . والتكبر فى عزّة وشقاق للدلالة  
على شتئهما وتفاقهما . وقرئ ( فى غرة ) أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر وأتباع الحق .

(٢) وصيد لذوى العزّة والشقاق .

(٣) من قبل قومك .

(٤) من أمة .

(٥) فدعوا واستغاثوا حين رأوا المذابح .

(٦) (ولات) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على ربّ وتم  
للتوكيد . وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقضيهما إياها

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنِيرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ  
كَذَّابٌ ﴿١٦﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿١٧﴾

الاسم أو الخبر، وامتنع بروزهما جميعا . وهذا مذهب الليل وسبويه . وعند الأخفش أنها لا النافية تجلس زيدت عليها التاء وخضت بنى الأحيان . وقوله (حين مناص) منجى منصوب بها كَأَمَّ قُلْتُ ولا حين مناص لم . وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص . أى وليس الحين حين مناص .

﴿١٦﴾ (وعجبوا) من (أن جاءهم) رسول من أنفسهم ينذرهم . يعنى استبعدوا أن يكون النبي من البشر .

﴿١٧﴾ ولم يقل وقالوا إظهارا للنفضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يحسر عليه إلا الكافرون المتوكلون في الكفر المنهمكون في الفتن ، إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلغ ، ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل بلطج . وروى أن عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش . فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أبنى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تملى كل الميل على قومك . فقال عليه السلام ماذا يسألونني ؟ فقالوا أرفضنا وارفضنا ذكر أختنا وتدعك وإهلك . فقال عليه السلام أمتطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ؟ قالوا نعم وعشرا . أى تعطيكها وعشر كلمات معها . فقال : قولوا لا إله إلا الله . فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا) ؟ — أى أصير — (إن هذا لشيء عجاب) أى يبلغ في العجب وقيل العجيب ماله مثل ، والمعجيب مالا مثل له .

وَأَطْلِقِ الْعَمَلُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَيَّ الْهَيْكَلُ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿١١﴾  
مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِهَةِ الْأَخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿١٢﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ  
الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾

(١١) وانطلق الملائكة منهم) وانطلق أشرف قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب المتيد قائلين بعضهم لبعض (أن امشوا) وإن بمعنى أى لأن المطلقين عن مجلس النقاش لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم . فكان انطلاقهم متضمناً معنى القول (واصبروا على) عبادة (الهيكل أى هذا) الأمر (لشئ يراد) أى يريد الله تعالى ويحكم بإمضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر . أو أى هذا الأمر لشئ من ثواب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه .

(١٢) (ما سمعنا) بالتوحيد فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأتة النصرارى مثله فى موحدة . أو فى ملة قريش التى أدرنا عليها آباءنا . ما (هذا إلا) كذب اختلقه عهد من تلقاء نفسه . (أنزل عليه) القرآن (من بيننا) ١٩ أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرفهم . ويترى عليه الكتاب من بينهم حسدا .

(١٣) من القرآن .

(١٤) بل لم يذوقوا عذابى بعد . فإننا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حيث .  
أى أنهم لا يصدقون به إلا أن يسمهم العذاب ، فيصدقون حيث (عذابى) فى الحالكين يعقوب .

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿١﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿٢﴾ جُنْدُ  
مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ  
وَإِسْرَافِيلُ ﴿٤﴾ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿٦﴾

(١) أم عندهم خزان رحمة ربك العزيز الوهاب) يعنى ما هم بمالكى خزان الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عن شاءوا ويقتفروا للنوبة بعض صناديدهم ويرتقوا بها عن عهد. وإنما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته. ثم رُفِعَ هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) حتى يتكفروا فى الأمور الربانية والتدابير الإلهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء. ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال : فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الأسباب) فليصعدوا فى المارج والطرق التى يتوصل بها إلى السماء حتى يذبروا أمر العالم وملكوته الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون .

(٢) مبتدأ .

(٣) صلة مقوية للنكرة المبتدأة .

(٤) إشارة إلى بدر ومصارعهم . أو إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لئلا ذلك القول العظيم ، من قولهم لمن يتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك . خبر المبتدأ .

(٥) مكسور .

(٦) مصائق مجتد أو مجهزوم .

وعند نبيه عليه السلام النصر طبعهم . يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحيزين على رسول الله مهزوم عما قريب . فلا تبال بما يقولون ولا تكثرت لما به يهفون .

(٧) (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) ذو الأوتاد (موسى) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه ، وقيل يوتد من يعذب



أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١١﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ حَقَّ عِقَابٍ ﴿١٢﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا هَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِتْلًا

بأربعة أوتاد في يديه ورجليه (وعمود) - وهم قوم صالح - صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الأيكة) النقيضة شعيبا .

(١١) أراد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجسد المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب .

(١٢) ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام حيث لم يبين المكذب . ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل ، وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب بجميع الرسل لأن في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم . وفي تكرار التكذيب ، وإيضاحه بعد إبهامه ، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا والاستثنائية ثانيا ، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد ، أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه .

(١٣) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حتى عقابهم . (عقابي) في الحالين يعقوب .

(١٤) وما ينظر أهل مكة . ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب .

(١٥) أى النخلة الأولى وهى الفرع الأكبر .

(١٦) وبالضم حمزة وصل . أى ما لها من توقف مقدار فواق ، وهو ما بين حلق الحالب . أى إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة . وفواق الناقة صاعدة يرجع الذر إلى ضرعها يريد أنها قطة واحدة لحسب لا تثنى ولا ترد .

(١٧) حفظنا من الجنة لأنهم عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل المزمع (نحجل لنا) نصيبنا منها . أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله (ويستعجلونك بالعذاب) . وأصل القط القطس من الشيء لأنه قطعة منه من قطعه إذا قطعه . ويقال لصحيفة الحائرة قط لأنّها قطعة من القرماس .

قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١١﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَلَا تُكْرِهْ عَبْدَنَا  
 دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ الْجَبَالُ مَعَهُ يُسَبِّحُنَا  
 بِالْعُسِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٣﴾ وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهِ أَوَّابٌ ﴿١٤﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ

(١١) (اصبر على ما يقولون) فيك ومن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتعمل  
 أذاهم (واذكر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلّة السيرة فلي من عتاب  
 الله ما لى (ذا الأيد) ذا القوة في الدين وما يدل على إتّ الأيد القوة في الدين قوله (إنه أواب)  
 أى رجّاع إلى مرضاة الله تعالى. وهو تليل لذي الأيد. روى أنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً  
 وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل .

(١٢) ذلّلنا (الجبّال معه) . قيل كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد .

(١٣) في معنى مسبّحات على الحال . واختار (يسبحن) على مسبّحات ليدلّ على حدوث  
 التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال .

(١٤) أى في طرفي النهار . والعشيّ وقت العصر إلى الليل والإشراق وقت الإشراف .  
 وهو حين تُشرق الشمس أى تضيء . وهو وقت الضحى . وأما شروقها فطلوعها . تقول شرفت  
 الشمس ولما تُشرق . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلّا بهذه الآية .

(١٥) (د) نحوّنا (الطير) مجموعة من كلّ ناحية . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبح  
 جاوبته الجبال بالسبح واجتمعت إليه الطير فسبّحت . فذلك حشرها .

(١٦) كلّ واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت  
 تسبح لتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح لأنّ الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى  
 الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه . وقيل الضمير لله .  
 أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح .

(١٧) قوّيناه . قيل كان بيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه .

وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةُ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ <sup>(٣)</sup> وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ <sup>(١)</sup> إِذْ سَأَرُوا <sup>(٢)</sup>  
الْمِحْرَابَ <sup>(٥)</sup> إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ <sup>(٦)</sup> قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ <sup>(٨)</sup>

<sup>(١)</sup> الزبور وعلم الشرائع . وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة .

<sup>(٢)</sup> علم القضاء ، وقطع الخصام ، والفصل بين الحق والباطل . والفصل هو التمييز بين الشئين . وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير . وفصل الخطاب البين من الكلام الملتص الذي يتبينه من يخاطب به لا يثبس عليه . وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالتصوم والزور . والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل . وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات . وعن علي رضي الله عنه هو الحكم بالبينه على المدعى وإيمانه على المدعى عليه . وهو من الفصل بين الحق والباطل . وعن الشعبي : هو قوله أما بعد ، وهو أول من قال أما بعد فإذ من تكلم في الأمر الذي له شأن ينتج بذكر الله وتحميده . فإذا أراد أن يخرج إلى الفرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد .

<sup>(٣)</sup> ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنبياء العجبية . والخصم الخصماء . وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل تقول خصمه خصما .

<sup>(٤)</sup> انتصابه بمحذوف تهديره (وهل أتاك نبا) تحاكم (الخصم) . أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل .

<sup>(٥)</sup> تصعدوا سورة ونزلوا إليه . والصور الحائط المرتفع . والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد .

<sup>(٦)</sup> بئس من الأولى .

<sup>(٧)</sup> روى أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنساين فطلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته . فتمتعا الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان (ففزع منهم) لأنهم دخلوا عليه المحراب في غير يوم القضاء ، ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه .

<sup>(٨)</sup> خبر مبتدأ محذوف . أي نحن (خصمان) .

بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُسْطِطْ وَاهِدِنَا  
إِلَى سَوَاءِ الْإِصْرِ ﴿١١﴾ إِنَّ هَذَا أُمِّي ﴿١٢﴾

(١١) تملأ وظلم .

(١٢) ولا تجر . من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق .

(٣) وأرشدنا إلى وسط الطريق وعجته . والمراد عين الحق ومحضه . روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن يتر له عن امرأته فيترجها إذا أعجبه . وكان لهم عادة في المواساة بذلك . وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك . فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله التزول له عنها . فاستحى أن يرده ففعل فترجوها ، وهي أُم سليمان . فقبل له . إنك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة التزول عنها لك ، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتنحت به . وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فأثروا أهلها فكانت زلتة أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه . وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليرتجها فلا يليق من المستمعين بالصالح من أفناء المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء . وقال صلى الله عليه وسلم : من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء . وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكتب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فلا ينبغي أن يلتبس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك . وإن كانت على ما ذكرت وكفى الله عنها سقراً على نبيه فلا ينبغي إظهارها عليه . فقال عمر : لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس . والذي يدل عليه المثل الذي ضرب به الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن يزل له عنها لحسب . وإنما جاءت على طريق التخييل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أذاه إلى الشعور بالمعرض به كلف أوقع في نفسه وأشد تمكناً من قلبه وأعظم أثراً فيه مع مراعاة حسن الأدب بتوك المجاهرة .

(٤) هو يدل من هذا أو خبر لإثبات . والمراد أخوة الدين ، أو أخوة الصداقة والألفة ، أو أخوة الشركة والخلطة ، فقوله ( وإثبات كثير من الخطأ ) .

لَهُ نِسْعٌ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْتَهَا وَعَزَّنِي  
فِي الْخِلَاطِ (١) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثُرَ  
مِنْ الْخِلَاطِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٢)

(١) (ولي) حفص . والنعجة كناية عن المرأة . ولما كان هذا تصويراً للسألة وفرضاً  
لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة في أنفسهم كما تقول لى أو يكون شاه ولك أو يكون لظلمتها  
ومالكاً من الأربعين أربعة ولا ربها .

(٢) ملكيتها . وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى . وعن ابن عباس  
رضى الله عنهما اجعلها كفى أى نصيبى .

(٣) (وعزنى) وظفى - يقال عزه عزته - (فى الخطاب) فى الخصوصية . أى أنه كان  
أقدر على الاحتجاج منى . وأراد بالخطاب مخاطبة المحتاج المبادل . أو أراد خطبت المرأة  
وخطبها هو مخاطبى خطاباً أى غالبى فى الخطبة فظنى حيث زوجه دونى . ووجه التمثيل أن  
مثلت قصة أورامع قصة رجل له نعجة واحدة وخليطه تسع وتسعون . فأراد صاحبه  
تتمة المائة ، فطمع فى نعجة خليطه وأراد على الخروج من ملكها إليه وصاحبه فى ذلك حاجة  
حريص على بلوغ مراده . وإنما كان ذلك على وجه التماكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله  
(لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجاً بحكمه . وهذا جواب قسم  
محذوف . وفى ذلك استنكار لفعل خليطه . والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول . وقد ضمن معنى  
الإضافة فعذى تعديتها كأنه قيل بإضافة (نعجتك الى نعاجه) على وجه السؤال والطلب .  
وإنما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحكم فى القرآن لأنه معلوم . وبرى  
أنه قال أنا أريد أن أخذها منه وأكل نعاجى مائة . فقال داود "إن رمت ذلك ضربت منك  
هذا وهذا" وأشار إلى طرف الأذن والجلبة . فقال ياداد أنت أحق أن يضرب منك هنا  
وهذا وأنت فعلت كيت وكيت . ثم نظر داود فلم ير أحداً يعرف ما وقع فيه .

(٤) الشركاء والأصحاب .

(٥) المستثنى منصوب ، وهو من الجلس . والمستثنى منه (بعضهم) .

وَقَابِلٌ مَا هُمْ وَظَنَ دَاوُدَ أَنَّ فَتْنَتَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ <sup>(٦)</sup>  
فَفَقَّرْنَا لَهُ <sup>(٧)</sup> ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى <sup>(٨)</sup> وَحُسْنَ مَآبٍ <sup>(٩)</sup> يَدَاوُدُ إِنَّا  
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى <sup>(١٠)</sup>  
<sup>(١١)</sup> <sup>(١٢)</sup>

(١١) (ما) للاجرام و(هم) مبتدأ . و(قليل) خبره .

(١٢) أى علم وأيقن . وإِنَّمَا استعير له لَأَنَّ الْفَلَاحَ الغالب يدانى العلم .

(١٣) إيتيانه .

(١٤) (فاستغفربه) لزلته .

(١٥) أى سقط على وجهه ساجدا لله . وفيه دليل على أَنَّ الرُّكُوع يقوم مقام السجود  
في الصلاة إِذَا نَوَى لَأَنَّ الْمَرَادَ بِمَجْزُءِ مَا يَصْلُحُ تَوَاضَعًا عِنْدَ هَذِهِ التَّلَاوَةِ . والركوع في الصلاة  
يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة .

(١٦) ورجع إلى الله بالتوبة . وقبل إنه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إِلَّا  
لصلاة مكتوبة أو مالا بد منه ولا يرقأ دمه حتى نبت العشب من دمه ولم يشرب ماء إِلَّا  
وثلاثه دمع .

(١٧) أى زلته .

(١٨) لقربة .

(١٩) مرجع . وهو الجنة .

(٢٠) أى استخلفناك على الملك في الأرض أو جعلناك خليفة من كان قبلك من الأنبياء  
القائمين بالحق . وفيه دليل على أَنَّ حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير .

(٢١) أى يحكم الله إِذْ كُنْتَ خَلِيفَتَهُ أَوْ بِالْعَدْلِ .

(٢٢) أى (ولا تتبع) هوى النفس في قضائك .

فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
 بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (١) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا  
 ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢) أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٣)

(١) (يفضلك) الهوى .

(٢) دينه .

(٣) أى بلسانهم يوم الحساب .

(٤) من الخلق .

(٥) خلقا باطلا لا للحكمة بالغة أو مبطلين عابثين . كقوله ( وما خلقنا السماء والأرض  
 وما بينهما لاعبين ) وتقديره ذوى باطل أو عبثا ، فوضع باطلا موضعه . أى ما خلقناهما  
 وما بينهما للعبث والاسب ولكن لمحق المبين . وهو أنا خلقنا نفوسا أو دعماها العقل ومنحتها  
 التمكن وأزحنا عليها . ثم عرضناها للنافع العظيمة بالتكليف . وأعدنا لها عاقبة وجزاء  
 حسب أعمالهم .

(٦) إشارة إلى خلقها باطلا .

(٧) الظن بمعنى المظنون ، أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا . وإنما  
 جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض وما بينهما  
 لقوله ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ) لأنه لما كان إنكارهم للعبث  
 والحساب والثواب والعقاب مؤذيا إلى أن خلقها عبث وباطل جُعلوا كأنهم يظنون ذلك  
 ويقولونه لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة في خلق العالم . فن بحمده فقد بحمد الحكمة  
 في خلق العالم .

(٨) أم منقطعة . ومعنى الاستفهام فيها الإنكار . والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول  
 الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد وأتقى وبغى . ومن سوى بينهم كان سفيا ولم  
 يكن حكيما .

كَتَبُ أَتَزَلْنَهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ لِيَدْبُرُوا<sup>(٦٢)</sup> عَائِنَهُ<sup>(٦٣)</sup> وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا<sup>(٦٤)</sup>  
 الْأَلْبَابِ<sup>(٦٥)</sup> وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ<sup>(٦٦)</sup>  
 إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتِ<sup>(٦٧)</sup> الْجِيَادُ<sup>(٦٨)</sup> الصَّفِيفَتِ<sup>(٦٩)</sup> الْجِيَادُ<sup>(٧٠)</sup>

(٦١) أى هذا (كتاب أنزلناه إليك) يعنى القرآن .

(٦٢) صفة أخرى .

(٦٣) وأصله (ليتدبروا) . قرئ به . ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به .  
 وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا  
 معنوه . (لتدبروا) على الخطاب بمنزل إحدى التامين يزيد .

(٦٤) وليتغنى بالقرآن أولو العقول .

(٦٥) أى سليمان . وقيل داود وليس بالوجه . فالخصوص بالمدح محذوف .

(٦٦) هائل كونه ممدوحا بكونه أَوْابًا أى كثير الرجوع إلى الله تعالى .

(٦٧) على سليمان .

(٦٨) بعد الظهر .

(٦٩) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر .

(٧٠) السراع جمع جواد لأنه يحود بالركض . وصفها بالصفون لأنه لا يكون في الهجان  
 وإنما هو في العراب . وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين  
 وانفة وجارية . يعنى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقعها . وإذا جرت كانت  
 سراعا خفانا في جريها . وقيل الجياد الطوال الأتاق ، من الجيد . روى أن سليمان عليه السلام  
 غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس . وقيل ودثها من أبيه وأصابها أبوه من الهائلة .  
 وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقمعد يوما بعد ما صلب الظهر على كرسية واستعرضها فلم



فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَلِيرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ  
بِأَحْجَابٍ ۖ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنَنْظِقَ مَسْعًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَقِ ۖ

تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر . وكانت فرضاً عليه فاعتم لها فاته  
فاستردّها وعقرها تقرباً لله فيق مائة . لها في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها . وقيل لها  
عقرها أبداً الله خيراً منها وهي الرمح تجرى بأمره .

(١١) أى آتت حب الخيل عن ذكر ربى كذا من الزجاج . فأحببت بمعنى آتت  
كقوله تعالى (فاستحبوا العمى على الهدى) و (عن) بمعنى على . وسمى الخيل خيراً كأنها نفس  
الخيل لتعلق الخيل بها كما قال عليه السلام " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة "  
وقال أبو علي ( أحببت ) بمعنى جلست من إجاب البعير وهو يروكه ( حب الخيل ) أى  
المال . مفعول له مضاف إلى المفعول .

(١٢) ( حتى توارت ) الشمس ( بالاحجاب ) . والذي دلّ على أن الضمير للشمس مرور  
ذكر العتي ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر . أو الضمير للصفات . أى حتى  
توارت بصباب الليل معنى الظلام .

(١٣) أى قال لللائكة ردّوا الشمس على لأصلى العصر . فردّت الشمس له وصلّى العصر .  
أو ردّوا الصفات .

(١٤) بلعل يمسح (مسحاً) أى يمسح السيف بسوقها — وهى جمع ساق كدار ودور —  
وأصابعها . ينى يقطعها لأنها منتهى الصلاة . تقول مسح علوه إذا ضرب عنقه . ومسح  
المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه . وقيل إنما فعل ذلك كفارة لها أو شكراً لردّ  
الشمس . وكانت الخيل ما كولة في شريته فلم يكن إغلافاً . وقيل مسحها بيده استحساناً  
لها وإعجاباً بها .

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿١١﴾  
 قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي  
 إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١٢﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ

(١١) ابتلياه (والقينا على) سرير ملكه (جسداً ثم أناب) رجع إلى الله . قيل  
 فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة . وملك بعد الفتنة عشرين سنة . وكان من فتنه أنه ولد  
 له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم تنفك من السخرة . فسيئنا أن قتلناه أو نجبله . فعلم  
 ذلك سليمان عليه السلام فكان يذوه في السحابة خوفاً من مضرة الشياطين . فأنهى ولده ميتاً  
 على كرسية . فنتبه على زلته في أن لم يتوكل فيه على ربه . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله  
 ولم يقل إن شاء الله . فطاف طليق فلم يحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل بلقيء به على  
 كرسية فوضع في حجره . فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا  
 أجمعون . وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام  
 فمن أباطيل اليهود .

(١٢) قدم الاستغفار على استيباب الملك جرياً على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين  
 في تقديم الاستغفار على السؤال .  
 (١٣) لا يستهل ولا يكون .

(١٤) أي دوني . وفتح الياء مدني وأبو عمرو . وإنما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له  
 لا حسداً . وكانت قبل ذلك لم يستخر له الريح والشياطين . فلما دعا بذلك سخرت له الريح  
 والشياطين . ولن يكون معجزة حتى يفرق الماديات .

(١٥) (الرياح) أبو جعفر .

(١٦) حال من الريح .

(١٧) بأمر سليمان .

(١٨) تينة طيبة لا ترزع . وهو حال من ضمير (تجري) .

(١٩) ظرف (تجري) .

أَصَابَ<sup>(١)</sup> وَالشَّيْطَانِ<sup>(٢)</sup> كُلَّ بَنَاءٍ<sup>(٣)</sup> وَغَوَاصٍ<sup>(٤)</sup> وَآخِرِينَ<sup>(٥)</sup> مُقَرَّنِينَ<sup>(٦)</sup>  
فِي الْأَصْفَادِ<sup>(٧)</sup> هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ<sup>(٨)</sup> يُغَيِّرُ حِسَابَ<sup>(٩)</sup> وَإِنْ<sup>(١٠)</sup>  
لَمْ<sup>(١١)</sup> عِنْدَنَا لُزْلٌ<sup>(١٢)</sup> وَحَسَنَ مَّتَابٍ<sup>(١٣)</sup> وَادْكُرْ<sup>(١٤)</sup> عَبْدَنَا<sup>(١٥)</sup> يُؤَبِّ<sup>(١٦)</sup> إِذْ نَادَى<sup>(١٧)</sup> رَبَّهُ<sup>(١٨)</sup>

(١) قصد وأراد . والعرب تقول " أصاب العوَاب ، فأخطأ الجواب " .

(٢) عطف على الرِّيح . أى يحترق له الشياطين .

(٣) بدل من الشياطين كانوا يبتون له ما شاء من الأبنية .

(٤) أى وينوصون له فى البحر لإخراج اللؤلؤ . وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر .  
والمعنى ويحترق له ( كل بناء وغواص ) من الشياطين .

(٥) عطف على ( كل بناء ) داخل فى حكم البدل .

(٦) وكان يقرن مرادة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف  
عن الفساد . والصفد التقيد . وسمى به العطاء لأنه ارتباط للنم عليه . ومنه قول على رضى  
الله عنه " من برك فقد أمرك ، ومن جفاك فقد أطلقك " .

(٧) ( هذا ) الذى أعطيتك من الملك والمال والبسطة ( عطاؤنا فامنن ) فأعط منه  
ما شئت . من المنّة وهى العطاء ( أو أمسك ) عن العطاء — وكان إذا أعطى أجر ، وإن منع لم  
يأثم بخلاف غيره — ( يغير حساب ) متماعق بمطاؤنا . وقيل هو حال أى ( هذا عطاؤنا ) بما كثيراً  
لا يكاد يقدر على حصره . أو ( هذا ) التسخير ( عطاؤنا فامنن ) على من شئت من الشياطين  
بالإطلاق ( أو أمسك ) من شئت منهم فى الواقع ( يغير حساب ) أى لا حساب عليك  
فى ذلك .

(٨) ( لئن ) اسم ( إن ) وإلغير ( له ) والمامل فى ( عند ) إلغير .

(٩) هو بدل من ( عبدنا ) أو عطف بيان .

(١٠) بدل اشتغال منه .

(١١) دعاه .

أَتَى مَسْنَى الشَّيْطَانُ يُنْصَبُ<sup>(١١)</sup> وَعَذَابُ<sup>(١٢)</sup> ۞ أَرَكُضَ<sup>(١٣)</sup> بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ  
بَارِدٌ وَشَرَابٌ<sup>(١٤)</sup> ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ<sup>(١٥)</sup> أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى  
لِأُولَى الْأَلْبَابِ<sup>(١٦)</sup> ۞ وَخُذْ بِسِدِّكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ<sup>(١٧)</sup>

(١١) أتى مسنًى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه. ولو لم يحك لقال بأنه مسنًى لأنه غائب.

(١٢) قراءة السامة (يُنْصَبُ) يزيد تثقيلاً نُصَبَ (يُنْصَبُ) كرشد ورشد يعقوب (يُنْصَبُ) على أصل المصدر هيمرة — والمعنى واحد وهو التصب والمثاقفة .

(١٣) يريد مرضه وما كان يقامى فيه من أنواع الوصب، وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والنجس . فالتجأ الى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء ، أو بالتوفيق فى دفعه وردّه بالصبر الجليل . وروى أنه كان يعود ثلاثه من المؤمنين فارتد أحدهم . فسأل عنه . فقبل أنى إليه الشيطان أن الله لا يظلم الأتقياء والصالحين . وذكر فى سبب بلاءه أنه ذبح شاة فأكلمها وجاره جامع ، أو رأى منكراً فسكت عنه . أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه .

(١٤) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام. أى أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له (أركض برجلك) أى اضرب برجلك الأرض وهى أرض الجلبية. فضربها فنبعت عين فقيل: (هذا مغسل بارد وشراب) أى هذا ماء تغتسل به وتشرّب منه فيبرأ باطنك وظاهره. وقيل نبت له حيان فأغتسل من إحداها وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى .

(١٥) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلم .

(١٦) مقول لما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره وفهمه فى الصبر على البلاء .

(١٧) (وخذ) — معطوف على (أركض) — (بسيدك ضعتا) — حُرْمَةٌ صغيرة من حشيش أو زيجان أو غير ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ  
وَأَحْسَنَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ

ولا نحت ( وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ لخلل الله بينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه . وهذه الرخصة باقية . ويجب أن يصيب المصروب كل واحدة من المائة . والسبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة . فخرج صدره . وقيل هانت ذلالتها برغيفين وكانت متعلق أيوب عليه السلام إذا قام .

(١) طمأنه .

(٢) ( صابراً ) حل البلاء . نعم قد شكنا إلى الله ما به واسترحه . لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزاء . فقد قال يعقوب عليه السلام ( إنما أشكر حق وحسن إلى الله ) حل أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبياً لما ابتلى ما ابتلى به ، وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان .

(٣) أيوب .

(٤) ( عیدنا ) متى . فمن جمع إبراهيم ومن بعده عطف بيان على ( عبادنا ) . ومن وحد إبراهيم وحده عطف بيان له ، ثم عطف ذريته على ( عیدنا ) ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدى غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملاً لا تتأني فيه المباشرة بالأيدى أو كان العمال جُلماً لا أيدى لهم ، وحل هذا ورد قوله ( أولى الأيدى والأبصار ) أي أولى الأعمال الظاهرة ، والفكر الباطنة . كآلة الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يعاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات في حكم الزماني الذين لا يقدرُونَ على أعمال جوارحهم ، والمسلوب العقول الذين لا استبصار لهم . وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله ، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما .

(٥) جعلناهم لنا خالصين .

بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿١٣﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٤﴾  
وَأَذْكُرْ لِلْمُتَمَعِّلِ وَالْبَيْعِ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٥﴾  
هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَثَابٍ ﴿١٦﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مَفْتُحَةٍ ﴿١٧﴾

(١٣) بخصلة خالصة لا شوب فيها .

(١٣) ( ذكرى ) في محل النصب أو الرفع بإضمار أعنى ، أو هي ، أو الجرح على البطل من (خالصة) . والمعنى (أنا أخلصناهم) بذكرى الدار . و (الدار) هنا الدار الآخرة . يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم بذكرون الناس الدار الآخرة ويهدونهم في الدنيا ، كما هو دين الألباء عليهم السلام . أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله ويسبون ذكر الدنيا . (بخالصة ذكرى الدار) على الإضافة هشام ونافع . وهى من إضافة الشيء إلى ما يبينه لأن الشالصة تكون ذكرى وغير ذكرى . و (ذكرى) مصدر مضاف إلى المفعول . أى بإخلاصهم ذكرى الدار . وقيل (خالصة) بمعنى خلوص ، فهى مضافة إلى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير . وقيل (ذكرى الدار) الثناء الجميل في الدنيا . وهذا شئ قد أخلصهم به . فليس يذكر فيهم في الدنيا بمنى ما يذكرون به . يقويه قوله (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) .

(١٤) المختارين من بين أبناء جلدتهم .

(١٥) جمع خير أو خير على التخفيف كأموال في جمع ميت أو ميت .

(١٦) كأت حرف التعريف دخل على يسع .

(١٧) التثنية عوض عن المضاف إليه أى وكلهم (من الأخيار) .

(١٧) أى (هذا) شرف وذكور جميل يذكرون به أبداً . (وإن) لمع ذلك لحسن مرجح . يعنى يذكرون في الدنيا بالجميل ، ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة رب جليل . ثم بين كيفية حسن ذلك المرجح فقال (جَنَّاتٍ عِدْنٍ) بدل من (حسن مآب) .

(١٨) حال من (جَنَّاتٍ) لأنها معرفة لإضافتها إلى (عدن) وهو علم . والعامل فيها ما في (لِلْمُتَّقِينَ) من معنى الفعل .

لَهُمُ الْآبُوتَابُ ﴿١٧﴾ مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ  
 وَشُرَابٍ ﴿١٨﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْآرَابِ ﴿١٩﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ  
 لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٢١﴾ هَذَا  
 وَلِإِنَّ لِلطَّاغِيَتِ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴿٢٢﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسَّ الْإِهَادِ ﴿٢٣﴾

(١٧) ارتفاع الأبواب بأنّها فاعل (مفتحة). والعائد حذف. أى (مفتحة لهم الأبواب) منها .  
 غلظ كما حذف في قوله (فإنّ الجحيم هى الماوى) أى لهم . أو أبوابها إلا أن الأول أجود .  
 أو هى بدل من الضمير فى (مفتحة) وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى (الأبواب) وهو من  
 بدل الاشتغال .

(٢٢) حال من المجرور فى (لهم) والماول (مفتحة) .

(٢٣) أى (وشراب) كثير . غلظ اكتفاء بالأول .

(٢٤) أى قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ .

(٢٥) لدات أسنانهم كأسنانهم لأنّ الثعالب بين الأقران أئمت . كأنّ اللدات ميمن أترابا  
 لأنّ التراب مسمّن فى وقت واحد .

(٢٦) وبالياء مئى وأبو عمرو .

(٢٧) أى ليوم تجزى كلّ نفس بما عملت .

(٢٨) من اقطاع . وإجملة حال من الرزق . والماول الإشارة .

(٢٩) خبر والمبتدا محذوف . أى الأمر هذا ، أو هذا كما ذكر .

(١٠٠) مرجع .

(١١١) بدل منه .

(١١٢) يدخلونها .

(١١٣) شبه ما تحتم من النار بالمهاد الذى يقرشه النائم .

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۖ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿١١﴾  
 هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿١٢﴾  
 قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَجَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مُّثِمُّوهُ لَنَا فَيَنْسَ الْقَرَارُ ﴿١٣﴾

(١١) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه . فهذا مبتدأ و (حميم) خبره (وغساق) عطف على الخبر (فليذوقوه) اعتراض . أو العذاب (هذا فليذوقوه) ثم ابتداء فقال هو (حميم وغساق) بالتشديد حزمة وعلى وحض . والنساق بالتشديد والتخفيف ما ينسق من صديد أهل النار . يقال قَسَّقت العين إذا سال دمعها . وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق بيزده .

(١٢) أى (و) عذاب (آخر) أو مذوق آخر من مثل العذاب المذكور . (وآخر) بصرية .  
 أى (و) مذوقات (آخر) من شكل هذا المذوق في الشدة والفظامة .

(١٣) صفة لا تترلأه يجوز أن يكون ضروبا .

(١٤) (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار ، أى دخل النار في محبتكم . والاقترام الدخول في الشيء بشدة والفحمة الشدة . وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض . أى يقولون هذا . والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرجح بين) دعاء منهم على أتباعهم . تقول لمن تدعوله مرجحاً أى أتيت رجلاً من البلاد لا ضيقاً . أو رجيت بلادك رجلاً . ثم تدخل عليه لا في ذم السوء و (هم) بيان للحوط عليهم (إنهم صالوا النار) أى داخلوها . وهو تمليل لاستيجابهم الدعاء عليهم . وقيل (هذا فوج مقتحم) كلام الخنزرة لرؤساء الكفرة في أتباعهم و (لا مرجح بين) أنهم صالوا النار (كلام الرؤساء) . وقيل هذا كله كلام الخنزرة .

(١٥) (قالوا) أى الأتباع ، (بل أنتم لا مرجح بينكم) أى الدعاء الذى دعوتهم به علينا أنتم أحق به . وعلموا ذلك بقوله (أنتم قد مضموا لنا) والضمير للمذاب أو لصلبهم ، أى أنكم دعوتوا إليه فكفروا بأنابكم  
 (١٦) أى النار .



قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضَعْفًا فِي النَّارِ ﴿١٦﴾  
 وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعْلَمُ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿١٧﴾ ائْتَدَيْنَاهُمْ مِنْ غَيْرِنَا  
 أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿١٩﴾

(١٦) أى الاتباع .

(١٧) (ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) وبمعناه ضاعف . ونحوه قوله (ربنا هؤلاء أضلونا  
 لأنهم ضلانا ضعفا) وهو أن يزيد على ضلاليه مثله .

(١٨) الضمير لرؤساء الكفرة .

(١٩) يسنون فقراء المسلمين .

(٢٠) (كما نعلم) فى الدنيا من الأردال الذين لا خير فيهم ولا جدوى .

(٢١) بلفظ الإخبار عراقى غير عاصم ، على أنه صفة لرجالا مثل (كما نعلم من الأشرار)  
 وبهجة الاستفهام فيهم ، على أنه إنكار على أنفسهم فى الاستسغار منهم . (من غيرنا) مدنى  
 وجمزة وعلى والمفضل .

(٢٢) (زاغت) مالت (عنهم الأبصار) . هو متصل بقوله (مالنا) أى مالنا لا نراهم  
 فى النار كأنهم ليسوا فيها ؟ بل أزاحت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها ؟ قسموا أمرهم بين  
 أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفى عليهم مكانهم .

(٢٣) (إن ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لصدق كائن لا محالة لابد أن يتكلموا به .  
 ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) . وكما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال  
 والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماء تخاصما ، ولأن قول الرؤساء (لا مرحبا بهم) وقول  
 أتباعهم (بل أتم لا مرحبا بكم) من باب الخصومة فسعى التقاؤل كله تخاصما لا شتيلا  
 على ذلك .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١﴾  
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿١٢﴾ قُلْ هُوَ  
 نَبِيُّ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٤﴾ مَا كَان لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ  
 الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٥﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾

(١١) (قل) يا عباد لمشركي مكة : ما أنا إلا رسول منذر أنذركم مذاب الله تعالى .  
 وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله إلا الله (الواحد) بلا تد  
 ولا شريك (القهار) لكل شيء .

(١٢) له الملك والروبية في العالم كله .

(١٣) (العزيز) الذي لا يظلم إذا عاقب (الغفار) للذنوب من التجا إليه .

(١٤) (قل هو) أي هذا الذي أنبأكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له  
 (نبا عظيم) لا يمرض عن مثله إلا غافل شديد النفلة ، ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون .  
 (ما كان لي) — حفص — (من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون). احتج لصحة نبوته بأن ما نبئني  
 به عن الملا الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط . ثم حمله ولم يسلك الطريق  
 الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب . فعمل أن ذلك  
 لم يحصل له إلا بالوحى من الله تعالى (إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين) أي ل (أنما أنا  
 نذير مبين) . ومعناه ما يوحى إلى إلا للإنذار . فحذف اللام وانتصب بإقضاء الفعل إليه .  
 ويجوز أن يرفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا . وهو أن أنذروا بلغ ولا أقوط في ذلك . أي  
 ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس لي غير ذلك . وبكسر (أنما) يزيد على الحكاية أي إلا

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿١١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ  
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ  
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿١٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

هذا القول، وهو أن أقول لكم (إنما أنا نذير مبين) ولا أدعي شيئا آخر. وقيل البأ العظيم  
قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد. وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن .  
وعن الحسن يوم القيامة . والمراد بالملأ الأكل أصحاب القصة . الملائكة وآدم وإليس لأنهم  
كانوا في السماء . وكان التناول بينهم . و (إذ يمتصمون) متعلق بمحذوف، إذ المعنى : ما كان  
لى من علم بكلام الملأ الأكل وقت اختصامهم .

﴿١١﴾ (إذ قال ربك) — بدل من (إذ يمتصمون) أى في شأن آدم — حين قال تعالى على لسان  
ملك (للملائكة) إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (وَقَالَ) (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) قَالُوا أَتَجْعَلُ  
فِيهَا مَن يَفْسُدُ فِيهَا) .

﴿١٢﴾ فإذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته — وأضافه إليه  
تخصيصا كبيت الله وثافة الله . والمعنى أحييته وجعلته حساسا متفكسا — (فقعوا) أمر  
من وقع يقع . أى اسقطوا على الأرض . والمعنى اسجدوا (له ساجدين) . قيل كان الخناء بدل  
على التواضع . وقيل كان سجدة لله . أو كان سجدة التحية .

﴿١٣﴾ كل الإحاطة . و (أجمعون) للاجتماع . فافاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم وفي وقت  
واحد غير متفرقين في أوقات .

﴿١٤﴾ تعظم عن السجود .

﴿١٥﴾ وصار من الكافرين بإباء الأمر . .

قَالَ يَكْبَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أُسْتَكْبِرْتَ  
 أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ  
 مِنْ طِينٍ ﴿٢٢﴾ قَالَ فَانْجِرْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي

(٢١) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدي) أي بلا واسطة ، امتثالا لأمرى  
 وإعظاما لخطاي . وقد مرّ أنّ ذا اليمين يباشر أكثر أعماله بيده فتقلب العمل باليمين على  
 سائر الأعمال التي تباشر بغيرها ، حتّى قيل في عمل القلب هو ما عملت يدك ، وحتّى قيل  
 لمن لا يدي له "يدك أو كذا وفوك نفخ" وحتّى لم يبق فرق بين قولك هذا ممّا عملته وهذا  
 ممّا عملته يدك . ومنه قوله (مما عملت أيدينا) و(لما خلقت بيدي) .

(٢٢) (استكبرت) استفهام إنكار (أم كنت من العالمين) ممّن طوت وقت . وقيل  
 (استكبرت) الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين .

(٢٣) يعني لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لأنّه مخلوق مثل ، فكيف أسجد لمن هو  
 دوني ؟ لأنّه من طين والنار تقلب الطين وتأكله . وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي  
 (خلقتني من نار) مجرى المعطوف عطوف البيان والإيضاح .

(٢٤) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التي أنت فيها لأنّه كان يفتخر بخلقته  
 فغضب الله خلقته ، واسودّ بعد ما كان أبيض ، وقبح بعد ما كان حسنا ، وأظلم بعد ما كان  
 نورانيا .

(٢٥) مرجوم أي مطرود . تكبر ليس أن يسجد لمن خلق من طين وزلّ عنه أن الله  
 أمر به ملائكته وأتبعوا أمره إجلالا لخطابه وتمظيلا لأمره ، فصار مرجوما ملعونا  
 بترك أمره .

(٢٦) يفتح الياء مدنية . أي لإحدى من كلّ النحى .

إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ فَإِنَّكَ  
مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٣﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿١٤﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ  
أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿١٧﴾

(١١) أى يوم الجزاء ولا يطق أن يلقه غايته يوم الدين ثم تنقطع لأن معناه أن عليه  
اللعنة في الدنيا وحدها . فإذا كان يوم الدين اقترن بها المذاب فيقطع الأفراد . أولاً كان  
عليه اللعنة في أوان الرحمة ، فأولى أن تكون عليه في غير أوانها . وكيف تنقطع وقد قال الله  
تملى ( فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ) .

(١٢) فامهلنى .

(١٣) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النسخة الأولى . ويوم اليوم الذى وقت النسخة  
جزء من أجزائه . ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر .

(١٤) أى أقسم بجزء الله وهى سلطانه وقهره .

(١٥) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى .

(١٦) بالرفع كوفى غير على على الابتداء . أى الحق قسمى ، أو على الخبر أى أيا الحق . وغيرهم  
بالنصب على أنه مقسم به كقولك الله لأفعلن كذا . يعنى حذف عنه الباء فانتصب . وجوابه  
( لأفعلن ) والمراد بالحق إما اسمه عز وجل الذى فى قوله ( إن الله هو الحق ) أو الحق الذى  
هو تقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به .

(١٧) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه . وهو منصوب بأقول ، ومعناه ولا أقول  
إلا الحق .

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ  
نِسَاءَهُمْ بِعَدِّ حِينٍ ﴿١٤﴾

(١١) (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ) من جسدك . وهم الشياطين (وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ) من ذرية  
آدم ، أى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ من المتبوعين والتابعين (أَجْمَعِينَ) لا أترك منهم أحدا .

(١٢) الضمير للقرآن أو للوحى .

(١٣) من الذين يتصنعون ويحلّون بما ليسوا من أهله وما عرفتموه قط متصنعا ولا  
مدعيًا بما ليس عنده حتى اتحلّ النبوة وأتقول القرآن . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
لَتَكْلَفَنَّ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ يَنَازِعُ مِنْ فَوْقِهِ ، وَيَتَعَاطَى مَا لَا يَتَالُ ، وَيَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ .

(١٤) ما القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) من الله للثقلين أَوْسَى إِلَى فَا نَا إِلَهْنَاهُ .

(١٥) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعد وذكر البعث والنشور .

(١٦) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة . ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر  
والله الموفق .

## سورة الزمر مكية

وهي خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ  
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ  
 الْخَالِصُ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا  
 لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾

(١) (تنزيل الكتاب) أى القرآن ، مبتدأ خبره (من الله) أى نزل من عند الله . أو  
 خبر مبتدأ محذوف . وإلجاز صلة التنزيل ، أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر . أو خبر مبتدأ  
 محذوف تقديره هذا (تنزيل الكتاب) هذا (من الله العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تقديره .  
 (٢) هذا ليس بتكرار . لأن الأول كالمنوان للكتاب ، والثانى لبيان ما فى الكتاب .

(٣) (مخلصا) — حال — (له الدين) أى مخلصا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد  
 وتصفية السر . فالدين منصوب بمخلصا . وقرئ (الدين) بالرفع . وحق من رضى أن يقرأ  
 (مخلصا) .

(٤) أى هو الذى يجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدرا لا تلاصحه  
 على القيوب والأسرار . وعن قتادة : الدين المخلص شهادة أن لا إله إلا الله . وعن  
 الحسن : الإسلام .

(٥) (أولياء) أى آلهة . (والذين) مبتدأ محذوف الخبر تقديره (والذين) عبدوا الأصنام  
 يقولون (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) مصدر . أى تهربا . (إنا الله يحكم بينهم) بين المسلمين

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿١١﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ  
 مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ  
 وَمِنْ خِزْيَانِ السَّمْسِ وَالْقَمَرِ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٣﴾ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١٤﴾

والمشركين (فيما هم فيه يفتنون) . قيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض ؟  
 قالوا الله . فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام ؟ قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)  
 والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين .

(١١) أى لا يهدي من هو في علمه أنه يختار الكفر ، يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت  
 اختياره الكفر . ولكنه يضلّه . وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء :  
 بنات الله . ولذا عقبه محتمياً عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء)  
 أى لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لا ختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أتم وتشاءون .

(١٢) نزهة ذاته عن أن يكون له أخذ ما نسبوا إليه من الأولياء والأولاد . ودل على ذلك  
 بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى أنه واحد متبرئ عن انضمام الأعداد ، متماعل عن التجزؤ  
 والولاد ، قهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء التيهم . فأنى يكون له أولياء وشركاء ؟ ثم  
 دل بخلق السموات والأرض وتكوين كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيران  
 وبحرهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام ، على أنه  
 واحد لا يشارك ، قهار لا يغال بقله (خلق السموات والأرض بالحق يكوّر الليل على  
 النهار ويكوّر النهار على الليل) . والتكوين اللف والقيال كالمهمة على رأسه وكورها .  
 والمعنى أنك كل واحد منهما ينتب الآخر إذا طرأ عليه . فشبّه في تنبيهه إياه بشيء ظاهر  
 لقف عليه ما يقبه عن مطامح الأبصار . أو أن هذا يكر على هذا كرويا متابها . فشبّه ذلك  
 بتتابع أكوار المهمة بعضها على أثر بعض .

(١٣) أى يوم القيامة .

(١٤) (العزير) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن  
 بمسخرهما (الفقار) لمن فكر واعتبر قامن بمديهما .



خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَآتَزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ<sup>(١)</sup>  
 ثَمَنِينَ<sup>(٢)</sup> أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ<sup>(٣)</sup>  
 ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ<sup>(٤)</sup>  
 تَكْفُرًا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ<sup>(٥)</sup>

(١) أى آدم عليه السلام .

(٢) أى حواء من قُصْبَرَاه . قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالنذر . ثم خلق بعد ذلك حواء .

(٣) أى جعل ، عن الحسن . أو خلقها في الجنة مع آدم عليه السلام . ثم أنزلها . أو لأنّها لا تعيش إلّا بالنبات . والنبات لا يقوم إلّا بالماء ، وقد أنزل الماء فكانت أنزلها .

(٤) ذكرنا وأنّى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما بين في سورة الأنعام . والزواج اسم لواحد معه آخر ، فإذا انفرد فهو فرد ويؤنر .

(٥) ظلفة ثم مقلقة ثم مضغة ثم إلى تمام الخلق .

(٦) ظلمة البطن والرحم والمشيمة . أو ظلمة الصلب والبطن والرحم .

(٧) (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأتقوا الله) فكيف يعمل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ ثم بين أنه غنى عنهم بقوله (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم) عن إيمانكم وأتم محتاجون إليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمان (ولا يرضى لعباده الكفر) لأن الكفر ليس رضا الله تعالى وإن كان بإرادته . (وإن تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أى يرضى الشكر لكم لأنه سبب فوزكم فيبيّنكم عليه الجنة . (يرضه) بضم الهاء والإشباع مكى وعلّ (يرضه) بضم الهاء بدون الإشباع نافع وهشام وطاصم غير يحيى وحامد . وضيهر (يرضه) .

وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ لَكُمْ رَيْبُكُمْ فَجَبَلْنَاهُمْ حُمْلًا  
تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٤﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرَدًا  
رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِنْ  
قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا

(١) أى لا يؤاخذ أحد بذهب آخر .

(٢) إلى جزاء ربكم رجوعكم .

(٣) فيخبركم بأعمالكم ويمازىكم عليها .

(٤) بتغيات القلوب .

(٥) هو أبو جهل أو كل كافر .

(٦) بلاء وشدة . والمَسَّ في الأعراس مجاز .

(٧) راجعا إلى الله بالدعاء لا يدعو فيه .

(٨) أعطاه .

(٩) من الله عز وجل .

(١٠) أى نسى ربه الذى كان يتضرع إليه . و ( ما ) بمعنى من كقوله ( وما خلق الذكر

والأنثى ) . أو ( نسى ) الضم الذى ( كان يدعو ) الله إلى كشفه .

(١١) أمثالا .

(١٢) ليضل ( مكي وأبو عمرو وعقوب .

(١٣) أى الإسلام .

(١٤) قل يا محمد .

(١٥) أمر تهديد .

(١٦) أى ( تمتع بكفرك قليلا ) في الدنيا .

إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۖ أَمِنْ هُوَ قُلْتَ ۚ إِنَّكَ لَا تَلْمِزُ سَاجِدًا  
وَقَائِمًا يَخْشَى الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ  
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ ۚ أَلَا لَبِيبٌ قُلْ يَعْبَادُ

(١١) من أهلها .

(١٢) قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحزرة ، على إدخال همزة الاستفهام على (من) وبالتشديد  
غيرهم ، على إدخال (أم) عليه . والقائمت المطيع لله . و (من) مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن  
(هو قانت) كغيره . أى أمن هو مطيع كن هو ماض . وإثما حذف لدلالة الكلام عليه .  
وهو جرى ذكر الكافر قبله ، وقوله بعده (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

(١٣) ساعاته .

(١٤) حالان من الضمير في (قانت) .

(١٥) أى عذاب الآخرة .

(١٦) أى الجنة .

وذلك الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمة لا عمله  
ويحذر عقابه لتقصيره في عمله . ثم الرجاء إذا جاوز حده يكون أمنا والخوف إذا جاوز  
حده يكون إياسا . وقد قال الله تعالى : ( فلا يؤمن مكر الله إلا القوم الخاسرون )  
وقال ( إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون ) فيجب ألا يجاوز أحدهما حده .

(١٧) أى يعلمون ويعملون به . كأنه جعل من لا يعمل غير عالم . وفيه ازدراء عظيم  
بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا . فهم عند الله جهلة حيث  
جعل الفاتنين هم العلماء . أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى السالم والجاهل ، كذلك  
لا يستوى المطيع والمعاصي .

(١٨) جمع لب . أى إثما يتعظ بوعظ الله وأولو العقول .

(١٩) بلا ياء عند الأكثر .

الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا رَبَّكَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ  
 اللَّهِ وَسْعَةٌ إِنَّكَ يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١) قُلْ إِنِّي أُمرْتُ  
 أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (٣)

(١) بامتثال أوامره واجتنب نواهيه .

(٢) أى (الذين) أطاعوا الله فى الدنيا (حسنة) . و (فى) يتعلق بأحسنوا لا بحسنة . معناه  
 الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة ، أى حسنة لا توصف .  
 وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية .

(٣) أى لا منر للفرطين فى الإحسان البتة . حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكنون  
 فى أوطانهم من التوقر على الإحسان ، قيل لهم فأت أرض الله واسعة وبلاده كثيرة . فتحولوا إلى  
 بلاد آخر ، واقتدوا بالأنبياء والصالحين فى مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى  
 إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم .

(٤) (إنما يوقى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرتهم وعلى غيرها من تجزع النقص  
 وإحتال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) . عن ابن عباس رضى الله عنهما  
 لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف . وهو حال من الأجر . أى موقرأ .

(٥) بأن أعبد الله .

(٦) أى أمرت بإخلاص الدين .

(٧) (وأمرت) بذلك (أ) أجل (أن أكون أول المسلمين) أى مقدمهم وسابقتهم فى الدنيا  
 والآخرة . والمعنى أن الإخلاص له السبق فى الدين . فمن أخلص كان سابقا . فالأول أمر  
 بالعبادة مع الإخلاص . والثانى بالسبق . فلاختلاف جهتهما تزل مقلة المختلفين . فصح  
 عطف أحدهما على الآخر .

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ قُلِ اللَّهُ  
 أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٢﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنْ  
 الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ  
 هُوَ الْخَسْرَانُ ﴿١٣﴾ ثُمَّ مِنَ فَوْقِهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ  
 تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَتَعَبَّدُونَ فَإِنْ قُبِرُوا ﴿١٥﴾

(١١) قل لمن دعاك بالرجوع إلى دين آبائك. وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام  
 ألا تنظر إلى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون الآلات والعزى . فترت ردا عليهم .

(١٢) هذه الآية إخبار بأنه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره . والأولى  
 إخبار بأنه مأمور بالعبادة والإخلاص ، فالكلام أولا واقع في نفس الفعل ولإيماده وثانيا فيمن  
 يفعل الفعل لأجله . ولذلك رتب عليه قوله ( فاعبدوا ما شئتم من دونه ) . وهذا أمر تهديد .

(١٣) قيل له عليه السلام إن خالفت دين آبائك فقد خسرت ، فزلت ( قل إن الخاسرين )  
 أي الكاملين في الخسران الجامعين لوجوه وأسبابه ( الذين خسروا أنفسهم ) بإهلاكها في النار  
 ( وأهلهم ) أي وخسروا أهلهم ( يوم القيامة ) لأنهم أضلّوهم فصاروا إلى النار . ولقد وصف  
 خسراهم بغاية الفظاظة في قوله ( ألا ذلك هو الخسران المبين ) حيث صدر الجملة بحرف التبيين ،  
 ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر ، وعرف الخسران ، ونعته بالمبين . وذلك لأنهم استبدلوا  
 بالجنة نارا ، وبالدرجات دركات .

(١٤) لهم من فوقهم ( أطباق من النار ومن تحتهم ) أطباق من النار هي ( ظلال ) لآخرين .  
 أي النار محيطة بهم .

(١٥) ( ذلك ) الذي وصف من العذاب أو ( ذلك ) الظلال ( يخوف الله به عباده ) ليؤمنوا به  
 ويحتجبوا مناهيه . ( بإعاد فاتقون ) ولا تتعرضوا لما يوجب خطي . خوفاً بالنار ثم حذرهم  
 نفسه .

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ  
 الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ  
 أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿١٢﴾  
 الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ كَلِمَةَ الْعَذَابِ فَأَتَتْ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٣﴾

(١١) الشياطين . فعلوت من الطغيان ، كالمكوت والرحوت إلا أنه فيها قلبا بتقديم اللام  
 على العين . أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا . وفيها مبالغات  
 وهي التسمية بالمصدر كأت من الشيطان طغيان ، وأت البناء بناء مبالغة فأت الرحوت الرحمة  
 الواسعة والمكوت الملك المبسوط ، والقلب وهو الاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان .  
 والمراد بها ههنا الجمع . وقرئ (الطاغوت) .

(١٢) بدل الإشتغال من (الطاغوت) أى حياتها .

(١٣) وجعوا .

(١١) هى الإشارة بالنواب تتقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وسين يحشرون .  
 (١٢) هم الذين اجتنبوا وأنابوا . وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنيابة على  
 هذه الصفة . فوضع الظاهر موضع الضمير . أراد أن يكونوا قاندا في الدين — يميزون بين  
 الحسن والأحسن والفاضل والأفضل . فإذا اعترضهم أمران واجب وتنب اختاروا  
 الواجب . وكذا المباح والتنب — حراسا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا .  
 أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن . أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو  
 القصص والغفر ونحو ذلك . أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث  
 بأحسن ما سمع ويكف عما سواه .

(١٣) أى للمتفوتون بقولهم .

(١١) أصل الكلام أمن حق عليه العذاب — أى وجب — فأت تنقذه . جملة  
 شرطية دخلت عليها همزة الإنكار والفاء الجزاء . ثم دخلت الفاء التى فى أولها اللطف على  
 محذوف تقديره أنت مالك أمرهم فن حق عليه كلمة العذاب فأت تنقذه . والهمزة الثانية

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ  
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ أَلَمْ تَرَ  
أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ  
بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْثُهُ مَصْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴿٣٢﴾

هى الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار . ووضع (من فى النار) موضع الضمير أى تنقذه .  
فالآية حل هذا جملة واحدة ، أو معناه (المن حق عليه كلمة العذاب) يجهومنه ؟ أفأنت تنقذه ؟  
أى لا يقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه أنه من أهل النار .

(٣١) أى لم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها . يعنى للكفار ظلال من النار  
وللذين عرف .

(٣٢) أى من تحت منازلها .

(٣٣) مصدر مؤكّد لأن قوله (لم عرف) فى معنى وعدم الله ذلك .

(٣٤) يعنى المطر . وقيل كل ماء فى الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم  
يقسمه الله .

(٣٥) فأدخله حيوتا ومسالك ومجارى كالعروق فى الأجساد . و (ينابيع) نصب على الحال  
أو على الظرف : و (فى الأرض) صفة لينايع .

(٣٦) بالماء .

(٣٧) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض . أو أصنافه من برّ وشعر وسمسم  
وفير ذلك .

(٣٨) (ثم) يحذف . (فتراه مصفرا) بعد تضارته وحسنه .

(٣٩) فأتانا متكسرا . فالحطام ما تفتت وتكسر من التفت وغيه .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾ أَفَنُفِخَ الصَّوْفُ لِلْإِنسَانِ  
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لَكَ  
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيًَّ ﴿٣٣﴾

(٣١) في أنزال الماء وإخراج الزرع .

(٣٢) تذكيرا وتنبيا على أنه لا بد من صنائع حكيم ، وأن ذلك كائن من تقدير وتدبير ،

لأن عن إهمال وتعطيل .

(٣٣) أى وسع صدره (الإسلام) فاهتدى . ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح  
فقال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح . فقيل فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم الإجابة  
إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الفور ، والاستعداد لولت قبل نزول الموت ( فهو على  
نور من ربه ) بيان وبصيرة . والمعنى ( أفن شرح الله صدره ) فاهتدى كمن طبع على قلبه  
ففسا قلبه . فحذف لآلة قوله ( فويل للناسية قلوبهم ) يدل على .

(٣٤) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله . أى إذا ذكر الله عندهم أو آياته  
ازدادت قلوبهم حساوة كقوله ( فزادتهم رجسا إلى رجسهم ) .

(٣٥) غواية ظاهرة :

(٣٦) في إيقاع اسم الله مبتدأ وبناء ( نزل ) عليه تصخيم لأحسن الحديث .

(٣٧) بدل من ( أحسن الحديث ) أو حال منه .

(٣٨) يشبه بعضه بعضا في الصدف والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك .

(٣٩) نمت . ( كتابا ) جمع منى بمعنى مرقد ومكرما فنى من قصصه وأنبائه وأحكامه  
وأوامره ونواحيه ووعدته ووعيدته ومواظفه . فهو بيان لكونه متشابها لآلة القصص المكررة  
وغيرها لا تكون إلا متشابهة . وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل . وإنما جاز وصف الواحد  
بالجمع لآلة الكتاب جملة ذات تفاصيل . وتفاصيل الشيء هى جملة . إلا تراك قول القرآن  
أسباع وأمحاس وسور وآيات . فكذلك قول أفاضل وأحكام ومواظ مكررات . أو منصوب  
على التمييز من ( متشابها ) كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل . والمعنى متشابهة مثانيه .



تَقْشَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ <sup>(١١)</sup> ثُمَّ تَلْبَسُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ  
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ <sup>(١٢)</sup> مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ  
فَمَا لَهُ مِن هَادٍ <sup>(١٣)</sup> أَقْنَنَ يَتَنَبَّأُ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ <sup>(١٤)</sup> كَذَبَ الَّذِينَ <sup>(١٥)</sup> مِن قَبْلِهِمْ

<sup>(١١)</sup> (تقشر) تضرط وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) . قال اقشعرت الجلد  
إذا تقبض تحبضا شديدا . والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية  
تقشعرت منها جلودهم . وفي الحديث إذا اقشعرت جلد المؤمن من خشية الله تحأت عنه ذنوبه كما  
يحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها .

<sup>(١٢)</sup> أى إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية  
والقشعريرة . وهدى إلى لتضمنه معنى فعل متعد إلى كأنه قيل اطمأنت إلى ذكر الله لينة  
غير متقبضة . واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن رحمته سبقت غضبه فلا حاجة  
ورحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالبال ألا يكونه وموفا رحيا . وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت  
بها القلوب ثانيا لأن عمل الخشية القلب ، فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب .

<sup>(١٣)</sup> (ذلك) إشارة إلى الكتاب . وهو (هدى الله يهدي به من يشاء) من عباده . وهم  
من علم منهم اختيار الاحتداء .

<sup>(١٤)</sup> (ومن) يخلق الضلالة فيه (فأله من هاد) إلى الحق .

<sup>(١٥)</sup> (أقنن يتيقن) كمن أمن من العذاب . لحذف الخبر كما حذف في نظائره . وسوء  
العذاب شدته . ومعناه أن الإنسان إذا لقي خوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي  
بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه . والذي يلقي في النار يلقي مفولة يده إلى عقبه فلا يتنبأ له  
أن يتيق النار ألا يوجهه الذي كان يتيق المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه .

<sup>(١٦)</sup> أى تقول لهم نزنة النار (ذوقوا) ويال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم .

<sup>(١٧)</sup> من قبل قریش .

فَاتَّهَمُ الْعَذَابُ مَنْ حَبِثَ لَا يَسْعُرُونَ ﴿١١﴾ فَأَذَاهُمُ اللَّهُ أَلْخَزَىٰ  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ  
 ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾  
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا  
 رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ﴿١٥﴾ وَرَجُلًا سَلَبًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴿١٦﴾  
 (١١) من الجملة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها . بينما هم آمنون إذ  
 فوجئوا من ما منهم .

(١٢) (فأذاهم الله) الذل والصغار كالسحق والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من مذاب  
 الله (في الحياة الدنيا . وللعذاب الآخرة أكبر) من مذاب الدنيا . (لو كانوا يعلمون) لا متوا .  
 (١٣) ليتنظروا .

(١٤) حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا . فتذكر رجلا وإنسانا  
 توكيدا . أو نصب على المدح .

(١٥) مستقيا برئنا من التناقض والاختلاف . ولم يقل مستقيا للإشمار بالآ يكون فيه  
 هجج قط . وقيل المراد بالهيجج الشك . (لعلهم يتقون) بالكفر .  
 (١٦) بدل .

(١٧) متنازعون ومختلفون .

(١٨) (سلبا) — مصدر سلم والمعنى ذى سلامة — (الرجل) أى ذى خلوص له من الشركه .  
 (سالمًا) مكى وأبو عمرو ، أى خالصا له .

(١٩) صفة . وهو تميز . والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالهما . وإنما اقتصر في التميز  
 على الواحد لبيان الجنس . وقرئ (مثلين) .

مثل الكافر ومعبوده يعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم  
 يدعى أنه عبده فهم يتجادلونه ويتعاورونه في مهن شتى وهو متعير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته  
 وهل أيهم يعتمد في حاجاته . ومن يطلب رزقه ومن يلمس رفقته فهمه شعاع وقلبه أوزاع ،  
 والمؤمن يعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع .

أَحْمَدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَأَنكَرَ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكَ تَحْتَصِمُونَ ﴿١٣﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ

﴿١١﴾ (الحمد لله) الذي لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره .

﴿١٢﴾ (إنك ميت) أى سيموت (وإنهم ميتون) . وبالتخفيف من حلّ به الموت . قال  
الخليل : أنشد أبو عمرو :

وتسألنى تفسير ميت وميت • لعلوك قد لمترت إن كنت بمقل

لئن كلف ذا روح فذلك ميت • وما الميت إلا من إلى القبر يُعمل

كانوا يقرّبون رسول الله صلى الله عليه وسلم موته . فأخبر أن الموت يعمهم . فلا معنى للترّيب  
وشماعة الغاني بالغاني . ومن قتادة "نهى إلى نبيه نفسه ونهى إليكم أنفسكم" . أى إنك وإياهم  
في عداد الموق لألق ما هو كائن فكأن قد كان .

﴿١٣﴾ (ثم إنكم) أى إنك وإياهم . فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب — (يوم القيامة  
عند ربكم تحصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فليجوا  
في العناد ، ويعتذرون بما لا طائل تحته . تقول الأتباع أطمعنا ساداتنا وكبراءنا ، وتقول  
السادات أغوتنا الشياطين وأبازنا الأقدمون . قال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين "ما خصومتنا  
ونحن إخوان" ؟ فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا "هذه خصومتنا" . وعن أبي العالية : ثلث  
في أهل القبلة . وذلك في الدماء والمظالم التى بينهم . والوجه هو الأول ؛ ألا ترى إلى قوله  
(لئن أظلم ممن كذب على الله) وقوله (والذى جاء بالصدق وصدق به) وما هو إلا بيان وتفسير  
للتين تكون بينهما الخصومة . (كذب على الله) اقترى عليه بإضافته الولد والشرىك إليه .

وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ <sup>(١)</sup> أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ <sup>(٢)</sup> وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ <sup>(٣)</sup> أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ <sup>(٤)</sup> لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ <sup>(٥)</sup> لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(٦)</sup> أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ الصِّدْقُ بَعْنَهُ . وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

<sup>(١)</sup> فاجاه بالكذب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون .

<sup>(٢)</sup> أى هؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصديق . واللام في (الكافرين) إشارة إليهم .

<sup>(٣)</sup> هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . جاء بالحق وآمن به . وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ( ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم بهتدون ) فلذا قال تعالى ( أولئك هم المتقون ) . وقال الزجاج روى عن علي رضي الله عنه أنه قال ( والذي جاء بالصديق ) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ( و ) الذي ( صدق به ) أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وروى أن الذي جاء بالصديق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي صدق به المؤمنون . والكل صحيح . كذا قاله : قالوا والوجه في العربية أن يكون ( جاء ) و ( صدق ) لفاصل واحد لأن التناهي يستدعي إضمار الذي وذا غير جائز أو إضمار الفاصل من غير تقدم الذكر وذا جيد .

<sup>(٤)</sup> إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشيء إلى ما هو بهضه من غير تفضيل كقولك : <sup>(٥)</sup> الأشجع أحصل بنى مروان .

<sup>(٦)</sup> أدخلت حمزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقررها .

<sup>(٧)</sup> أى محمداً صلى الله عليه وسلم . ( عباده ) حمزة وعلى أى الأنبياء والمؤمنين . وهو مثل ( إن أكفيناك المستهزئين ) .

وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١١﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿١٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٣﴾

(١١) أى بالأوثان التى اتخذوها آلهة من دونه، وذلك أت قرىشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تحبلك الفتنة وإنا نخشى عليك مضرتها لعيبك لإياها .

(١٢) (أليس الله) يعالب منيع (ذو انتقام) يتقم من أعدائه . وفيه وعيد لقرىش ووعد للذين آمن بالله يتقم لهم منهم وينصرهم عليهم . ثم أعلم بأنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ) مرض أو فقر أو غير ذلك (هل هنَّ كاشفاتُ ضرِّه) دافعاتُ شدته عنى (أو أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ) صحة أو غنى أو نحوهما (هل هنَّ ممسكاتُ رحمته) . (كاشفاتُ ضرِّه وممسكاتُ رحمته) بالتثنية على الأصل بصرى . وفرض المسألة في نفسه دونهم لأنهم يخوفوه معزة الأوثان وتخيلها فأمر بأن يهزروهم أولاً بأن خالق العالم هو الله وحده، ثم يقول لهم بعد التقرير إن أَرَادَنِي خالق العالم الذى أقررت به بضرٍّ أو برحمة هل يقدر على خلاف ذلك ؟ فلما ألجمهم قال الله تعالى (قل حسيبي الله) كافياً لمعزة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) . يروى أت النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فقل (قل حسيبي الله) وإنما قال (كاشفات وممسكات) على التأنيث بعد قوله (ويخوفونك بالذين من دونه) لأنهنَّ إناث . وهنَّ اللات والعزى ومناة . وفيه تهكم بهم ويعبودهم .

قُلْ يَتَقَرَّمْ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ مَن يَأْتِيهِ  
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ  
بِالْحَقِّ قُرْآنًا هَدًى وَنُورًا ﴿١٣﴾ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ  
بِوَكِيلٍ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا  
فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ لِمَا أَجَلَ مُّسَمًّى ﴿١٥﴾

(١١) (عل مكانتكم) عل حاكم الى اتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمتكن منها .  
والمكانة بمعنى المكان . فاستمرت عن العين للعنى كما يستمر هنا وحيث للزمان وهما المكان .  
(إلى عامل) أى عل مكاتى . وحذف للاختصار ، ولما فيه من زيادة الوعيد والإيدان  
بأن حاله تزداد كل يوم قوة ، لأن الله تعالى ناصره ومعينه . ألا ترى الى قوله (فسوف  
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدكم بكونه منصورا عليهم  
غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لأنهم إذا أنهم الخزي والمذاب فذلك عزه وعلوته من حيث إن  
الغلبة تم له بعزيز من أولياته وبذلك دليل من أعدائه . و(يخزيه) صفة للعذاب كقيم .  
أى عذاب يخزيه له ، وهو يوم بدر ، وعذاب دائم ، وهو عذاب النار . (مكاناتكم)  
أبوابكم وحامد .

(١٢) القرآن .

(١٣) لأعلمهم ولأجل حاجتهم إليه ليشرحوا وينلدروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة  
عل المعصية .

(١٤) لمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضررها .

(١٥) (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ . ثم أخبر بأنه الحفيظ التقدير عليهم بقوله (الله يتوقى  
الأنفس حين موتها) الأنفس الجمل كما هى . وتوقىها إمامتها وهوان يسلب ما هى به حية حساسة  
دراكة . (و) يتوقى الأنفس (التي لم تمت فى منامها) أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمى بالموتى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ أَمْ آتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴿١٢﴾

حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أت المولى كذلك . ومنه قوله تعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل) (فيمسك) الأنفس (التي قضى) — (فُضِيَ) حزة وعلى (عليها الموت) الحقيقى . أى لا يرقعا في وقتها حية (ويرسل الأخرى) النائمة (إلى أجل مسمى) إلى وقت ضربه لموتها . وقيل (يتوفى الأنفس) أى يستوفىها ويقبضها . وهى الأنفس التى تكون معها الحياة والحركة (و) يتوفى الأنفس (التي لم تمت في منامها) وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تُتوفى في المنام هى نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس ، والنائم يقتبس . ولكل إنسان نفسان أحدهما نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت ، والأخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه إذا نام . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما "فى ابن آدم نفس ونفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس ، فالنفس هى التى بها العقل والتمييز . والروح هى التى بها النفس والتحرك . فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه" . وعن على رضى الله عنه قال "تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فيذلك يرى الرؤيا . فإذا أيقظه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة" . وعنه ما "رأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الإرسال فليقتها الشيطان فهى كاذبة" وعن سعيد بن جبير "أت أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف (فيمسك) التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مئة حياتها" . وروى "أت أرواح المؤمنين تخرج عند النوم فى السماء ، فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ، ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن لم فيه" .

﴿١١﴾ (إت فى) توفى الأنفس مائة ومائة وإمسكها وإرسالها إلى أجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يحيلون فيه أفكارهم ويعتبرون .

﴿١٢﴾ بل آتخذ قريش — والحمة للإنكار — (من دون) إذن (الله شفعا) حين قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه .

قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ  
 جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرَ  
 اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ  
 دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمْ  
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٤﴾

(١١) معناه (أ) يشفعون (ولو كانوا لا يملكون شيئا) قط ولا عقل لهم .

(١٢) أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعه إلا بأذنه . وانتصب (جميعا) على الحال .

(١٣) تقرير لقوله (فه الشفاعة جميعا) لأنه إذا كان له الملك كله ، والشفاعة من الملك ،  
 كان مالكا لها .

(١٤) متصل بما يليه . معناه (له ملك السموات والأرض) اليوم (ثم إليه ترجعون) يوم القيامة .  
 فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له . فله ملك الدنيا والآخرة .

(٥) مدار المعنى على قوله (وحده) . أى إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشتامت)  
 أى هرت واقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم  
 ذكر الله معهم أو لم يذكر (إذا هم يستبشرون) لافتنانهم بها . وإذا قيل لا إله إلا الله وحده  
 لا شريك له نفروا لأن فيه نقيا لآلهتهم . ولقد تقابل الاستبشار والاشتياز إذ كل واحد  
 منهما غاية في بابه ، فالاستبشار أن يتلئ قلبه مرورا حتى تنسبط له بشرة وجهه ويتلئ ،  
 والاشتياز أن يتلئ غمما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه . والعامل في (إذا ذكر)  
 هو العامل في (إذا) المفاجأة . تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجثوا وقت الاستبشار .

(٦) أى (فاطر) — وليس يوصف كما يقوله المبرد والقزواء — (السموات والأرض عالم الغيب  
 والشهادة) (المر والعلانية) (أنت) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة ، وقيل



وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ <sup>(١)</sup> لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ  
سُوءِ الْعَذَابِ <sup>(٢)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ <sup>(٣)</sup>  
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا <sup>(٤)</sup> وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ <sup>(٥)</sup>

هذه محاكمة من النبي ﷺ لاشركين إلى الله . وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت ندعى عندها  
إلا أجب ، سواها . وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله  
عنه وقالوا الآن يتكلم فإزاد أن قال آه أو قد نملوا؟ وقرأ هذه الآية . وروى أنه قال على أثره  
” قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلس في حجره ويضع فاه على فيه “ .

(١) الهاء تعود إلى ما .

(٢) شدته .

(٣) وظهر لهم من حفظ الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولا يحتملون به نفوسهم .  
وقبل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات . وعن مقيان الثوري أنه قرأها  
فقال : ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء . وخرج محمد بن المنكدر عند موته فقيل له .  
فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها . فإنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحسبه .

(٤) أي سيئات أعمالهم التي كسبوها . أو سيئات كسبهم حين تمرض همائم أعمالهم  
وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك .

(٥) ونزل بهم وأحاط جزء هنهم .

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَحْمُ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَنْ كُنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

(١١) (خولناه) أى أعطيناه تفضيلاً — يقال خولنى إذا أعطاك من غير جزاء — (نعمة منا) — ولا تلهف عليه لأن جواب (إذا) — (قال إنما أوتيته على علم) متى أتى ساعطاه لما فى من فضل واستحقاق . أو (على علم) متى برجوه الكسب كما قال قارون (على علم عندى) . وإنما ذكر الضمير فى (أوتيته) وهو للنعمة نظراً إلى المعنى لأن قوله (نعمة منا) شيطاً من النعمة وقبها منها . وقيل (ما) فى (إنما) موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها ، أى إك الذى أوتيته على علم . (بل هى فتنة) — إنكار له . كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول (بل هى فتنة) أى ابتلاء وامتحان لك أنتكرام تكفر: ولما كان الخبر مؤثراً أعنى (فتنة) ساغ تأنيث المبتدأ لأجله . وقرئ (بل هو فتنة) على وفق (إنما أوتيته) — (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنها فتنة . والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو أن هذه وقعت مسببة عن قوله (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت) على معنى أنهم يشمأزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة ، فإذا مس أحدهم ضرر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره . وما بينهما من الآى اعتراض . فإن قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه . قلت ما فى الاعتراض من دواء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بأمر من الله ، وقوله (أنت تحكم بين عبادك) ثم ما عقبه من الوعيد العظيم ، تأكيد لإعذارهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله فى الشدائد دون ألفتهم . كأنه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يمترون عليك مثل هذه الجراءة إلا أنت . وقوله (ولو أن للذين ظلموا من أهوال الأولى فلم يتناولوا) إن جعل عاقبة أو إياهم خاصة إن عتيتهم به . كأنه قيل (ولو أن) هؤلاء الظالمين (ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لاقتدوا به) حين حكم عليهم بسوء العذاب . وإنما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هى إلا جملة تأسبت جملة قبلها فطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو . وبيان وقوعها مسببة أنك تقول زيد يؤمن بالله فإذا مسه ضرر التجأ إليه فهذا تسبب ظاهر، ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه ضرر التجأ إليه فتجأ بالفاء مجرئك بها ثم كانت الكافر حين التجأ إلى الله التجأ المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان فى جملة سببها فى الالتجاء .

قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَدْ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٣١﴾  
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيَّيْبُهُمْ  
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ  
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

(١) هذه المقالة وهي قوله (إِنَّمَا أُوتِيته على علم) .

(٢) أى قارون وقومه حيث قال (إِنَّمَا أُوتِيته على علم عندى) وقومه راضون بها، فكانهم  
قالوها . ويجوز أن يكون فى الأمم الخالية آخرون قاتلون منها .

(٣) من متاع الدنيا وما يجمعون منها .

(٤) أى جزاء سيئات كسبهم ، أو سمى جزاء السيئة سيئة لازدواج كقوله (وجزاء سيئة  
سيئة مثلها) .

(٥) (والذين) كفروا (من) مشركى قومك (سييئتهم سيئات ما كسبوا)  
أى سييئتهم مثل ما أصاب أولئك . فقتل صناديدهم بيسر . وحبس عنهم الرزق  
فحبطوا ميع سين (وما هم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله . ثم بسط لهم فطروا  
سبع سنين . فقبل لهم (أولم يعلموا أن الله يسبط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق ؟ وقيل  
يصعله على قدر القوت (إِنَّ فى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله  
عز وجل .

قُلْ يٰعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَبُوا لَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَفَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ <sup>(٩)</sup>

(١١) (يا عبادى) — وبسكون الياء بصرى — وحزمة وعلى — (الذين أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالإسراف فى الماضى والفلو فيها (لا تقنطوا) لا تيأسوا — وبكسر النون على — وبصرى — (من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) بالمعنى عنها إلا الشرك . وفى قراءة النبي عليه السلام (يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى). ونظير فى المبالاة فى الخوف فى قوله (ولا يخاف عقباها) . قيل نزلت فى وحشى قاتل حزمة رضى الله عنه . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أحب أن أتلى الدنيا وما فيها بهذه الآية" . (إنه هو النفور) بستر عظام الذنوب (الرحم) بكشف فظائع الكروب . (وانيبوا إلى ربكم) وقوبوا إليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل (من قبل أن ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون) إن لم تنوبوا قبل نزول العقاب . (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) مثل قوله (الذين يستمعون القول فيقيمون أحسنه) . وقوله (من قبل أن ياتيكم العذاب بغفة وأنتم لا تشعرون) أى يغيبهاكم وأنتم غافلون كأنكم لا تحشون شيئا لفرط غفلتكم .

(١٢) لئلا تقول .

(١٣) إنما تكررت لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر . ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج فى الكفر شديد ، أو بعذاب عظيم . ويجوز أن يراد التكثير .

(١٤) الألف بدل من ياء المتكلم . وقرئ (يا حسرتى) على الأصل ، و (يا حسرتاى) على الجبع بين العوض والمعوض منه .

(١٥) فقرت . و (ما) مصدرية مظهرها فى (ما رجيت) .

فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّيْرِينَ<sup>(٢٢)</sup> أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ<sup>(٢٣)</sup> أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ<sup>(٢٤)</sup> بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأًائِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ<sup>(٢٥)</sup>

(١١) في أمر الله أو في طاعة الله، أو في ذاته . وفي حرف عبد الله (في ذكرته) . والجانب الجانب . يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته ، وفلان لئن الجانب والجنب . ثم قالوا فزط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه . وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبتته فيه . ومنه الحديث "من الشرك الخفى" أن يصل الرجل لمكان الرجل ، أى لأجله . وقال الزجاج : معناه فزط في طريق الله . وهو توحيد والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢٢) المستزئرين . قال قتادة : لم يكفه أن ضج طاعة الله حتى يصر من أهلها . ومحل (وإن كنت) للنصب على الحال كأنه قال فزطت وأنا سائر . أى فزطت في حال سحري .

(٢٣) (لو أن الله) أعطاني الهداية (لكننت) من الذين يتقون الشرك . قال الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى : هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة . وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم (لو هدانا الله لهديناكم) يقولون لو وقفنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ، ولكن علم منا اختيار الضلالة والفواية نفذنا ولم يوقفنا ، والمعتزلة يقولون : بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا . والحاصل أن عند الله لطفاً من أعطى ذلك اهتدى . وهو التوفيق والعصمة . ومن لم يسله ضل وغوى ، وكانت استجابته العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكّن من تحصيله ، لذلك .

(٢٤) (لو أن لي كربة) رجعة إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين .

(٢٥) (بل) رد من الله عليه كأنه يقول (بل قد جاءتك آياتي) وبينت لك الهداية من التوبة ، وسبل الحق من الباطل ، ومكنتك من اختيار الهداية على الفواية ، واختيار الحق على الباطل . ولكن تركت ذلك وضييعته واستكبرت عن قبوله ، وآثرت الضلالة على

وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٦﴾ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَغَافِرَتَهُمْ لَا يَمَسُّهُمْ أَلْسُوءٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٨﴾

الحدى ، واشتغلت بضد ما أشرت به . فإتسا جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك . و ( إلى ) جواب لنفى تقديرى لأق معنى ( لو أن الله هداني ) ما هديت . وإتسا لم يقرن الجواب به لأنه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ، ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب .

﴿١٦﴾ ( كذبوا على الله ) وصفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد إليه وتنى الصفات عنه . ( وجوههم ) مبتدأ ( مسودة ) خبر . والجملة في محل نصب على الحال إن كان ( ترى ) من رؤية البصر . وإن كان من رؤية القلب فمعمول ثان .

﴿١٧﴾ ( مثنوى ) متعل ( المتكبرين ) هو إشارة إلى قوله ( واستكبرت ) .

﴿١٨﴾ ( ويخبي ) روح ( الذين اتقوا ) من الشرك ( بمغافرتهم ) بفلاحهم . يقال فاز بكذا إذا أظفح به وظفر بمراذه منه . وتفسير المغافرة ( لا يمسهم السوء ) النار ( ولا هم يحزنون ) كأنه قيل : وما مغافرتهم ؟ فقليل ( لا يمسهم السوء ) أى يخففهم بنفى السوء والحزن عنهم . أى لا يمس ألبانهم أى ، ولا قلوبهم حزى . أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى ( فلا تحسبنهم بمغافرة من العذاب ) أى بمنجاة منه . لأق التجارة من أعظم الفلاح . وسبب منجاتهم العمل الصالح . ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المغافرة بالأعمال الحسنة . ويجوز بسبب فلاحهم لأق العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة . ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مغافرة لأنه سببها . ولا محل ل ( لا يمسهم ) على التفسير الأول لأنه كلام مستأنف ومجمله النصب على الحال على الثانى . ( بمغافرتهم ) كوفى غير حفص .

﴿١٩﴾ رد على المعتزلة والثنوية .

﴿٢٠﴾ حافظ .

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ثَابِتٌ اللَّهُ  
 أُولَئِكَ هُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَامِرُونَ أَعْبُدُوا إِلَهًا  
 أَجْتَاهِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

(٢١) أى هو مالك أمرها وحافظها . وهو من باب الكتابة لأن حافظ الخزان ومدير  
 أمرها هو الذى يملك مقاليدها . ومنه قولهم فلان ألقى إليه مقاليد الملك . وهى المفاتيح  
 واحداها مفقيد . وقيل لا واحد لها من لفظها . والكلمة أصلها فارسية .

(٢٢) هو متصل بقوله (ويغنى الله الذين اتقوا) أى يغنى الله المتقين بمغازاتهم والذين  
 كفروا هم الخاسرون . واعترض بينهما بأنه خالق كل شئ فهو مهيمن عليه فلا يغنى عليه شئ  
 من أعمال المكلفين فيها وما يميزون عليها . أو بما يليه على أن كل شئ فى السموات والأرض  
 فآله خلقه وفتح باب (والذين كفروا) ومجددوا أن يكون الأمر كذلك (أولئك هم الخاسرون) .  
 وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله (له مقاليد السموات والأرض)  
 فقال يا عثمان : ما سألنى عنها أحد قبلك . فتفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده  
 واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . هو الأول والآخرة والظاهر والباطن بيده الخير يحمي  
 ويميت وهو على كل شئ قدير . وتأويله على هذا أن الله هذه الكلمات يؤيده بها ويحمده .  
 وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه (والذين كفروا بآيات الله)  
 وكلمات توحيده وتمجيده (أولئك هم الخاسرون) .

(٢٣) (قل) لمن دعاك إلى دين آباءك (أنفيرا لله تآمرونى أعبد) . (تآمرونى) مكنى .  
 (تآمرونى) على الأصل شامى . (تآمرونى) مدنى . وانتصب (أنفيرا لله) بأعبد . و(تآمرونى)  
 اعتراض . ومعناه أنفيرا لله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله ؟

(٢٤) من الأنبياء عليهم السلام .

لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١١﴾ بَلِ اللَّهَ  
فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ  
بِجَمِيعِ قَبْضَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿١٣﴾

(١١) (ليحبطن عملك) الذي عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين). وإنما قال  
(لن أشركت) على التوحيد والموحى إليهم جماعة لأن معناه أوصى إليك لن أشركت  
ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله. واللام الأولى موطئة للقسم المحذوف، والثانية  
لام الجواب. وهذا الجواب ساذ مسد الجوابين، أعني جوابي القسم والشرط. وإنما صح هذا  
الكلام مع علمه تعالى بأن رسله لا يشركون لأن الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره،  
ولأنه على سبيل القرض. والمحالات يصح فرضها. وقيل لن طالعت في السر ليحبطن  
ما بيني وبينك من السر.

(١٢) رد لما أمروه به من عبادة آلهم. كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن  
عبدت فاعبد الله. لحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً عنه.

(١٣) (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم.

(١٤) وما عظموه حق عظمته إذ دعوا إلى عبادة غيره. ولما كان العظيم من الأشياء إذا  
عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره، عظمه حق تعظيمه، قيل (وما قدرُوا  
الله حق قدره). ثم تبهم على عظمته وجلالته شأنه على طريقة التخيل فقال: (والأرض جميعاً  
قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام إذا أخذه كما هو مجمله  
ومجموعه تصري عظمته والتوقيف على كنهه جلالة لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين  
إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز. والمراد بالأرض الأرضون السبع. يشهد لذلك قوله (جميعاً) وقوله  
(والسماوات) ولأن الموضوع موضع تعظيم فهو مقتض للبالغة. (والأرض) مبتدأ و(قبضته)  
الخبر و(جميعاً) منصوب على الحال. أي والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة.  
والقبضة المزة من القبض. والقبضة المقدار المقبوض بالكف، ويقال اعطني قبضة من كذا تريد  
معنى القبضة تسمية بالمصدر، وكلا المعنيين محتمل. والمعنى والأرضون (جميعاً قبضته) أي



سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ  
أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٢﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

ذوات قبضته يقبضن قبضة واحدة . يعنى أن الأرض مع عظمون وبسطتن لايلفن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تحول : الجزور أكلة فلان . أى لاينى إلا بأكلة فذة من أكالاته . وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين يجملتا مقدار ما يقبضه بكف واحدة . والمطويات من الطي الذى هو ضد النشر كما قال (يوم نظوى السماء كطي السجل للكتب) ومادة طالوى السجل أن يطويه بيمنه . وقيل (قبضته) ملكه بلا مدافع ولا منازع . و(بيمنه) بقدرته وقيل (مطويات بيمنه) مقنيات بقسمه لأنه أسم أن يمينها .

(١١) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء .

(١٢) (فصق) مات (من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) أى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وقيل هم حملة العرش ، أو رضوان والخور العين ، ومالك والربانية . (أخرى) فى محل الرفع لأن المعنى (وقضخ فى الصور) نفخة واحدة (ثم نفخ فيه) نفخة (أخرى) . وإنما حذفت لدلالة (أخرى) عليها ولكنها معلومة بذكرها فى غير مكان . (فإذا هم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوتين إذا فاجأه خطب . أو ينظرون أمر الله فيهم . ودلت الآية على أن النفخة اثنتان : الأولى للوت ، والثانية للبعث . والجهنود على أنها ثلاث : الأولى للفرع كما قال (وقضخ فى الصور ففرع) ، والثانية للوت ، والثالثة لإعادة .

(١٣) أضاءت (بنور ربها) أى بعلمه بطريق الاستعارة . يقال لللك العادل أشرفت الأنفاق بمذلك ، وأضاءت الدنيا بقسطك . كما يقال أظلمت البلاد بجهنم فلان . وقال عليه الصلاة والسلام : الظلم ظلمات يوم القيامة . وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه زينها حيث

وَوَضَعَ الْكِتَابَ وَجَاءَهُ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٠١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ۖ وَقَالَ لَهُمْ نَخَزِّنُهَا لِإِبْرَاهِيمَ رَسُولٍ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكَ آيَاتِ رَبِّكَ وَيُنذِرُونكَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾

يلتزم فيها عدله ، وينصب فيها موازين قسطه ، ويحكم بالحق بين أهلها . ولا ترى أذين البقاع من العدل ، ولا أعر لها منه . وقال الإمام أبو منصور رحمه الله : يجوز أن يخلق الله نورا فيثور به أرض الموقف . وإضافته إليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله .

(١٠٠) (وضع الكتاب) أي صحائف الأعمال ولكنه اكتفى باسم المجلس أو اللوح المحفوظ (وجى، بالنبيين) يسألهم ربهم من تبليغ الرسالة وما أجاوبهم قومهم (والشهداء) الحفظة . وقيل هم الأبرار في كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفي الظلم كما افتتاحها بإثبات العدل (ووقيت كل نفس ما عملت) أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد . وقيل هذه الآية تفسير قوله (وهم لا يظلمون) أي (ووقيت كل نفس ما عملت) من خير وشر لا يزداد في شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا إلى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالأسارى والمخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل (زمرًا) حال ، أي أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى إذا جاءوها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفي (أبوابها) وهي سبعة .

(١٠٢) (وقال لهم) حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (الم يأتكم رسل منكم) من بنى آدم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا ، وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أي ولكن وجبت علينا كلمة الله (لأملأ جهنم) بسوء أعمالنا كما قالوا (ظلمت علينا شقوتنا وكما قومنا ضالين) فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال .

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا مَتَوٰى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢١﴾  
 وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ  
 أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٢٢﴾

(١١) حال مقدرة أى مقدرين الخلود .

(٢١) اللام فيه للجنس لأن متوى المتكبرين فاعل (بئس) وبئس فاعلها اسم معترف بلام  
 الجنس أو مضاف إلى مثله . والمختصوص بالذم مخوف تقديره فبئس متوى المتكبرين  
 جهنم .

(٢٢) المراد سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم ألا راكبين إلى دار الكرامة والرضوان كما  
 يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك .

(٢٣) (حتى) هى التى تحكى بعدها الجبل والجبل المحكية بعدها هى الشرطية إلا أن جزاءها  
 محذوف . وإنما حذف لأنه فى صفة نواب أهل الجنة فدل بمحذوفه على أنه شئ لا يمحط به  
 الوصف . وقال الزجاج تقديره (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم  
 طيبتم فادخلوها خالدين) فدخلوها فحذف دخولها لأن فى الكلام دليلا عليه . وقال قوم  
 (حتى إذا جاءوها) جاءوها (وفتحت أبوابها) فمقدم جاءوها محذوف . والمعنى (حتى إذا جاءوها)  
 وقع مجيئهم مع فتح أبوابها . وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها . وأما أبواب  
 الجنة فمقدم فتحها لقوله تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) فذلك جاء بالواو كأنه  
 قال (حتى إذا جاءوها و) قد (فتحت أبوابها) . (طيبتم) من دنس المعاصى واهلهم من خبث  
 الخطايا . وقال الزجاج : أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين . أى لم تكونوا أصحاب  
 خباثت . وقال ابن عباس : طاب لكم المقام . وجعل دخول الجنة مسبا عن الطيب والطهارة  
 لأنها دار الطيبين ، ومتوى الطاهرين . قد طهرها الله من كل دنس ، وطيبها من كل قدر .  
 فلا يدخلها إلا مناسبا لما موصوف بصفتها .

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ  
 حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٣٢﴾ وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ  
 الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾

(٣١) انجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعم العلي .

(٣٢) (وأورثنا) أرض الجنة . وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها . وأطلق  
 تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وأقسامه فيه . (تنبؤاً) - حال - (من)  
 الجنة حيث نشاء) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة حل الحاجة فيتنبؤ  
 أى فينخذ متنبؤاً ومقرراً من جنته حيث يشاء (فتم أجر العاملين) في الدنيا ، الجنة .

(٣٣) (حافين) - حال من الملائكة - (من حول العرش) أى محذقين من حوله . و (من)  
 لابتداء الغاية أى ابتداء حضورهم من حول العرش إلى حيث شاء الله . (يسبحون) حال من الضمير  
 في (حافين) يحمدهم أى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . أو سبح  
 قدوس رب الملائكة والروح . وذلك للتلذذ دون التعب لزوال التكليف .

(٣٤) (وقضى) بين الأنبياء والأمم . أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل .

(٣٥) أى يقول أهل الجنة شكراً حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال ( وآخر دعوانهم  
 أن الحمد لله رب العالمين ) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر .

## سورة غافر مكية

وهي خمس وعشرون آية

(الحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَسْبُكَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ  
التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ مَعِصِرُ ﴿٢﴾

(١) (حم) وما بعده بالإمالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحامد . وبين الفتح والكسر مدني . وغيرهم بالتفخيم . وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم .

(٢) أى هذا (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه منقول (العليم) بمن صائق به وكذب — فهو تهديد للشركين وبشارة للمؤمنين — (غافر الذنب) سائر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذو الطول) ذو الفضل على العارفين ، أودى النفي عن الكل . وعن ابن عباس (غافر الذنب وقابل التوب) لمن قال لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا إله إلا الله . والتوب والتوب والأوب أخوات فى معنى الرجوع . والطول النفي والفضل . فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات حمريفا وتشكيها والموصوف معرفة ؟ قلت أما (غافر الذنب وقابل التوب) فممرتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا ؟ تقدير الانفصال فتكون إضافتها غير حقيقية ، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه . وأما (شديد العقاب) فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة ففيل هو بدل ، وقيل نكرة وجدت هذه

مَا يُجِدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ  
فِي الْبَلَدِ ۖ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ  
كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَاْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ<sup>(١)</sup>

النكرة بين هذه المعارف أذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف . وإدخال الواو في (وقابل التوب) لنتنة وهي إضافة الجمع للذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها حجارة للذنوب كان لم يذنب كأنه قال جامع المنفرة والقبول . وروى أن عمر رضى الله عنه اتفق رجلان باس شديد من أهل الشام ، فقيل له نتائج في هذا الشراب . فقال عمر لكتابه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب . قال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحبا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحدني عقابه . فلم يرح برزدها حتى بكى . ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته . فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا . إذا رأيتم أحاكم قد زل زلة فسدوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعمانا للشياطين عليه . (لا إله إلا هو) صفة أيضا لذي الطول . ويموز أن يكون مستأنفا . (إليه المصير) المرجع .

(١) ما يخاصم فيها بالكذب بها والإنكار لها (إلا الذين كفروا) . وقد دل على ذلك في قوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) . فاما الجدال فيها لإيضاح متبهمها ، وحل مشكلها ، واستنباط معانيها ، ورد أهل التبع بها ، فأعظم جهاد في سبيل الله .

(٢) (فلا يغررك قلوبهم في البلاد) بالجماعات النافقة ، والمكاسب المربحة ، سالمين غافلين . فإن عاقبة أمرهم إلى العذاب . ثم بين كيف فاعلم أن الأمم الذين كذبت قبلهم أهلكت . فقال : (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والأحزاب) أي الذين تحزبوا على الرسل وأنصوبهم — وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم — (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب (برسولهم لياخذوه) لئتمكنا منه فيقتلوه . والأيخذ الأسير . (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليهطلوا به الإيمان .

فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ

(٢١) مظهر مكي وحفص . يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزامهم على إرادة أخذ الرسل أن أخذتهم فعاقتهم .

(٢٢) وبألباء يعقوب . أي فإنكم تمزقون على بلادهم فقامينون أثر ذلك . وهذا تقريره معنى التعجيب .

(٢٣) (وكذلك حقت كلمات ربك) - مدني وشامي - (على الذين كفروا، أنهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من (كلمة ربك) . أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار . ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل، كذلك وجب إهلاكهم ببذاب النار في الآخرة . أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإرسال الفعل . والذين كفروا قريش . ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن الله واحدة مجملهم (أنهم) من (أصحاب النار) . ويلزم الوقف على النار لأنه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش ومن حوله) - يعني حاملي العرش والحاقين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة - صفة لأصحاب النار ، وفساده ظاهر . روى أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى وروسهم قد تحرقت العرش . وهم خشوع لا يرفعون طرفهم . وفي الحديث "إنا لله تعالى أمر جمع الملائكة أن يثدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة" . وقيل حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صنف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صنف قد وضعوا الإيمان على الشاغل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر .

(٢٤) خبر المبتدأ وهو (الذين) .

يُحْمَدُ رَبَّهُمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ  
 كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ  
 عَذَابَ الْحَرِيمِ ﴿١١﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ  
 صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾

(١١) أى مع حمده إذ الباء تكل على أنك تسبيحهم بالحملة .

(١٢) فائدة (ويؤمنون به) — مع علمنا بأن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون  
 بحمده مؤمنون — إظهار شرف الإيمان وفضله والترقيب فيه ، كما وصف الأنبياء في غير موضع  
 بالصلاح لذلك ، وكما عقب أعمال الخير بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) فأبان بذلك فضل  
 الإيمان . (ويستغفرون للذين آمنوا) قد روى التناسب في قوله (ويؤمنون به ويستغفرون  
 للذين آمنوا) كأنه قيل (ويؤمنون به ويستغفرون) لمن في مثل حالهم . وفيه دليل على أنك  
 الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدى شيء إلى النصيحة والشفقة وإن تباعدت  
 الأجناس والأماكن .

(١٣) أى يقولون (ربنا) وهذا المخوف حال .

(١٤) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى . إذ الأصل وسع كل شيء رحمتك  
 وعلمك . ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجنا  
 منصوبين على التمييز بمبالغة في وصفه بالرحمة والعلم .

(١٥) أى للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم .

(١٦) أى طريق الهدى الذى دعوت إليه .

(١٧) (من) في موضع نصب عطف على (هم) في (وأدخلهم) أو في (وعذبتهم) والمعنى  
 (وعذبتهم) و (ومن) (من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أنك أنت العزيز الحكيم  
 أى الملك الذى لا يغلب . وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا خاليا عن الحكمة . وموجب  
 حكمك أن تهي بوملك .



وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ  
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ  
أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿٢٢﴾

(٢١) أى جزاء السيئات وهو عذاب النار .

(٢٢) (وذلك) أى رفع العذاب (هو الفوز العظيم) .

(٢٣) (ينادون) أى يوم القيامة إذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم جزاء النار :  
(لماقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لماقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم . فاستغنى  
بذكرها مرة ، ولماقت أشد البغض . وانتصاب (إذ تدعون إلى الإيمان) بالماقت الأول  
عند الزمخشري . والمعنى أنه يقال لم يوم القيامة : كان الله يمقت أنفسكم الأثمة بالسوء  
والكفر — حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فأبون قبوله وتختارون عليه الكفر —  
أشد مما تمقتونهم اليوم وأتم في النار إذا وقعت فيها بإتباعكم هواهم . وقيل : معناه (لماقت الله)  
أيماكم الآن (أكبر) من مقت بعضكم لبعض كقوله (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن  
بعضكم بعضا) . و (إذ تدعون) تعليل . وقال جامع العلوم وغيره (إذ) منصوب بفعل مضمرب  
دل عليه (لماقت الله) . أى يمقتهم الله حين دعوا إلى الإيمان فكفروا . ولا يتناسب بالماقت  
الأول لأن قوله (لماقت الله) مبتدأ وهو مصدر وخبره (أكبر من مقتكم أنفسكم) فلا يعدل  
في (إذ تدعون) لأن المصدر إذا أخبر عنه لم يميز أن يتعلّق به شيء يكون في صلته لأن الإخبار  
عنه يؤذن بتأنيده وما يتعلّق به يؤذن بتقصاته ، ولا بالتأني لاختلاف الزمانين . وهذا لأنهم  
مقتوا أنفسهم في النار وقد دعوا إلى الإيمان في الدنيا .

(٢٤) قصرون على الكفر .

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا بِأَنَّكَ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ فَأَعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَدُّوا فَلْيُكْفُرُوا لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ

(١١) (أَنَا الْغَنِيُّ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ) أى إمامتين وإحياءتين أو موتيتين وحيايتين . وأراد بالإمامتين خلقهم أمواتا أولا وإمامتهم عند انقضاء أجالهم . وصح أن يسمى خلقهم أمواتا إمامة كما صح أن يقال سبحانه من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل . وليس ثمة قتل من كبر إلى صغر ، ولا من صغر إلى كبر . والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد . فإذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر . بفعل صرفه عنه كقتله منه . وبالإحياءتين الإحياءة الأولى في الدنيا والإحياءة الثانية البعث . ويدل عليه قوله (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) . وقيل الموتة الأولى في الدنيا والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال . والإحياء الأول إحياءه في القبر بعد موته للسؤال والثاني للبعث (فأعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الإمامة والإحياء قد تكفروا عليهم علموا أن الله قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء فأعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل إلى خروج) من النار — أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء لتخلص — (من سبيل) قط ، أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه ؟ وهذا كلام من غلب عليه اليأس وإنما يقولون ذلك تحميرا . ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك . وهو قوله (ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَدُّوا) أى ذلكم الذى أتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به :

(١٢) (فألحکم لله) حيث حکم عليكم بالعباد المرمضين (اللى) شأنه فلا يرد قضاءه، (الكبير) العظيم سلطانه فلا يحده جزاؤه . وقيل كان الحروية أخذوا قولهم "لا حکم إلا لله" من هذا . وقال قتادة : لما خرج أهل حرواء قال على "رضى الله عنه : من هؤلاء ؟ قيل المحكون . أى يقولون لا حکم إلا لله . فقال على "رضى الله عنه : "كلمة حق أريد بها باطل" .

(١٣) من الريح والسحاب والرعد والبرق والمواقي ونحوها .

وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ۖ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۚ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۚ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۚ

(١) وبالتخفيف مكى وبصرى .

(٢) مطرا لأنه سبب الرزق .

(٣) وما يتنظ وما يتز بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله . فإن المائد لا يتذكر ولا يتنظ . ثم قال للذين ( فادعوا الله ) فاعبدوه ( مخلصين له الدين ) من الشرك ( ولو كره الكافرون ) وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم .

(٤) ثلاثة أخبار لقوله ( هو ) مرتبة على قوله ( الذى يريدكم ) . أو أخبار مبتدأ عذوف . ومعنى ( رفيع الدرجات ) رافع السموات بعضها فوق بعض ، أو رافع درجات عبادته فى الدنيا بالمرتبة ، أو رافع منازلهم فى الجنة . و ( ذو العرش ) مالك عرشه الذى فوق السموات . خلقه مطافا لللائكة إظهاراً لمعلمته مع استغنائها فى مملكته . و ( الروح ) جبريل عليه السلام أو الوحي الذى تحيا به القلوب . ( يلقي الروح من ) أجل ( أمره ) أو بأمره ( على من يشاء من عباده لينزل ) أى الله أو الملقى عليه وهو النبي عليه السلام . ويلى عليه قراءة يعقوب ( لتنزل يوم التلاق ) يوم القيامة لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون . ( التلاق ) مكى ويعقوب . ( يوم هم بارزون ) ظاهرون لا يستترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء ( لا يخفى على الله منهم شئ ) أى من أعمالهم وأحوالهم .

(٥) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يحويه . ثم يحجب نفسه بقوله ( لله الواحد القهار ) أى الذى قهر الخلق بالموت . ويتصبط ( اليوم ) ببدلول ( لمن ) أى ( لمن ) ثبت ( الملك ) فى هذا اليوم . وقيل ينادى مناد فيقول ( لمن الملك اليوم ) ؟ فيجيبه أهل المحشر ( لله الواحد القهار ) .

أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١﴾  
وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴿١٢﴾ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ  
حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٣﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٤﴾

(١١) لما قرأ أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عند نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزي (بما) عملت في الدنيا من خير وشر وأن الظلم مأورث منه لأنه ليس بظلام للمبيد ، وأن الحساب لا يبطئ لأنه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين .

(١٢) (الآزفة) القيامة سميت بها لأزوفها ، أي قربها . ويبدل من يوم الآزفة ( إذ القلوب لدى الحناجر ) أي التراقي ، يعني ترتفع قلوبهم عن مقامها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فينتسوا ويتزحوا .

(١٣) مسكين بحناجرهم . من كظم القربة شذ رأمها . وهو حال من القلوب مجول على أصحابها . أو إنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال المغلاء .

(١٤) (ما لا) كافرين (من) حب مشفق (ولا شفيع يطاع) أي يشفع . وهو مجاز عن الطاعة لأن الطاعة حقيقة لا تكون إلا لمن فوقك . والمراد هي الشفاعة والطاعة كما في قوله • ولا ترى الضب بها يصبح • يريد به نفي الضب وانجمازه ، وإن احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة . فمن الحسن " والله ما يكون لهم شفيع البتة " .

(١٥) (يعلم خائنة الأعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المغافة . والمراد استراق النظر إلى ما لا يمل (وما تخفي الصدور) وما أسرته من أمانة وخيانة . وقبل هو أن ينظر إلى أجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه في جاهل ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله . و (يعلم خائنة الأعين) خبر من أخيار (هو) في قوله (هو الذي يريكم آياته) مثل (يلقي الروح) . ولكن (يلقي الروح) قد علل بقوله (لينذر يوم التلاق) . ثم استطرذ ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله (ولا شفيع يطاع) فيبعد لذلك من أخواته .

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٦﴾ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ  
 الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ  
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ  
 رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٨﴾

(١) أى الذى هذه صفاته لا يحكم إلا بالعدل . وألهم لا يقضون بشئ . وهذا تنكيرهم  
 لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى . ( تدعون ) نافع .

(٢) تقرير لقوله (علم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) ووعد لهم بأنه يسمع ما يقولون  
 ويعبر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه ، وعريض بما يدعون من دونه وأنها لا تسمع  
 ولا تبصر .

(٣) أى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم .

(٤) (هم) فصل ، وحقه أن يقع بين معرفتين إلا أنه (أشد منهم) ضارح المعرفة في أنه  
 لا تدخله الألف واللام فأجرى مجراه . (متك) شامى . (وأناراً في الأرض) أى حصونا وقصورا  
 (فأخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شيء  
 يقصم من عذاب الله .

(٥) أى الأخذ (ب) سبب (أنهم) كانت تأتيم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه  
 قوى قادر على كل شيء (شديد العقاب) إذا عاقب .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ لِّكَ فِرْعَوْنَ  
وَهَامَانَ وَقَتْرُونَ فَقَالُوا سَلِحْ كِتَابٌ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ  
عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ  
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ  
رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٤﴾

﴿١١﴾ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم) بالنبوة (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أي أهدوا عليهم القتل كالذي كان أولا (واستحيوا نسائهم) (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) ضياع . يعني أنهم باثروا قتلهم أولا لما أغى ضلالتهم ، ونفذ قضاء الله بظهار من خافوه . لما يفتي عنهم هذا القتل الثاني . وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظلما منه أنه يصبتم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم أن كيدهم ضائع في الكرتين جميعا .

﴿١٢﴾ (وقال فرعون) لملته (ذروني أقتل موسى) . كان إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وما هو إلا ساحر وإذا قتله أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحق . والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبى وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ، ولكن كان فيه خب وكان قتلا سقا كاللصاء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس بأنه هو الذي يهدم ملكه ؟ ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يماجل بالهلاك . وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه . وكان قوله (ذروني أقتل موسى) توبيخا على قومه ولما أتهم هم الذين يكفونه وما كان يكفونه إلا ما في نفسه من هول الفزع . (إني أخاف) إن لم أقتله (أن يتبدل دينكم) أن يغير ما أتم عليه . وكانوا يبدونه ويبدون الأصنام (أو أن يظهر) موسى (في الأرض الفساد) يضم إليه وانصب

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ  
 الْحِسَابِ <sup>(١١)</sup> وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ <sup>(١٢)</sup>  
 أَتَقْتُلُون رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ <sup>(١٣)</sup>

المدال مدنى وبصرى وحفص . وفيهم بفتح الياء ورفع المدال . والأول أولى لموافقة (يقتل) .  
 والفساد في الأرض التقاتل والتهايج الذي يذهب معه الأمن وتطمط المزارع والمكاسب  
 والمعاش ويهلك الناس قتلا وضياعا . كأنه قال (إني أخاف) أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم  
 إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه . وقرأ غير أهل الكوفة (وأن) .  
 ومعناه (إني أخاف) فساد دينكم ودنياكم معا .

<sup>(١١)</sup> (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (إني عذت بربي  
 وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) . وفي قوله (وربكم) بث لم لم أن يقتدوا  
 به ، فيعوزوا بالله حيانه ، ويتصموا بالثوكل عليه اعتصامه . وقال (من كل متكبر) لتشمل  
 استمادته فرعون وفيه من الجباية ، وليكون على طريقة التعريض ، فيكون أبلغ . وأراد  
 بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق . وهو أفعج استكبار وأدّل على دناءة صاحبه وصلى فرط  
 ظلمه . وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجراه  
 وقلة المبالاة بالمعاقبة ففسد استكمل أسباب القسوة والجراة على الله وعباده ولم يترك عظيمة  
 إلا ارتكبا . وضئت ولدت أخوان . و(حت) بالإدغام أبو عمرو وحزة وصل .

<sup>(١٢)</sup> قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا . و(من آل فرعون) صفة لرجل .  
 وقيل كان إسرائيليا . و(من آل فرعون) صلة ليكنم . أى يكتم إيمانه من آل فرعون . واسمه  
 سمعان أو حبيب أو خربيل أو حزيل . والظاهر الأول .

<sup>(١٣)</sup> (أقتلون رجلا) ل (أن يقول) . وهذا إنكار منه عظيم . كأنه قيل : أترتكبون الفعلية  
 الشنعاء التي هي قتل نفس محمودة وما لكم علم في ارتكابها إلا كلمة الحق وهي قوله (ربّي الله) وهو  
 ربكم أيضا لا ربه وحده (وقد جاءكم) بالجملة حال (بالبينات من ربكم) . يعنى أنه لم يحضر تصحيح  
 قوله بيّنة واحدة ولكن بينات من عند من نسب إليه الربوبية . وهو استدراج لهم إلى  
 الاعتراف به .

وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي  
يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٣٢﴾ يَنْقُومُ لَكُمْ أَلْمَلِكُ  
الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ  
فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٣﴾

(٣١) احتج عليهم بطريق التقسيم فإنه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا . فإن (يك) كاذبا فعليه (كذبه) وبالعكس (كذبه) ولا يخفاه (وإن يك صادقا يصيبكم بعض الذي يعدكم) من العذاب . ولم يقل كل الذي يعدكم مع أنه وعد من نبي صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الإنصاف . فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم له . وليس فيه شيء إصابة الكل . فكأنه قال لم أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل . وفي ذلك هلاككم . وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة . وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا . وتفسير البعض بالكل مزيف .

(٣٢) (مسرف) مجاوز الحد (كذاب) في ادعائه . وهذا أيضا من باب المحاملة . والمعنى أنه إن كان مسرفا كذبا خذله الله وأهلكه فتخاضعون منه . أو لو كان مسرفا كذبا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات . وقيل أوهم أنه حتى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون .

(٣٣) (ظاهرين) عاين—وهو حال من (كم) في (لكم)—(في الأرض) في أرض مصر (فمن ينصرتنا من بأس الله إن جاءنا) ؟ يعني أت لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفلسوا أمركم على أنفسكم ولا تنزعوا لباس الله أي عذابه ، فإنه لا طاقة لكم به إن جاءكم ولا يمتنع منه أحد . وقال (ينصرتنا) و(جاءنا) لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحبهم به هو مساهم لهم فيه .

(٣٤) أي ما أشر عليكم برأى إلا بما أرى من قتله . يعني لا استصوب إلا قتله . وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهدىكم) بهذا الرأي (إلا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح . أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئا ولا أمرتكم بخلاف ما أظهر . يعني أت



وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْقُومُ إِلَٰهِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿١﴾  
 مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَطَارِدَ وَنَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا  
 لِلْعِبَادِ ﴿٢﴾ وَيَنْقُومُ إِلَٰهِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَدِيرِينَ ﴿٤﴾

لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول . وقد كذب فقد كان مستشعرا للنفوس الشديدة من جهة  
 موسى عليه السلام ولكنه كان يتجملد . ولولا استشهاده لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على  
 الإشارة .

(١) (مثل يوم الأحزاب) أى مثل أيامهم . لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وقسمهم بقوله  
 (قوم نوح وطارد ونمود والذين من بعدهم) ، ولم يلتبس أن كل حزب منهم كان له يوم  
 دمار ، اقتصر على الواحد من الجميع . وداب هؤلاء دعويهم فى عملهم من الكفر والتكذيب  
 وسائر المعاصى ، وكون ذلك دائما دائما منهم لا يشقرون عنه . ولا بد من حذف مضاف أى  
 (مثل) جزاء دأبهم . وانتصاب (مثل) الثانى بأنه عطف بيان للمثل الأول .

(٢) أى وما يريد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب ، أو يزيد على قدر ما يستحقون  
 من العذاب . يعنى أن تدميرهم كان عدلا لأنهم استحقوه بأعمالهم . وهو أبلغ من قوله (وما  
 يك بظلام للعبيد) حيث جعل المنفى لإرادة ظلم متكرر . ومن بعد عن إرادة ظلم فما لعباده كان  
 عن الظلم أبعد وأبعد . وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لم أن يظلموا ، بعيد . لأن أهل اللغة قالوا  
 إذا قال الرجل لأخر لا أريد ظلمنا لك معناه لا أريد أن أظلمك . وهذا تخويف بعذاب  
 الدنيا . ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويأقوم إلهي أخاف عليكم يوم التناد) — أى يوم  
 القيامة . (التنادى) مكث ويقرب فى الحالين . وإببات الياء هو الأصل . وحذفها حسن .  
 لأن الكسرة تدل على الياء . وآخر هذه الآية على الدال — وهو ما حكى الله تعالى فى سورة  
 الأعراف (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة . ونادى  
 أصحاب الأعراف) . وقيل ينادى مناد إلا إن فلانا سعد سعادة لا يشق بعدها أبدا ، ألا إن  
 فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا .

(٣) منصرفين عن موقف الحساب إلى النار .

مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ  
يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ  
قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ  
مُرْتَابٌ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ  
اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُكْذِبٍ جَبَّارٌ ﴿١٣﴾

(١١) (مالك من) مذاب (الله من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فما له من هاد) مرشد .

(١٢) هو يوسف بن يعقوب . وقيل يوسف بن أفرام بن يوسف بن يعقوب . أقام  
فيهم نبيًا عشرين سنة . وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه . وقيل هو  
فرعون آخر . وبجهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات .

(١٣) فشككتهم فيها ولم تزلوا شاكين (حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً)  
حكاً من عند أنفسكم من غير برهان . أى اقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجئكم عليكم إيجاب  
النجاة .

(١٤) أى مثل هذا الإضلال يضلل الله كلَّ مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه .

(١٥) (الذين يجادلون) — بدل من (من هو مسرف) وجاز لإدخاله منه وهو جمع لأنه لا يريد  
مسرفاً واحداً بل كلَّ مسرف — (في آيات الله) في دفعها وإبطالها (بغير سلطان) حجة  
(أتاهم كبر مقناً) أى عظم بغضا . وفاعل (كبر) ضمير (من هو مسرف) وهو جمع معنى  
وموحد لفظاً . لحمل البدل على معناه . والضمير الرابع إليه على لفظه . ويجوز أن يرفع  
(الذين) على الابتداء . ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير (كبر)

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿١١﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِّبًا ﴿١٢﴾ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿١٤﴾

تقديره جدال (الذين يبادلون) (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) . (قلب) بالتثنية أبو عمرو . وإنما وصف القلب بالكبر والتجبر لأنه منيهما . كما تقول سمعت الأذن . وهو كقوله ( فإنه أتم قلبه ) وإن كان الأتم هو الجمله .

﴿١١﴾ ( وقال فرعون ) تمجدا على قومه أو جهلا منه ( ياها مان ابنى صرخا ) أى قصرا — وقيل الصرخ البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد . ومنه يقال صرخ الشئ إذا ظهر — ( لعل ) — وفتح الباء هجazy وشامى وأبو عمرو — ( أبلغ الأسباب ) . ثم أبلى منها فتعجبا لشأنها وإبابة أنه يقصد أمرا عظيما : ( أسباب السموات ) أى طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها — وكل ما أذلك إلى شئ فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه — ( فأطلع إلى إله موسى ) بالنصب حفص على جواب الترتبى تشبيها للترتبى بالترتبى . وغيره بالرفع عطفا على ( أبلغ ) . والمعنى فأظهر إليه ( وإنى لأظنه ) أى موسى ( كاذبا ) فى قوله له إله شيرى .

﴿١٢﴾ ومثل ذلك الترتبى وذلك الصمد ( زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ) المستقيم . وفتح الصاد كوفى ﴿١٣﴾ ويمقوب . أى فبره صيدا ، أو هو بنفسه صدودا . والمزبن الشيطان بوسوسته كقوله ( وزين لهم الشيطان أعمالهم فصتحم عن السبيل ) . أو الله تعالى ومنله ( زينا لهم أعمالهم فهم يجهلون ) .

﴿١٤﴾ خسران وهلاك .

﴿١٥﴾ الذى بنيت النفع : « قرأ الكوفيون بضم الصاد ، والباقون بالفتح » . والمعروف فى قراءة حفص ضم الصاد . وهو من الكوفيين .

وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَتَقَوَّمْ أَتَّبِعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١١﴾ يَتَقَوَّمْ إِنَّمَا  
هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْنَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿١٢﴾ مَنْ عَمِلَ  
سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِئىْ وَهُوَ  
مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٣﴾ وَيَتَقَوَّمْ  
مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿١٤﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ  
بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿١٥﴾

(١١) (أتبعوني) في الحالين مكى ويسقوب ومهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو تقيض  
الغنى. وفيه تريض شبيه بالصرح ألق ما عليه فرعون وقومه سبيل النجى. أعمل أولاً ثم قسر  
فاتح بلم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير .  
فالإخلاص إليها أصل الشر ومنع الفتن . وفى تعظيم الآخرة وبين أنها هي الوطن والمستقر  
بقوله (وإلى الآخرة هي دار القرار) . ثم ذكر الأعمال سيئها وحسنها وطاعة كل منهما ليثبت  
عما يثقف ، وينشط لما يثقف ، بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثله) ومن عمل صالحا  
من ذكر أو أنى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ) — (يدخلون)  
مكى وبصرى . ويزيد وأبو بكر. ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذى ثمرته الجنات  
ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذى طاقته النار ، بقوله (ويا قوم مالى) — ويقص الأياء مجازى  
وأبو عمرو—(ادعكم إلى النجاة) أى الجنة (وتدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله)—هو  
يدل من (تدعوننى) الأول. يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له —  
(وأشرك به ما ليس لى به علم) أى بربوبيته . والمراد بنفى العلم حتى المعلوم كأنه قال(وأشرك به  
ما ليس) بالله ، وما ليس بالله كيف يصح أن يعلم لها ؟ (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار)  
وهو الله سبحانه وتعالى . وتكرر النداء لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ من سلة الغفلة وفيه أتهم  
قومه ، وأنه من آل فرعون . وجاء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى لأنة الثانى داخل على  
كلام هو بيان للجميل وتفسير له بخلاف الثالث .

لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ  
مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿١٢﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ  
لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٣﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ  
مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٤﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا  
غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾

(١١) عند البصريين (لا) رد لما دعاه إليه قومه. و (جرم) فعل بمعنى حق. و (أَن) مع ما في حيزه فاعله. أى حق ووجب بطلان دعوته.

(١٢) معناه (أَن) ما تدعونني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط. أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته. وما تدعونني إليه وإلى عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدعى الربوبية. أو معناه ليس له استجابة دعوة (في الدنيا ولا في الآخرة) أو (دعوة) مستجابة. جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة. أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازي عليه بالجاء في قولهم "كما تدن ثمان". (وَأَن مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) وَأَن رجوعنا إليه (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) وَأَن المشركين (هَمْ أَصْحَابُ النَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ) أى من النصيحة عند نزول العذاب (وَأَفْوضُ) وَأَسْلَمَ (أَمْرِي) — وفتح الياء مدنى وأبو عمرو — (إِلَى اللَّهِ) لأَنَّهُمْ تَوَعَدُوهُ. (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) بأعمالهم ومآلهم.

(١٣) (فَوَقَّاهُ اللَّهُ) شدائدهم مكرم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم. وقيل أنه خرج من عندهم هاربا إلى جبل فبعث قريبا من ألف في طلبه فنهزم من أكلته السباع، ومن رجع منهم صلبه فرعون.

(١٤) وَتَرَى .

(١٥) (التار) بدل من (سوء العذاب) أو خبر مبتدأ محذوف. كأنه قيل ما سوء العذاب؟ فقيل: هو النار. أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها إحراقهم بها — يقال مرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به — (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) أى في هذين الوقتين يعدون بالنار.

وَإِذْ يَخَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ <sup>(١١)</sup> قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَرَ بَيْنَ الْعِبَادِ <sup>(١٢)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُحَقِّفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ <sup>(١٣)</sup> قَالُوا أَوْ لَرَّبِّكَ تَأْتِيكَ رُسُلُكَ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا <sup>(١٤)</sup>

وفيما بين ذلك إما أن يذبوا يجلس آخر، أو ينفس عنهم . ويموز أن يكون (غدوا وعشيا) ميارة عن الدوام . هذا في الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (ادخلوا آل فرعون) من الإدخال مدني وحزنة وعلی وحفص وخلف ويعقوب . وغيرهم (ادخلوا) أي يقال لهم (ادخلوا) يا آل فرعون أشد العذاب (أي عذاب جهنم) . وهذه الآية دليل على عذاب القبر .

<sup>(١١)</sup> (و) اذكر وقت تخاصمهم (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) بنى الرؤساء (إننا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تباعا تكدم في جمع خادم (فهول أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزاء (من النار) .  
<sup>(١٢)</sup> التووين عوض من المضاف إليه . أي (إننا) كلنا (فيها) لا يفتنى أحد من أحد .  
<sup>(١٣)</sup> قضى بينهم بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

<sup>(١٤)</sup> (وقال الذين في النار) للقوام بشذيب أهلها — وإنما لم يقل خلزتها لأن في ذكر (جهنم) تهويلا وتفظيلا . ويحتمل أن جهنم هي أجد النار قعرا — من قولهم بثر جهنم بعيدة القعر — وفيها أحق الكفار وأطغاهم . فلعل الملائكة الموكلين بسذاب أولئك أجوب دعوة زيادة قهرهم من الله تعالى؛ فلماذا تمتدحهم أهل النار بطلب الدعوة منهم — (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا .

<sup>(١٥)</sup> (قَالُوا) أي الخزنة توينا لم بعد مدة طويلة (أو لم تك) قصة . وقوله (تأتيك رسلك) تفسير للقصة . (بالبينات) بالمعجزات .

<sup>(١٦)</sup> (قَالُوا) أي الكفار (بلى) — قالوا (أي الخزنة تهكم بهم نادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم .

وَمَا دُعْتُمَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١١﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ  
 مَعْلَمَتُهُمْ وَهُمْ لَْعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ فِي الدَّارِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْهُدَىٰ  
 وَأَوْثَقْنَا بِئِي إِسْرَءِيلَ ٱلْكِتَآبَ ﴿١٤﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِلْأُولَىٰ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٥﴾

(١١) بطلان . وهو من قول الله تعالى . ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة .

(١٢) أى فى الدنيا والآخرة ، يعنى أنه يتلهم فى الدارين جميعا بالحق والظفر على مخالفهم  
 وإن غلبوا فى الدنيا فى بعض الأحيان امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتبع الله من يقض من  
 أعمالهم ولو بعد حين . و (يوم) نصب محمول على موضع الخار والمجرب كما تقول جئتكم فى أمس  
 واليوم . و (الأشهاد) جمع شاهد كصاحب وأصحاب يزيد الأنياء والحفظة فالأنياء يشهدون  
 عند رب العزة على الكفرة بالكذب ، والحفظة يشهدون على بن آدم بما عملوا من الأعمال .  
 (قوم) بالهاء الرازى من هشام .

(١٣) هذا بدل من (يوم يقوم) . أى لا يغبل عندهم . (لا ينفع) كوفى ونافع .

(١٤) البعد من رحمة الله .

(١٥) أى (سوء) دار الآخرة وهو عذابها .

(١٦) يريد به جميع ما أتى به فى باب الدين من المعجزات والقرآن والشرايع .

(١٧) (وأورثنا بنى إسرائيل) التوراة والإنجيل والزبور . لأن الكتاب جلس ، أى تركا  
 (الكتاب) من بعدهما إلى هذا إرشادا وتذكرا . وانتصابهما على المفعول له ، أو على الحال .

(١٨) لقوى المقول .

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ <sup>(١١)</sup> وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ <sup>(١٢)</sup> وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ  
وَالْإِبْكَارِ <sup>(١٣)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتْلَهُمْ <sup>(١٤)</sup> إِنَّ فِي  
صُدُورِهِمْ <sup>(١٥)</sup> إِلَّا كِبْرَ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِدَّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ <sup>(١٦)</sup> خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١٧)</sup>

(١١) (فاصبر) على ما يحزنك قومك من النقص (إن) ما سبق به وعدى من نصرتك  
وإعلاء كلمتك (حق) .  
(١٢) أى لذنب أتتك .

(١٣) أى دى على عبادة ربك والثناء عليه . وقيل هما صلاتا العصر والضحى . وقيل قل  
سبحان الله وبحمده .

(١٤) (أتلهم) (أنهم) لا وقف عليه لأن خبر (إن) فى صدورهم (إلا كبر) تعظم . وهو إرادة  
التعظيم والرياسة ، وألا يكون أحد فوقهم . فلهمنا حادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم  
ويكونوا تحت يدك وأمرك ونبيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة . أو إرادة أن تكون لهم  
النبوة دونك حسدا وبغيا . ويدل عليه قوله ( لو كان خيرا ما سبقونا إليه ) . أو إرادة دفع  
الآيات بالجلل .

(١٥) ببالى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق بإرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع  
الآيات .

(١٦) فالتجنى إليه من كيد من يحسدك ويتغنى عليك (إنه هو السميع) لما تقول ويقولون .  
(البصير) بما تعمل ويعملون . فهو ناصرك عليهم وطامعك من شرهم .

(١٧) لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة  
وملأها ، سموا بجنات السموات والأرض لأنهم كانوا مقتزين بأن الله خلقها فكان من قدر  
على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانتة أقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)  
لأنهم لا يتأملون لفظة النفلة عليهم .



وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ  
فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ رَبُّكَ ادْعُونِي  
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ  
دَاخِرِينَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا

(١١) (لا) زائدة .

(١٢) تَتَذَكَّرُونَ . بتامين كوفي . وبياء وناه غيرهم . و ( قليلا ) صفة مصدر محذوف .  
أى تذكرا قليلا يتذكرون . و ( ما ) صلة زائدة .

(١٣) لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لأنه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء  
خاصة .

(١٤) لا يصدقون بها .

(١٥) اعبدوني أطيعكم . فالعداء بمعنى العبادة كثير في القرآن . ويدل عليه قوله  
( إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة . وقرأ هذه  
الآية صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "وحدوني أغفر لكم" وهذا تفسير  
للدعاء بالعبادة . ثم للعبادة بالتوحيد . وقيل "سلوني أطيعكم" .

(١٦) ( سَيَدْخُلُونَ ) مكتى وأبو عمرو ( داخريين ) صاغرين .

(١٧) هو من الإستناد المجازى أى مبصرا فيه لأن الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار . وقرن  
الليل بالمفعول له والنهار بالحال . ولم يكونا حالين أو مفعولا لها ، رعاية لحق المقابلة ، لأنهما  
متقابلان معنى . لأن كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ، ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فانت  
الفصاحة التى فى الإستناد المجازى . ولو قيل سا كننا لم تتميز الحقيقة من المجاز إذ الليل يوصف  
بالسكون على الحقيقة . ألا ترى إلى قولهم "ليل ساج" أى ساكن لا ريح فيه .

إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾  
 ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا هُوَ فَإِنْ تَوَفَّكُونَ ﴿١٢﴾  
 كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ أَلَدَى جَعَلَ  
 لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ  
 الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الْحَقُّ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

١١) ولم يقل لفضل أو لفضل لأن المراد تنكير الفضل ، وأن يعمل فضلا لا يوازيه فضل . وذلك إنما يكون بالإضافة .

١٢) ولم يقل ولكن لكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لأن في هذا التكرار تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون بفضل الله ولا يشكروه كقوله ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفُورٍ ) وقوله ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ) .

١٣) ( ذَلِكُمْ ) الذى خلق لكم الليل والنهار ( الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو ) أخبار مترادفة . أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الربوبية والإلمية وخلق كل شيء والوحدانية ( فَإِنْ تَوَفَّكُونَ ) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان ؟

١٤) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما افتكوا .

١٥) ( جعل لكم الأرض قرارا ) مستقرا ( والسماء بناء ) سقفا فوقكم ( وصوَّركم فأحسن صوركم ) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان . وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم ( ورزقكم من الطيبات ) اللذنيات .

١٦) ( فادعوه ) فاعبدوه ( مخلصين له الدين ) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين ( الحمد لله رب العالمين ) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل مل أرضها الحمد لله رب العالمين .

قُلْ إِنِّي نَبِيٌّ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ  
 مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ  
 ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَكُمْوُنَا  
 شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ  
 تَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
 فَيَكُونُ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْجُلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُعْرِفُونَ ﴿١٤﴾

(١١) لما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الأوثان قول ( قل إني نبي أن أعبد  
 الذين تدعون من دون الله ) .

(١٢) هي القرآن . وقيل العقل والوصى .

(١٣) ( وأمرت أن ) استقيم وأتقاد ( رب العالمين ) .

(١٤) ( هو الذي خلقكم ) أى أصلكم ( من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم  
 طفلاً ) اقتصر على الواحد لأن المراد بيان الجنس .

(١٥) ( ثم لتبلغوا أشدكم ) متعلق بمجنون تقديره ( ثم ) بيقينكم ( لتبلغوا ) . وكذلك ( ثم لتكونوا  
 شيوخاً ) . وبكسر الشين مكى . وحزة وعلى . وحماد ويحيى والأضنى .

(١٦) أى من قبل بلوغ الأشد أو من قبل الشيخوخة

(١٧) معناه ( و ) بفعل ذلك ( لتبلغوا أجلاً مسمى ) وهو وقت الموت أو يوم القيامة  
 ( ولعلكم تعقلون ) ما فى ذلك من العبر والنجى .

(١٨) أى فإتصا يكونه سريماً من غير كلفة .

(١٩) ذكر الجدل فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فإما أن يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة  
 أصناف أو لتأكيد .

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾  
 إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿١٢﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ  
 يُسْجَرُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا  
 عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُن نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾

(١١) (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسَلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون) (فسوف يعلمون) (إذ الأغلال في أعناقهم). إذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال لقوله (فسوف يعلمون) وهذا لأن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى مقطوعة بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد. والمعنى حل الاستقبال .

(١٢) (والسلاسل) عطف على (الأغلال) . والخبر (في أعناقهم) . والمعنى (إذ الأغلال) والسلاسل في أعناقهم (يسحبون في الحميم) يجوزون في الماء الحار .

(١٣) من يجر التنوير إذا ملأه بالوقود. ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجونون بالنار مخلوعة بها أجوافهم .

(١٤) أي تقول لهم الخزنة (أيما كنتم تشركون من دون الله) يعني الأصنام التي تعبدونها (قالوا) ظابوا عن حيوتنا فلا نراهم ولا نلتفت بهم (بل لم تكن ندعو من قبل شيئا) أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنه خيرا .

(١٥) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضللهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتعبدوا . أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضلل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين .

ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ  
تَمْرَحُونَ ﴿١١﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٢﴾  
فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَمَّا نُزِيتُكَ بِعَصَى الْأَلْدَى نَعِدْهُمْ أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ  
فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ  
وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

(١١) (ذلكم) العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم  
تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان .  
فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم — قال الله تعالى (لها سبعة أبواب لكل  
باب منهم جزء مقسوم) — (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مَثْوًى المتكبرين) عن الحق ،  
جهنم .

(١٢) (فأصبر) يا محمد (إن وعد الله) بإهلاك الكفار (حق) كائن .

(١٣) أصله فإن نزل . و (ما) مزيدة لتوكيد معنى الشرط . ولذلك ألحقت النون بالفعل  
إلا تراك لا تقول إن تكرمي أكرمك . ولكن إما تكرمي أكرمك .

(١٤) هذا الجزء متعلق بتوحيثك . وجزء (نزييتك) محذوف وتقديره (فلما نزييتك بعض  
الذي نعدهم) من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك (أو) إن (توحيثك) قبل يوم بدر (فإلينا  
يرجعون) يوم القيامة فننقم منهم أشد الانتقام .

(١٥) (ولقد أرسلنا رسلا) إلى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) .  
قبل بعث الله ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس .  
وعن علي رضي الله عنه <sup>٢٢</sup> "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ نَبِيًّا أَسْوَدَ فَهُوَ مِنْ لَمْ تَذْكُرْ قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ" <sup>٢٣</sup>  
(وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) هذا جواب اقتراحهم الآيات غنادا . يعني إنا قد  
أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية إلا بإذن الله . فمن أين لي بأن أتى  
بآية بما تفرحونه إلا بأن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها ؟

فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿١٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾

(١٢) أي يوم القيامة . وهو وعد ودية حقيق اقترحهم الآيات :

(١٣) للماعثون الذين اقترحوا الآيات عتادا .

(١٤) جعل خلق ( لكم الأنعام ) الإبل ( لتركبوا منها ومنها تأكلون ) أي اتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها . ( ولكم فيها منافع ) أي الألبان والأوبار . ( وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ) أي لتبلغوا عليها ما تحتاجون إليه من الأمور . ( وعليها ) وعلى الأنعام ( وعلى الفلك تحملون ) أي على الأنعام وحدها لا تحملون . ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر .

(١٥) ( تنكرون ) أي أنها من عند الله . و ( أي ) نصب . تنكرون . وقد جاءت على اللفظة المستغنية . وقوله فآية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحماره غريب . وهي في أي أغرب لإجهامه .

(١٦) ( كانوا أكثر منهم ) عتادا . ( وأشد قوّة ) بذنا . ( وأثارا في الأرض ) قصورا ومصانع ( فبما أغنى عنهم ) — ما فانية — ( ما كانوا يكسبون ) .

(١٧) ( فرحوا بما عندهم من العلم ) يريد عليهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال ( يعلمون ) ظاهرا من الحياة بالدنيا وهم من الآخرة هم ظالمون ) . فلما جاءتهم الرسل بعلوم الدائيات — وهي أبعد شيء من علمهم لبسها على رفض الدنيا والظلمة من الملائكة والشهوات — لم يلتفتوا إليها

فَلَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿١١﴾  
 فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ  
 فِي عِبَادِهِ ۚ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿١٢﴾

وصفروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به . أو علم  
 الفلاسفة والدةهرين فإتهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصفروا علم الأنبياء إلى علمهم .  
 وص سقراط أنه سمع موسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه . فقال نحن قوم مهذبون  
 فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا . أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به  
 كأنه قال استهزؤا بالنبات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين . ويدل عليه قوله  
 (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) . أو الفرح للرسل . أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزأهم  
 بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم ، فرحوا بما أوتوا  
 من العلم وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم .

(١١) شدة مذابنا .

(١٢) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم . (مسنة الله) — بمثلة وعد الله ونحوه من  
 المصادر المؤكدة — (التي قد خلت في عبادهم) أن الايمان عند نزول المذاب لا ينفع ، وإن المذاب  
 نازل بمكذبي الرسل .

(١٣) (هناك) مكان مستعار للزمان . و (الكافرون) خامنون في كل أوان ولكن يثبون  
 خسراتهم إذا طينوا العذاب .

وفائدة ترادف الفاءات في هذه الآيات أن (فأغنى عنهم) نتيجة قوله  
 (كانوا أكثر منهم) ؟ و (فلما جاءتهم رسلهم) . كالبيان والتفسير لقوله (فأغنى عنهم)  
 كقولك رزق زيد المال فتح المعروف فلم يحسن إلى الفقراء هو (فلما رأوا بأسنا) تابع لقوله  
 (فلما جاءتهم) كأنه قال فكفروا (فلما رأوا بأسنا) آمنوا . وكذلك (فلم يك ينفعهم إيمانهم)  
 تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله . والله أعلم .

## سورة فصلت مكية

وهي ثلاث ومسمون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا  
عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾

(١) (حم) إن جعلته اسما للسورة كان مبتدأ و (تنزيل) خبره . وإن جعلته متعددا  
للحروف كان (تنزيل) خبرا لمبتدأ محذوف . و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر . أو خبر  
مبتدأ محذوف . أو (تنزيل) مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره .

(٢) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواظ ووعده ووعيد  
وفي ذلك .

(٣) نصب على الاختصاص والملاح . أى أريد بهذا الكتاب المفصل (قرآنا) من صفته  
كيت وكيت . أو على الحال . أى (فصلت آياته) في حال كونه (قرآنا عربيا) .

(٤) أى (لقوم) عرب (يعلمون) ما تزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي .  
و (لقوم) يتعلق بتنزيل أو بفصلت . أى (تنزيل) من الله لأجلهم أو (فصلت آياته) لهم .  
والأظهر أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده . أى (قرآنا عربيا) كائنا (لقوم) عرب  
(بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا .

(٥) أى لا يقبلون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولى . ولقد سمعته ولكنه لما لم  
يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه .



وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا  
وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٣١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ  
يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَاحِدٌ فَاسْتَجِبُوا لِإِلَهِهِ وَاسْتَغْفِرُواْ وَيَلِ  
لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾

(٣١) (في أكِنَّةٍ) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) من التوحيد (وفي آذاننا) (وقر) نفل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حِجَابٌ) ستر. وهذه تمثيلات لنفوس قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذها فيها ، ونج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ، ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاق ولا ترائي. وفائدة زيادة (من) أن الحجاب ابتداء منّا وابتداء ملك فافسافة المتوسطة بلهتسا وجهتك مستوحاة بالحجاب لافراغ فيها . ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين .

(٣٢) (فاعمل) على دينك (إننا عامِلُونَ) على ديننا . أو (فاعمل) في إبطال أمرنا (إننا عامِلُونَ) في إبطال أمرك .

(٣٣) هذا جواب لقولهم (قلوبنا في أكِنَّةٍ). ووجهه أنه قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم . وقد أوحى إلى دونكم . فصحت نبؤي بالوحى إلّ وأنا بشر . وإذا صحت نبؤي وجب عليكم اتباعي ونفيا يوحى إلىّ أن إلهكم إله واحد .

(٣٤) (فاستقيموا إليه) فاستموا إليه بالترديد وإخلاص العبادة غير فاهمين عينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى ما يسؤل لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (واستغفروهم) من الشرك .

(٣٥) (لا يؤتون الزكاة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها . أو لا يفعلون ما يكونون به أزكاه وهو الإيمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وإنما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه . فإذا بذله

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١١﴾  
 قُلْ إِنَّمَا نَسْكُرُوهُ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ  
 لَهُمْ أَثَدًا ۖ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ  
 مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴿١٣﴾

في سبيل الله ذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوح طويته. وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بأثرة من الدنيا فتوت عصيتهم ولانت شكيمتهم. وما ارتدت بنو حنيفة إلا بمنع الزكاة. وفيه بحث للؤمنين على أداء الزكاة وتخفيف شديد من منها.

﴿١١﴾ (غير مقطوع). قبل ثلاث في المرضى والزمنى والمهرى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كما تمع ما كانوا يعملون.

﴿١٢﴾ (خلق الأرض في يومين) الأحد والاثنين، تعلياً للأناة. ولو أراد أن يخلقها في لحظة لفعل.

﴿١٣﴾ شركاء وأشباها.

﴿١٤﴾ (ذلك) الذي خلق ما سبق رب العالمين خالق جميع الموجودات وسيدها ومهيئها.

﴿١٥﴾ (وجعل فيها) في الأرض (رواسي) جبالاً ثوابت (من فوقها). ولأنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها، وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى محسك وهو الله عز وجل. (وبارك) بالماء والزرع والشجر والتمر (فيها) في الأرض. وقيل (وبارك فيها) وأكثر خيرها.

﴿١٦﴾ أنزلى أهلها ونعمايتهم وما يصلحهم. وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه (رفعهم فيها أقواتها).

﴿١٧﴾ في ثمة أربعة أيام. يريد بالثمة اليومين تقول سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر. أي ثمة خمسة عشر. ولا بد من هذا التقدير لأنه لو أخرجى على الظاهر لكانت ثمانية أيام. لأنه قال (خلق الأرض في يومين) ثم قال (وقدّر فيها أقواتها)

سَوَاءٌ لِّلسَّالِئِلِٖنَ ﴿١١﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آغْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَاعِينَ ﴿١٢﴾

في أربعة أيام) ثم قال (فقدضاهن سبع سموات في يومين) فيكون خلاف قوله (في ستة أيام) في موضع آخر. وفي الحديث إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب، فخلق أربعة أيام. وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة. قيل هي الساعة التي تقوم فيها القيامة.

(١١) (سواء) يعقوب صفة للأيام. أي في أربعة أيام مستويات ثاثات. (سواء) بالرفع يزيد أي هي سواء. غيرهما (سواء) على المصدر أي استوت (سواء) أي استواء. أو على الحال.

(١٢) متعلق بقدر. أي قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها لأن كلاً يطلب القوت ويسأله. أو يحذف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها؟

(١٣) هو مجاز عن إيجاد الله تعالى المياه على ما أراد. تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أنه أكمل الأول وابتدأ الثاني. ويخبر منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض. وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما. وعنه أنه قال "أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيئة فذابت واضطربت ثم ناز منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زيد فقام فوق الماء. بفعل الزيد أرضاً، والدخان سماء". ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وأمتاها أنه أراد أن يكونا فلم يمتعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانت في ذلك كالأشياء الطيبة إذا ورده عليه فعل الأمر المطاع. وإنما ذكر الأرض مع المياه في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل

فَقَضَلْنَاهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا  
وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ ﴿١١﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً

السما بيومين، لأنه قد خلق جرم الأرض أولاً غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال  
(والأرض بعد ذلك دحاها) . فالمعنى الثاني على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف :  
اتقى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك ، وأتى باسماء مقببة سقفا لهم . ومعنى الاتيان الحصول  
والوقوع كما تقول : أتى عمله مرضيا . وقوله ( طوطا أو كرها ) لبيان تأثير قدرته فيهما ، وأن  
امتناعهما من تأثير قدرته حال . كما تقول لمن تحت يدك لتفعل هذا شئت أو أبئت وتفعله  
طوطا أو كرها . واتصافهما على الحال بمعنى طاعتين أو مكرهتين . وإنما لم يقل طاعتين  
على اللفظ أو طاعات على المعنى لأنهما سموات وأرضون ، لأنهم لما جعلن غاططات  
ومجيبات ووصفن بالطوع والكراهة قيل ( طائعتين ) في موضع طاعات كقوله ( ساجدين ) .

﴿١١﴾ ( ففاضن ) فاحكم خفقهن . قال \* وعليهما مسرودتان قضاها \* والضمير يرجع  
إلى السماء لأن السماء للجلس . ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله ( سبع سموات ) .  
والفرق بين النصين في ( سبع سموات ) أن الأول على الحال ، والثاني على التمييز . ( في يومين ) في  
يوم الخميس والجمعة ( وأوحى في كل سماء أمرها ) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة  
والنيران وغير ذلك ( وزينا السماء الدنيا ) القريبة من الأرض ( بمصابيح ) بكواكب  
( و ) حفظناها من المسترقة بالكواكب ( حفظا ذلك تقدير العزيز ) الدال على غير المطلوب  
( العالم ) بمواقع الأمور .

﴿١٢﴾ ( فإن أعرضوا ) عن الإيمان بعد هذا البيان ( قل أنذرتكم خوقكم ) صاعقة ( صاعقة )  
هنا بـ شديد الوقع كأنه صاعقة . وأصلها وعد معه نار .

مَثَلِ صَٰلِحَةٍ ۖ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ  
 أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَٰئِكَةً فَأَنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
 كُنْفَرُونَ ﴿١١﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَنَا قُوَّةً

(١١) أى أنوهم من كل جانب وأعملوا فيهم كل حيلة. فلم يروا منهم إلا الإعراض.  
 وعن الحسن أنزروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم ومذاب الآخرة. (أن) بمعنى أى أو  
 مخففة من الثقيلة أصله بأنه (لا تعبدوا إلا الله قالوا) أى القوم (لو شاء ربنا) لإرسال  
 الرسل— فمفعول شاء محذوف— (لأنزل ملائكة فأننا بما أرسلتم به كافرون). معناه فإذا أتم  
 بشر ولسم بملائكة فأننا لا نؤمن بكم وبما جئتم به. وقوله (أرسلتم به) ليس بإقرار بالإرسال  
 وإنما هو على كلام الرسل. وفيه تهكم كما قال فرعون (إنا رسولكم الذى أرسل إليكم  
 لمجنون). وقولهم (فأننا بما أرسلتم به كافرون) خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين  
 دعوا إلى الإيمان بهم. روى أن قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكنم رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم. وينظر ما يريد. فأناء وهو فى الخطم فلم يسأل شيئا إلا أجابه. ثم قرأ  
 عليه السلام السورة إلى قوله (مثل صاعقة عاد وثمود). فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب  
 مخافة أن يصب عليهم العذاب. فأخبرهم به. وقال: لقد عرفت السحر والشعر. فوالله ما هو  
 بساحر ولا بشاعر. فقالوا لقد صبات. أما فهمت منه كلمة؟ فقال لا ولم أعتد إلى جوابه.  
 فقال عثان بن مطعون: ذلك والله لتعلموا أنه من رب العالمين. ثم بين ما ذكر من صاعقة  
 عاد وثمود فقال (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق) أى تعظموا فيها على أهلها بما  
 لا يستحقون به التعظيم. وهو القوة وعظم الأجرام. أو استولوا على الأرض بشير استحقاق  
 للولاية.

(١٢) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم. وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع  
 الصخرة من الجبل بيده.

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِشَائِنَانَا  
يَمْجِدُونَ ﴿٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ  
الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَثَرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَأَمَّا  
مُجْرِمُو قَهْدِنَا فَمَنْعْنَا عَنْ آلِهِمُ الْوَلَدَ فَالْحَدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ  
الْأُولَىٰ يَوْمَ كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٣٤﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٥﴾

(٣١) أول ما علموا مقام العيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع  
منهم قدرة . لأنه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الأشياء بإقداره .

(٣٢) معطوف على (فاستجبوا) . أي كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم يمجدها كما  
يصدق المودع الوديعه .

(٣٣) عاصفة تصرصر أي تصوت في هبوبها . من الصرير . أو باردة تحرق بشدة بردها .  
تكرر لبناء الصر وهو البرد . قيل إنها الدبور .

(٣٤) مشغومات عليهم . (نحسات) مكى وبصرى ونافع . ونحس نحسا قبيض سعد سعلدا .  
وهو نحس . وأما نحس فإثما مخفف نحس ، أو صفة على فعل ، أو وصف بمصدر . وكانت  
من الأربعاء في آخر شوال إلى الأربعاء . وما عذب قوم إلا في الأربعاء .

(٣٥) أضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب  
خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ . ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أثري) .  
وهو من الإسناد المجازي . ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به . فشتان ما بين قوليك  
هو شاعر ، وله شعر شاعر . (وهم لا ينصرون) من الأصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم .

(٣٦) (ثمود) بالرفع على الابتداء وهو القصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء . وانحدر  
(فهديناهم) . وبالنصب المفضل بإضمار فعل يفهمه (فهديناهم) . أي بينا لهم الرشد (فاستجبوا  
العمى على الهدى) فاخترأوا الكفر على الإيمان (فاخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب  
(الهلون) الهوان — وصف به العذاب بمالئة أو أبلة منه — (بما كانوا يكسبون) يكسبهم وهو

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٣١﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَ وَهَآ  
 شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾  
 وَقَالُوا لِمَ لُجِّلُوا لِهَآئِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٣٣﴾

شكرهم ومعاصيهم . وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا .  
 ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة . لأن الهدى  
 المضاف إلى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء . فأما الهدى المضاف  
 إلى الخلق يكون بمعنى البيان لاغير . وقال صاحب الكشاف فيه "فإن قلت أليس معنى قولك  
 هديته جعلت فيه الهدى ؟ والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البينة وحصولها  
 كما تقول رديته فارتدع . فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة ؟ قلت للدلالة على أنه  
 مكتمهم فأزاح عليهم ولم يبق لهم مذر فكأنه حصل البينة فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها .  
 وأما تحمل بهذا لأنه لا يمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لأنه يخالف مذهب الفاسد .  
 ونجيبا الذين آمنوا ) أى اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار  
 العمى على الهدى .

(١١) أى الكفار من الأولين والآخرين (تُحْشَرُ أَعْدَاءُ) نافع ويعقوب .

(١٢) يحبس أولهم على آخرهم . أى يستوقف مواضعهم حتى يلحق بهم نواليم . وهى  
 صارة عن كثرة أهل النار . وأصله من وزعته أى كففته .

(١٣) صاروا بمحضرتها . و ( ما ) مزينة للتأكيد . ومعنى التأكيد أن وقت مجيئهم النار  
 لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها .

(١٤) شهادة الجلود بملامسة الحرام . وقيل هى كناية عن الفروج . (وقالوا للجودهم لم  
 شهدتم علينا) لما تماظمهم من شهادتها عليهم .

(١٥) (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء) من الحيوان . والمعنى أن نطقنا ليس بعجب  
 من قدرة الله الذى قدر على إنطلاق كل حيوان .

وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْتِرُونَ أَنَّ  
 يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ  
 لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ  
 أَرْدَبَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ يَصْبرُوا فَلَنَنَّا مُتَوًى  
 لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ  
 فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ  
 قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥﴾

(١١) وهو قادر على إنشائككم أول مرة وعلى إعادةكم ورجوعكم إلى جزائه .

(١٢) أى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والجحش عند ارتكاب الفواحش . وما كان  
 استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير طامنين بشهادتها عليكم بل كنتم  
 جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً .

(١٣) ولكنكم أنتم استعتمظتم لظنكم ( أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ) وهو الخلفيات  
 من أعمالكم .

(١٤) وذلك الظن هو الذى أهلككم . ( وذلك ) مبتدأ و ( ظنكم ) خبر . و ( الذى ظنتم  
 بربكم ) صفة و ( أرداكم ) خبر ثان . أو ( ظنكم ) بدل من ذلك و ( أرداكم ) الخبر .

(١٥) أى فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار .

(١٦) وإن يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين . أو إن يسألوا العتي — وهى الرجوع لهم إلى  
 ما يحبون — جزاء مما هم فيه ، لم يعبوا لم يعطوا العتي ولم يجابوا إليها .

(١٧) أى قفنا لمشرك مكة يقال هذان ثوبان قبيضان أى مثلان . والمقايسة المعاوضة .  
 وقبل سلطاننا عليهم ( قراء ) أخذنا من الشياطين — جمع قرين كقوله ( ومن يمشى عن ذكر  
 الرحمن قبيض له شيطاناً فهو له قرين ) — ( فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ) أى ما تقدم



وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ  
تَغْلِبُونَ ﴿١١﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دُارُ الْخُلْدِ ﴿١٣﴾  
جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْتَيْنَا بِحُجُودٍ ﴿١٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا

من أعملم وما هم مازمون عليها . أو ( ما بين أيديهم ) من أمر الدنيا واتباع الشهوات  
( وما خلفهم ) من أمر العاقبة وأن لا يثبت ولا حساب . ( وحق عليهم القول ) كلمة العذاب  
( في أمم ) في جملة أمم . وعمله النصب على الحال من الضمير في ( عليهم ) . أي ( حق عليهم  
القول ) ( كائنين في ) جملة ( أمم ) قد خلت من قبلهم ( قبل أهل مكة ) من الجن والإنس .  
أنهم كانوا خاسرين ) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب . والضمير لهم وللأمم .

﴿١١﴾ ( لا تسمعوا لهذا القرآن ) إنا قرئ ( والغوا فيه لعلكم تغلبون ) ومارضوه بكلام غير  
مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته . واللفظ الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته .

﴿١٢﴾ يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاعنين والآخرين لهم باللفظ خاصة . ولكن يذكر  
الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكركم .

﴿١٣﴾ أي ( ولنجزينهم ) أعظم عقوبة على أسوأ أفعالهم وهو الكفر . ( ذلك جزاء أعداء الله )  
إشارة إلى الأسوأ . ويجب أن يكون التقدير ( أسوأ ) جزاء ( الذي كانوا يعملون ) حتى تستقيم  
هذه الإشارة . ( النار ) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿١٤﴾ أي النار في نفسها دار الخلد . كما تقول لك في هذه الدار دار السرور ، وأنت تعني  
الدار بعينها .

﴿١٥﴾ أي جوزوا بذلك ( جزاء بما كانوا يأتينا يصحدون ) .

﴿١٦﴾ ويسكون الزاء ، لتقل الكسرة كما قالوا في تغفلنغذ ، مكى وشامى وأبو بكر .  
وبالآخلاق أبو عمرو .

الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ جَعَلْنَاهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكْرَأَ مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿١١﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا  
 تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٢﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُرْسِيِّ الْإِلَهِ مِنَ الَّذِينَ  
 فِي الْأَلْبَعَةِ وَلَكْرَ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكْرَ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿١٣﴾ نَزَلَا

(١١) أى (أرنا) الشياطين (الذين أضلنا من الجن والإنس) — لأن الشيطان على ضربين  
 جنى وإنسى. قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن) — (جعلهما  
 تحت أقدامنا ليكونا في النار جزاء لإسلام إيانا .

(١٢) (إِنَّ الَّذِينَ) نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته —  
 وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولاً. وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون  
 فيها ؟ قالوا لم يذبوا . قال حماد الأحمري على أشده . قالوا فما تقول ؟ قال لم يرجعوا إلى عبادة  
 الأوثان . ومن عمر رضى الله عنه « لم يروغوا وغان الثمال » أى لم ينافقوا . وعن عثمان  
 رضى الله عنه أخلصوا العمل . وعن علي رضى الله عنه أدوا الفرائض . وعن الفضيل  
 زهدوا في الفانية ، ودغوا في الباقية . وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الإقرار ، لا القرار  
 بعد الإقرار — (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت .

(١٣) (أَنْ) بمعنى أى. أو مخففة من التثنية. وأصله بأنه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن . أى  
 لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلقتم . فالتخوف غم يلحق الإنسان لتوقع  
 المكروه . والجن غم يلحق لتوقعه من فوات نافع أو حصول ضار . والمعنى إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ  
 لَكُمْ الْأَمْنَ مِنْ كُلِّ غَمٍ فَلَنْ تَذُوقُوهُ (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) في الدنيا . وقال محمد  
 ابن عبد البر التيمي (تنزل عليهم) ملائكة الرحمن، عند مفارقة الأرواح للأبدان، (أَنْ لا تخافوا)  
 سلب الإيمان، (ولا تحزنوا) على ما كان من المصيان، (وَأَبْشِرُوا) بدخول الجنان، (الَّتِي كُنتُمْ  
 تُوعَدُونَ) في سالف الزمان . (نحن أَوْلَىٰ بِكُرْسِيِّ الْإِلَهِ مِنَ الَّذِينَ فِي الْأَلْبَعَةِ) كما أَنَّ الشياطين قرناء  
 المصاة وإخوانهم، فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحيائهم في الدارين (ولكم فيها ما تشتهي  
 أنفسكم) من التعم (ولكم فيها ما تدعون) تمننون (نَزَلَا) هو رزق التريل وهو الضيف —  
 وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من (ما) .

مَنْ غُفِرَ رَجِيمٌ <sup>(١)</sup> وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا  
وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ <sup>(٢)</sup> وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي  
هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ <sup>(٣)</sup>  
وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ <sup>(٤)</sup>

(١) نعمت له .

(٢) (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) إلى عبادته (وعمل صالحاً) خالصاً (وقال إني من المسلمين) تخالفاً بالإسلام ومعتقداً له . هو رسول الله دعا إلى التوحيد . أو أصحابه عاب السلام . أو المؤذنين . أو جميع الهداة والدماء إلى الله .

(٣) يعنى أن الحسنه والسبيته متفاضلتان في أنفسهما . نلخذ بالحسنه التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئه التي ترد عليك من بعض أعدائك . كما لو أساء إليك رجل إساءة . فالحسنه أن تغف عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك . مثل أن يذبحك فتملحه ، أو يقتل ولدك فتقتدى ولده من يد عدوه ( فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) . فإنا إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاً لك . ثم قال ( وما يلقيها ) أى وما يلقي هذه الخصلة التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان ( إلا الذين صبروا ) إلا أهل الصبر ( وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم ) إلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير . وإنما لم يقل فادفع بالتي هي أحسن لأنه على تقدير قائل قال فكيف أصنع ؟ فقيل ( ادفع بالتي هي أحسن ) . وقيل ( لا مزيدة للتأكيد ) . والمعنى لا تستوى الحسنه والسبيته . وكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة . ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنه ليكون أبلغ في الدفع بالحسنه . لأن من دفع بالحسنه هان عليه الدفع بها دونها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ( بالتي هي أحسن ) الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة . وفسر الحظ بالتواب . وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة . وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدواً مؤذياً للنبي صلى الله عليه وسلم فصار ولياً مصافياً .

وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ <sup>(١)</sup>  
وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا  
لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ <sup>(٢)</sup> فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا  
فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ <sup>(٣)</sup>

(١) النزغ شبه الخس والشیطان یزغ الإنسان كأنه ینحسه یبعته علی مالا ینبغی . وجعل  
النزغ نازعا كما قيل جده . أو أريد (وإما یزغک) نازغ وصفا للشیطان بالمصدر أو لتوسلته .  
والمنی وإن صرفک الشیطان عما وصیت به من الدفع بالی هی أحسن (فاستعذ بالله) من  
شره وامض علی حبلک ولا تطعه (إنه هو السمع) لا تعاذلک (العلم) یزغ الشیطان .

(٢) (ومن آیاته) الدالة علی وحدانیته (اللیل والنهار) فی تعاقبهما علی حد معلوم وتناوبهما علی  
قدر مرسوم (والشمس والقمر) فی اختصاصهما بسیر مقدر ونور مقدر (لا تسجدوا للشمس  
ولا للقمر) لأنهما مخلوقان وإن كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذی خلقهن) إن کتم إیاه تعبدون) .  
الضمیر فی (خلقهن) للآیات أو اللیل والنهار والشمس والقمر لأن حکم جماعه مالا یعقل حکم  
الأشیء أو الإناث تقول الأفلام بریتها وبریتن . ولعل ناسا منهم كانوا یسجدون للشمس والقمر  
کالصابین فی عبادتهم الکواکب ویزعمون أنهم یفصلون بالسجود لها السجود لله تعالی .  
فإنوا عن هذه الوسطة وأمروا أن یفصلوا بسجودهم وجهه الله خالصا إن كانوا إیاه یعبدون  
وكانوا موحدین غیر مشرکین . فات من عبد مع الله غیره لا یكون عابدا لله .

(٣) (فالذین عند ربک) أى الملائكة (یسبحون له باللیل والنهار وهم لا یسأمون)  
لا یملئون . والمنی (فإن استکبروا) ولم یبتلوا بأمر وابه وأبوا إلا الوسطة فدعهم وشأنهم  
فإن الله تعالی لا یعدم عابدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذین یزقونه باللیل والنهار  
عن الأنداد . (وعند ربک) عبارة عن الزلفی والمکانة والکرامة . وموضع السجدة عند (الایسامون) ،  
وعد الشافی رحمه الله عند (تعبدون) . والأول أحوط .

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ  
وَرَبَّتْ إِنَّ الْأَرْضَ أَحْيَاهَا لَمُعْحِي السَّمَوَاتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ  
أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمَنُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَلَهُمْ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٣﴾  
لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤﴾

(١) (خاشعة) يابسة متعبة. والانشوع التذلل فاستعير لخال الأرض إذا كانت قطعة لانبات  
فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (إن الذي أحياها  
لحيي الموتى أنه على كل شيء قدير) فيكون قادرا على البحث ضرورة .

(٢) (لن الذين) يميلون من الحق في أدلتنا بالعلم — يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال من  
الاستقامة فخر في شق . فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصبغة والاستقامة  
(يلحدون) حمزة — (لا يخفون علينا) وصيد لهم حل التحريف . (أفن يلقى في النار خير أم من  
يأتى آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية التهديد وبالفلة  
في الوعيد (أنه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه .

(٣) (إن الذين كفروا) بالقرآن — وهو بدل من (إن الذين يلحدون في آياتنا) لأنهم  
لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله — (لما جاءهم) حين جاءهم . وخبر (إن) محذوف .  
أى يعذبون أو هالكون . أو (أولئك يتنادون من مكان بعيد) وما بينهما اعتراض .

(٤) أى منجى بحماية الله .

(٥) (لأياته) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولامن خلفه) أى بوجه من الوجوه (تنزيل  
من حكيم حميد) مسحق للحمد .

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ وَذُو عِقَابٍ  
 أَلِيمٌ<sup>(١١)</sup> وَكَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ  
 وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَآءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ<sup>(١٢)</sup>

(١١) ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة (إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ) ورحمة لأتباعه (وذو عِقَابٍ أَلِيمٌ) لأعدائهم. ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله (إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٌ).

(١٢) (ولو جماعه) أى المذكور (قرآنا عجميًّا) أى بلغة العجم. كانوا تمنّهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم أقل في جوابهم لو كان كما يفتخرون (لقالوا) تمتا (لولا انصبت آياته) — أى بلسان العرب حتى نفهمها. (أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) بهزتين كوفي غير حفص. والهمزة للإنكار. يعنى لأنكرا وقالوا (أ) قرآن (عجمي) ورسول (عربي) أو مرسل إليه عربي. الباقون بهززة واحدة ممدودة مستفهمه. والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب. والعجمي منسوب إلى أمة العجم فصيحاً كان أو غير فصيح. والمعنى إن آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها تمتاً لأنهم غير طالبيين للفق وإنما يتبعون أهواءهم. وفيه إشارة إلى أنه لو أنزل بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلاً لأبى حنيفة رضى الله عنه في جواز الصلاة إذا قرأ بالفارسية.

(١٣) أى القرآن (للذين آمنوا) لإرشاد إلى الحق (وشفاء لما في الصدور) من الشك. إذ الشك مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) في موضع الجزل كونه معطوفاً على (الذين آمنوا). أى هو (الذين آمنوا هدى وشفاء) هو ل (الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أى صمم. إلا أن فيه حطفاً على عاملين وهو جائز عند الاخفش. أو الرفع وتقديره (والذين لا يؤمنون) هو (في آذانهم وقر) على حذف المتبداً أو (في آذانهم) منه (وقر وهو) أى القرآن (عليهم عى) ظلمة وشبهة (أولئك

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ  
 مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١﴾ مَنْ عَمِلَ  
 صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٢﴾  
 إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمَ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ  
 مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُى  
 (١٤)

ينادون من مكان بعيد) يعنى أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون إلى الإيمان بالقرآن من  
 حيث لا يسمعون لبعد المسافة . وقيل ( ينادون ) في القيامة ( من مكان بعيد ) بأقبح  
 الأسماء .

(١١) (فاختلف فيه) — فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل — كما اختلف قومك في كتابك  
 (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لأهلكهم إهلاك استئصال . وقيل الكلمة  
 السابقة هي العدة بالقيامة وأتت الخصومات تفصل في ذلك اليوم . (ولولا) ذلك (لقضى بينهم)  
 في الدنيا (وإنهم) وإن الكفار (لفى شك منه مرئيب) موقع في الرية . (من عمل صالحا فلنفسه)  
 فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فففسه ضرر (وما ربك بظلام للعبيد) فيغذب غير المسمى .

(١٢) أى علم قيامها يرد إليه . أى يجب على المستول أن يقول الله يعلم ذلك .

(١٣) (وما تخرج من ثمرات) — مدنى وشامى وحفص . وغيرهم بغير ألف — (من أكمامها) أوعيتها  
 قبل أن تثنى — جمع كم — (وما تحمل من أنثى) حملها (ولا تضع إلا بعلمه) . أى ما يحدث ثمن من  
 خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضح إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته  
 وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك .

(١٤) أضافهم إلى نفسه على زعمهم . وبيانه في قوله أَيْنَ شُرَكَاءِى الذين زعمتم . وفيه  
 تهكم وتقرع .

قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿١١﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ  
وَوَطَّنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٢﴾ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِن دَعَاةِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ  
الشَّرُّ فَيَتَوَلَّى فِتْنَسًا قُنُوطٌ ﴿١٣﴾ وَلَئِن أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّهُ لَيَقُولَنَّ  
هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَيَّ رَاقٍ إِنَّ لِي عِندَهُ لَحَسْبَيْنِ ﴿١٤﴾

(١١) (قالوا) أعلمناك. وقبل أخبرناك. وهو الأظهر. إذ الله تعالى كان عالمًا بذلك. وإعلام  
العالم محال. أمّا الإخبار للعالم بالشيء فيتحقق بماعلم به. إلا أن يكون المعنى إنك علمت من  
قولنا الآت أن لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه.  
(ما منا من شهيد) أى ما منا أحد اليوم يشهد بأنك شريكا وما منا إلا من هو موحد لك .  
أو (ما منا من) أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلّ عنهم ألفتهم لا يبصرونها في ساعة التو ببيع.  
وقيل هو كلام الشركاء. أى (ما منا من شهيد) يشهد بما أضافوا إلينا من الشراكة (وضلّ عنهم  
ما كانوا يدعون) يبدون (من قبل) في الدنيا (وطنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب .

(١٢) (لا) يملّ (الإنسان) الكافر — بدليل قوله (وما أظنّ الساعة قائمة) — (من دعاء  
الخير) من طلب السعة في المال والنعمة. والتقدير من دعائه الخير. لحذف الفاعل وأضيف  
إلى المفعول. (وإن مسّه الشرّ) الفقر (فيتوسّ) من الخير (قنوط) من الرحمة . يولج فيه  
من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير . والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس  
فيضاملاً وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه — وهذا صفة الكافر بدليل قوله  
تعالى (إنه لا يفتش من روح الله إلا القوم الكافرون) .

(١٣) وإذا فرجتنا عنه بصحة بعد مرض ، أو سعة بعد ضيق ، قال (هذا لى) أى هذا  
حقّ وصل إلى لآنى استوجبت بما عندى من خير وفضل وأعمال برّ . أو (هذا لى) لا يزول  
حتى (وما أظنّ الساعة قائمة) أى ما أظنّها تكون قائمة (ولئن رجعت إلى ربي) كما يقول  
المسلمون (إنّ لى عنده) عند الله (لحسنى) أى الجنة . أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة ،  
فانسا أمر الآخرة على أمر الدنيا .



فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١١﴾  
 وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ  
 الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿١٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ  
 اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضِلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٣﴾

(١١) فلننبئهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقهم من عذاب غليظ) شديد لا يقترضهم .

(١٢) هذا ضرب آخر من طغيان الإنسان. إذا أصابه الله بنعمة أبطرت النعمة نفس المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم. وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لأق مكان الشيء وجهته يتزل متزلة نفسه . ومنه قول الكتاب . كُتِبَتْ إِلَىٰ جِهَتِهِ وَإِلَىٰ جَانِبِهِ الْعَزِيزُ يريدون نفسه وذاته. فكأنه قال (ونأى) بنفسه . (وإذا مسه الشر) الضر والفقر (فذودعاء عريض) كثير . أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الإبتهاال والتضرع . وقد استعير العرض وهو من صفة الأجرام ، لكثرة الدعاء ودوامه . كما استعير اللفظ لشدة العذاب . ولا منافاة بين قوله (فيئوس قنوط) وبين قوله (فذودعاء عريض) لأن الأول في قوم والثاني في قوم . أو قنوط في البر وذودعاء عريض في البحر . أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان . أو قنوط من الصبر ذو دعاء لله تعالى .

(١٣) (أرأيتم) أخبروني (إن كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم أنه من عند الله (من أضل) منكم؟ إلا أنه وضع قوله (ممن هو في شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم .

سُزِجْتُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ  
 أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ  
 مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَكْفُرُوا بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٍ ﴿١٢﴾

(١١) (سُزِجْتُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ) من فتح البلاد شرقاً وغرباً (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) فتح مكة (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) يتبين لهم أنه الحق (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) موضع (بِرَبِّكَ) الرفع على أنه فاعل والمفعول محذوف . وقوله (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل منه . تقديره أولم يكفهم أنك ربك على كل شيء شَهِيد . أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شيء . ومعناه أتعهدنا الموعود من إظهار آيات الله في الأفاق وفي أنفسهم صبروه ويشاهدونه فيثبتون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شَهِيد .

(١٢) (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ) شك (مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) ألا إنه بكل شيء محيط (عالم بكل الأشياء) وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية . فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم .

## سورة الشورى مكية

وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَىٰ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 وَهُوَ أَعْلَى الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴿٥﴾

(١) فصل (حم) من (عسى) كتابة مخالفا لـ (كهيمص) تلفيقا بأخوانها، ولأنه آيتان  
 و (كهيمص) آية واحدة .

(٢) أى مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب (يوحى إليك وإلى) الرسل (من قبلك  
 الله) . يعنى أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من  
 السور ، وأوحاه إلى من قبلك يعنى إلى رسله . والمعنى أن الله كرر هذه المعاني في القرآن وفى  
 جميع الكتب السالوية لما فيها من التنبيه والبلغ واللفظ العظیم لعباده . وعن ابن عباس رضى الله  
 عنهما ليس من نبي صاحب كتاب إلا أوحى إليه بجمع عسى . (يوحى) بفتح الحاء مكى . ورافع  
 اسم (الله) على هذه القراءة ما دل عليه (يوحى) . كأن قائلا قال من الموحى ؟ فقيل (الله العزيز)  
 الغالب بجهده (الحكيم) المصيب في فعله وقوله . (له ما في السموات وما في الأرض) ملكا وملكاً  
 (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه . (تكاد السموات) -و بالياء نافع وعلى- (تتفطرن من فوقهن)  
 يتشققن . (تتفطرن) بصري وأبو بكر . ومعناه يكدن تتفطرن من علو شأن الله وعظمته . يدل عليه  
 مجيئه بعد قوله (العلی العظیم) . وقيل من دعائهم له ولدا كقوله (تكاد السموات تتفطرن منه) .  
 ومعنى (من فوقهن) أى يتبدى الانفطار من جهتهن الفوقانية . وكان القياس أن يقال تتفطرن

وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنۡ فِي الْاَرْضِ اَلَا اِنَّ  
 اِلٰهَهُ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿١١﴾ وَالَّذِيْنَ اٰتٰهُمُوْا مِنْ دُوْنِهٖ اَوْلِيَآءَ اَللّٰهُ حَفِيْظُ  
 عَلَيْهِمْ وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍ ﴿١٢﴾ وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ قُرْءَانًا  
 عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ اُمَّ الْفَرٰثِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيْهِ  
 ﴿١٣﴾

من تحتهم من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر لأنها جاءت من الذين تحت السموات. ولكنه  
 يبلغ في ذلك بفعل مؤثرة في جهة الفوق . كأنه قيل يكذب ينظرون من الجهة التي فوقهم دع  
 الجهة التي تحتهم. وقيل من (فوقهم) من فوق الأرض. فالكتابة راجعة إلى الأرض. لأنه بمعنى  
 الأرضيين . وقيل يشقق لكثرة ما على السموات من الملائكة. قال عليه السلام "أطت السماء  
 أطا وسق لها أن تشق" ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد ."

﴿١١﴾ (يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمتهم (ويستغفرون) المؤمنين منهم - كقوله  
 (ويستغفرون للذين آمنوا) - خوفا عليهم من سطواته . أو يوحدون الله ويقرهونه عما لا يجوز  
 عليه من الصفات ، حامدين له على ما أولاهم من الطائفة متمسكين بما رأوا من تمسكهم  
 بسخط الله تعالى ، (ويستغفرون) لمؤمني أهل الأرض الذين تبرعوا من تلك الكلمة .  
 أو يطالبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالمقاب (ألا إن الله هو الغفور  
 الرحيم) لهم .

﴿١٢﴾ أي (والذين) جعلوا له شركاء وأنادوا (الله حفيظ عليهم) وقيب على أفعالهم  
 وأعمالهم لا يفوته منها شيء فيجازيهم عليها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم  
 ولا مفوض إليك أمرهم إنما أنت منذر فحسب .

﴿١٣﴾ ومثل ذلك (أوحينا إليك). وذلك إشارة إلى معنى الآية التي قبلها من أن الله رقيب  
 عليهم لا أنت بل أنت منذر. لأن هذا المعنى كرهه الله في كتابه. وهو مفعول به لأوحينا. (قرآنا  
 عربيا) حال من المفعول به. أي أوحينا إليك وهو قرآن عربي بين (لتنذر أمة القرى) أي مكة  
 لأن الأرض دحيت من تحتها . أولاتها أشرف البقاع . والمراد أهل أمة القرى (ومن حولها)

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿١١﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً  
 وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ يَسَاءٍ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ  
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ  
 يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ  
 الْحُكْمُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٤﴾

من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لأن الخلاق يجتمع فيه (لا ريب فيه) اعتراض  
 لا محل له يقال أنذرته كذا وأنذرته بكنا . وقد عدى (لتنذر أم القرى) إلى المفعول الأول  
 (وتنذر يوم الجمع) إلى المفعول الثاني .

﴿١١﴾ أى منهم (فریق فی الجنة) ومنهم (فریق فی السعیر) والضمیر للجموعین لأن المعنى  
 يوم جمع الخلاق .

﴿١٢﴾ أى (ولو شاء الله لجعلهم) مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء في رحمة) أى  
 يكرم من يشاء بالإسلام . والكافرون (ما لهم من ولي) شافع (ولا نصير) دافع .

﴿١٣﴾ الفاء لجواب شرط مقدر . كأنه قيل بعد إنكار كل ولي سواه إن أرادوا أولياء  
 بحق (فإنه هو الولي) بالحق . وهو الذي يجب أن يتولى وحده لا ولي سواه (وهو يحيي الموتى  
 وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً دون من لا يقدر على شيء .

﴿١٤﴾ حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للؤمنين . أى ما خالفكم فيه الكفار من  
 أهل الكتاب والمشركين فاختلتم أمم وهم فيه من أمر من أمور الدين لحكم ذلك المختلف  
 فيه مفوض (إلى الله) وهو إجابة المحققين فيه من المؤمنين ومعاينة المبطلين . (ذاكم) الحاكم  
 بينكم (الله ربى عليه توكلت) — فيه رد كيد أعداء الدين — (وإليه أُنِيب) أرجع في كفاية  
 شرهم . وقيل : وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم  
 إلى علمه فقولوا الله أعلم كعروة الروح وغيره .

فَأَظَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ  
أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤١﴾

(١١) ارتفاعه على أنه أحد أخبار (ذلكم) أو خبر مبتدأ محذوف .

(٢) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الأنعام أزواجا) أى وخلق للانعام  
أيضا من أنفسها أزواجا (يذركم) يترككم - يقال ذرأ الله الخلق بينهم وكفرهم (فيه) - فهذا  
التدبير . وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد  
والتناسل . واخبر (فيه) على به لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للثبث والتكثير . والضمير  
في (يذركم) يرجع إلى المخاطبين والأنعام مقلبا فيه المخاطبون انغلاقا على النبي بما لا يعقل .

(٣) قيل إن كلمة التشبيه كثرت لتأكيد في التماثل . وتقدره ليس مثله شيء . وقيل  
المثل زيادة . وتقدره ليس كمثل شيء . كقوله تعالى (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) . وهذا لأن  
المراد في المثلية . وإذا لم يجعل الكاف أو المثل زيادة كان إثبات المثل . وقيل المراد ليس  
كذاته شيء لأنهم يقولون مثلك لا يخلل يريون به في البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة في  
ذلك بسلوكم طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عن يسد مسد فقد نفوه عنه . فإذا علم أنه من  
باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كآله شيء وبين قوله ليس كمثل شيء إلا ما تعطيه  
الكناية من فائدتها . وكأنتما عبارتان معتقتان على معنى واحد . وهو في المائلة عن ذاته .  
ونحوه (بل يباه مبسوطتان) . فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت  
عبارة عن الوجود حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له . فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل  
ومن لا مثل له .

(٤) (السميع) لجميع المسموعات بلا أنذ (البصير) لجميع المرئيات بلا حذقة . وكأنه  
ذكروها للتأنيدهم أنه لا صفة له كما لا مثل له .

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَسْطُرُ اَرْزَاقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ<sup>(١١)</sup>  
 اِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا  
 وَالَّذِي اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ اِبْرٰهِيْمَ وَمُوسٰى وَعِيسٰى  
 اَنْ اَقِيْمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيْهِ<sup>(١٣)</sup> كَبُرَ عَلٰى الْمُشْرِكِيْنَ مَا تَدْعُوهُمْ  
 اِلَيْهِ اَللّٰهُ يَجْتَنِيْ اِلَيْهِ مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِيْ اِلَيْهِ مَنْ يُّنِيبُ ﴿١٤﴾

(١١) مَرَّ فِي الزَّمَرِ .

(١٢) اَيُّ يَضِيْقُ .

(١٣) (شرع) يَبَيِّنُ وَاظْهَرَ (لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ وَمَا  
 وَصَّيْنَا بِهِ اِبْرٰهِيْمَ وَمُوسٰى وَعِيسٰى). اَيُّ (شرع لكم من الدين) دين نوح ومحمد ومن بينهما من  
 الانبياء عليهم السلام . ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاطلام من رسله فيه بقوله  
 (اَنْ اَقِيْمُوا الدِّينَ). والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان بربه  
 وكتبه ويوم الجزاء وصائر ما يكون المرء بإقامته مسالما . ولم يرد به الشرائع لأنها مختلفة . قال  
 الله تعالى (لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا) . ومجمل (اَنْ اَقِيْمُوا) نصب بدل من مفعول  
 (شرع) والمعطوفين عليه . أو رفع على الاستئناف . كأنه قيل وما ذلك المشروع ؟ فقيل هو  
 اقامة الدين .

(١٤) وَلَا تَتَخَفُوا فِي الدِّينِ . قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا تَتَفَرَّقُوا فَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةُ وَالْفِرْقَةُ  
 حَذَابٌ .

(١٥) عَظَّمَ عَلَيْهِمْ وَشَقَّ عَلَيْهِمْ (مَاتَدْعُوهُمْ اِلَيْهِ) مِنْ اِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ وَالتَّوْحِيدِ (اللَّهُ يَجْتَنِيْ)  
 يَجْتَنِبُ وَيَجْعَلُ (اِلَيْهِ) اِلَى الدِّينِ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْلِيْمِ (مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِيْ اِلَيْهِ مَنْ يُّنِيبُ) يَقْبَلُ  
 عَلَى طَاعَتِهِ .

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيْنَا لَأَجَلَ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا  
 الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١١﴾ فَلَيْلًا كَفَادَعُ  
 وَاسْتَفِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَهُ  
 مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا  
 وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٢﴾

(١١) (وما تفرقوا) أى أهل الكتاب بعد أنبياهم (إلا من بعد ما جاءهم العلم) إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوحد عليه على السنة الأنبياء عليهم السلام (بينا بينهم) حسدا وطبعا للرئاسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) — وهى (بل الساعة موعدهم) — لأهلكوا حين افرقوا لعظم ما افرقوا (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان (مريب) مدخل فى الرية . وقيل وما تفرق أهل الكتاب (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم — كقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) — (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل ...

(١٢) فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (واستم) عليها وعلى الدعوة إليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المخطئة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى كتاب صحت أن الله تعالى أنزله . يعنى الإيمان بجميع الكتب المأثلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله (ويقولون يؤمن ببعض ونكفر ببعض) إلى قوله (وأولئك هم



وَالَّذِينَ يُخَاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ فَجَهَنَّمَ دَاحِضَةً  
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ <sup>(١١)</sup> ۝ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝  
يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا  
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُخَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَكَ ضَلَالٌ بَعِيدٌ <sup>(١٢)</sup>

الكاغرون حقا) - (وامرت لأعدل بينكم) في الحكم إذا تفاصمت فتعاضمت إلى الله ربنا  
وربكم) أى كلنا عبده (لنا أيماننا ولكم أعمالكم) هو كقوله (لكم دينكم ولى دين). ويحوز  
أن يكون معناه إنا لا نؤاخذ بأعمالكم وأتم لا نؤاخذون بأعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أى  
لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتهم محجورين به فلا حاجة إلى الحاجة . ومعناه لا إيراد  
حجة بيننا لأن المتماجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واله المصير)  
المرجع لفصل القضاء يفصل بيننا وبينكم لنا منكم .

<sup>(١١)</sup> (والذين) يخاجون في دينه (من بعد ما) استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ،  
ليردوهم إلى دين الجاهلية - كقوله (وذكر كثير من) أهل الكتاب لو يردونكم من  
بعد إيمانكم كفارا) . كان اليهود والنصارى يقولون للؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا  
قبل نبيكم . فعن خير منكم وأولى بالحق . وقيل (من بعد ما استجيب) لحمد عليه السلام دعاؤه  
على المشركين يوم بدر - (تجهم داحضة) باطلة - وتماها حجة وإن كانت شبهة لزمعهم أنها  
حجة - (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) في الآخرة .

<sup>(١٢)</sup> (أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان)  
والعدل والتسوية . ومعنى أنزل العدل أنه أنزله في كتبه المتزنة . وقيل هو ميزان الميزان أنزله  
في زمن نوح عليه السلام . (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى لعل الساعة قريب منك وأنت  
لا تدري . والمراد بحجى الساعة . والساعة في تأويل البعث . ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع  
أنزل الكتب والميزان أن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالتسوط . فكانه قيل أمركم

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ <sup>(١)</sup> وَهُوَ الْقَوِيُّ <sup>(٢)</sup> الْعَزِيزُ <sup>(٣)</sup>  
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ <sup>(٤)</sup> نَزِدْ لَهُ <sup>(٥)</sup> فِي حَرْثِهِ

الله بأعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والمثل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم. (يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون خوفاً (ويعلمون أنها الحق) الكائن لاهالة (ألا إن الذين يمارون في الساعة) — المماراة الملاحاة لأن كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه — (لنى ضلال بعيد) عن الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى . وقد دلّ الكتاب والسنة على وقوعها والمقول تشهد على أنه لا بد من دار جزاء .

(١) (الله لطيف بعباده) في إيصال المنافع وصرف البلاء من وجه يطفئ إدراكه . وهو برّ ببلخ البر بهم قد توصّل برّه إلى جميعهم . وقيل هو من لطف بالانعام عليه ، وعظم عن الجرائم عليه . أو من ينشر المناقب ، ويستر المثالب . أو يعفو عن يهفو . أو يعطي العبد فوق الكفاية ، ويكلفه الطاعة دون الطافاة . وعن الجنيّد لطف بأوليائه فصرفوه ولو لطف بأعدائه ما يجملوه .

(٢) أى يوسع رزق من يشاء إننا علم مصلحته فيه . في الحديث إنّ من عبادى المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلّا التنى ولو أققرته لأفسده ذلك . وإنّ من عبادى المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلّا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك .

(٣) (القوى) الباهر القدرة الغالب على كلّ شيء (العزیز) المنيع الذى لا يغلب .

(٤) سمى ما يعمله العامل ممّا يتجنّى به لفائدة حرثاً مجازاً .

(٥) (نزد له في حربه) بالتوفيق في عمله أو التضميف في إحسانه أو بأن ينال به الدنيا والآخرة .

وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
 نَصِيبٍ ﴿١٢﴾ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ  
 اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ  
 أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ ﴿١٥﴾ وَالدِّينَ أَمَّنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿١٦﴾

(١١) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته) شيئا (منها) — لأن من التبعيض —

وهو رزقه الذى قسم له لا ما يريد ويبتغيه . ولم يذكر فى عامل الآخرة أترزقه المقسوم يصل  
 إليه للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاه عمله وفوزه فى المسآب

(١٢) (وما له) نصيب قط (فى الآخرة)

(١٣) (أم) قيل هى المنقطعة . وتقديره بل ألهم شركاءه . وقيل هى المعادلة لألف  
 الاستفهام . وفى الكلام إضمار تقديره أيقبلون ما شرع الله من الدين (أم لهم) آلهة (شرعوا لهم  
 من الدين) ما لم يأذن به الله (أى لم يأمر به) (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل  
 الجزاء — أى ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة — (لفضى بينهم) بين الكافرين  
 والمؤمنين . أو لصلب لهم العقوبة .

(١٤) (وإن) المشركين (لهم عذاب أليم) فى الآخرة وإن أقرهم فى دار الدنيا .

(١٥) (ترى الظالمين) المشركين فى الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء  
 كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا حالة أشفقوا أو لم يشفقوا .

(١٦) كانت روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأزهرها .

(١٧) (عند) نصب بالظرف لا يشامون .

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى <sup>(٢)</sup>

(١) هو الفضل الكبير) على العمل القليل .

(٢) أى ( ذلك ) الفضل الكبير ( الذى يبشّر الله ) — مكي وأبو عمرو وحزمة وعلى —  
أى به ( عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) . لحذف الجواز كقوله ( واختار موسى قومه ) .  
ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله ( وهذا الذى بعث الله رسولا ) .

(٣) لما قال المشركون أيعنى محمد على تبليغ الرسالة اجرا نزل : ( قل لا أسألكم عليه ) على التبليغ ( اجرا إلا المودة فى القربى ) . يجوز أن يكون استثناء متصلا . أى لا أسألكم عليه اجرا إلا هذا . وهو أن تودوا أهل قرابتي . ويجوز أن يكون مقطعا . أى لا أسألكم اجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم . ولم يقل إلا مودة القربى أو المودة للقربى لأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حتى وعمله . وليس ( فى ) بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى . إنما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قواك المال فى الكيس . وتقديره ( إلا المودة ) ثابتة ( فى القربى ) وتمكنة فيها . والقربى مصدر كالزنى والبشرى بمعنى القرابة . والمراد ( فى ) أهل ( القربى ) . وروى أنه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : على وفاطمة وابناهما . وقيل معناه إلا أن تودونى لقرابتي فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على . إذ لم يكن من بطون قريش إلا بين رسول الله وبينهم قرابة . وقيل القربى التقرب إلى الله تعالى أى إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح .

وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٣﴾  
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِأِ اللَّهُ يَهْتِمِ عَلَى قَلْبِكَ ﴿١٤﴾ وَنَحْنُ  
 اللَّهُ الْبَاطِلُ وَيَحِقُّ الْحَقُّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّلُورِ ﴿١٥﴾

(١٣) يكتسب طاعة . عن السدى أنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
 نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ومودته فيهم . والظاهر العموم في أى حسنة كانت إلا أنها  
 تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقيب ذكر المودة في القرى .

(١٤) أى نضاعفها كقوله (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة)  
 وقرئ (حسنى) وهو مصدر كاللهشى . والضمير يعود إلى الحسنة أو إلى الجنة .

(١٥) (غفور) لمن أذنبت بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله . وقيل قابل للتوبة حامل  
 عليها . وقيل الشكور في صفة الله تعالى عبارة عن الاعتماد بالطاعة وتوفية نواحيها والتفضل على  
 الملتاب .

(١٦) (أم) مقطعة . ومعنى الحمزة فيه التوبيخ . كأنه قيل أينما نكون أن يسبوا مثله إلى  
 الاقتراء ثم إلى الاقتراء على الله الذى هو أعظم القرى وأحسها ؟

(١٧) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افتري على الله كذبا لئلا  
 تدخله مشقة بتكذيبهم .

(١٨) أى الشرك . وهو كلام مبتدأ غير معطوف على (يختم) لأن نحو الباطل غير متلقى  
 بالشرط . بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع (ويحق) . وإنما سقطت الواو  
 في الخطأ كما سقطت في (ويدع الإنسان الشر دعاء بالخير) و(سندع الزبانية) على أنها  
 مبنية في مصحف نافع .

(١٩) ويظهر الإسلام ويثبت (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام .  
 وقد فعل الله ذلك فجاء باطلهم وأظهر الإسلام .

(٢٠) أى (عليه) بما في صدرك وصلوهم فيجرب الأمر على حسب ذلك .

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ  
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣١﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٣٢﴾ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٣﴾

(٣١) يقال قبلت منه الشيء إذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي . ويقال قبلته عنه أي  
مزنته عنه وأبنته عنه . والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما . والعزم  
على ألا يعود وإن كان لعبد فيه حق لم يكن يذم التفتي على طريقه . وقال علي رضي الله عنه  
هو امم يقع على ستة معان . على الماضي من الذنوب الندامة ، وتضييع الفرائض الإعادة ،  
ورد المظالم ، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، وإذابة النفس مرارة الطاعة  
كما أدقها حلالة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته . وعن السدي هو صدق العزيمة  
على ترك الذنوب والإجابة بالقلب إلى علام الغيوب . وعن غيره هو ألا يحدد حلالة الذنب  
في القلب عند ذكره . وعن سهل هو الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة .  
وعن الجنيدي هو الإعراض عما دون الله .

(٣٢) هو ما دون الشرك . يقولون يشاء بلا توبة .

(٣٣) بإثاء كوفي غير أبي بكر . أي من التوبة والمعصية . ولا وقف عليه للعطف عليه  
واتصال المعنى .

(٣٤) أي إذا دعوه استجاب دعائهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم . واستجاب  
وأجاب بمعنى . والسين في مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم . والتقدير ويوجب الله  
الذين آمنوا . وقيل معناه ويستجيب للذين أخذوا اللام . من عليهم بأن يقبل توبتهم إذا  
تابوا ، ويعفو عن سيئاتهم ، ويستجيب لهم إذا دعوه ، ويزيدهم على ما مالوه . وعن إبراهيم  
ابن آدم أنه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب ؟ قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه .

(٣٥) (لهم) في الآخرة .

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرٍ مَّا يَشَاءُ  
 لِأَتِهِمْ لِعِبَادَتِهِ خَيْرٌ بِصَبْرٍ ۖ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا  
 وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَلَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۖ

(١١) أى لو أغناهم جميعا (لبغوا في الأرض) من البنى وهو الظلم . أى لبنى هذا على ذلك وذلك على هذا . لأن الغنى مطربة مأسرة . وكفى بحمل فارون وفرعون مبرة . أو من البنى وهو الكبير . أى لتكبروا في الأرض .

(١٢) بالتخفيف مكي وأبو عمرو .

(١٣) بتقدير . يقال قدره قلدا وقدرأ .

(١٤) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكته . فيفقر ويفنى ، ويمنع ويعطى ، ويبسط ويبسط . ولو أغناهم جميعا لبغوا . ولو أفقرهم لهلكوا . وما ترى من البسط على من يبنى ، ومن البنى بدون البسط ، فهو قليل . ولا شك أن البنى مع الفقر أقل ، ومع البسط أكثر وأغلب .

(١٥) بالتشديد مدنى وشائى وطاصم .

(١٦) وقرئ (قنطوا) .

(١٧) وينشر رحمته ( أى بركات النيث ومنافعه وما يحصل به من النجسب . وقبل لعمر رضى الله عنه : اشتد النحط وقطع الناس ، فقال : مطروا إذا . أراد هذه الآية . أو أزداد رحمته في كل شيء .

(١٨) الذى يتولى عباده بإحسانه ، المحمود على ذلك يحمد أهل طاعته .

(١٩) أى من ملامات قدرته (خلق السموات والأرض) مع عظمهما (وما بت) فرق — و (ما) يجوز أن يكون مرفوعا ويجرورا حلا على المضاف أو المضاف إليه — (فيهما) من السموات والأرض (من دابة) . الدواب تكون في الأرض وحدها لكن يجوز أن ينسب الثئ إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه . كما يقال بنو نعيم فيهم شاعر مجيد ، وإنما هو

وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢١﴾  
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

في نغذ من أنقاذهم . ومنه قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ، وإتاما يخرج من الملح . ولا يعدنان يخلق في السموات حيرانات يشون فيها مشى الأناس على الأرض . أو يكون لللائكة مشى مع الطيران ، فوصفوا بالديب كما وصف به الأناس . (وهو على جمعهم) يوم القيامة ( إذا يشاء قدير) . إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى (والليل إذا يشى) .

﴿٢١﴾ غمّ وألم ومكره .

﴿٢٢﴾ أى يمتحاة كسبتوها عقوبة عليكم . (بما كسبت) بغير الغاء مدنى وشامى ، على أن (ما) مبتدأ و (بما كسبت) خبره من غير تضمين معنى الشرط . ومن أثبت الغاء فعلى تضمين معنى الشرط . وتعلق بهذه الآية من يقول بالتنازع . وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا . وقلنا الآية مخصوصة بالمكتهين بالسباق والسباق وهو ( ويعفو عن كثير) أى من الذنوب فلا يعاقب عليه . أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة . وقال ابن عطاء "من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه" . وقال محمد بن حامد "العبد ملازم للجنايات في كل أو أن . وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه . لأن جنات المعصية من وجه ، وجنات الطاعة من وجوه . والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أهواله في القيامة . ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة" . وعن علي رضي الله تعالى عنه : "هذه أروى آية للؤمنين في القرآن . لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيًا . وإذا عفا لا يعود" .

﴿٢٣﴾ أى (وما أنتم) بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولي) متوكل بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حل بكم .



وَمِنْ آيَاتِهِ الْخَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿١٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ  
فَيُظِلَّ رَوَاحِدَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٤﴾  
أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿١٥﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجِلُّونَ  
فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿١٦﴾ قَا أَوْيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَعَ الْحَبِيزَةُ  
الَّذِينَ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٧﴾

(١٣) جمع جارية وهي السفينة. (الجوارى) في الحالين متى وسهل ويعقوب . وافهم  
مدنى وأبو عمرو في الوصل .

(١٤) كالجبال .

(١٣) (إن يشأ يسكن الرياح) — مدنى — (فيظلل) ثوابت لا تحرى على ظهر البحر (إن في ذلك  
لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لثباته . أى لكل مؤمن غلص . فالإيمان نصفان  
نصف شكر ونصف صبر . أو (صبار) على طاعته (شكور) لثباته .

(١٤) (أو يوقنن) يهلكن فهو عطف على (يسكن) . والمعنى (إن يشأ يسكن الرياح) فيركن ،  
أو يعصفها فيفرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازى عليها .  
وإنما أدخل العفو في حكم الإتيان حيث جزم جزمه ، لأن المعنى أو إن يشأ يهلك ناسا وينج  
ناسا على طريق العفو عنهم .

(١٥) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره ليتقن منهم (ويعلم الذين يحادون في آياتنا)  
أى في إبطالها ودفعها — (ويعلم) مدنى وشأى على الاستئناف — (ما لهم من محيص) مهرب من  
عذابه .

(١٦) (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) . (ما الأولى)  
ضمنت معنى الشرط بغامت الفاء في جوابها بخلاف الثانية . نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله  
عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس .

وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبِيرَ الْإِيمَانِ (٢٢) وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٢٤)  
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ (٥) وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ (٦) وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ (٧) وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٩)

(١١) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده .

(٢٢) أى الكبار من هذا الجنس . (كبير الإيمان) على " وحزة . وعن ابن عباس (كبير الإيمان) هو الشرك .

(٢٣) قيل ما عظم لبيحه فهو فاحشة كالزنا .

(٢٤) (وإذا ما غضبوا) من أمور دنيائهم (هم يغفرون) أى هم الأخصاء بالفقران في حال الغضب . والنجى بـ (هم) وإيقاعه مبتدأ وإسناد (يغفرون) إليه ، هذه الفائدة . ومثله (هم ينتصرون) .

(٥) نزل في الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه .

(٦) وأقاموا الصلوات الخمس .

(٧) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه . وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم . والشورى مصدر كالتفيا بمعنى التشاور .

(٨) يتصدقون .

(٩) (والذين إذا أصابهم) الظلم (هم) ينتقمون ممن ظلمهم أى ينتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يبتدون . وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيعتري عليهم الفساد . وإنما حمدوا على الانتصار لأن من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل إن كان ولم يدم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود .

وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِّثْلُهَا ۚ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
 الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَلَمَنْ آتَنَصْرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا  
 السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ  
 لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٤﴾

(١١) بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالأولى سيئة حقيقية والثانية لا .  
 وإنما سميت سيئة لأنها مجازاة السوء، أو لأنها تسوء من تنزل به، ولأنه لو لم تكن الأولى كانت  
 الثانية سيئة لأنها إضرار، وإنما صارت حسنة لغيرها، أو في تسمية الثانية سيئة إشارة إلى أن  
 الغفو مندوب إليه . والمعنى أنه يجب إذا قبلت الإساءة أن تعاقب بمثلها من غير زيادة (فمن  
 عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالغفو والإغضاء (فأجره على الله) عدة مبهم لا يقاس أمرها  
 في العظم (إنه لا يجب الظالمين) الذين يبدون بالظلم أو الذين يمازجون حد الانتصار . في الحديث  
 ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم إلا من عفا .

(١٢) أى (ولمن) أخذ حقه بعد ما ظلم — على إضافة المصدر إلى المفعول —  
 (فأولئك) — إشارة إلى معنى (من) دون لفظه — (ما عليهم من سبيل) للعاقب ولا للعاتب  
 والمعائب. (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدونهم بالظلم (ويبغون في الأرض) يتكبرون  
 فيها ويملكون ويفسدون (بغير الحق) أولئك لهم عذاب أليم . وقسم السبيل بالتيمة والنجبة .

(١٣) (ولمن صبر) على الظلم والأذى (وغفر) ولم يتصبر (إن ذلك) أى الصبر والغفران منه  
 (لمن عزم الأمور) أى من الأمور التي تدب إليها أو مما ينبغي أن يواجهه العاقل على نفسه ولا  
 يتخص في تركه . وحذف الراجع — أى منه — لأنه مفهوم ، كما حذف من قولهم السمن منوان  
 بذرهم . وقال أبو سعيد القرشي "الصبر على المكروه من علامات الاتقيا . فمن صبر على مكروه  
 يصيبه ولم يزعج أورثه تعالى حال الرضا . وهو أجل الأحوال . ومن جزع من المعصيات وشكا  
 وكله الله تعالى إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه" .

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿١٦﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِّنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ كُلِّ حَافٍ خَفِيٍّ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْأَخْلَاصِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٩﴾

(١٦) فَمَا لَهُ مِنْ أَحَدٍ عَلَىٰ هِدَايَتِهِ مِنْ بَعْدِ إِضْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ وَبِئْسَ مِنْ مَّذَابِهِ .

(١٧) (وترى الظالمين) يوم القيامة (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) حين يرون العذاب — واختر لفظ الماضي للتأكيد — (يقولون هل إلى مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ) يسألون رَّبَّهُم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به .

(١٨) على النار إذ العذاب يدل عليها .

(١٩) متضائلين متقاصرين مِمَّا يَلْحَقُهُمْ (من الدَّلِّ ينظرون) إلى النار (من طرف خفيٍّ) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف .

(٢٠) (يوم) متعلق بخسروا — وقول المؤمنين واقع في الدنيا — أو يقال . أى يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة .

(٢١) دائم .

(٢٢) (من دون) مَذَابِهِ .


(٢٣) (فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) إلى النجاة .

(٢٤) أى أجيبوه إلى ما دعاكم إليه (من قبل أن يأتى يوم) أى يوم القيامة (لا مَرَدٍّ لَهُ مِنْ اللَّهِ) . (من) يتصل بلا مَرَدٍّ أى لا يردده الله بعد ما حكم به . أو يأتى أى (من قبل أن يأتى) من الله يوم لا يقدر أحد على رده .

مَا لَكُمْ مِّن مَّلَاجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن تَكْبِيرٍ ﴿١١﴾ فَإِن أَعْرَضُوا  
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ أَلْبَسْنَا وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا  
الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ  
فَلِإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿١٢﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ  
يَبْبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا وَيَبُّ لِمَن يَشَاءُ أَلَّذُكُورُ ﴿١٣﴾ أَوْ يَرْوِّجُهُمْ  
ذُكْرَانًا وَإِنَّا وَبَّعْلٌ مِّن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّا عِلْمٌ قَدِيرٌ ﴿١٤﴾

(١١) أى ليس لكم مخلص من العذاب ولا تهدرون أن تنكروا شيئا مما اقترنتموه ودون  
في معاصي أعمالكم . والنكير الإنكار .

(١٢) (فإن أعرضوا) عن الإيمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيقا (إن عليك إلا  
البلاغ) ما عليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وإننا إذا أذقنا الإنسان) — المراد الجمع لا الواحد —  
(مننا رحمة) نعمة وسعة وأمانا ورحمة (فرح بها) بطر لأجلها (وإن تصيبهم سيئة) بلاء كالمرض  
والفقر ونحوهما — وتوحيد (فرح) باعتبار اللفظ . والجمع في (وإن تصيبهم) باعتبار المعنى —  
(بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فإن الإنسان كفور) . ولم يقل فإنه كفور ليسجل  
هل أت هذا المجلس موسوم بكفران النعم كما قال (إن الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ) . والكفور البليغ  
الكفران . والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغفلها . قيل أريد به كفران النعمة . وقيل  
أريد به الكفر بالله تعالى . (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ويبب لمن يشاء إنا  
ويبب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أى يقرنهم (ذكرانا وإناثا ويمعل من يشاء عقيما) .  
لمأذكر إذافة الإنسان الرحمة وإصابته بضيقها أتبع ذلك أنه له تعالى الملك وأنه يقيم النعمة  
والبلاء كيف أراد ويبب لعهاده من الأولاد ما يشاء فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور  
وبعضا بالصفين جميعا ويمعل البعض عقيما . والعقيم الذى لا تلد . وكذلك رجل عقيم إذا كان  
لا يولد له . وقدم الإناث أولا على الذكور لأن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاء لا ما يشاءه  
الإنسان . فكان ذكر الإناث الثلاث من جملة ما لا يشاءه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم .

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ  
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنََّّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ <sup>(١)</sup> 

وليل الجلس الذي كانت العرب تعدّه يلاء ذكر البلاء . ولما أُنزل الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لأنّ التعريف تنويه وقسمير . ثم أعطى بعد ذلك كلا الجلسين حقه من التقديم والتأخير . وعرف أنّ تقديمهم لم يكن لتقدمهم ولكن لمقتضى آخر . فقال ( ذكرنا وإنا أنّا ) . وقيل نزلت في الأنبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب إنا أنّا وإبراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا وإنا أنّا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام مقيمين (إنّهُ عليهما) بكلّ شيء (قدير) قادر على كلّ شيء .

(١) وما صحّ لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلّا وحيًا) أي إلهامًا — كما روى "نفت في روى"، أو رؤيا في المنام كقوله عليه السلام "رؤيا الأنبياء وحى". وهو كما مر إبراهيم عليه السلام بذبح الولد — (أو من وراء حجاب) أي يسمع كلامًا من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه . وليس المراد به حجاب الله تعالى لأنّ الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام من الحجاب . ولكن المراد به أنّ السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا . (أو يرسل رسولًا) أي يرسل ملكًا (فيوحى) أي الملك إليه . وقيل (وحيًا) كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولًا) أي نبيًا كما كلم أمم الأنبياء على أنفسهم . و (وحيًا) وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأنّ يرسل في معنى إرساله . و (من وراء حجاب) ظرف واقع موقع الحال كقوله (على جنوبهم) . والتقدير وما صحّ أن يكلم أحدا إلّا موحيًا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا . ويجوز أن يكون المعنى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا) بأن يوحى أو أن يسمع من وراء حجاب أو أن يرسل رسولًا . وهو اختيار الخليل . (أو يرسل رسولًا فيوحى) بالرفع نافع على تقدير (أو) هو (يرسل رسولًا فيوحى بإذنه) إذن الله (ما يشاء) من الوحي (إنّهُ على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب في أقواله وأفعاله فلا يمارض .

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
 وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ  
 لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٧﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿١٧٨﴾

(١٧٧) أى كما أوحينا إلى الرسل قبلك أوكما وصفنا لك (أوحينا إليك) إعطاء كذلك (روحاً من أمرنا) يريد ما أوحى إليه لآلة الخلق يعمون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح. (ما كنت تدري) — الجملة حال من الكاف فى (إليك) — (ما الكتاب) القرآن (ولا الإيمان) أى شرائعه أو (ولا الإيمان) بالكتاب . لأنه إذا كان لا يعلم بأن الكتاب ينزل عليه لم يكن عالماً بذلك الكتاب . وقيل الإيمان يتناول أشياء بعضها الطريق إلى العقل وبعضها الطريق إلى السمع . فعنى به ما الطريق إلى السمع دون العقل . وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى. (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإناك تهدي) لتدمو — وقرئ به — (إلى صراط مستقيم) الإسلام (صراط الله) — بطل — (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكاً وملاكاً . (ألا إلى الله تصير الأمور) هو وعيد بالجمع ووعد بالنعيم . والله أعلم بالصواب .

## سورة الزخرف

### تسع وثمانون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدَّثَنَا وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۖ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٍ حَكِيمٌ ۖ

(١) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ ) صيرناه ( قرآنًا عربيًا ) جوابًا للقسم . وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه . والمبين الذي أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأسالبيهم أو الواضح للتدبرين . أو الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج إليه الأئمة في أبواب الديانة ( لعلكم تعقلون ) لكي تفهموا معانيه .

(٢) وإنا القرآن منتهى عند الله في الالوح المحفوظ . دليله قوله ( بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ) . وسمى أم الكتاب لأنه الأصل الذي أنشئت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ . ( أم الكتاب ) بكسر الألف على حمزة .

(٣) خبر إنا . أى في أعلى طبقات البلاغة . أو دفع الشأن في الكتب لكونه معجزًا من بينها .

(٤) فو حكمة بالغة .



أَفَنَضْرِبُ عَنْكَ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٤﴾ وَكَرَّ  
أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ فَأَهْلَكْنَاهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مِثْلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾

(١) (أ) فنحنى عنك الذكر ونذوده عنك . على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغراب عن  
الحرس . والفاء للعطف على محذوف تقديره أنه لم يترك (فنضرب عنك الذكر) إنكاراً لأن يكون  
الأمر على خلاف ما تقدم من إنزاله الكتاب وجعله قرآناً عربياً ليعقلوه ويعملوا بما جابه .

(٢) مصدر من صفع عنه إذا عرض ، متعصب على أنه مفعول له على معنى أفنزل  
عنك إنزال القرآن وإلزام الحجّة به لإعراضا عنك . ويجوز أن يكون مصدراً على خلاف الصدر  
لأنه يقال ضربت عنه أى عرضت عنه . كما قاله القراء .

(٣) لأن كنتم . (إن كنتم) مدقّ وحزمة . وهو من الشرط الذى يصدر عن المدلّ بصحة  
الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوقفى حتى ، وهو عالم بذلك .

(٤) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة .

(٥) أى كثيراً من الرسل أرسلنا إلى من تقدمك (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون) .  
هى حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك . وهذه تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
عن استهزاء قومه .

(٦) تمييز . والضمير للمرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يخبره عنهم .

(٧) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قضيتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن  
تفسير مسير المثل . وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد لهم .



وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۖ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١١﴾  
 أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَحَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ  
 بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٣﴾

عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله . فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال ( سبحان الذي يتفر لنا هذا ) إلى قوله ( لمقلبون ) وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا . وقالوا إذا ركب في السفينة قال ( بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ) . وحكى أن قوما ركبوا وقالوا ( سبحان الذي يتفر لنا هذا ) الآية وفيهم رجل على ناقه لا تهركه هنالا . فقال " إني مقرن لهذه " فسقط منها لوثبها وانددت عنقه . وبنيي ألا يكون ركوب الماقل للثقة والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده أنه هالك لا محالة ومقلب إلى الله فير منفلت من قضائه .

(١١) متصل بقوله ( ولئن سألتهم ) . أى ولئن سألتهم من خالق السموات والأرض ليعترفن به ( و ) قد ( جعلوا له ) مع ذلك الاعتراف ( من عباده جزئا ) . أى قالوا الملائكة بنات الله . بفعلهم جزئا له وبعضا منه كما يكون الولد جزئا لوالده . ( جزئا ) أبو بكر وحماد .

(١٢) بخود للنعمة ظاهر بخوده لأن نسبة الولد إليه كفر . والكفر أصل الكفران كله .

(١٣) أى بل اتخذ . والهمزة لانكار تجهيلا لم تعجيبا من شأنهم حيث اذموا أنه اختار لنفسه المثلة الأدنى ولم الأعلى .

(١٤) ( وإذا بشر أحدهم ) بالجنس الذي جعله له مثلا أى شبا — لأنه إذا جعل الملائكة جزئا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومثالا له . لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد — ( ظل وجهه مسودا وهو كظيم ) . يعنى أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب . والتظلول بمعنى الصبرورة .

أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرِ مَبِينٍ <sup>(١١)</sup> وَجَعَلُوا أَلْمَلِيَّةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ <sup>(١٢)</sup> سَكَّتَبُ شَهَدَتُهُمْ <sup>(١٣)</sup> وَيَسْعَلُونَ <sup>(١٤)</sup> وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ <sup>(١٥)</sup>

<sup>(١١)</sup> أى (أو) يجعل للرحمن من الولد (بن) هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ في الحلية) أى يترقى في الزينة والنعمة . وهو إذا احتاج إلى مجاعة الخصوم ومجاعة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا بآى برهان . وذلك لضعف عقولهم . قال مقاتل لا تسكتم المرأة إلا وتأتى بالجمعة عليها . وفيه أنه جعل النشأة في الزينة من المعايير فعل الرجل أن يمتدب ذلك ويترى لباس التقوى . و (من) منصوب المحل . والمعنى (أو) جعلوا (من ينشأ في الحلية) - يعنى الثابت - لله عز وجل . (ينشأ) حمزة وصل وحفص . أى يربى . قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات . وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم

<sup>(١٢)</sup> أى سموا وقالوا أنهم إناث . (عند الرحمن) مكى ومدنى وشامى أى عندية ممثلة ومكانة لا منزل ومكان . والعباد جمع عبد . وهو أكرم في الجاهلية مع أهل العناد ، لضداد بين العبودية والولاد .

<sup>(١٣)</sup> وهذا تنكحهم . يعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم . لأن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تظنقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يثبتوا عن المشاهدة .

<sup>(١٤)</sup> (سكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (وسألون) عنها . وهذا وعيد .

<sup>(١٥)</sup> (ما عبدها) أى الملائكة . تعلقت الممثلة بظاهر هذه الآية في أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر . وإنما شاء الإيمان فإن الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام حيث (قالوا لو شاء الرحمن ما عبدها) أى لو شاء منا أن نترك عبادة الأصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الأصنام . والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم

أَمْ أَتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ  
قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ <sup>(١٦)</sup> وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٧﴾  
وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ <sup>(١٧)</sup>

بقوله (ما لم يذكروا) المقول (من علم إن هم إلا يخرصون) أى يكذبون . ومعنى الآية عندنا أنهم ارادوا بالمشيئة الرضا . وقالوا لو لم يرض بذلك لسجل عقوبتنا . أو لمعنا من عبادتنا منع قهر واضطرار . وإذا لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك . فردّ الله تعالى عليهم بقوله (ما لم يذكروا) الآية . أو قالوا هذا القول استهزاء لا جدّاً واعتقاداً فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال غيرنا عنهم (أنطم من لو يشاء الله أطعمه) وهذا حق في الأصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله (إن أتم إلا في ضلال مبين) وكذلك قال الله تعالى (قالوا نشهد إنك لرسول الله) ثم قال (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) لأنهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا أن الله لا ياتبعهم على شيء فعلموه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين في ذلك فردّ الله تعالى عليهم .

(١٦) (أم أتيناكم كتاباً) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به) أخذون ما علمون . وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره (أشهدوا) خلقهم أم أتيناكم كتاباً من قبله فيه أن الملائكة إناث . (بل) لاجمة لم يتمسكون بها لا من حيث الميان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع ألا قولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين قتلدناهم وهي من الأثم وحوالقصده . فالأمة الطريقة التي تؤم أى تقصد

(١٧) الظرف صلة لمهتدون أو هما خبران .

(١٨) نبي .

إِلَّا قَالَ مُتَرْفِعًا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿١٢﴾  
 قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُحُكُمْ يَأْهَدِي لَكُمْ وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ  
 بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٣﴾ فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٤﴾  
 وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٥﴾ إِلَّا الَّذِي  
 فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٦﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾  
 بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾  
 ﴿١٩﴾ (إِلَّا قَالَ) متمنوها وهم الذين أنزفتم النعمة أي أبطرتهم فلا يحزنون إلا السموات  
 والملاهي ويعانون مشاق الدين وتكاليفه .

﴿١٢﴾ وهذا تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان أن تقليد الآباء داء قديم .

﴿١٣﴾ (قَالَ) شامئ وحفص . أي النذير . (قُلْ) غيرها . أي قيل للنذير (قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُحُكُمْ يَأْهَدِي  
 لَكُمْ وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) أي أتبعون آباءكم ولو جنتكم بدین أهدى من دين آبائكم .

﴿١٤﴾ (إِنَّا) ثابتون على دين آبائنا وإن جنتنا بما هو أهدى وأهدى .

﴿١٥﴾ فأتقناهم بما استحقوه على إصرارهم .

﴿١٦﴾ (و) إذ (و) إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء (أي برىء) — وهو مصدر  
 يستوي فيه الواحد والاثنتان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم  
 عدل والمعنى ذو صل وذنات عدل — (مما تعبدون إلا الذي فطرنى) استثناء منقطع كأنه قال  
 لكن (الذى فطرنى فإنه سيهدين) ينتهي على الهداية .

﴿١٧﴾ وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها — وهي قوله (إنني براء مما تعبدون  
 إلا الذي فطرنى) — (كلمة باقية في عقبه) فذكر يته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده  
 (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاه من وحد منهم . والترجى لإبراهيم (بل ممتعت

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا  
 نَزَّلَ هَذَا الْفَرَّءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ أَهَمْ يَقْسِمُونَ  
 رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣﴾  
 وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا مَّخْرِبًا ﴿٤﴾

هؤلاء وآباؤهم) - يعنى أهل مكة وهم من عقب إبراهيم - بالملة فى العمر والنعمة فاغترؤا بالمهلة  
 وشغلوا بالنتهم وأتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أى  
 القرآن (ورسول) أى محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الايات البينة .

(١) (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون وقالوا) فيه متحكيبن  
 بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) - فيه استهانة به - (هل رجل من القرىتين عظيم) أى رجل  
 عظيم من إحدى القرىتين كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أى من أحدهما، والقرىتان مكة  
 والطائف . وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة ، وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفى .  
 وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه . ولم يعرفوا أن العظيم من كان عند الله عظيما .

(٢) أى النبوة . والمهزمة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكيهم فى اختيار من  
 يصلح للنبوة .

(٣) (نحن قسمنا بينهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم فى الحياة الدنيا . أى لم نحمل  
 قسمة الأذن إليهم وهو الرزق فكيف النبوة ؟ أو كما فضلت البعض على البعض فى الرزق  
 فكذا أخص بالنبوة من أشاء .

(٤) أى جعلنا البعض أقرباء وأغنياء وموالى والبعض ضغفاء وفقراء وخداماء  
 ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم وليستخدموهم فى مهمهم وليستخروهم فى أشغالهم حتى  
 يتبادسوا ويصلوا إلى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله .

وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرَ مَا يَجْمَعُونَ<sup>(١١)</sup> وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿١٢﴾  
وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرَرٌ عَلَيْهَا يَتَكِنُونَ<sup>(١٣)</sup> وَزُخْرَفٌ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ<sup>(١٤)</sup>  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ<sup>(١٥)</sup> وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ<sup>(١٦)</sup>  
<sup>(١١)</sup> أى النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز فى المسآب (خير) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا .

<sup>(١٢)</sup> لما قل أمر الدنيا وصرفها أردفه بما يقر قلبه الدنيا عنده فقال ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) ولولا كراهة أن يعتصموا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندها (لن يكفر بالرحمن لبوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) أى جعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة، وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شيء . والزخرف الذهب والزينة . ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب . فنصب عطفًا على محل من فضة . (لبوتهم) بدل اشتمال من (لن يكفر) . (سقفا) على المجلس مكتى وأبو عمرو ويزيد . والمعارج جمع مرج وهى المصاعد إلى العلالى . (عليها يظهرون) على المعارج ( يظهرون ) السطوح أى يعلونها .  
<sup>(١٣)</sup> (إن) نافية . و (لما) بمعنى إلا . أى وما (كل ذلك) إلا (متاع الحياة الدنيا) . وقد قرئ به . وقرأ (لما) فمرطصم وحزمة على أن اللام هى الفارقة بين إن المتخفة والنافية . و (ما) صلة . أى وإلا كل ذلك، لمتاع الحياة الدنيا .  
<sup>(١٤)</sup> أى ثواب الآخرة (عند ربك) لمن يتقى الشرك .

<sup>(١٥)</sup> وقرئ (ومن يعيش) . والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشي يعشى . وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو . ومعنى القراءة بالفتح ومن يم (عرب) ذكر الرحمن ) وهو القرآن كقوله (صم بكم عى) . ومعنى القراءة بالضم ومن يتنام عن ذكره أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل كقوله (وجعلوا بها واستيقنتها أنفسهم) .



نَقِيضُ لَهُ شَيْطَانُ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿١١﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٢﴾ حَقٌّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ بَلَّيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿١٤﴾

(١١) قال ابن عباس رضي الله عنهما نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمل على المعاصي. وفيه إشارة إلى أن من داوم عليه لم يقرنه الشيطان. (وإنهم) أي الشياطين (ليصدونهم) ليعتدون (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أي العاشون (أنهم مهتدون). وإنما جمع ضمير (من) وضمير الشيطان لأن (من) منهم في جنس العاشي وقد قبض له شيطان معهم في جلسه. بخلاف أن يرجع الضمير إليهما مجوعاً.

(١٢) (حتى إذا جاءنا) — على الواحد عراقية غير أبي بكر. أي العاشي. (جاءنا) فيهم. أي العاشي وقرينه — (قال) لشيطانه (باليث بيني وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فقلب كما قيل العمران والقمران. والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فإنس القرين) أنت.

(١٣) (ولن ينفعك اليوم إذ) صح ظلمكم أي كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين — و(إذ) بدل من اليوم — (أنكم في العذاب مشتركون). (أنكم) في محل الرفع على الفاعلية. أي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب أو كونكم مشتركين في العذاب كما كان صوم البولي يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء.

ولولا كثرة الباكين حولي \* على أخوانهم لقتلت نفسي

ولا يكون مثل أمني ولكن \* أمزى النفس عنه بالثامني

أما هؤلاء فلا يؤسبهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه. وقيل الفاعل مضمع. أي ولن ينفعكم هذا التثني والاعتذار لـ (أنكم في العذاب مشتركون) لاشتراككم في سببه وهو الكفر. ويؤيده قراءة من قرأ (أنكم) بالكسر.

أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهْمَ أَوْ تَهْدِي أَلْعَمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾  
 فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢﴾ أَوْ تُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا  
 عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٣﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ وَلَئِنَّكَ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٥﴾ وَسَعَلَ مَنْ  
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٦﴾

(١) أى (أفأنت تسمع) من فقد سمع القبول (أو تهدي العمى) أى من فقد البصر (ومن كان في ضلال مبين) ومن كان في علم الله أنه يموت على الضلال (فإنما) — دخلت (ما) على (إن) توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة في (نذير بك) — تنويفك قبل أن ننهرك عليهم ونسفي صدور المؤمنين منهم (فإنما منهم متقِمون) أشد الانتقام في الآخرة (أو ترينك الذى وعدناهم) قبل أن تنوفاك — يعنى يوم بدر — (فإنما عليهم مقتدرون) قادرون. وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال بقوله (أفأنت تسمع الصهم) الآية. ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله (فإنما نذير بك) الآيتين .

(٢) قمتك (بالذى أوحى إليك) ودو القرآن واعمل به (إنك على صراط مستقيم) أى على الدين الذى لا عوج له .

(٣) وإن الذى أوحى إليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولأمتك (وسوف تسألون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تمظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة .

(٤) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال. ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفرص من مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قطف من ملل الأنبياء ؟ . وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المحجى المصطفى بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا . وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها . وقيل إنه عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء فأنهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل . وقيل معناه سل إمام من أرسلنا

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿١٤﴾

وهم أهل الكائن أى التوراة والإنجيل . ولما يخبرونه عن كتب الرسل . فإذا سالم فكأنه سأل الأنبياء . ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الأوثان أنهم على الباطل . (وسل) بلا همز مكسرة وعل . (وسلنا) أبو عمرو

﴿١١﴾ سأل رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى) . ما أجاوبه به عند قوله (إني رسول رب العالمين) عذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم آياتنا) . وهو مطالبهم بإياه بحضور اليقظة على دعواه وإبراز الآية . (إذا هم منها يضحكون) يسخرون منها ويستهزئون بها ويسمونهم سحرة . و (إذا) للفتاكة . وهو جواب (فلما) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو حامل النصب فى عل (إذا) كأنه قيل (فلما جاءهم آياتنا) فاجتثوا وقت ضحكهم .

﴿١٢﴾ قريتها وصاحبها التي كانت قبلها فى قبض السادة . وظاهر النظم يدل على أن اللاهقة أعظم من السابقة . وليس كذلك . بل المراد بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر ولا يكدر يتفاوتن فيه . وعليه كلام الناس يقال هما أخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر .

﴿١٣﴾ (وأخذناهم بالعذاب) — وهو ما قال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وقصص من الثورات) (فأرسلنا طيغم الطوفان) الآية — (لعلهم يرجعون) عن الكفر إلى الإيمان .

﴿١٤﴾ كانوا يقولون للعالم الساحر ساحر تعظيمهم علم السحر . (يا أيها الساحر) بضم الماء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها .

﴿١٥﴾ (ادع لنا ربك) بضمه عندك من أن دعوتك مستجابة . أو بضمه عندك وهو النبوة . أو (بما عهد عندك) من كشف العذاب عنهم انتهى . (إننا لمهتدون) مؤمنون به .

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ آلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١١﴾ وَنَادَىٰ  
 فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومَ آلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ  
 تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي  
 هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿١٣﴾ فَلَوْلَا أُلْتِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ  
 (١١) ينقضون العهد بالإيمان ولا يفون به .

(١٢) نادى بنفسه عظمة القبط . أو أمر متاديا فنادى كقولك قطع الأمير اللص إذا  
 أمر بقطعه .

(١٣) جعلهم محلاً لنكاته وموقعا له .

(١٤) أى أنهار النيل — ومعظمها أريسة — ( تجرى ) من تحت قصرى .  
 وقيل بين يدي فى جناتى . والواو عاطفة للأشهار على ( ملك مصر ) . و ( تجرى ) نصب  
 على الحال منها . أو الواو للحال . واسم الإشارة مبتدأ و ( الأنهار ) صفة لاسم الإشارة  
 و ( تجرى ) خبر للبتدأ . ومن الرشيده أنه لما قرأها قال لأوليتها أخس صيدى .  
 فولأها الخصب . وكان خادمه على وضوئه . ومن صيد الله بن طاهر أنه ولها نرجس إليها .  
 فلما شارفها ، قال: أهي القرية التي اقتصر بها فرعون حتى قال ( أليس لي ملك مصر ) ؟ والله  
 لى أقل عندي من أن أدخلها . فغنى عنه .

(١٥) ( أفلا تبصرون ) قوتى وضمف مومى وغنى وققره .

(١٦) ( أم ) منقطعة بمعنى بل والهمزة . كأنه قال أثبت عندكم واستقر أى ( أنا خير ) —  
 وهذه حالى — ( من هذا الذى هو مهين ) ضيف حقير ( ولا يكاد يبين ) الكلام لما كان به  
 من الرقة .

(١٧) فهلاً ( ألقى عليه أسورة ) حفص ويقوب وممل جمع سيوار . فبرهم ( أسورة )  
 جمع أسورة ، و ( أساور ) جمع أسوار وهو السوار ، و ( أسورة ) حذف الياء من أساور  
 وعرض منها التاء . أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه . لأنهم كانوا إذا أرادوا  
 تسويد الرجل سؤروه بسوار وطوقوه بطوقه يهطون من ذهب .

أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿١١﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ يَتَّبِعُ قَوْمًا  
فَاسْقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ائْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَعَلَّاهُمْ  
سُلْكَاً وَمِثْلَ لَآئِحْرِينَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ ﴿١٥﴾

(١١) يمشون معه يقرن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه .

(١٢) استغفرهم بالقول واستغفرهم بعمل فهم كلامه . وقيل طلب منهم الخطة في الطاعة  
وهي الإسراع .

(١٣) خارجين عن دين الله .

(١٤) أسف من أسف أسفا إذا اشتد غضبه . ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي  
فاستوجبوا أن يجعل لهم مذابنا واستقامنا والآن يحمل عنهم .

(١٥) جمع سالف تكادهم وخدم . (سلفاً) حزة وعلى جمع سليف أى فريق قد سلف .

(١٦) وحديثاً عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الأمثال ويقال منكم مثل قوم  
فرعون . (اللائحين) لمن يحى به بعدهم . ومعناه جعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم  
في استحقاق مثل عقابهم وتزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم ومثلاً يحدثون به .

(١٧) لَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشٍ (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
حَصْبُ جَهَنَّمَ) غضبوا . فقال ابن الزبيرى يا محمد أخاصة لنا ولائتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال  
عليه السلام هو لكم ولائكم وجميع الأمم . فقال أليست ترمي أن عيسى بن مريم نبي وتنبى  
عليه وعلى أنه خيرا وقد علمت أن النصرارى يعبدونها ؟ وعزير يعبد . والملككة يعبدون .  
فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وألائتنا معهم . ففرحوا وضحكوا . وسكت  
النبي صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ هُمْ مَعَهُ) (١٨)  
وزلت هذه الآية . والمعنى (ولمَّا) ضرب ابن الزبيرى عيسى بن مريم مثلاً لأئمتهم وجادل  
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصرارى إياه (إنا قومك) قريش (مه) من هذا المثل  
(يصدون) يرتفع لهم جلبة ويضجج فرحاً وضحكاً بما سمعوا منه من إسكات النبي صلى الله عليه

وَقَالُوا لَئِنْ أَهْمْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ  
خَصِمُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا  
لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَكِثَّةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ ﴿٢٣﴾

وسلم يخلفه. (يصتوبن) مدني وشامي والأعشى وصل من الصدود. أي من أجل هذا المثل  
يصتوبن عن الحق ويمرضون عنه. وقيل من الصديد، وهو الجلبة، وأنهما لفتان نحو  
يعكف ويعكف.

(١١) يعنون أن ألفتنا عندك ليست بخير من عيسى. فإذا كان عيسى من حصب النار  
كان أمر ألفتنا هينا. (ماضريوه) أي ماضروا هذا المثل (لك إلا جدلا) إلا لأجل الجدال  
والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل.

(٢٢) لئلا شداد الخصومة دأبهم البجاج. وذلك أن قوله تعالى (أنكم وما تعبدون) لم يرد به  
إلا الأصنام. لأن ما في غير العقلاء. إلا أن ابن الزبير يجذعه لما رأى كلام الله احتملا لفظه  
وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير، وجد التحيلة مسافا. فصرف اللفظ إلى  
الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريق البجاج والجدال وحسب المغالبة والمكابرة.  
وتوخى في ذلك. فتوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه.

(٢٣) ما عيسى (إلا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني إسرائيل)  
وصيغته صيغة عينية كالثلث السائر لبني إسرائيل.

(٢٤) (جعلنا منكم) أي بدلا منكم. كنا قالة الزجاج. وقال جامع العلوم جعلنا بدلكم.  
(من) بمعنى البديل. (يخلفون) يخلفونكم في الأرض. أو يخلف الملائكة بعضهم بعضا.  
وقيل (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الأمور (جعلنا منكم) لولدتنا منكم يا رجال (ملائكة)  
يخلفونكم في (الأرض) كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أمي من غير خلل، لتعرفوا  
تميزنا بالقدرة الباهرة، ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام. والقديم متعال  
عن ذلك.

وَلَا تَهْرُ لِعِلْمِ السَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا <sup>(١)</sup> وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ <sup>(٢)</sup>  
 وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ <sup>(٣)</sup> وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ <sup>(٤)</sup>  
 قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّبِعُوا اللَّهَ <sup>(٥)</sup>  
 وَأَطِيعُوا <sup>(٦)</sup> إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ قَاعِبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ <sup>(٧)</sup>  
 فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ <sup>(٨)</sup>  
<sup>(٩)</sup> وَإِنَّ عِيسَى مِمَّا يَعْلَمُ بِهِ يَحْيَى السَّاعَةِ. وقرا ابن عباس (لعل الساعه) وهو العلامة .  
 أى وإِنَّ نُزُولَهُ عَلَّمَ السَّاعَةِ .

<sup>(١)</sup> فلا تمشكن فيها . من المرية وهو الشك .

<sup>(٢)</sup> وبالياه فيهما سهل ويعقوب . أى واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى . أو هو أمر  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله .

<sup>(٣)</sup> أى ( هنا ) الذى أَدْعُوكم إليه .

<sup>(٤)</sup> ( ولا يصدنكم ) عن الإيمان بالساعة أو عن الاتباع ( إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ) ظاهر  
 العداوة إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور .

<sup>(٥)</sup> بالمعجزات . أو بآيات الإنجيل والشرائع والنبات الواضحات .

<sup>(٦)</sup> أى ( قد جئتكم ) بالإنجيل والشرائع ( ولأبين لكم بعض الذى تختلون فيه ) وهو  
 أمر الدين لا أمر الدنيا .

<sup>(٧)</sup> هذا تمام كلام عيسى عليه السلام .

<sup>(٨)</sup> ( فاتخلف ) الفرق المتحزبة بعد عيسى . وهم اليهودية والنسطورية والممكتانية  
 والشعونية ( من بينهم ) من بين النصارى ( فويل للذين ظلموا ) حيث قالوا فى عيسى  
 ما كفروا به ( من عذاب يوم أليم ) وهو يوم القيامة .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ الْأَخْلَاءُ  
يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٢﴾ يَنْعَبِدُونَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكَ  
الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾  
أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ

(١١) الضمير لقوم ميسى . أو للكفار . (أن تأتيهم) بدل من الساعة . أى (هل ينظرون  
إلا) إتيان الساعة (بغتة وهم لا يشعرون) أى وهم غافلون لا اشتغالهم بأمور دنيائهم كقوله (أأخذهم  
وهم يفتخرون) .

(١٢) (الأخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين) أى  
المؤمنين . وانتصاب (يومئذ) بـدؤ . أى تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتحالفين في غير  
ذات الله وتقلب صداقة ومقتا إلا خلة المتصادقين في الله . فإنها الخلة الباقية .

(١٣) بإياء في الوصل والوقف مدنى وشائى وأبو عمرو . ويفتح الإاء أبو بكر . الباقون  
بجذف الإاء .

(١٤) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ .

(١٥) منصوب المحل صفة لعبادى لأتفه منادى مضاف .

(١٦) صدقوا بإياتنا (وكانوا مسلمين) لله مقادير له .

(١٧) (وأزواجكم) المؤمنات في الدنيا .

(١٨) تسرون سرورا يظهر حياره أى أثره على وجوهكم .

(١٩) جمع صحفة .



مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ<sup>(١)</sup> وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ<sup>(٢)</sup> وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٣)</sup> لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ  
كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ<sup>(٤)</sup> إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ<sup>(٥)</sup> جَهَنَّمَ خَالِدُونَ<sup>(٦)</sup> لَا يُفْتَرُ  
عَنَّهُمْ<sup>(٧)</sup> وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ<sup>(٨)</sup> وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ<sup>(٩)</sup>

(١) أى من ذهب أيضا . والكؤوب الكوز لا حروة له .

(٢) وفى الجنة (ما تشتهيه الأنفس) — مدنى — وشامى — وحفص بإثبات الهاء العائدة إلى  
الموصول . وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول — (وتلذ الأعين) . وهذا حصر  
لأنواع النعم لأنها إما مشتبات فى القلوب أو مستلثة فى العيون .

(٣) (وتلك) إشارة إلى الجنة المذكورة . وعى مبتدأ . و (الجنة) خبر . و (التي أورثوها)  
صفة (الجنة) . أو الجنة صفة للبند الذى هو اسم الإشارة . و (التي أورثوها) خبر المبتدأ .  
أو التي أورثوها صفة المبتدأ . و (بما كنتم تعملون) الخبر . والباء تعلق بمحذوف أى  
حاصلة أو كائنة كما فى الظروف التى تقع أخبارا . وفى الوجه الأول تتعلق بأورثوها .  
وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة .

(٤) (من) للتبويض أى لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار  
أبدا . وفى الحديث لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها .

(٥) خبر بعد خبر .

(٦) خبر آخر . أى لا ينقطف ولا ينقص .

(٧) (وهم) فى العذاب (مبسون) آيسون من الفرج متحيرون .

(٨) (وما ظلمناهم) بالعذاب .

(٩) (هم) فصل

وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ ﴿١﴾ لَقَدْ جِئْتُمْكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَاذِبُونَ ﴿٢﴾ أَمْ أَرْمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٣﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ مِرْثَمَهُمْ وَيَحْمِلُونَهُمْ إِنَّا لَمُبْسُطُونَ ﴿٤﴾

(١) (و) لما أيسوا من فتور العذاب (نادوا يملك) (هو خازن النار) - وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ (يملك) فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم - (ليقض علينا ربك) ليعلمنا من قضى عليه إذا أماته (فكره موسى ف قضى عليه) . والمعنى سل ربك أن يقضى علينا . (قال أنكم ما كنون) لا يثبون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى . ويجب أن يكون في (قال) خير الله . لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك . وقيل هو متصل بكلام مالك (٥) والمراد بقوله (جئناكم) الملائكة إذ هم رسل الله وهو منهم .

(٢) لا تقبلونه وتفكرون منه لآت مع الباطل الدعة ومع الحق التنب .

(٣) (أم) أحكم مشركو مكة (أمرا) من كيدهم وبكمهم بحمد صلى الله عليه وسلم (فإننا مبرمون) كيدنا كما أرموا كيدهم .

(٤) كانوا يتنادون فيحتاجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة فزل (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم) حديث أنفهمهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيها بينهم ويخفونه عن غيرهم (إلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) أي الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك . وعن يحيى بن معاذ : من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية ، فقد جعله أحمق العاظرين إليه . وهو من أمارات النفاق .

(٥) أي نضمه قال جرود على ما لله

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لِلرَّحْمَنِ وَالَّذِ فَآئِنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢﴾ فَذَرَهُمْ  
يَحْزَنُونَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ  
الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾

﴿١﴾ (إن مع ذلك يرهان فانا أول العابدين) فانا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم  
إلى طاعته والافتقار إليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه . وهذا كلام وارد على سبيل  
النقض . والمراد نفي الولد . وذلك أنه خلق المبادى بكيونة الولد . وهى محال فى نفسها .  
فكان المعلق بها محالا مثلها . ونظيره قول سعيد بن جبير للججاج - حين قال له " والله لأبدلك  
بالدينار نارا تنالنى " - لو صرفت أن ذلك إليك ما حدثت إلها غيرك . وقيل (إن كان للرحمن ولد)  
فى زعمكم ( فانا أول العابدين ) أى الموحدين لله المكثبين قولكم بإضافة الولد إليه . وقيل  
( إن كان للرحمن ولد ) فى زعمكم فانا أول الآتئين من أن يكون له ولد من عيد يبعد إذا اشتد  
ألفه فهو عيد وعابد . وقرئ ( العبدین ) . وقيل هى ( إن ) النافية . أى ما ( كان للرحمن ولد . فانا  
أول ) من قال بذلك وعبد ووجد . وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله . فزلت . فقال النضر  
ألا ترون أنه صدقنى . فقال له الوليد ماصدقك ولكن قال ما ( كان للرحمن ولد فانا أول )  
الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له ( ولد ) حمزة وملى . ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال  
( سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ) . أى هو رب السموات والأرض  
والعرش . فلا يكون جسما إذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها . وإذا لم يكن جسما لا يكون  
له ولد . لأن التولد من صفة الأجسام .

﴿٢﴾ ( فذرهم ينحوضوا ) فى باطلهم ( ويلعبوا ) فى دنياهم ( حتى يلاقوا يومهم الذى  
يوعدون ) أى القيامة . وهذا دليل على أن ما يقولونه من إباب الجهل والنحوض واللعب :

﴿٣﴾ حتى اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الأرض  
كما تقول هو حاتم فى طى وحاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت

وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ  
 عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ <sup>(١١)</sup> وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ  
 الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ <sup>(١٢)</sup> وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
 مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ <sup>(١٣)</sup>

هو جواد في طي جواد في تغلب . وقرئ ( وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ) . ومثله  
 قوله ( وهو الله في السموات وفي الأرض ) . فكأنه ضمن معنى المعبود . والراجع إلى الموصول  
 محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قاتل لك شيئا . والتقدير ( وهو الذي ) هو ( في السماء  
 إله ) . و ( إله ) يرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمرة . ولا يرتفع ( إله ) بالا ابتداء وخبره ( في السماء )  
 نلتو العبلة حيث قد من مائد يعود إلى الموصول . ( وهو الحكيم ) في أقواله وأفعاله ( العليم )  
 بما كان ويكون .

(١١) أي علم قيامها .

(١٢) ( يرجعون ) مكي وحزرة وعمل .

(١٣) ( ولا يملك ) آلهتهم ( الذين يدعون ) أي يدعونهم ( من دونه ) من دون الله ( الشفاعة )  
 كما زعموا أنهم شفعاءهم عند الله .

(١٤) أي ولكن ( من شهد بالحق ) بكلمة التوحيد ( وهم يعلمون ) أن الله بهم حقاً ويعتقدون  
 ذلك ، هو الذي يملك الشفاعة . وهو استثناء منقطع . أو متصل لأن في جملة الذين يدعون  
 من دون الله الملائكة .

(١٥) ( ولئن سألتهم ) أي المشركين ( من خلقهم ليقولنَّ الله ) لا الأصنام والملائكة  
 ( فأنى يؤفكون ) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار ؟

وَقِيلَهُ يَرْبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ  
سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

(١١) (وقيله) بالجزء حاصم وحزة. أى وعنده علم الساعة وعلم (قيله يارب). والماء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) . وبالنصب، الباقرن عطفاً على محل (الساعة) أى يعلم الساعة ويعلم (قيله) أى قيل ل محمد (يارب). والنيل والقول والقال والمقال واحد . ويموز أن يكون الجز والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه . وجواب القسم (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون). كأنه قيل وأقسم بقيله (يارب) إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) . وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه .

(١٢) فأعرض عن دعوتهم يأنسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم . (وإن) لهم (حلام) أى تسلم منكم ومشاركة .

(١٣) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم . وبإلقاء مدنى وشاعى .

## صورة الدخان مكية

وهي تسع وخمسون آية

في الخبر من قراءها ليلة جمعة أصبح مغفورا له

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۝  
 إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝<sup>(١)</sup>

(١) (والكتاب المبين) أي القرآن. (الواو في) (والكتاب) واو القسم إن جعلت (حم) تمديدا للروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف ، وواو المطف إن كانت (حم) مقسما بها. وجواب القسم (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) أي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان. وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة. والجمهور على الأول لقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن). وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان. ثم قالوا أنزلته جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر. والمباركة الكثيرة الخيرة ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء. ولو لم يوجد فيها إلا أنزال القرآن وحده لكفى به بركة .

(٢) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسرهما جواب القسم. كأنه قبل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتذكير من المقاب . وكان إزالتنا إياه في هذه الليلة خصوصا لأن إزال القرآن من الأمور الحكيمية . وهذه الليلة مفروق كل أمر حكيم. ومعنى (يفرق) يفصل ويكتب (كل أمر) من أرواق العباد وأجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي تجي في السنة المقبلة . (حكيم) ذى حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة . وهو من الإستعداد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة . ووصف الأمر به مجازا .

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿١١﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن  
كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٣﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ  
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١٥﴾

(١١) (أمرا) نصب على الاختصاص. جعل كل أمر جزلا فلما بان وصفه بالحكم ثم زاده  
جزالة ونظامه بان قال أعني بهذا الأمر (أمرا) حاصل (من عندنا) كما اقتضاه ما هنا وتديرونا .

(١٢) (إننا كنا مرسلين) بدل من (إننا كنا منزهين). و (رحمة من ربك) مفعوله على معنى  
إننا أنزلنا القرآن لأن من شأننا ومادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادة لأجل الرحمة عليهم.  
أو تمثيل لقوله (أمرا من عندنا) . و (رحمة) مفعول به . وقد وصف الرحمة بالإرسال كما  
وصفها به في قوله (وما يسلك فلا مرسل له من بعده). والأصل (إننا كنا مرسلين رحمة) منا .  
فوضع الظاهر موضع الضمير لينبأنا بأن الرواية تقتضي الرحمة على المرويين .

(١٣) (إنه هو السميع) لا ألوه (السميع) بأحوالهم .

(١٤) (رب) كوفي بدل من (ربك) . وفيهم بالرفع أي هو (رب السموات والأرض  
وما بينهما إن كنتم موقنين) . ومعنى الشرط أنهم كانوا يقولون بأن السموات والأرض ربا  
وخالفا . فقيل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب . ثم قيل إن هذا الرب  
هو السميع العليم الذي أتم مقفون به ويعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن  
كان إقراركم عن علم وإيمان . كما تقول إن هذا إنعام زيد الذي تسمع الناس بكم إن بلفك  
حديثه وحديث بقصته (لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم) أي هو ربكم (ورب آبائكم الأولين)  
عطف عليه . ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) وإن إقرارهم غير صادر  
عن علم وتيقن ، بل قول مخلوط بهزل ولعب .

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ أَتَى لَهُمُ الْدُّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ بَجْنُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّا كَانِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٦﴾

(١١) فانتظر (يوم تأتي السماء بدخان) يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد ويترى المؤمن منه كهية الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص . وقيل إن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال "اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف" . فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعليز . وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان . وكان يحلث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان . (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان . (يفشى الناس) يشملهم ويلبسهم . وهو في محل الجؤ صفة لدخان . وقوله (هذا عذاب أليم) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) — أى ستؤمن إن تكشف عنا العذاب — منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون . ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك .

(٢٢) كيف يذكرون ويتعظون ويفنون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الاتذكار من كشف الدخان . وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبيانات من الكتاب المجز وذره فلم يذكروا وتولوا عنه وبتوه باتة عما غلاما أنعميا لمض هيف هو الذى حابه ، ونسبوه إلى الجنون .

(٢٣) زمانا (قليلًا) أو كشفا (قليلًا) .

(٢٤) (طائون) إلى الكفر الذى كنتم فيه أو إلى العذاب .



يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا  
قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٢﴾ أَتَىٰ أَهْلَهُمْ  
عِبَادَ اللَّهِ لِئَیْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ  
بِأَمْرٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ وَلِإِيَّيْ عُدَّتْ رِجَّتِي وَرَبِّيكَ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٥﴾

(١) (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم القيامة أو يوم بدر (إنا منتقمون) أى ننقم  
منهم فى ذلك اليوم . وانتصاب (يوم نبطش) باذکر أو بما دلل علیه (إنا منتقمون) وهو  
ننقم لا يمتقمون . لأن ما بعد إن لا يعمل فىا قبلها .

(٢) (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين - أى فعلنا بهم فعل المختبر ليطهر منهم ما كان  
باطنا - (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) حل الله وحل عباده المؤمنين . أو كريم فى نفسه  
حبيب نسيب لأن الله تعالى لم يبعث نبيا إلّا من سرّاه قومه وكرامهم . (أن أدوا إلى) هى  
(أن) المفسرة . لأن مجىء الرسول إلى من بعث إليهم متضمن لمعنى القول . لأنه لا يجيئهم  
إلّا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله . أو المخففة من الثقلية . ومعناه (وجاءهم) بأن الشأن  
والحديث (أدوا إلى) سألوا إلى (عباد الله) هو مفعول به . وهم بنو إسرائيل . يقول أدوهم  
إلى وأرسلوهم معى . كقوله (فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم) . ويجوز أن يكون نداء  
لهم حل معنى (أدوا إلى) يا (عباد الله) ما هو واجب على عليكم من الإيمان لى وقبول دعوتى وأتباع  
سبلى . وعمل ذلك بقوله (إنى لكم رسول أمين) أى حل رسالتى غير متهم .

(٣) (أن) هذه مثل الأولى فى وجهها . أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووجهه .  
أولا تستكبروا على نعمة الله .

(٤) بحجة واضحة تدل على أنى نعمة .

(٥) (وإنى عذت) - مدغم أبوعمر وحمزة وعل - (ربى وربكم أن ترجمون) أن  
تقتلونى رجما . ومعناه أنه عائد بربى مشكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم . فهو غير مبال  
بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل .

وَإِنْ لَّ تَوْتَمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ ﴿١١﴾ فَلَمَّا رَءَاهُ أَبُّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ  
 مُّجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ فَأَمَرَ بَعْبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿١٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ  
 رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿١٤﴾ كَرُّ تَرْكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾  
 وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيرٍ ﴿١٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَنَكَيْنَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ  
 وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٨﴾ قَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴿١٩﴾

(١١) أى إن لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنبهوا عني . أو غفلوني  
 كفافا لا لى ولا عني ، ولا تنمضوا لى بشركم وأذاكم . فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه  
 فلاحكم ذلك . ( ترجموني فاعتزلوني ) فى الحالين يسقوب .

(١٢) ( فلما رآه ) شا كيا قومه ( أت هؤلاء قوم مجرمون ) بأن هؤلاء . أى دعا ربّه بذلك .  
 قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم . وقيل هو قوله ( ربنا لا تجعلنا فتنة  
 للقوم الظالمين ) . وقرئ ( أت هؤلاء ) بالكسر على إضمار القول . أى ( فلما رآه ) فقال ( أت هؤلاء ) .

(١٣) ( فأمر ) من أسرى ( فأمر ) بالوصل حمجازى من سرى . والقول مضمر بعد الفاء  
 ( فذ ) قال ( أمر بعبادى ) أى بنى إسرائيل ( ليلا إنكم متبعون ) أى دبر الله أن تتفقدوا ويتبعكم  
 فرعون وجنوده فينجي المتقدين ويفرق التائبين .

(١٤) ( وأترك البحر رهوا ) سا كيا . أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه  
 بعصاه لينطبق . فأمر بأن يتركه سا كيا على هيئته فازا على حاله من انتصاب الماء وكون  
 الطريق يسرا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط . فإذا حصلوا فيه أطبقه الله  
 عليهم . وقيل الرهو الفجوة الواصلة . أى أتركه مفتوحا على حاله . مخرجاً ( أنهم جند مغرقون )  
 بعد خروجكم من البحر . وقرئ بالفتح أى لأتتهم .

(١٥) ( كم ) عبارة عن الكثرة ، منصوب بقوله ( تركوا من جنات وعيون ومقام  
 كريم ) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة . وقيل المنابر ( ونعمة ) تنعم ( كانوا فيها فاكهين ) متعدين  
 ( كذلك ) أى الأمر كذلك . فالكاف فى موضع الرفع على أنه خبر مبدأ مضمر ( وأورثناها )

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ آلِ عَادَابِ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ  
اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْأَيَّاتِ مَا فِيهِ  
بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّا هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ ﴿١٧﴾

فوما آخريـن) ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (لما بكت عليهم  
السماء والأرض) لأنهم ماتوا كفارا . والمؤمن إذا مات تبكى عليه السماء والأرض فيبكي على  
المؤمن من الأرض مصلاه ومن السماء مصعد عمله . وعن الحسن أهل السماء والأرض .

(١١) أى لم ينظروا إلى وقت آخرو لم يهلوا .

(١٢) أى الاستعداد والاستعداد وقتل الأولاد .

(١٣) بدل من (العذاب المبين) بإعادة الجواز كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه  
في تعذيبهم وإهانتهم . أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك (من فرعون) .

(١٤) (إنه كان عاليا) متكبرا (من المسيرفين) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا .

(١٥) (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل . أى عالمين بمكان  
الخير وبأنهم أحقوا بأن يختاروا (على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كغياق البحر  
وتظليل النعام وإزالة الماء والسوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر  
لننظر كيف يعملون .

(١٦) (إن) كفار قريش (يقولون إن هي) ما الموت (إلا موتنا الأولى) . والإشكال أن  
الكلام وقع في الحياة الثانية لا في الموت . فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى ؟ وما معنى  
ذكر الأولى ؟ كأنهم وصلوا موة أخرى حتى يمجدها وابتدوا الأولى . والجواب أنه قيل لهم  
إنكم تموتون موة تمتعها حياة كما تمتعتم موة قد تمقبتها حياة . وذلك قوله تعالى (وكنتم

وَمَا نَحْنُ بِمُنْشِرِينَ ﴿١١﴾ فَأَتُوا رِجَابَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ أَمْ أَمْثَلُكُمْ خَيْرٌ  
 أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾  
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿١٤﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا  
 بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٧﴾

أمواتا فأحياكم ثم يمتك ثم يمتكم). فقالوا (إن هي إلا موتتنا الأولى) يريدون ما الموتة التي  
 من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى . فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله (إلا حياتنا  
 الدنيا) في المعنى. ويحتمل أن يكون هذا إنكارا لما في قوله (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين).

(١١) بهمومين . يقال أنشأ الله الموتى وشرهم إذا بهتهم .

(١٢) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .  
 أى إن صدقتم فيما تقولون فسيبأوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك  
 حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق .

(١٣) (أَمْ أَمْثَلُكُمْ خَيْرٌ) فى القوة والمنعة (أَمْ قَوْمُ تَبَّعٍ) هو تبع الجهرى . كانت مؤمنا وقومه  
 كافرين . وقيل كان نبيا . وفى الحديث : ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى . (والذين من  
 قبلهم) مرفوع بالعطف على (قَوْمُ تَبَّعٍ) . (أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) كافرين متكررين  
 للبعث . (وما خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) أى وما بين الجنسين (لاحيين) حال . ولو لم  
 يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خالق الخلق للقضاء خاصة فيكون لعبا . (ما خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا  
 بِالْحَقِّ) بالحدّة ضدّ اللعب (ولكنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أنه خالق لذلك . (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين  
 الحقّ والمبطل وهو يوم القيامة (مِيقَاتِهِمْ أَجْمَعِينَ) وقت موعدهم كلهم (يوم لا يغنى مولى  
 عن مولى) أى ولا كان عن أى ولى كان (شيئا) من إغناء أى قليلا منه (ولا هم ينصرون)  
 الضمير للمولى لأنهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الإيهام والشياخ كل مولى .

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَجَرَتَ  
الزَّقُونِ ﴿٢٢﴾ طَعَامُ الْأُنْيَمِ ﴿٢٣﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٢٤﴾ كَغَلِي  
الْحَمِيمِ ﴿٢٥﴾ خُلُوهُ فَاغْتَلَوْهُ إِنَّ سَوَاءَ الْجَحِيمِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ  
رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٢٧﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٢٨﴾

(٢١) في محل الرفع على البدل من الواو في (يتصرون). أى لا يمنع من العذاب (إلا من) رحمه (الله).

(٢٢) (إنه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لأوليائه .

(٢٣) (إن شجرت الزقون) هى على صورة شجر الدنيا لكنها في النار . والزقون ثمرا . وهو كل طعام ثقيل (طعام الأنيم) هو الفاجر الكثير الآثام . وعن أبي الدرداء أنه كان يقرأ رجلا فكان يقول طعام البئيم . فقال قل طعام الفاجر يا هذا . وبهذا تستدل على أن إبدال الكلمة مكان الكلمة جائزا كانت مؤذية معناها . ومنه إجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارئ المعانى كلها على كمالها من غير أن يحرم منها شيئا . قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة . لأن في كلام العرب — خصوصا في القرآن الذى هو معجز فصاحته وغرابة نظمه وأساليبه — من لطائف المعانى والدقائق مالا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها . ويروى رجوعه إلى قولها . وطيه الاعتقاد . (كالهمل) هو دُرْدَى الزيت . والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلي في البطن) — وبألياء مكى — وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام — (كغلي الحميم) أى المساء الحار الذى انتهى غليانه . ومعناه غليا (كغلي الحميم) . فالكاف منصوب المحل . ثم يقال الزبانية (خذه) أى الأنيم (فاعتلوه) ففودوه بعنف وظلّة — (فاعتلوه) مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب — (إلى سواء الحميم) إلى وسطها ومعظمها .

(٢٤) المصبوب هو الحميم لا عذابه إلا أنه إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته . وصب العذاب استمارة .

(٢٥) يقال له على سبيل المزج والتهميم . (أنتك) أى لأنك ، على .

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿١﴾ إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٢﴾  
 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٣﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤﴾  
 كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ آمِنِينَ ﴿٦﴾

(١) (إِنَّ هَذَا) المذاب أو هذا الأمر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون .

(٢) بالفتح وهو موضع القيام . والمراد المكان . وهو من الخاص الذي وقع مستعملا  
 في معنى العموم . وبالضم مدنى وشامى . وهو موضع الإقامة .

(٣) من أمن الرجل أمانة فهو أمين . وهو ضد الخائن . فوصف به المكان استمارة لأن  
 المكان الخفيف كأنما يثبون صاحبه بما يلقى فيه من المكارة .

(٤) بدل من (مقام أمين) .

(٥) مارق من اللباس .

(٦) ما غلط منه . وهو تعريب استبر . واللفظ إذا عرّب خرج من أن يكون أعجمياً .  
 لأن معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن مناهجه وإجرائه على أوجه  
 الإعراب . فساخ أن يقع في القرآن العربى .

(٧) (متقابلين) في مجالسهم . وهو أتمّ للانس .

(٨) الكاف مرفوعة . أى الأمر (كذلك) .

(٩) وقرآنهم . ولهذا عدى بالياء .

(١٠) جمع حوراء . وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها .

(١١) جمع عيناء . وهى الواسعة العين .

(١٢) يطلبون في الجنة (بكل فاكهة آمين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الإكثار .

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١١﴾  
 فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ  
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ فَأَنزَلْنَاهُ فِيهِمْ مَّرْتَبُونَ ﴿١٤﴾

(١١) (لا يذوقون) في الجنة (الموت) البتة (إلا الموتة الأولى) أى سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا . وقيل لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا .

(١٢) أى للفضل . فهو مفعول له . أو مصدر مؤكد لما قبله لأن قوله (وقاهم عذاب الجحيم) تفضل منه لهم لأن العبد لا يستحق على الله شيئا .

(١٣) أى صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم) .

(١٤) أى التكاثر . وقد جرى ذكره في أول السورة .

(١٥) يتعظون .

(١٦) فانتظر ما يحل بهم (إنهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من العوائق .

## سورة الجاثية مكية

وهي سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ <sup>(١)</sup> إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ <sup>(٢)</sup> وَفِي خَلْقِكَ وَمَا يَأْتِي مِنَ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ  
يُوقِنُونَ <sup>(٣)</sup> وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ  
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ <sup>(٤)</sup>

(١) (حم) إن جعلتها اسما للسورة فهو مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب) و (من الله) صلة للتنزيل . وإن جعلتها تمديدا للحروف كان (تنزيل الكتاب) مبتدأ ، والظرف خبرا .

(٢) (العزيز) في انتقامه (الحكيم) في تمييزه .

(٣) (إن في السموات والأرض لآيات) لدلالات على وحدانيته . ويحوز أن يكون  
المعنى (إن في) خلق (السموات والأرض لآيات للمؤمنين) . دليله قوله (وفي خلقكم) .  
وبعطف (وما يأت من دابة) على الخلق المضاف . لأن المضاف إليه ضمير مجرور متصل  
بقبح العطف عليه . (آيات) حمزة وعلى بالنصب . وضميرها بالرفع مثل قولك إن زيدا  
في الدار وعمرا في السوق أو عمرو في السوق . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من  
السماء من رزق) — أى مطر . وسمى به لأنه سبب الرزق — ( فأحيا به الأرض بعد موتها  
وتصريف الرياح) — (الرريح) حمزة وعلى — (آيات) بالنصب على "حمزة" وضميرها بالرفع .  
وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت . فالعاملان إذا نصبت (إن)



تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْخَلْقُ قَبَائِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَعَآيَتُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾  
وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٣﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُسَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا ﴿٣٤﴾

و (في). أقيمت الواو مقامهما فعملت الجز في (واختلاف الليل والنهار) والنصب في (آيات).  
و إذا رفعت فالعاملان الابتداء و (في). عملت الواو الرفع في آيات والجز في (واختلاف). هذا  
مذهب الأخفش . لأنه يجوز العطف على عاملين . وأما سيبويه فإنه لا يميزه . وتخرج الآية  
عنده أن يكون مل إضمار و (في). والذي حسنه تقديم ذكر (في) في الآيتين قبل هذه الآية . ويؤيده  
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه (وفي اختلاف الليل والنهار) . ويجوز أن ينصب (آيات)  
على الاختصاص بعد انقضاء المجرور مطوفا على ما قبله ، أو على التكرير توكيدا لآيات الأولى.  
كأنه قيل آيات آيات . ورفعا بإضمار (هي) والمعنى ، في تقديم الإيمان على لإيقان وتوسيطه  
وفاخير الآخر ، أت المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض نظرا صحيحا علموا  
أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله . فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتلقاها من  
حال إلى حال ، وفي خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا .  
لذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت ، كاختلاف الليل والنهار وزول الأمطار  
وحياة الأرض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا وديورا ، عقلوا واستحكم  
علمهم وخلص يقينهم .

﴿٣١﴾ (تلك) إشارة إلى الآيات المتقدمة . أي تلك الآيات (آيات الله) . وقوله (تتلوها)  
في محل الحال أي متتوة (عليك بالخلق) . والعامل ما دل عليه (تلك) من معنى الإشارة .

﴿٣٢﴾ أي بعد آيات الله . كقولهم أعجبني زيد وكرمه ، يريدون أعجبني كرم زيد .

﴿٣٣﴾ مجازي وأبو عمرو وسهل وحفص . وبالناء غيرهم على تقدير قل يا محمد .

﴿٣٤﴾ (وبل لكل أفَّاكٍ أَثِيمٍ) كذَّاب (أثيم) متبائع في اقراف الآتام (يسمع آيات الله) —  
في موضع جر صفة — (تسلى عليه) — حال من (آيات الله) — (ثم يصير) يقبل على كفره ويقع  
عليه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإيمان لما تنطق به من الحق مندرجا لها مستجبرا .

كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٢٢﴾ مَن رَّآهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

بما عنده . قيل نزلت في النضرين المحرث وما كان يشتري من إحداهما العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن . والآية عاتق في كل من كان مضاراً لعين الله . وحيء بهم لأن الإصرار على الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في المقول .

(٢١) (كأن) عتقة . والأصل كأنه (لم يسمعها) . والضمير ضمير الشأن . وعمل الجملة النصب على الحال . أي (يصير) مثل غير السامع .

(٢٢) فأخبره (بعذاب أليم) خبراً يظهر أثره على البشارة .

(٢٣) وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) . ولم يقل اتخذها للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه . ويحوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي التماهية :

نعمى بشيء من الدنيا مملقة • الله والثاقم المهدى يكفينا

حيث أراد عتية .

(٢٤) (أولئك) — إشارة إلى (كل أفاك أيم) لشموله الأفاكين — (لم عذاب مهين) غزو . (من ورثهم) من قتلهم — الوراء اسم للجهة التي يوارى بها الشخص من خلف أو قدام — (جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الأموال (شيئاً) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) — (ما) فيها مصدرية أو موصولة — (من دون الله) من الأوثان (أولياء) ولم عذاب عظيم في جهنم .

هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ <sup>(١١)</sup> اللَّهُ  
الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ <sup>(١٢)</sup> وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ <sup>(١٣)</sup> قُلِ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ <sup>(١٤)</sup>

(١١) (هذا هدى) إشارة إلى القرآن. ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم). لأن آيات ربهم هي القرآن. أى هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل في الرجولية. (لم عذاب من ربهم) — هو أشد العذاب — (ألم) بالرفع مكي ويصوب وحفص صفة لعذاب. ويطرحهم بالحق صفة لربهم.

(١٢) (بأمره) بإذنه. (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج الهمم الطرى.

(١٣) (جميعاً) هو تأكيد (ما في السموات). وهو مفعول (سخر). وقيل (جميعاً) نصب على الحال. (منه) حال. أى سخر هذه الأشياء كائنات (منه) حاصلة من عنده. أو خبر مبتدأ محذوف. أى هذه النعم كلها (منه). أو صفة للصدر أى تسخيرها (منه).

(١٤) أى (قل) لم اخفروا (يغفروا) — تحذف المفعول لأن الجواب يدل عليه. ومعنى (يغفروا) يغفون ويصفحوا. وقيل أنه مجزوم بلام مضمره تقديره ليغفروا. فهو أمر مستأنف. وجاء حذف اللام للدلالة على الأمر — (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه. من قولهم لوقائع العرب "أيام العرب". وقيل لا يؤثقلون الأوقات التي وقعتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها. قيل نزلت في عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى فزار فهم أن يبطش به.

لَيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ . وَمَن أَسَاءَ  
فَعَلِيهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾

(١١) تحليل للأمر بالمغفرة. أي إنما أمروا بأن ينفروا ليوقفهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة.  
وتذكير (قوما) على المدح لهم. كأنه قيل (ليجزى) أي أقوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم —  
(ليجزى) شامئ وحزرة وعلى (ليجزى قوما) زيد. أي (ليجزى) الخير (قوما). فاضمر الخير لدلالة  
الكلام عليه، كما اضمر الشمس في قوله (حتى توارت بالجباب) لأن قوله (إذ عرض عليه بالعشي) —  
دليل على توارى الشمس. وليس التقدير (ليجزى) الجزء (قوما) لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل  
ومعك مفعول صحيح. أما إقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فإثراء أنت تقول جزاك الله خيرا —  
(بما كانوا يكسبون) من الإحسان .

(١٢) أي لما التواب وعليها العقاب .

(١٣) أي إلى جزائه

(١٤) للتوراة .

(١٥) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم .

(١٦) خصها بالله ذكر لكثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم .

(١٧) بما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق .

(١٨) على عالمي زمانهم .

وَأَتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ  
 الْعِلْمُ بَغْيًا يَبْغُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَبِمَا كَانُوا  
 فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا  
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ  
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ  
 الْمُتَّقِينَ ﴿١٢﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٣﴾

(١١) (وَأَتَيْنَاهُمْ) آيات ومجيزات (من الأمر) من أمر الدين (فما اختلفوا) لما وقع الخلاف  
 بينهم في الدين (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب  
 لزوال الخلاف وهو العلم. وإنما اختلفوا لى حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم. (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي  
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَبِمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ). قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة  
 حسدا وعلبا للرياسة لا من جهل يكون الإنسان به معنورا. (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) بعد اختلاف أهل  
 الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الأمر) من أمر الدين. فاتبع شريعتك الثابتة  
 بالجميع والدلائل. ولا تتبع ما لا سمجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبتى على هوى وبدعة.  
 وهم رؤساء قريش حين قالوا أرجع إلى دين آبائك. إن هؤلاء الكافرين (لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ  
 اللَّهِ شَيْئًا) وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) وهم موالوه. وما أئين الفضل  
 بين الولايتين.

(١٢) (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر  
 فى القلوب كما جعل روحا وحياة (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)  
 لمن آمن وأيقن بالبعث.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢﴾

(١١) أم (مقطعة ومعنى الهمة فيها إنكار الحسيان .

(١٢) اكتسبوا المعاصي والكفر . ومنه الجوارح ، وفلان جارحة أهله أى كاسبهم .

(١٣) (أن نجعلهم) أن نصيهم . وهو من جعل المتعدي إلى مفعولين . فأولها الضمير والثاني الكاف (في كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) . والجملة التي هي (سواء عياهم ومماتهم) بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولاً ثانياً فكانت في حكم المفرد . (سواء) على وجه حذفه بالنصب على الحال من الضمير (في نجعلهم) . ويرفع عياهم ومماتهم سواء . وقرأ الأعمش (ومماتهم) بالنصب . جعل (عياهم ومماتهم) ظرفين تقدم الحاج . أى سواء في عياهم ومماتهم . والمعنى إنكار أن يستوى المسيئون والمحسنون عيياً وأن يستووا مما نالوا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على اقتراف السيئات ، ومماتاً حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة والكرامة ، وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة . وقيل معناه إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة في الرزق والصحة .

(١٤) يأس ما يقضون إذا حسبوا أنهم كالمؤمنين . فليس من أقصد على بساط الموافقة ، كن أقصد على مقام المخالفة . بل نفرق بينهم فمثل المؤمنين ونخزي الكافرين . وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فيلج هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح (سواء ما يحكمون) . وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أى الفريقين أنت .

(١٥) (وخلق الله السموات والأرض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) — معطوف على هذا المثل المخلوف — (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) .

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ  
وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشَاوَةً فَنَنْبَسِلِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ<sup>(١١)</sup>  
وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ<sup>(١٢)</sup>

(١١) أى هو مطواع لهوى النفس يقع مأكدوه إليه فكأنه يعيده كما يعيد الرجل إلهه (وأضله الله على علم) منه باختياره الضلال. أو أنشأ فيه فعل الضلال (على علم) منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقاً (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عجرة — (غشوة) حمزة وعلى — (لئن يهديه من بعد الله) من بعد إضلال الله آياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص. وغيرهم بالتشديد. فأصل الشر متابعة الهوى والخيـركـة في مخالفتـه. فنتم ما قال :

إذا طلبتك النفس يوما بشهوة • وكان إليها الخلاف طريق

فدعها وخالف ماهويت فإنما • هو لك عدو والخلاف صديق

(١٢) (ماهى) أى ما الحياة — لأنهم وعدوا حياة ثانية — (إلا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها.

(١٣) (نموت) نحن (ونحيا) ببقاء أولادنا. أو يموت بعض ونحيا بعض. أو نكون مواتا نطفاني الأصبلا ونحيا بعد ذلك. أو يصيبنا الأمران الموت والحياة — يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها — وليس وراء ذلك حياة. وقيل هذا كلام من يقول بالتنازع أى يموت الرجل ثم تجمل روحه فى موات فيحيا به.

(١٤) كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالى هو المؤثر فى هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بإذن الله. وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان. وترى أعلامهم ناطقة بشكوى الزمان. ومنه قوله عليه السلام "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر". أى فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر.

وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا  
بَيِّنَاتٌ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْتَ قَالُوا أَتُتْلَىٰ بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُم ثُمَّ يُثَبِّتُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ بِنَفْثِ الْمَظْلُومِ ﴿١٤﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ  
جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَيْكِ كِتَابُهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

(١١) وما يقولون ذلك من علم و يقين ، ولكن من ظنٍّ و تخمين .

(١٢) (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) — أى القرآن . يعنى ما فيه من ذكر البعث — (ما كان حجتهم) — وسمى قولهم حجة وإن لم يكن حجة لأنه في زعمهم حجة — (إلا أن قالوا اتوا بآياتنا) أى أحيوهم (إن كنتم صادقين) في دعوى البعث . و (حجتهم) خبر كان . واسمها (أن قالوا) . والمعنى (ما كان حجتهم إلا) مقالتهم (اتوا بآياتنا) . وقرئ (تجتهم) بالرفع على أنها اسم (كان) و (أن قالوا) الخبر .

(١٣) (قل الله يخيبكم في الدنيا ثم يثبتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا . ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآياتكم ضرورة (لا ريب فيه) أى في الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكر في الدلائل .

(١٤) حامل النصب في (يوم تقوم) هو (ينفخ) . و (يومئذ) بدل من (يوم تقوم) .

(١٥) جالسة على الركب . يقال جثا فلان يثو إذا جلس على ركبته وقيل (جائية) مجمعة .

(١٦) (كل أمة) — بالرفع على الابتداء . (كل) بالفتح يعقوب على الإبدال من (كل أمة) — (تدعى إلى كتابها) إلى صحائف أعمالها — فاكتفى باسم المجلس — فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا .



هَذَا كِتَابُنَا يُتْلَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ فَأَمَّا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْمُبِينُ ﴿٣٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ  
وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا  
قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ﴿٣٥﴾

(١١) أضيف الكتاب إليهم لئلا يستلزم لآهم لأن أعمالهم منتهية فيه ، وإلى الله تعالى لأنه  
مالكه والامر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده .

(٣٢) يشهد عليكم بما علمتم ( بالحق ) من غير زيادة ولا نقصان .

(٣٣) أى نستكتب الملائكة أعمالكم . وقيل نسخت واستندخت بمعنى . وليس ذلك  
ينقل من كتاب . بل معناه ثبت .

(٣٤) جنته .

(٣٥) ( وأما الذين كفروا ) فيقال لهم ( أفلم تكن آياتي تتلى عليكم ) . والمعنى (١) لم يأتكم  
رسول ( فلم تكن آياتي تتلى عليكم ) — فحذف المعطوف عليه — ( فاستكبرتم ) عن الإيمان بها  
( وكنتم قوما مجرمين ) كافرين .

(٣٦) ( وإذا قيل إن وعد الله ) بالجزاء ( حق والساعة ) — بالرفع عطوف على محل إن واسمها  
( والساعة ) حزة . عطوف على ( وعد الله ) — ( لا ريب فيها قلم ما ندرى ما الساعة ) أى شيء  
( الساعة ) إن نطق إلا ظناً . أصله نطق ظناً ومعناه إثبات النطق بحسب . فادخل حرف النفي  
والاستثناء ليفاد إثبات النطق مع نفي ما سواه . وزيد نفي ما سوى النطق تأكيداً بقوله ( وما  
نحن بمستيقنين ) .

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾  
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ  
 وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿١٢﴾ ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا  
 وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿١٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿١٤﴾  
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ  
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾

(١١) ظهر لمؤلف الكفار (سيئات ما عملوا) قباغ أعمالهم . أوعقوبات أعمالهم السيئات كقوله ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) .

(١٢) وتلك بهم جزاء استهزائهم .

(١٣) أى ترككم فى العذاب كما تركتم هبة لقاء يومكم . وهى الطاعة . وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكرب قوله ( بل مكر الليل والنهار ) أى (نسيتم لقاء الله تعالى فى (يومكم هذا) ولقاء جزائه .

(١٤) أى مزلكم .

(١٥) ( ذلكم ) العذاب ( بأنكم ) بسبب أنكم ( اتخذتم آيات الله هزوا وغرَّتكم الحياة الدنيا ) .

(١٦) ( لا يخرجون ) حمزة وصل .

(١٧) ولا يطلب منهم أن يعتبوا بهم أى يرضوه .

(١٨) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم رب كل شئ من السموات والأرض والمالين لإنان مثل هذه الروبىة المائة توجب الحمد والثناء على كل مرربوب .

(١٩) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والأرض ( وهو العزيز ) فى انتقامه ( الحكيم ) فى أحكامه .

## سورة الأحقاف مكية

وهي خمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدَّثَنَا تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۝ وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَئِتُونِي  
بِكُتُبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝

(١) ملتبساً (بالحق) .

(٢) (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهي إليه . وهو يوم القيامة .

(٣) (والذين كفروا عما أنذروا) ه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل مخلوق من انتهائه  
إليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له . ويجوز أن تكون (ما) مصدرية . أى  
عن إنذارهم ذلك اليوم .

(٤) أخبروني (ما تدعون من دونه) تعبدونه من الأصنام : (أروني ما ذا خلقوا من  
الأرض) أى شيء خلقوا مما في الأرض إن كانوا آلهة ؟ (أم لهم شرك في السموات) شركة  
مع الله في خلق السموات والأرض ؟ (أتوني بكتب من قبل هذا) أى من قبل  
هذا الكتاب وهو القرآن . يعنى آت هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك . وما من

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَنَفِيرِينَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا نُتِلَتْ عَلَيْهِمْ أَنبِيَاؤُنَا بِبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِحَقِّهِمْ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك . فاتوا بكتاب واحد متزل من قبله شاهد بصحة ما أتى عليه من عبادة غير الله (أو إشارة من علم) أو بقية من علم بهيت عليكم من علوم الأوثان (إن كنتم صادقين) أذا الله أمركم بعبادة الأوثان .

(١١) (وهم عن دعائهم غافلون) أى أبدا . (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أى الأصنام لعبادتها (وكانوا) أى الأصنام (بعبادتهم) بعبادة عبثتهم (كافرين) يقولون ما دعوناهم إلى عبادتنا . ومعنى الاستفهام (من أضل) إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضللا من عبدة الأوثان حيث يتركون دعاء السميع المحيى القادر على كل شيء ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة (وإذا) قامت القيامة و(حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا) عليهم ضدا . فليسوا في الدارين لأعلى نكد ومضرة : لاستولاهم في الدنيا بالاستجابة ، وفي الآخرة بمدادهم وبمحصد عبادتهم . ولما أسند إليهم ما يستند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل (من) و(هم) . ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريق التهمك بها وبعبثتها . ونحوه قوله تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) .

(١٢) جمع بينة . وهى الحجج والشاهد . أو واضحات ميّات .

(١٣) المراد بالحق الآيات ، والذين كفروا المثلث عليهم . فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم الكفر ، ولتأنيق بالحق .

(١٤) أى يدهوهم بالجنود ساعة أناهم وأقول ما سمعوه من غير إجابة فكر ولا إعادة نظر .

(١٥) ظاهر أمره في البطلان لا شبهة فيه .

أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِّ ابْنُ أَفْتَرَيْنَاهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ  
 أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَرِيحًا يَبْنِي وَيَنْسِكُ وَهُوَ الْغَفُورُ  
 الرَّحِيمُ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكُرُّ

(١١) إضراب من ذكر تسميتهم الآيات مصرا إلى ذكر قولهم إن محمدًا عليه السلام (اقتراه)  
 أى اختلقه وأضافه إلى الله كذبا . والتضمير للفق والمراء به الآيات .

(١٢) أى (إن اقرئته) على سبيل الفرض ما جعل الله بمقابلة الافتراء عليه فلا تقدر أن على  
 كفء عن مجابتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه . فكيف أقرئه وأعرض لعقابه ؟

(١٣) أى تندفون فيه من القدح فى وحى الله والطمع فى آياته وتسميته مصرا تارة وفرة  
 أنرى .

(١٤) يشهد لى بالصدق والبلاغ ، ويشهد عليكم بالجحود والإنكار .

ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم .

(١٥) موعدة بالفقران والرحمة إن تابوا عن الكفر وآمنوا .

(١٦) أى بديها كأنك لى بمعنى الخفيف . والمعنى لى لست بأول مرسل فننكروا نبؤى .

(١٧) أى (ما) يفعل الله (بى و) بكم فيما يستقبل من الزمان . وعن الكلبي : "قال له أصحابه —

وقد مضى من أذى المشركين حتى متى تكون على هذا؟ فقال: (ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم)  
 أترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رقت لى ورأيتها — بى فى منامه — ذات  
 نخيل . وشجرة؟" و (ما) فى (ما يفعل) يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية  
 مرفوعة . ولأنما دخل (لا) فى قوله (ولا بكم) ، مع أنك (يفعل) مثبت غير معنى ، لتناول  
 النفى فى (ما أدرى) ما وما فى حيزه .

إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
 إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ  
 عَلَىٰ مِثْلِهِ فَنَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾

(١١) (قل أرايتم إن كان القرآن (من عند الله وكفرتهم به وشهد شاهد من بني إسرائيل) — هو عبد الله بن سلام عند اليهود، ولهذا قيل لهذه الآية مدنية لأن إسلام ابن سلام بالمدينة. روى أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر إلى وجهه فلم أنه ليس بوجه كتاب، قال له إنني سألك عن ثلاث لا يباهن إلا نبي: ما أول أشرار الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد يتزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أول أشرار الساعة فأنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل زمره، وإن سبق ماء المرأة نزعت. إل أشهد أنك رسول الله حقاً — (على مثله) الضمير للقرآن. أى مثله فى المعنى. وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك. ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتهم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فأمن) الشاهد. (واستكبرتم) عن الإيمان به. وجواب الشرط محذوف تقديره (إن كان) القرآن (من عند الله وكفرتهم به) أستم ظالمين. ويدل على هذا المحذوف (إن الله لا يهدي القوم الظالمين). والواو الأولى عاطفة لكفرتهم على فعل الشرط. وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لاستكبرتم على (شهد شاهد). وأما الواو فى (وشهد) فقد عطفت جملة قوله (شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم) على جملة قوله (كان من عند الله وكفرتهم به) والمعنى (قل) أخبرونى إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى إسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وحرى الإيمان به، أستم أضل الناس وأظلمهم؟

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَمْتَدُوا  
 بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ <sup>(١)</sup> وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مَوْحِي إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا <sup>(٢)</sup>  
 كَتَبُ مُصَدِّقٍ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ لِلْمُحْسِنِينَ <sup>(٣)</sup>

(١) أى لأجلهم. وهو كلام كفار مكة . قالوا إنك عاتمة من يتبع هذا السقاط . يمتنون  
 الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود .

(٢) ( لو كان ) ما جاء به محمد ( خيرا ما ) سبقنا إليه هؤلاء .

(٣) العامل في ( إذ ) محذوف لدلالة الكلام عليه . تقديره ( وإذ لم يمتدوا به ) ظهر  
 منادهم . وقوله ( فسيتولون هذا إنك قديم ) مسبب عنه . وقولهم ( إنك قديم ) أى كذب  
 متقدم كقولهم أساطير الأولين .

(٤) ( ومن قبله ) أى القرآن ( كتاب موسى ) أى التوراة . وهو مبتدأ و ( من قبله )  
 ظرف واقع خبرا مقدما عليه . وهو ناصب ( إماما ) على الحال نحو في البارز يد قائما . ومعنى  
 ( إماما ) قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام . ( ورحة ) لمن آمن به وعمل بما  
 فيه .

(٥) ( وهذا ) القرآن ( كتاب مصدق ) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من  
 جميع الكتب .

(٦) حال من ضمير الكتاب في ( مصدق ) . والمعامل فيه ( مصدق ) أو من ( كتاب )  
 لتخصيصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة . وجوز أن يكون مفعولا لمصدق . أى يصديق  
 فالسان عربى . وهو الرسول .

(٧) ( لينذر ) أى الكتاب - ( لينذر ) مجازى وشامخ - ( الذين ظلموا ) كفروا  
 ( وبشري ) - في محل النصب مطروف على محل ( لينذر ) لأنه مفعول له - ( المحسنين )  
 المؤمنين المطيعين .

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأَشُدَّهُ

(١١) (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا) حل توحيد الله وشرعية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ) في القيامة (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) عند الموت .

(١٢) حال من (أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) والعامل فيه معنى الإشارة الذي دلّ عليه (أُولَئِكَ) .

(١٣) (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) مصدر لفعل دلّ عليه الكلام أى جوزوا (بِإِذَا) .

(١٤) (كُرْهًا) أى وصيته بأن يحسن (بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) . (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا) أى وصيته بوالديه أمراً إذا حسن أو بأمر ذى حزن . فهو في موضع البدل من قوله (بِوَالِدَيْهِ) وهو من بدل الاشتمال .

(١٥) (وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) وهما لغتان في معنى المشقة . وانتصابه على الحال . أى ذات كره أو على أنه صفة للصدر . أى حملاً ذا كره .

(١٦) (وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله تعالى (حولين كاملين) بقيت للعمل ستة أشهر . وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالأ كف (وفصله) يعقوب . والفصل والفضال كالقطع والقطع بناء ومعنى .

(١٧) هو جمع لا واحد له من لفظه . وكان سيويه يقول واحده شدة . وبلوغ الأشد أن يكتمل ويستوفى السن التي تستحق فيها قوته وعقله . وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين . وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة . ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وظائنه الأربعون .



وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ  
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْتَ أَعْمَلُ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي  
إِنِّي تَوَّعْتُ لِمَالِكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ  
عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ  
وَعَدَ الْبَصِيقِ الَّذِينَ كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ

(١١) ألمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي) — المراد به نعمة التوحيد والإسلام. وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه — (وإن أعمل صالحا لراضاه) — قيل هي الصلوات الخمس — (وأصلح لي في ذريتي) أي اجعل ذريتي موقعا للصلاح ومغفرة له (إني تبت لمالك) من كل ذنب (وإني من) المخلصين .

(١٢) أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم — حصة وعلى وحفص . (يُتَقَبَّلُ . ويُتَجَاوَزُ . أَحْسَنُ) غيرهم — (في أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه . تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم . ومحلّه النصب على الحال على معنى كائنين (في أصحاب الجنة) ومعدودين فيهم . (وعد الصدق) مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز (الذي كانوا يوعدون) في الدنيا .

قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده، واستجابة دعائه فيهم . فإنه آمن بالذي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . ودعا لها وهو ابن أربعين سنة . ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأَنْصَارِ أسلم هو ووالده وبشوه وبناؤه غير أبي بكر رضي الله عنه .

(١٣) (والذي قال لوالديه) مبتدا خبره (أولئك الذين حق عليهم القول). والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول . ولذلك وقع الخبر مجزوا . وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكتوب بالبعث . وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قبل إسلامه . ويشهد

أَبِ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهَمَّ  
يَسْتَعِيشَانِ اللَّهَ وَيَلْكَ ءَامِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ  
الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ

ليطلانه خطاب معاوية إلى مروان يأمر الناس بالبيعة ليزيد . فقال عبد الرحمن بن أبي بكر :  
”لقد جفتم بها هرقلية . أتبايعون لأبنائكم“ ؟ فقال مروان : يا أيها الناس هذا الذي قال الله تعالى  
فيه (والذي قال لوالديه أف لك) . فسمعت عائشة رضي الله عنها ففضبت وقالت والله ما هو به .  
ولو شئت أن أتميه لسميته . ولكن الله تعالى لمن أياك وأنت في صلبه . فانت قَضَضَ من  
لمنة الله . أي قطعة .

(١١) مدني وحفص (أف) مكى وشامى (أف) غريم . وهو صوت إذا صوّت به  
الإنسان لم أنه متضجر ، كما إذا قال حس علم أنه متوجع . واللام لليان . أي هذا التأنيف  
لكا خاصة ولأجلكا دون غيركا .

(١٢) (أعبداني أن) أبعث و (أخرج) من الأرض (وقد خلت القرون من قبل) ولم يبعث  
منهم أحد .

(١٣) أبراه (يستعيشان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك — وهو استعظام لقوله —  
ويقولان له (وبك) — دعاء عليه بالثبوت . والمراد به الحث والتحريض على الإيمان للاحقيقة  
المهلك — (آمن) بالله وبالبعث (إك وعد الله) بالبعث (حق) صدق . (فيقول) لما  
(ما هذا) القول (إلا أساطير الأولين) .

(١٤) أي (لأملة جهنم) .

(١٥) (في) جملة (أمم) قد مضت .

مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ آتَيْنَا وَالْإِنْسَ إِنَّهُمْ كَانُوا خَالِفِينَ ﴿١﴾ وَلِكُلِّ  
 دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢﴾  
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ  
 الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ  
 تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْشِقُونَ ﴿٣﴾

(١) (ولكل) من الجنة المذكورين الأبرار والنجباء (درجات مما عملوا) أى منازل  
 ودرجات (من) جزاء (ما عملوا) من الخير والشر . أو (من) أجل (ما عملوا) منها . وإنما  
 قال (درجات) ، وقد جاء " الجنة درجات والنار دركات " ، على وجه التليق .

(٢) (وليؤفيم أعمالهم) - بإيلاء مكي وبصرى وعاصم - (وهم لا يظلمون) . أى  
 (وليؤفيم أعمالهم) ولا يظلمهم حقوقهم ، فكل جزاءهم على مقادير أعمالهم بفعل الثواب  
 درجات والمقاب دركات . فاللام متعلقة بمحذوف .

(٣) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بشئ فلان على الشئ إذا قتلوا به .  
 وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم "عرضت الناقة على الحوض" يريدون عرض الحوض  
 عليها فقلبوا .

(٤) أى يقال لهم (أذهبتكم) - وهو ناصب الطرف - (طيباتكم في حياتكم الدنيا) .  
 أى ما كتب لكم حفظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم . وقد ذهب به وأخذوه .  
 فلم يبق لكم بعد استيفاء حفظكم شئ منها . ومن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت  
 أطيحكم طعاماً وأحسنكم لباساً ولكنى استيقى طياتى .

(٥) بالطيبات .

(٦) أى الهوان . وقرئ به .

(٧) تستكبرون (في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفشقون) أى باستكباركم وفسقكم .

وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْمُنْذُرُ  
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْفِكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا  
 بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلْغِمُ عِنْدَ  
 اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۖ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿١٣﴾

(١١) (واذكر أخا عاد) أي هودا (إذ أنذر قومه بالأحقاف) - جمع خفف وهو رمل  
 مستطيل مرتفع فيه انحناء من أحقوقف الشيء إذا اوجج . عن ابن عباس رضى الله عنهما  
 هو واد بين عمان ومهرة - (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار (من بين يديه  
 ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود . وقوله (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه)  
 وقع اعتراضا بين (أنذر قومه) وبين (ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) .  
 والمعنى (واذكر) إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل  
 ومن تأثر عنه مثل ذلك .

(١٢) (قالوا) أي قوم هود (أجئتنا لنأنفك) لنصرفنا - فالأنفك الصرف . يقال أنفك  
 من رأية - (عن ألفتنا) عن عبادتها (فأتينا بما تعدنا) من معاملة العذاب على الشرك  
 (إن كنت من الصادقين) في وعيدك . (قال إنما أبلغكم) بوقت مجيء العذاب (عند الله)  
 ولا علم لي بالوقت الذي يكون فيه تمليك .

(١٣) وبالتخفيف أبو عمرو . أي الذي هو شأني أن أبلغكم ما أُرسلت به من الإنذار  
 والتخويف .

(١٤) أي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل مثلنا لا مقترحين ولا سامعين غير  
 ما أذن لهم فيه .

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرِنًا بَلْ هُوَ  
 مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ۝<sup>(١)</sup>  
 فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسْكِنَهُمْ<sup>(٢)</sup> كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَقَدْ  
 مَكَّنَّاهُمْ<sup>(٣)</sup> فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ<sup>(٤)</sup> مَعْمَعًا وَابْصُرُوا أَفْعُدَةَ<sup>(٥)</sup>

(١) فلما رأوه (الضمير يرجع إلى ما تعدنا) أو هو مبهم وتصح أمرة بقوله (عارضا) —  
 إلتا تميزا أو حالا . والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء — (مستقبل أوديتهم قالوا  
 هذا عارض مطرنا) . روى أن المطر قد احتبس عنهم فأرأوا صحابة استقبلت أوديتهم فقالوا  
 هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا . وإضافة مستقبل ومطر مجازية غير معروفة ،  
 بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة .

(٢) أى قال هود (بل هو) . ويدل عليه قرأته من قرأ (قال هود بل هو ما استعجلتم  
 به) من العذاب . ثم فسرته فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء) تهلك من نفوس عاد  
 وأموالهم الجمل الكثير . فعبّر عن الكثرة بالكناية (بأمر ربها) رب الريح .

(٣) عاصم وحزمة وخلف . أى (لا يرى) شيء (إلا مساكنهم) . فبرهم (لا ترى إلا  
 مساكنهم) والخطاب للرأى من كان .

(٤) أى مثل ذلك (نجزى) من أجرم مثل جرمهم . وهو تحذير لمشرك العرب . عن  
 ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تألفه  
 الأنفس وإنها تتز من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدفعهم بالحجارة .

(٥) (إن) نافية . أى فيما ما مكناكم فيه . إلا أن (إن) أحسن فى اللفظ لما فى جملة  
 ما مثلها من التكرير المستبشع . ألا ترى أن الأصل فى مهما ما ما فليباشرة التكرير قبلوا الألف  
 هاء . وقد جعلت (إن) صلة وتؤول بأن (مكناهم فى) مثل ما (مكناكم فيه) . والوجه هو  
 الأول . لقوله تعالى (هم أحسن أنا وأرثيا . كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا) . (و ما) بمعنى  
 الذى أو نكرة موصوفة .

(٦) أى آلات الدرك والفهم .

فَاَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أُفْعِلَتْهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۖ  
 إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾  
 وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ  
 يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا  
 ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكُمْ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾

(١١) أى (من شئ) من الإغناء وهو القليل منه .

(١٢) (إذ) نصب بقوله (فاغنى) . وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف  
 فى قولك ضربته لإساءته وضربته إذا أساء . لأنك إذا ضربته فى وقت إساءته فأنتما ضربته  
 فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك .

(١٣) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزون) جزاء استهزائهم . وهذا تهديد لكفار مكة . ثم  
 فإدغم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى  
 قوم لوط . والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أى كذبنا عليهم  
 المجمع وأنواع العبر (لعلهم يرجعون) عن الطغيان إلى الإيمان فلم يرجعوا .

(١٤) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) الفرسان ما تحزب به إلى الله  
 تعالى . أى اتخذوهم شفعا منتقيا بهم إلى الله تعالى حيث نالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله . وأحد  
 مفعولى اتخذ الرجاء إلى الذين عنفوا . أى اتخذوهم . والثانى (آلهة) . و (قربانا) حال .  
 (١٥) غابوا عن نصرتهم .

(١٦) (وذلك) إشارة إلى امتناع نصره آلهتهم وضلالهم عنهم . أى (وذلك) أثر (إفكهم)  
 الذى هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم واتقائهم على الله الكذب .

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ  
 قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١﴾ قَالُوا  
 يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ  
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ  
 اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

(١) (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا) — أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك . والنفر دون العشرة —  
 (من الجن) جن نصيبين (يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضروه) أى  
 الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن . أى (فلما) كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أى قال بعضهم  
 لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين . روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرس السماء  
 ورجعوا بالشهب قالوا ما هذا إلّا لنبا حدث . فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشرف جن  
 نصيبين أو يننوى منهم زوبعة . فضربوا حتى بلغوا تهامة . ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافوا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى أو في صلاة الفجر . فاستمعوا  
 لقراءته . وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم . وإنما  
 كان يتلوه في صلاته فتزوا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم . وقيل بل الله  
 أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم . قصرص إليه نفر منهم . فقال إني أمرت أن أقرأ  
 على الجن الليلة فمن يبقينى ؟ قالوا ثلاثا . فاطرقوا إلّا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . قال  
 لم يحضره ليلة الجن أحد ذيرى . فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب المجون نخطب لى  
 خطبا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك . ثم افتتح القرآن وسمعت لفظا شديدا . فقال لى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا ؟ قلت نعم رجالا سودا . فقال أولئك جن  
 نصيبين . وكانوا اثني عشر ألفا . والسورة التي قرأها عليهم (اقرأ باسم ربك) .

(٢) أى (فلما) فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا إلى قومهم منذرين)  
 أيهم (قالوا) ياقومنا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ — وإنما قالوا من بعد موسى لأنهم  
 كانوا على اليهودية . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى

وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعِجِرٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ  
أُولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُمْ مَخْلِقُهُمْ يَقْبَلُهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ

عليه السلام - ( مصدقا لما بين يديه ) من الكتب ( يهدي إلى الحق ) إلى الله تعالى  
( وإلى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله ) أى محمدا صلى الله عليه وسلم ( وآمنوا به  
ينفر لكم من ذنوبكم ويحرك من ضباب اليم ) . قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ثواب لم إلا  
النجاة من النار لهذه الآية . وقال مالك وابن أبي ليل وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لم الثواب  
والمقاب . وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى ( لم يطمئن  
إنس قبلهم ولا جات )

(١) أى لا يشقى منه مهرب .

(٢) هو كقوله ( وما نسئنا من لقوب ) . ويقال عيت بالأمر إذا لم تعرف وجهه .

(٣) محله الرفع لأنه خبر أن . يدل عليه قراءة عبد الله ( قادر ) . وإنما دخلت الباء لاشتغال  
النفي في أول الآية على أن وما في حيزها . وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز  
كانه قيل أليس الله بقادر . ألا ترى إلى وقوع ( بل ) مقترنة للقدرة على كل شيء من البعث  
وغيره لا لرؤيتهم .

(٤) هو جواب للنفي .

(٥) ( ويوم يعرض الذين كفروا على النار ) يقال لم ( أليس هذا بالحق ) . فتاصب  
الظرف القول المضمر . و ( هذا ) إشارة إلى العذاب .



قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾  
 فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الْأَرْسِلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ  
 يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فُهَلْ يُهْلِكُ  
 إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

(١) بكفركم في الدنيا .

(٢) أولو الجدة والنبات والصبر .

(٣) من للتبعيض . والمراد بأولى العزم ما ذكر في الأحزاب : ( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ) . ويونس ليس منهم لقوله ( ولا تكن كصاحب الحوت ) . وكذا آدم لقوله ( ولم نجد له عزما ) . أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم .

(٤) ( ولا تستعجل ) لكفارة قريش بالعذاب . أى لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر .

(٥) أى أنهم يستقصرون خيلئذ مدة ليهم في الدنيا حتى يحسبوا ساعة من نهار .

(٦) هذا (بلاغ) . أى هذا الذى وعظمت به كفاية في الموعظة . أو هذا تبليغ من الرسول .

(٧) ( فهل يهلك ) هلاك عذاب . والمعنى فإن يهلك بعذاب الله ( ألا القوم الفاسقون )  
 أى المشركون الخارجون عن الاتمّاط به والعمل بموجبه . قال عليه السلام من قرأ سورة  
 الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بصد كل رملة في الدنيا .

## سورة محمد صلى الله عليه وسلم

وقيل سورة القتال مدنية . وقيل مكية

وهي ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ <sup>(١)</sup> وَالَّذِينَ ءَامَنُوا <sup>(٢)</sup>  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ <sup>(٣)</sup>

(١) أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام: أو صعدوا غيرهم عنه. قال الجوهري: صعد عنه يصعد صعدوا أعرض. وصعد عن الأمر صعدا منعه وصرفه عنه. وهم الماطعون يوم بدر. أو أهل الكلاب. أو طام في كل من كفر وصعد.

(٢) أبطلها وأحبطها. وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويتبناها عليها كالضالة من الإبل. وأعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلة الأرحام وإطعام الطعام وعساة المسجد الحرام. أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصعد عن سبيل الله.

(٣) هم ناس من قريش، أو من الأنصار، أو من أهل الكلاب، أو طام.

(٤) (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن. وتخصيص الإيمان بالمتل على رسوله من بين ما يجب الإيمان به لتعظيم شأنه. وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله (وهو الحق من ربهم) أى القرآن. وقيل إن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو نافع لغيره.

كَفَر عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ<sup>(١)</sup> وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ<sup>(٢)</sup> ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا  
الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ<sup>(٣)</sup> ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ  
لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ<sup>(٤)</sup> ۖ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ<sup>(٥)</sup>

(١) ستر بآيائهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها  
وتوبتهم .

(٢) أى (وأصلح) حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم  
من النصر والتأييد .

(٣) (ذاك) مبتدأ . وما بعده خبره . أى (ذلك) الأمر — وهو إضلال أعمال أحد  
الفريقين وتكفير سيئات الشاقي والإصلاح — كائن بسبب اتباع هؤلاء (الباطل) وهو  
الشیطان وهؤلاء (الحق) وهو القرآن .

(٤) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أى يبين الله (لناس أمثالهم) . والضمير راجع إلى  
الناس . أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم .  
وقد جعل اتباع الباطل مثلاً لعمى الكافرين واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين . أو جعل  
الإضلال مثلاً لحية الكفار وتكفير السيئات مثلاً لفوز الأبرار .

(٥) من اللقاء وهو الحرب .

(٦) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً لحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب . ضاها إلى  
المفعول . وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالصيغة  
التي فيه . و (ضرب الرقاب) عبارة عن القتل لا لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون  
غيرها من الأعضاء . ولأن قتل الإنسان أكثر ما يكون يضرب رقبة فوقع عبارة عن القتل  
وإن ضرب غير رقبته .

حَتَّىٰ إِذَا أَكْمَلْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا آلَؤُفَاقَ فَلَمَّا مَنَّ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءُ<sup>(٢٦)</sup>  
حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا<sup>(٢٧)</sup>

(١١) (حتى إذا) أكثرتم فيهم القتل. فأسروهم. والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به. والمعنى (فشدوا) وفاق الأسارى حتى لا يفلتوا منكم .

(٢٦) (فلما مَنَّ بعد) أى بعد أن أسروهم (وإنما فداء) . (مَنَّ) و (فداء) منصوبان بقطعيهما مضميرين أى (فإنما) تَمَنُّونَ (مَنَّ) أو فادون (فداء). والمعنى التخيير بين الأمرين بعد الأسر: بين أن يَمَنُّوا عليهم فيطلقوهم ، وبين أن يفادوهم . وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق ، والمَنِّ والفداء المذكوران في الآية ملبسوخ بقوله (اقتلوا المشركين) لأن سورة براءة من أسرها نزل . وعن مجاهد ليس اليوم مَنِّ ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق. أو المراد بالمَنِّ أن يَمَنِّ عليهم بترك القتل ويسترقوا . أو يَمَنِّ عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية . وبالفداء أن يفادى بأسارهم أسارى المسلمين . فقد روى الطحاوى- مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو قولها . والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا . وعند الشافعى- رحمه الله تعالى للإمام أن يختار أحد الأمور الأربعة التل والاسترقاق والفداء . بأسارى المسلمين والمَنِّ .

(٢٧) أهملها وآلاتها إلى لا تقوم إلّا بها كالسلاح والكراع . وقيل (أوزارها) آتاهما . يعنى (حتى) يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا . و (حتى) لا يخلو من أن يتناقض بالضرب والشد أو بالمَنِّ والفداء . فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى- رحمه الله أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى ألا يكون حرب مع المشركين . وذلك إذا لم يبق لهم شوكة . وقيل إننا نزل عيسى عليه السلام . وعند أبى حنيفة رحمه الله إذا ملق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار . وذلك حين لا تبتقى شوكة للمشركين . وإذا ملق بالمَنِّ والفداء فالمعنى أنه يَمَنِّ عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها . إلا أن يتأول المَنِّ والفداء بما ذكرنا من التأويل .

ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْصَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْغُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ  
 قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٤٤﴾ سَيُهَيِّجُهُمْ وَيُضْلِحُ بِأَهْلِهِمْ ﴿٤٥﴾  
 وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٤٦﴾ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَصَرُوا اللَّهُ  
 يَنْصُرَكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٤٨﴾

(١) أى الأمر (ذلك) فهو مبتدأ وخبر . أو افعلوا بهم (ذلك) فهو فى محل نصب .

(٢) (ولو يشاء الله) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة  
 أو غير ذلك (ولكن) أصرم بالقتال (ليلو بعضكم ببعض) أى المؤمنين بالكافرين تحيضا  
 للمؤمنين وتحقيا للكافرين .

(٣) بصري وحفص . (قائلوا) ذيرهم .

(٤) (سيهيجهم) إلى طريق الجنة أو إلى الصواب فى جواب منكروكم .

(٥) يرضى خصامهم ويقبل أعمالهم .

(٦) عن مجاهد عزهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجون أن يسألوا . أو طيبا لهم من  
 العرف . وهو طيب الرائحة .

(٧) (إن تنصروا الله) أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت  
 أقدامكم) فى مواطن الحرب . أو على محبة الإسلام .

(٨) (والذين كفروا) فى موضع رفع بالابتداء . والخبر (تعمسا لهم) . وعطف قوله (وأضل  
 أعمالهم) على الفعل الذى نصب (تعمسا) . لأن المعنى (ف) قال (تعمسا لهم) . والتعمس العثور .  
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ ﴿١١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا  
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرِ اللَّهُ  
 عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمْتِعُونَ  
 بِهَا كَلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ  
 هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٥﴾

(١١) أى التمس والضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أى القرآن .

(١٢) (أفلم يسيروا) يعنى كفار أنتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكتهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشرك قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لأن التدبير يدل عليها .

(١٣) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بأن الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وأنت الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم فإن الله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملاك التصرف فيهم ، ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة .

(١٤) (والذين كفروا) يتفنون بمناع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين في العاقبة (كما تأكل الأنعام) في معالفيها ومسارحها غافلة عما هى بصدد . من النحر والذبح (والنار مَثْوًى لهم) منزل ومقام .

(١٥) أى وكى (من قرية) — للتكثير . وأراد بالقرية أهلها . ولذلك قال (أهلكاهم) — (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) — أى وكى من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك — (أهلكاهم فلا ناصر لهم) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع المذاب عنهم .

أَفَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كُنَّ زَيْنَ لَّهُ سُوَّةَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١١﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّيْسَ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ نَّخْلٍ لِّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كُنَّ هُوَ خَالِدٍ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٢﴾

(١١) أى (أفمن كان على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات . يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ) كن زين له سوء عمله ( هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله . وقال ( سوء عمله واتبعوا أهواءهم ) للعمل على لفظ (من) ومعناه .

(١٢) صفة الجنة العجيبة الشأن ( التى وعد المتقون ) من الشرك ( فيها أنهار ) — داخل فى حكم الصلة كالتركز لها ألا ترى إلى صحة قولك التى فيها أنهار . أو حال — أى مستقوة ( فيها أنهار من ماء غير آسن ) غير متغير اللون والريح والطعم — يقال آسن الماء إذا تغير طعمه وريحه . ( آسن ) مكي — ( وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ) كما تتغير ألوان الدنيا إلى الحموضة وفسادها ( وأنهار من نحر لذة ) تأنيث لذة وهو اللذيذ ( للشاربين ) . وما هو إلا التلذذ انخلاص ليس معه ذهاب عقل ولا نحر ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر ( وأنهار من عسل مصفى ) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره . ( مثل ) مبتدا خبره ( كن هو خاله فى النار وسقوا ماء حميا ) حاراً فى النهاية ( ففقطع أمعاءهم ) . والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار . وهو كلام فى صورة الإثبات ومعناه النفى لافطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار ودخوله فى حيزه . وهو قوله ( أفمن كان على بينة من ربه كن زينا له سوء عمله ) وقائدة حذف حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوق بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من ينهت التسوية بين الجنة التى تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التى يسوق أهلها للجحيم .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ  
 مَاذَا قَالَ أَفْنَأْ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ  
 وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ فَهُمْ يَنْظُرُونَ ۖ (١)  
 أَلَا السَّاعَةُ (٢)  
 أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتُمْ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ (٣)  
 فَأَعْلَمُ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ (٤)

(١) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يقولون له بالاتهاونا منهم . فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة : ماذا قال الساعة ؟ على جهة الاستهزاء .

(٢) (والذين اهتدوا) بالإيمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) أى بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها . أو آتاهم جزاء تقواهم . أو بين لهم ما يتقون . (٣) أى ينظرون .

(٤) أى إتيانها . فهو يدل اشتغال من الساعة .

(٥) بقائه .

(٦) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم واشتقاق القمر والدخان . وقيل : قطع الأرحام ، وقلة الكرام ، وكثرة اللثام .

(٧) قال الأخفش : التقدير فأتى لهم ذكراهم إذا جاءتهم .

(٨) (فأعلم) أى الله الشان (لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) . والمعنى فأنبت على ما أنت عليه من العلم بوسعيته الله وحل التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من حل دينك . وفى شرح التاويلات : جاز أن يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له ولكن لا نعلمه . غير أن ذنب الأنبياء ترك الأفضل دون مباشرة التوبيخ . وذنوبنا مباشرة التبايع من الصفات والكجائر .

وقيل : الفاءات فى هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال .



وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ  
سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ هُمُ ﴿١٢﴾ طَاعَةٌ  
وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿١٣﴾  
فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿١٤﴾

(١١) يعلم متقلبكم في ما يشكم ومتماجركم (ومتواكم) ويعلم حيث تستقون من منازلكم .  
أو (متقلبكم) في حياتكم (ومتواكم) في القبور . أو (متقلبكم) في أعمالكم (ومتواكم) في الجنة  
والنار . ومثله حقيق بأن يبقى ويحشى وأن يستغفر . ومثل سفيان بن عيينة عن فضل العلم  
فقال : ألم تسمع قوله ( فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ) فاعلم بالعمل بعد العلم .

(١٢) ويقول الذين آمنوا لولا أنزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فإذا أنزلت سورة) في معنى  
الجهاد (محكمة) مبنية غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال — وعن قتادة كل سورة  
فيها ذكر القتال فهي محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفع  
والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة — (وذكر فيها القتال) أي أمر فيها بالجهاد  
(رأيت الذين في قلوبهم مرض) فها . أي رأيت المنافقين فيها ينهم يضجرون منها (ينظرون  
إليك نظر المغشى عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته  
النشبة عند الموت .

(١٣) وعيد بمعنى قول لم . وهو أهل من أولى وهو القرب . ومعناه الدعاء عليهم بأن  
يلهم المكروه .

(١٤) كلام مستأنف . أي (طاعة وقول معروف) خير لهم .

(١٥) فإذا جدد الأمر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) في الإيمان والطاعة (لكان)  
الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد . ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب بضرب من التوبيخ  
والإرهاب فقال : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) أي تلهيكم .

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۖ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ  
 الْفُرْقَةَ إِنَّ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ  
 بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّكٌ لَّهُمْ وَأَمَلٌ ۖ لَّهُمْ ۚ ذَٰلِكَ  
 بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۚ

إِنْ أَرْضَهُمْ مِنْ دِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَمَتَهُ ، أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ  
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْإِسْفَادِ فِي الْأَرْضِ بِالتَّغَاوُرِ وَالتَّهَابِ وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ بِمَقَاظِلِ بَعْضِ الْأَقَارِبِ  
 بَعْضًا وَوَادِ الْبَنَاتِ . وَخَبِرَ عَصَى ( أَنْ تَفْسُدُوا ) وَالتَّشْرِيطَ اعْتَرَضَ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْخَبَرِ . وَالتَّقْدِيرِ  
 فَهَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ .

(١١) ( أُولَئِكَ ) إشارة إلى المذكورين ( الذين لعنهم الله ) أبعدهم عن رحمته ( فأصمهم )  
 عَنْ اسْتِمَاعِ الْمَوْعِظَةِ ( وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ) عَنْ ابْصَارِهِمْ طَرِيقَ الْهُدَى . ( أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةَ )  
 فَيَعْرِفُوا مَا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالزَّوَابِرِ وَوَعِيدِ الْعَصَاةِ حَتَّى لَا يَجْسُرُوا عَلَى الْمَعَاصِي ؟ ( أَمْ ) فِي  
 ( أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا ) بِمَعْنَى بَل . وَهَمَزَةُ التَّخْفِيرِ لِلتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَقْفَلَةٌ لَا يَتَوَصَّلُ  
 إِلَيْهَا ذِكْرٌ . وَتَكَرَّرَتِ الْقُلُوبُ لِأَنَّ الْمُرَادَ عَلَى قُلُوبٍ فَاسِيَةً مَبْهُمٌ أَمْرُهَا فِي ذَٰلِكَ . وَالْمُرَادُ بَعْضُ  
 الْقُلُوبِ . وَهِيَ قُلُوبُ الْمُنَافِقِينَ . وَأَضْيِفَتِ الْأَقْفَالُ إِلَى الْقُلُوبِ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْأَقْفَالُ الْمُخْتَصِّصَةُ  
 بِهَا . وَهِيَ أَقْفَالُ الْكُفْرِ الَّتِي اسْتَنْقَلَتْ فَلَا تَنْفَتَحُ مَخْرَجَ الْإِيمَانِ وَانْخَلَمَ وَالطَّبِيعِ .

(١٢) ( إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ) — هُمُ الْمُنَافِقُونَ رَجَعُوا  
 إِلَى الْكُفْرِ سِرًّا بَعْدَ وَضُوحِ الْحَقِّ لَهُمْ — ( الشَّيْطَانُ سَوَّكٌ لَهُمْ ) — جُمْلَةٌ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ  
 وَقَعَتْ خَبْرًا لِأَنَّ مَخْرَجَ زَيْدٍ عَمْرُو مَبْنِيٌّ بِهِ — ( وَأَمَلٌ لَهُمْ ) وَمَدَّ لَهُمْ فِي الْأَمَالِ وَالْأُمَانِ . ( وَأَمَلٌ )  
 أَبُو عَمْرٍو . أَيْ أَمَلُوا وَمَدَّ فِي عَمْرِهِمْ .

(١٣) أَيْ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لِلْيَهُودِ ( سَنَطِعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ) أَيْ مَدَاوِئَ عِدِّ وَالتَّعَوُّدِ مِنْ  
 لَصْرَتِهِ .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿١١﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ  
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَخْطَأَ اللَّهُ وَكَرِهُوا  
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْتَهُمْ ﴿١٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَتَرَفْتَهُمْ  
بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿١٥﴾

(١١) على المصدر من أسرّ، حمزة وعلى وحذف . (أسرارهم) غيهم . جمع سرّ .

(١٢) أى (كَيْفَ) يعلمون ؟ وما حيلتهم حيلة ؟

(١٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوقى أحد على معصية إلا يضرب من الملائكة

في وجهه ودبره .

(١٤) (ذلك) - إشارة إلى التوقى الموصوف - (بأنهم) بسبب أنهم (اتبعوا ما أخطأ الله)

من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين .

(١٥) أحقادهم . والمعنى أظن المنافقون أن الله تعالى لا يورث بلضهم وعداوتهم للمؤمنين ؟

(١٦) لمؤنا بهم ودلائك عليهم .

(١٧) فلترفتهم بعلامتهم . وهو أن يسمهم الله بلامه يعلمون بها . وعن أنس رضى الله عنه

«ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين . كان يعرفهم  
بسيماهم» . (ولترفتهم في لحن القول) في نحوه وأسلوبه الحسن من لحن كلامهم لأنهم كانوا

لا يقدرون على كتمان ما فى أنفسهم . واللام فى (فلترفتهم) داخله فى جواب (لو) كاتى  
فى (لأريناكمهم) كثرت فى المعطوف . وأما اللام فى (ولترفتهم) فواقعة مع النون فى جواب

قسم محذوف . (والله يعلم أعمالكم) فيميز غيرها من شرها .

وَلَنُبَلِّغَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُغُوا أَخْبَارَكُمْ ۖ ﴿١١﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ  
 مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَيُخِيطُ أَعْمَلُهُمْ ۖ ﴿١٢﴾ يَكَايِبُ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْغُلُوا أَعْمَلَكُمْ ۖ ﴿١٣﴾ إِنَّ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ  
 اللَّهُ لَهُمْ ۖ ﴿١٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ۖ ﴿١٥﴾

(١١) (ولنبليوكم) بالقتال إعلاما لاستعلا ما . أو ناملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ  
 في إظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على الجهاد . أى نعلم كانتا ما علمناه  
 أنه سيكون (ونبلو أخباركم) أسراركم . (ولنبليوكم حتى يعلم . ويبلو) أبو بكر . ومن الفضيل أنه  
 كان إذا قرأها بكى وقال " اللهم لا تبلىنا فأنت إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستاننا وعذبنا " .

(١٢) (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه — معنى المطمعين  
 يوم بدر . — (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا  
 الرسول (لن يضرروا الله شيئا وسيجزي أفعالهم) التي عملوها في مشاقة الرسول . أى سيضلها  
 فلا يصلون منها إلى أغراضهم .

(١٣) (ولا تبطلوا أعمالكم) بالثاق أو بالرياء .

(١٤) قيل هم أصحاب القلب . والظاهر الموم .

(١٥) فلا تضعفوا ولا تذللوا للعدو .

(١٦) (السلام) بالكسر حمزة وأبو بكر . وهما المسألة . أى ولا تدعوا الكفار إلى الصالح  
 (وأتمم الأعلون) أى الأظليون . (وتدعوا) مجزوم لدخوله في حكم النهي . (واقفه معكم) بالنصرة .  
 أى ناصركم .

وَلَنْ يَزِيدَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿١١﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَمَنْ مَتَّوْ وَإِنْ تُؤْمِنُوا  
وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿١٢﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْهَا  
فَبُخْشَكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْشَكُمْ أَضْغَنْتُمْ ﴿١٣﴾ هَٰئَانَتْ هَٰؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ  
فِي مَدِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلْ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّهُ يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ ﴿١٤﴾

(١١) وَلَنْ يَنْتَظِمَ أَجْرَ أَعْمَالِكُمْ .

(١٢) تَنْقَطِعُ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ .

(١٣) (وَإِنْ تُؤْمِنُوا) بِأَقْبَلِ وَرَسُولِهِ (وَتَتَّقُوا) الشَّرْكَ (يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ) ثَوَابَ إِيمَانِكُمْ  
وَتَقْوَاكُمْ (وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ) أَيْ لَا يَسْأَلُكُمْ بِحَيْثُهَا . بَلْ رَجَعَ الْعَشْرُ . وَالْفَاعِلُ اللَّهُ أَوِ الرَّسُولُ .  
وَقَالَ سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ غِيضًا مِنْ فَيْضٍ .

(١٤) أَيْ يَجْهَدُكُمْ وَيَطْلُبُهُ كُلُّهُ . وَالْأَحْفَاءُ الْمُبَالَغَةُ وَبُلُوغُ الْغَايَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . يَقَالُ أَحْفَاءُ  
فِي الْمَسَآلَةِ إِذَا لَمْ يَتْرَكْ شَيْئًا مِنَ الْإِلْحَاحِ ، وَأَحْفَى شَارِبُهُ إِذَا اسْتَأْصَلَهُ .

(١٥) (وَيُخْرِجُ) أَيْ اللَّهُ أَوِ الْبَخْلُ (أَضْغَانَكُمْ) عِنْدَ الْامْتِنَاعِ أَوْ عِنْدَ سُؤَالِ الْجَمِيعِ لِأَنَّهُ  
عِنْدَ مَسْأَلَةِ الْمَالِ تَنْظُرُ الْمَدَاوَةَ وَالْحَقْدَ .

(١٦) (هَٰؤُلَاءِ) . (هَٰؤُلَاءِ) مَوْصُولٌ بِمَعْنَى الَّذِينَ صَلَّاهُ (تَدْعُونَ) أَيْ أَتَمُّ الَّذِينَ تَدْعُونَ  
(تَنْتَفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هِيَ التَّفَقُّةُ فِي الْفَرْزِ أَوِ الزَّكَاةِ . كَأَنَّهُ قِيلَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَحْفَاكُمْ  
لَبَخْتُمْ وَكَرِهْتُمْ الْعَطَاءَ أَنْكُمْ تَدْعُونَ إِلَى آدَاءِهِ رَجَعَ الْعَشْرُ (فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ) بِالرَّفْعِ لِأَنَّ (مَنْ) هَذِهِ  
لَيْسَتْ لِلشَّرْطِ . أَيْ فَمِنْكُمْ نَاسٌ يَبْخُلُونَ بِهِ (وَمَنْ يَبْخُلُ) بِالْبَصْدَةِ وَأَدَاءِ الْفَرِيضَةِ (فَإِنَّمَا يَبْخُلُ  
عَنْ نَفْسِهِ) أَيْ يَبْخُلُ عَنْ دَاخِي نَفْسِهِ لَا عَنْ دَاخِي رُبِّهِ . وَقِيلَ (يَبْخُلُ) عَلَى نَفْسِهِ يَقَالُ بَخِلْتُ  
عَلَيْهِ وَعَتَهُ .

وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ  
ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتًا لَكُمْ ۝

(١) أى أنه لا بأس بترك الحاجة إليه لأنه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم  
إلى الثواب .

(٢) وإن تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والإتيان في سبيله — وهو  
معطوف على ( وإن تؤمنوا وتسقوا ) — يخاف قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس . وسئل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان ساماناً إلى جنبه فضرب على الخنجر وقال هذا  
وقومه . والذي نفى بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناله رجال من فارس .

(٣) أى (ثم لا يكونوا) في الطاعة ( أمثالكم ) بل أطوع منكم .

## سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا <sup>(١)</sup> لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ <sup>(٢)</sup>

(١) الفتح الظفر بالبدن حنة أو صلحا بحرب أو بغير حرب. لأنه «فاق ما لم يظفر به» فإذا ظفر به فقد فتح. ثم قيل هو فتح مكة. وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح. ووجهه به على لفظه على الماضي لأنها في تحققها بمنزلة الكاشنة. وفي ذلك من الضخامة والدلالة على علو شأن الخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى. وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا. وقال الزجاج كانت في فتح الحديبية آية للمسلمين عظيمة وذلك أنه نزع ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتضمنض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جمه في البر فذرت بالماء حتى شرب جميع الناس. وقيل هو فتح خيبر. وقيل معناه قضينا لك قضاء بيتنا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت. من الفتاحة وهي الحكومة.

(٢) قبل الفتح ليس بسبب للنفرة. والتقدير (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) فاستغفر ليغفر لك الله. ومثله (إنا جاء نصر الله والفتح) إلى قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره). ويجوز أن يكون فتح مكة - من حيث إنه جهاد لا مدؤ - سببا للغفران. وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز. ولكنه لما عتد عليه هذه النعم وصالحا بما هو أعظم النعم. كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة أو كذا لتجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل.

(٣) يريد جميع ما فرط منك. أو (ما تقدم) من حديث مارية (وما تأخر) من امرأة زيد.

وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٦﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ تَصَرًّا  
 حَزِينًا ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُّوا إِيمَانًا  
 مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٨﴾  
 لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
 فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ وَيُعَذِّبُ  
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ فَانَّ السَّوْءَ

(١٦) وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ) بإعلاء دينك وفتح البلاد على يدك .

(١٧) وَيُتِّبِكَ عَلَى الدِّينِ الْمَرْضَى .

(١٨) قُوًى مَنِمًا لِأَنَّهُ لَازِلٌ بَعْدَهُ أَبَدًا .

(١٩) السَّكِينَةُ السَّكُونُ كَالنَّهْيَةِ لِلْمُهْتَانِ . أَيْ أُنْزِلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ السَّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ  
 بِسَبَبِ الصَّلَاحِ لِيَزِدُّوا إِيمَانًا إِلَى يَقِينِهِمْ . وَقِيلَ السَّكِينَةُ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ وَالثَّقَّةُ بِوَعْدِ  
 اللَّهِ وَالتَّعَاقُلُ لِأَمْرِ اللَّهِ .

(٢٠) أَيْ (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يَسَاطُ بِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ كَمَا يَقْتَضِيهِ دَلِيلُهُ وَحُكْمُهُ .  
 وَمِنْ قَضِيَّتِهِ أَنَّ سَكَنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَلَحِ الْحَدِيثِ وَوَعْدِهِمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ . وَأَمَّا قَضَى ذَلِكَ  
 لِيَعْرِفَ الْمُؤْمِنُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ فِيهِ وَيَشْكُرُوهَا فَيُتِّبِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ لِمَا غَاطَلَهُمْ  
 مِنْ ذَلِكَ وَكَرَهُهُ .

(٢١) وَتَمَّ السَّوْءَ عِبَارَةٌ عَنْ رِدَاءَةِ الشَّيْءِ وَفُسَادِهِ : يُقَالُ فَعَلَ سُوءًا أَيْ مَسْخُوطٌ فَاسِدٌ .  
 وَالْمُرَادُ ظَنُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْصُرُ الرُّسُلَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْجِعُهُمْ إِلَى مَكَّةَ ظَافِرِينَ فَاتَّحِبُوا  
 هَنُوزًا وَهَرَا .



عَلَيْهِمْ دَايِرَةُ السَّوِّءِ وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَاتَّخَذَ لَهُمْ جَهَنَّمَ  
وَسَاءَتًا مَصِيرًا ﴿١﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ  
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٣﴾ لِيُؤْمِنُوا  
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُعْزِزُوهُ وَتُوقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿٥﴾

(١) عليهم دائرة السوء) مكى وأبو عمرو . أى ما يظنونونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم . والسوء الهلاك والدمار . وغيرهما ( دائرة السوء ) بالفتح . أى الدائرة التى يذوقونها ويسخطونها . السوء والسوء كالكره والكراه والضعف والضعف . إلا أن المفتوح فلب أن يضاف إليه ما يرد ذهنه من كل شيء . وأما السوء بفار مجرى الشر الذى هو قبيح الخلق .

(٢) وساعت مصيرا) جهنم . ( وقه جنود السموات والأرض ) يذفع كبد من عادى فيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها . ( وكان الله عزيرا ) غالبا فلا يرد بأسه ( حكيا ) فيما دبر .  
(٣) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة ( ومبشرا ) للمؤمنين بالجنة ( ونذيرا ) للكافرين من النار .

(٤) ليؤمنوا بالله ورسوله ) — الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأئمة — ( وتعزروه ) وتقروه بالنصر ( وتوقروه ) وتعظموه ( وتسبحوه ) من التسبيح أو من السبحات — والضائر لله عز وجل . والمراد بتميز الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضائر بفعل الأولين للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أبعد . ( ليؤمنوا ) مكى وأبو عمرو . والضمير للناس وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما — ( بكرة ) صلاة الفجر ( وأصيلًا ) الصلوات الأربع .

(٥) إن الذين يبايعونك) أى: بيعة الرضوان . ولما قال ( إنما يبايعون الله ) أكدته تأكيداً على طريقة التخييل فقال ( يد الله فوق أيديهم ) . يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فَن نَكَتْ فَاِئْمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ اَوْقَى يَمَا عَهْدَ عَلَيْهِ اَللهُ  
فَسَيُؤْتِيهِ اَجْرًا عَظِيْمًا ﴿٣﴾ سَيَقُوْلُ لَكَ اَلْمُخَلَّفُوْنَ مِنَ الْاَعْرَابِ شَغَلَتْنَا  
اَمْوَالُنَا وَاَهْلُوْنَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُوْلُوْنَ بِاَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوْبِهِمْ ﴿٤﴾

وسلم التي تلو أيدي المبايعين هي يد الله والله مته عن الجوارح وعن صفات الأجسام . وإنما  
المعنى تقرير أنة عقد الميثاق مع الرسول كمقدمه مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله ( من يطع  
الرسول فقد أطاع الله ) . و ( إنما يبايعون الله ) خبر إنة .

﴿١﴾ ( فمن ) نقض العهد ولم يف بالبيعة ( فإئما ينكت على نفسه ) فلا يسود ضرر  
لكنه إلا عليه . قال جابر بن عبد الله « يا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على  
الموت وعلى الآ نقر : لما نكت أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقا . اختبأ تحت بطن  
بهيمة ولم يسمع مع القوم » .

﴿٢﴾ يقال وفتت بالعهد وأوفيت به . ومنه قوله ( أوفوا بالعقود . والموفون بهدمهم ) .  
( عليه الله ) حفص . ( فسؤتيه ) — وبالنون حجازي وشامي — ( أجرا عظيما ) الجنة .

﴿٣﴾ ( سيقول لك ) إذا رجعت من الحديبية ( المخلفون من الأعراب ) هم الذين خلقوا  
عن الحديبية . وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والدئل . وذلك أنه عليه السلام  
حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل  
البادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصيبوه عن البيت . وأحرم  
هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حربا . فتناقل كثير من الأعراب  
وقالوا يلذهب إلى قوم غزوه في حفر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه ليقايلهم . وظنوا أنه يهلك  
فلا ينقلب إلى المدينة .

﴿٤﴾ ( شغلنا أموالنا وأهلونا ) — هي جمع أهل . اعتلوا بالشغل بأهلهم وأموالهم وأنه  
ليس لهم من يقوم بأشغالهم — ( فاستغفر لنا ) ليفر لنا الله بمخلفنا عنك .

﴿٥﴾ تكذيب لم في اعتذارهم ، وأنة الذي خلقهم ليس ما يقولون وإنما هو الشك في الله  
والنفاق . فطلبهم الاستنفاذ أيضا ليس بصادر عن حقيقة .

قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ  
 نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ  
 الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ  
 وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
 فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 يَعْرِضُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَلِّبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾

(١) فمن يملك من مشيئة الله وقضائه (إن أراد بكم ما يضركم من قتل أو هزيمة -  
 ضراً) حمزة وصل - (أو أراد بكم نفعاً) من غنيمة وظفر .

(٢) زينه الشيطان .

(٣) من علو الكفر وظهور الفساد .

(٤) جمع باثر كماند وعوذ . من بار الشيء هلك وفسد أى (وكنتم قوماً) فاسدين -  
 في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم . أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه .

(٥) (أعدنا للكافرين) أى لهم . فاقم الظاهر مقام الضمير للإيمان بأن من لم يجمع بين  
 الإيمان والإيمان بالله والإيمان برسوله فهو كافر . ونكر (سعيماً) لأنها نار مخصوصة .  
 كما نكر (نارا عظيماً) .

(٦) يدره تدبير قادر حكيم .

(٧) يفر ويعدب بعيشته وحكمته . وحكمته المغفرة للؤمنين والتعذيب للكافرين .

(٨) سبقت رحمته غضبه .

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَاخِدُوهَا ذُرُونَا  
تَتَّبِعَكُمْ يُرِيدُونَ أَتَسْتَبَدُّونَ أَتُتَّبِعُونَ أَتَسْتَبَدُّونَ أَتُتَّبِعُونَ أَتَسْتَبَدُّونَ أَتُتَّبِعُونَ  
قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ قَسِيْقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١﴾ قُلِ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ  
أَوَّلِي بَاسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّوْنَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ يُؤْتِيكَ اللَّهُ  
أَجْرًا حَسَنًا وَلَئِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢﴾

(١١) (سيقول المخلفون) الذين تخلّفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم إلى مغائم) إلى غنم  
خير (لناخذوها ذرونا) نقيمكم يريدون أن يبدلوا كلام الله . (كلم الله) حمزة وعلى . أى  
يريدون أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية . وذلك أنه وعدهم أن يؤمّهم من مغام مكة  
مغام خير إذا قتلوا موادمين لا يصيبون منهم شيئا .

(١٢) (لن تتبعونا) إلى خير . وهو إخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يتبع القول لديه .  
(١٣) (قال الله من قبل) انصرفهم إلى المدينة إن غنمة خير لمن شهد الحديبية دون  
غيرهم .

(١٤) أى لم يأمركم الله به (بل تحسدونا) أن تشارككم في الغنمة . (بل كانوا لا يفقهون)  
من كلام الله (ألا قليلا) ألا شيئا قليلا . يعنى يجوز القول . والفرق بين الإضرابين أن الأول رد  
أن يكون حكم الله ألا يتبعوه وإلحاق الحسد . والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد  
إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أظلم منه وهو الجهل وقلة الفقه .  
(١٥) هم الذين تخلّفوا عن الحديبية .

(١٦) (ستدعون إلى قوم) — يعنى بنى حنيفة قوم مهيابة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر  
رضي الله عنه . لأن مشركي العرب والمرتبين هم الذين لا يقبل منهم ألا الإسلام أو السيف .  
وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضي الله عنه — (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ  
يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا<sup>(٢)</sup> لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ  
الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا<sup>(٣)</sup>

الأميرين إما المقاتلة أو الإسلام . ومعنى (يسلمون) على هذا التأويل بنقادون . لأن فارس  
مجوس تقبل منهم الجزية . وفي الآية دلالة صريحة خلافة الشيخين حيث وصفهم التواب على  
طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فإن تطيعوا) من دعاكم إلى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا)  
فوجب أن يكون الداعي مفترض الطاعة . (وإن تتولوا كما توليتم من قبل) أى عن الحديبية  
(يذهبكم عذابا أليما) في الآخرة .

(١) نفي الحرج عن ذوى العاهات في التخلّف عن الغزو .

(٢) (ومن يطع الله ورسوله) في الجهاد وغير ذلك (يدخله جنات تجري من تحتها  
الأنهار ومن يتول) يمرض عن الطاعة (يعذب عذابا أليما) . (تدخله) . (نعذب) . (مدنى) . (وشاقى) .

(٣) هى بيعة الرضوان . سميت بهذه الآية . وقصتها أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل  
بالحديبية بعث جواسيس أمية الخزاعي رسولا إلى مكة . فهاجموا به . فنهض الأحابيش . فلما  
رجع دعا بعمر ليعثته . فقال إني أخافهم على نفسي لماعرف من صلواتي إياهم . فبعث عثمان  
ابن عفان فغيبهم أنه لم يأت لحرب . وأتوا جاء زائرا للبيت . فوقروه واحتبس عندهم .  
فأرجف بأنهم قتلوه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تفرح حتى تنجز القوم . ودعا  
الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن يناجزوا قريشا ولا يفتروا . وكانت سمرة . وكان  
عدد المبايعين ألفا وأربعمائة .

(٤) (فعل ما في قلوبهم) من الإخلاص . وصدق الضائر فيها بايعوا عليه (فأنزل السكينة  
عليهم) أى الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم) وبجازاهم (فتحا قريبا)  
هو فتح خيبر غلب انصرافهم من مكة .

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا<sup>(١)</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا<sup>(٢)</sup> وَعَدَّ اللَّهُ  
مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا<sup>(٣)</sup> فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِ<sup>(٤)</sup> وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ  
عَنْكُمْ<sup>(٥)</sup> وَلِتَكُونَ آيَةً<sup>(٦)</sup> لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا<sup>(٧)</sup> وَأُخْرَى  
لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا<sup>(٨)</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا<sup>(٩)</sup>

(١) هي مغنم خبير . وكانت أرضا ذات عفار وأموال . فقتلها عليهم .

(٢) (عزيزا) منيا فلا يغال (حكيا) فيما يحكم فلا يعارض .

(٣) هي ما أصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة .

(٤) (فجعل لكم هذه) المغنم . يعني مغنم خبير .

(٥) يعني أيدى أهل خبير وحلفائهم من أمد وخطفان حين جافوا لنصرتهم . فقلد الله  
في قلوبهم الرعب فانصرفوا . وقيل أيدى أهل مكة بالصلح .

(٦) (ولتكون) هذه الكفة (آية للؤمنين) وهبة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان ،  
وأنه ضامن نصرتهم والفتح طيبهم ، فعل ذلك .

(٧) ويزيدكم بصيرة وبقينا وثقة بفضل الله .

(٨) معطوفة على (هذه) . أى (فجعل لكم هذه) المغنم ... (و) مغنم (أخرى) — هي  
مغنم هوازن في غزوة حنين — (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله  
بها) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها . ويجوز في (أخرى) النصب بفعل مضمر  
يفسره (قد أحاط الله بها) تقديره (و) قضى الله (أخرى) قد أحاط بها . وأما (لم تقدروا  
عليها) نصفه لا أخرى . والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بـ (لم تقدروا) . و (قد أحاط الله بها)  
شبه المبتدأ .

(٩) قادرا .

وَلَوْ قُلْتُمْ لَكَرُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرِ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا  
 نَصِيرًا ﴿١١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ  
 تَبْدِيلًا ﴿١٢﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكَ وَأَيْدِيكَ عَنْهُمْ بِطَرْفِ  
 مَعْكَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَعْلَفَرْتُكَ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٣﴾

(١١) (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصلحوا — أو من حلفاء أهل خير —  
 (لوالوا الأذيار) لنالوا وانهمزوا (ثم لا يجدون ولياً) على أمرهم (ولا نصيراً) ينصرهم .  
 (١٢) في موضع المصدر المؤكد . أى سن الله غلبة أنبيائه سنة . وهو قوله (لأغلبن أنا  
 ورسلي) .

(١٣) تنبيها .

(١٤) أى (كف) أيدى أهل مكة (وأيدىكم عنهم) من أهل مكة . معنى قفى بينهم  
 وبينكم المكافة والمواجهة بعد ما غزىكم الظفر طيهم والغلبة . وذلك يوم الفتح . وبه استشهد  
 أبو حنيفة رضى الله عنه على أن مكة قصعت عنوة لا صلحا . وقيل كان في غزوة الحديبية  
 لما روى أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
 هزبه وأدخله حيطان مكة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أظهر المسلمين عليهم بالمجاعة  
 حتى أدخلهم البيوت .

(١٥) أى بمكة . أو بالحديبية لأن بعضها منسوب إلى الحرم .

(١٦) أى أقدركم وسلطكم .

(١٧) وبالياء أبو عمرو .

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعْكُوفًا أَنْ  
يَبْلُغَ حُلُوكُمْ <sup>(١)</sup> وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّزَعَلَبُوكُمْ أَنْ تُطْلُوكُمْ  
فَتُضَيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ  
لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا <sup>(٢)</sup>

(١) هو ما يهدى إلى الكعبة . ونصبه عطفًا على (كم) في (صَلُّوكم) أى (و) صَلُّوا

(الهدى) .

(٢) محبوسا (أن يبلغ) . و(معكوفًا) حال . وكان عليه السلام ساق سبعين بذنة .

(٣) مكانة الذى يحل فيه نحره . أى يجب . وهذا دليل على أن المحصر علق هديه الحرم .

والمراد المحل المهود وهو منى .

(٤) (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) بمكة (لم تعابوهم) — صفة للرجال والنساء  
جميعا — (أن تطوهم) — بدل احتمال منهم أو من الضمير المنصوب في (تعابوهم) — (فتضيبكم  
منهم معرة) إثم وشدة . وهى مفعلة من عزه بمعنى عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه . وهو  
الكفارة إذا قتل خطأ ، وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير  
تمييز ، والإثم إذا قصر . (بغير علم) متعلق بـ (أن تطوهم) . يعنى (أن تطوهم) غير عالين بهم .  
والوطء عبارة عن الإيقاع والإباداة . والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون  
بالمشركين غير متقين منهم . فقل (ولولا) كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرائى  
المشركين وأتم غير هارفين بهم فيضيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة ، لما كف أيديكم عنهم .  
وقوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسقت له من كف  
الأيدي عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صوتا لمن بين أظهرهم من المؤمنين . كأنه قال :  
كان الكف ومنع التعذيب (ليدخل الله في رحمته) أى في توفيقه زيادة الخير والطاعة  
مؤمنهم ، أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركهم . (لو تزيَّلوا)



إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ ابْتِغَاءً لِّمَا  
فَآتَاكَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى<sup>(٢١)</sup>

لو تفزقوا وتميز المسلمون من الكافرين (لعدبنا الذين كفروا منهم) من أهل مكة (عذابا  
أليسا). وجواب (لولا) محذوف أغنى عنه جواب (لو). ويجوز أن يكون (لو تزيلا)  
كالتركيز لـ (لولا رجال مؤمنون) لرجعهما إلى معنى واحد، ويكون (لعدبنا الذين كفروا)  
هو الجواب. تقديره (ولولا) أن تظنوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين  
لعدبناهم بالسيف.

(٢١) أى قريش. العامل في (إذ)، (لعدبنا) أى لعدبناهم في ذلك الوقت. أو أذكر.

(٢٢) المراد بحمىة الذين كفروا — وهى الأثرة — وسكينة المؤمنين — وهى الوفاء —  
ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو  
وحويط بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يمرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن  
يرجع من طامه ذلك هل أن تحل له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام. ففعل ذلك وكتبوا  
بأنهم كانوا. فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه: اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم). فقال  
سهيل وأصحابه: ما نعرف هذا. ولكن اكتب باسمك اللهم. ثم قال: اكتب هذا ما صالح  
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة. فقالوا: لو نسلم أنك رسول الله ما صددناك  
عن البيت ولا قاتلناك. ولكن اكتب هذا ما صالح عليه جد بن عبد الله أهل مكة. فقال  
عليه السلام: اكتب ما يريدون. فانا أشهد أنى رسول الله وأنا جد بن عبد الله. فهم  
المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه. فأنزل الله على رسوله السكينة فتفرقوا وحلوا.

(٢٣) اليهود على أنها كلمة الشهادة. وقيل (بسم الله الرحمن الرحيم). والإضافة إلى  
التقوى باعتبار أنها سبب التقوى وأساسها. وقيل (كلمة) أهل (التقوى).

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا <sup>(١)</sup> لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ <sup>(٢)</sup> أَلْرَّيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ <sup>(٣)</sup> الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ <sup>(٤)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ <sup>(٥)</sup> ءَامِنِينَ <sup>(٦)</sup> مُحْلِقِينَ

(١) (وكانوا) أى المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله لأهم (وكان الله بكل شيء عليا) فيجوز الأمور على مصالحها .

(٢) أى صدقه فى رؤياه ولم يكذبه — تعالى الله عن الكذب — تخذف الجاز وأوصل الفعل كقوله (صدقوا ما عهدوا الله عليه) . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل نروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا . فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوها فى طمهم . وقالوا : إنا رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق . فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وقيرة : والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام . فنزلت .

(٣) (بالحق) متعلق بصدق . أى صدقه فيما رأى ، وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا (بالحق) أى بالحكمة البالغة . وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من فى قلبه مرض . ويجوز أن يكون (بالحق) قصبا إما بالحق الذى هو قبيض الباطل ، أو بالحق الذى هو من أسمائه . وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) . وعلى الأول هو جواب قسم محذوف .

(٤) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم . أو تعليم لهاده أن يقولوا فى عدايتهم مثل ذلك متآيين بأدب الله ومقتدين بسنته .

(٥) حال والشرط معترض .

(٦) حال من الضمير فى (آمين) .

رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ  
دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى  
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٢﴾ مُحَمَّدٌ  
رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

(١١) محققين (موسم) أى جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها .

(١٢) حال مؤكدة .

(١٣) (فعل ما لم تعلموا) من الحكمة فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل .

(١٤) (جعل من دون) فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر، لتستروح إليه قلوب  
المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود .

(١٥) (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالتوحيد (ودين الحق) أى الإسلام (ليظهره)  
ليعليه (على الدين كله) على جميع الدين . يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل  
الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه ، فإِنَّكَ لَا تَرَى دِينًا قَطُّ إِلَّا وَلِلْإِسْلَامِ دُونَهُ الْعِزَّةُ وَالْقَبْلَةُ .  
وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض كافر . وقيل هو إظهاره  
بالمجيب والآيات . (وكفى بالله شهيدا) على أت ما وعده كائن . وعن الحسن شهد على نفسه أنه  
سيظهر دينه . والتقدير وكفاه الله شهيدا . و (شهيدا) تمييز أحوال .

(١٦) (عند) خبر مبتدأ . أى هو (عند) لتقدم قوله (هو الذى أرسل رسوله) . أو مبتدأ  
طوره (رسول الله) . وقف عليه نصير . (والذين معه) — أى أصحابه — مبتدأ . وانجبر (أشداء  
على الكفار) . أو (عند) مبتدأ . و (رسول الله) عطف بيان (والذين معه) عطف على  
المبتدأ . و (أشداء) خبر عن الجميع . ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون . وهو خبر ثان .  
وهما جمعا شديد ورحيم . ونحوه (أشداء على المؤمنين أعزاة على الكافرين) . وبلغ من تشدهم  
على الكفار أنهم كانوا يتحززون من ثيابهم أن تلتصق بثيابهم ، ومن أبلانهم أن تحس أبلانهم .  
ولغ من رحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمنا مؤمنا إلا صالحه وعاقبه .

تَرِيَهُمْ رُكْعًا مُبْتَدَأً يَتَعَوَّبُ <sup>(١١)</sup> فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ  
 فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ <sup>(١٢)</sup> ذَلِكَ مَثَلُهُمْ <sup>(١٣)</sup> فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ  
 فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرِجٍ أُتْرِجَ شَطَعُهُ <sup>(١٤)</sup> فَفَازَرَهُ <sup>(١٥)</sup> فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ  
 يُعِجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ رِيسَ الْكُفَّارِ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا <sup>(١٦)</sup>

(١١) راكعين .

(١٢) ساجدين .

(١٣) حال كما أت (ركعا) و (مبتدأ) كذلك .

(١٤) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) أى من التأثير الذى يؤثره السجود . ومن  
 خطأ : استنارت وجوههم من طول ما حصلوا بالليل ، لقوله عليه السلام : من كثرت صلاته  
 بالليل حسن وجهه بالنهار .

(١٥) أى المذكور صفتهم .

(١٦) وعليه وقف .

(١٧) ومثلهم في الإنجيل) مبتدأ خبره (كررع أخرج شطاع) فرائعه . يقال أشطأ الزرع  
 إذا فترخ (فأزره) قواه . (فأزره) ضامى . (فاستغلظ) لهما من الرقة إلى الغلظ (فاستوى  
 على سوقه) فاستقام على قصبه . جمع ساق . (يعجب الزراع) يتعجبون من قوته . وقيل مكتوب  
 في الإنجيل : سيخرج قوم يهتدون نبلات الزرع بأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر . وعن

حكمة (أخرج شطاه) بآبي بكر (فآزره) بعمر (فاستغظ) بثمان (فاستوى على سوقه) بعلّ رضوان الله عليهم . وهذا مثل ضربه الله تعالى لبده الإسلام وترقيّه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قام وحده ثمّ قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها ثمّ يتولّد منها حتى يصحب الزرع . (لينيظ بهم الكفار) تعليل لما دلّ عليه تشبيههم بالزرع من نسايتهم وترقيهم في الزيادة والقوّة . ويجوز أن يعلّ به (وعاد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) لأنّ الكفار إذا سمعوا بما أعدّ لهم في الآخرة مع ما يعزّهم به في الدنيا غاظهم ذلك . و(من) في (منهم) للبيان كما في قوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) يعني (فاجتنبوا الرجس) الذي هو الأوثان . وقولك أفض من الدراهم . أي اجعل نفقتك هذا المجلس . وهذه الآية تردّ قول الروافض أنّهم كفروا بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم . إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم إنّما يكون ان لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته .

## سورة الحجرات مدنية

وهي ثمان عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلِبُوا فِي يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ  
 اللَّهَ شَهِيدٌ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(١) قدمه وأقدمه متقولان بتثقيب الحشو والمهزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى  
 (يقدم قوله) . وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل .  
 وجاز ألا يقصد مفعول ، والنهي متوجه إلى نفس التقدم . كقوله (هو الذي يحيي ويميت) .  
 أو هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه . ومنه مقدمة الجيش . وهي الجساعة المتقدمة  
 منه . وإياديه قراءة يعقوب (لا تقدموا) يحذف إحدى تاءي تتقدموا (بين يدي الله ورسوله)  
 حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن يجلس بين الجهتين المصامتين يمينه وشماله قريبا منه .  
 فسُميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء  
 باسم غيره إذا جاوره . وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلا . وفيه فائدة جليلة  
 وهي تصوير المجتنة والشناعة فيما نها عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على  
 أمثلة الكتاب والسنة . ويحوز أن يجري مجرى قولك سرق زيد وحسن حاله . أي سرقني  
 حسن حال زيد . فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفائدة هذا  
 الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص . ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله  
 بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك . وفي هذا تمهيد لما يقيم منهم من رفع أصواتهم  
 فوق صوته عليه السلام لأق من فضله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى  
 ما يجب له من التهيّب والإجلال أن ينقص بين يديه الصوت . ومن الحسن أن أناسا ذبحوا

يَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ<sup>(١)</sup>

يوم الأخرى قبل الصلاة . فزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذنباً آخر . وعن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت في النبى عن صوم يوم الشك . ( وأتقوا الله ) فإنكم إن أتقيتموه طاعتكم لتقوى عن التقديمه المنهى عنها ( إنا الله سمع ) لما تقولون ( علم ) بما تعملون . وحق مثله أن يتق .

(١) إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد ومحرك منهم لللا يغفلوا عن تأملهم .

(٢) أى إذا نطق ونطقتم فليكن ألا تبالغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته ، وأن تفتوا منها بحيث يكون كلامه عالياً لكلامكم ، ويجهره باهراً بلهركم ، حتى تكون مزبته عليكم لأئمة ، وصايقته لذيكم واضحة .

(٣) أى إذا كلمتموه وهو صامت فأياكم والمدلول عما نهيت عنه من رفع الصوت . بل عليكم ألا تبالغوا به الجهر النازل بينكم ، وأن تتعدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الحمس الذى يضاد الجهر . أولاً تقولوا له يا محمد . وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم . ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر إلا كأخى السرار . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس . وكان في أذنه قرع . وكان جهورى الصوت . وكان إذا كلم رفع صوته . وربما كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فينادى بصوته . وكاف التشبيه في محل النصيب . أى ( لا تجهروا له ) جهراً مثل ( جهر بعضكم لبعض ) . وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقاً حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالمخافة . وإنما نهوا عن جهر مخصوص . أى الجهر المنعوت بمائلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم . وهو الخلق من مراعاة آبهة النبوة وجلالة مقدارها .

(٤) منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النبى . والمعنى اتهاوا عما نهيت عنه لحيوط أعمالكم . أى خشية حيوطها ، على تقدير حذف المضاف .

وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾

(١٠) ثم اسم (إِنَّ) عند قوله (رسول الله). والمعنى يخفضون أصواتهم في جلسته تعظيماً له. (أولئك) مبتدأ، خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى). وتمام صلة (الذين) عند قوله (للتقوى). و(أولئك) مع خبره خبر (إِنَّ). والمعنى أخلصها للتقوى. من قولهم امتحن الذهب وقته إذا أذاب به خلص لإبريزه من خبئه ونقاؤه. وحقيقته طاعها معاملة المختبر فوجدتها مخلصة. وعن حمير رضي الله عنه: أذهب الشهوات عنها. والامتحان افتعال من محنة. وهو اختبار بالخبر أو بلاء جيد. (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى. قيل نزلت في الشيعين رضي الله عنهما لما كان بينهما من غض الصوت. وهذه الآية — بنظمها الذي رثبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسماء لإثبات المؤكدة، وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معروفين معا، والمبتدأ اسم الإشارة، واسمكتاف الجملة المستودعة ما هو جزأهم على عملهم، وإيراد البجزاء لكثرة مجهول أمره — دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم. وفيها ترميز لطيف ما ارتكب الرافضون أصواتهم.

(١١) ثلاث في وفد بني تميم أمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الأفرع بن حابس وعيينة بن حصن ولادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا أخرج إلينا يا محمد. فإثنا مدحنا زين، وذئنا شين. فاستيقظ ونرج. والوراء الجبهة التي يوردها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام. و(من) لا ابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان. والحجرة الرقعة من الأرض المحصورة بمحاط يحوط عليها. وهي قبلة بمعنى مقفولة كالقنطرة. وجمعها الحجرات بضمين، والحجرات بفتح الجيم. وهي قراءة يزيد. والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت لكل منهن حجرة. ومنادياتهم من ورائها لعلهم يفرقوا على الحجرات متطليين له أو نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها. ولكنها جمعت لإجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والفعل وإن كان مستنداً إلى



وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>(١١)</sup>

جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم . وكان الباقي راضين فكانهم تولوه جميعا . ( أكرمهم لا يسألون ) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثنائه . ويحتمل أن يكون المراد النفي العام إذ الفقرة تقع موقع النفي .

و ورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه مالا يخفى من بينات لإجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها التسجيل على الصائحين به بالسفاهة والبله . ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض لسانه . ومنها التعريف باللام دون الإضافة . ولو تأملنا تماثل من أول السورة إلى آخر هذه الآية لوجدناها كذلك . فتأمل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير تقييد . ثم أردف ذلك النهي مما هو من جلس التقديم من رفع الصوت والجله ، كأول الأول بساطة للثاني . ثم أتى على المناضين أصواتهم ليدل على عظيم موقعه عند الله . ثم عقبه بما هو أعلم ، وجهته أتم من الصباح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدران كما يصاح بأهون الناس قدرا ليلته على فطاعة ما جسروا عليه . لأن من رفع الله قدره عن أن يحهر له بالقول كان صليح هؤلاء من المذكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا .

<sup>(١١)</sup> أى (ولو) ثبت صبرهم . ومحل (أنهم صبروا) الرفع على الفاعلية . والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها . قال الله تعالى ( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ) . وقوله صبر عن كذا مخذوف منه المفعول وهو النفس . وقيل الصبر صر ، لا يتجرعه إلا صر . وقوله ( حتى ) تخرج إليهم ( يفيد أنه لو نخرج فلم يكن خروجه إليهم ولا جلهم لزمهم أن يصبروا إلى أن يعاينوا أنه خروجه إليهم . ( لكان ) الصبر ( خيرا لهم ) في دينهم . ( والله غفور رحيم ) بلغ الغفران والزحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأتوا .

يَنَالُكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْ يَّبَنِكَ فَنُبَيِّنُوا أَن تَصِيبُوا قَوْمًا  
بِجَهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرِينَ ﴿١١﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فَيْكُ رَسُولُ اللَّهِ  
لَوْ يُطِيعُكَ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ <sup>(١١)</sup> الْإِيمَنُ

(١١) أجمعوا أنها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا  
إلى بني المصطلق . وكانت بينه وبينهم إحنة في الجاهلية . فلما شارب ديارهم ركبا مستقبلين  
له لغسبهم مقاتليه . فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة . فبعث  
خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا إليه الصدقات فرجع . وفي تنكير الفاسق والتبا شياخ  
في الفساق والأبناء . كأنه قال أى فاسق جاءكم بأى نبا . ( فتبينوا ) توفقوا فيه وتطلبوا بيان  
الأمر وانكشف الحقيقة ، ولا تمتدوا قول الفاسق . لأن من لا يتحصى جنس الفسوق  
لا يتحصى الكذب الذى هو نوع منه . وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد المدلل . لأننا لو توقفنا  
في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ، ونحلا التخصيص به عن الفائدة . والفسوق الخروج من  
الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها . ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت  
ما فيها . ومن مقلوبه أيضا فقست الشيء إذا أخرجته من يد مالكه معتصبا له عليه . ثم  
استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكثر . حمزة وعلى ( فتبينوا ) . والتثبت والتبين متقاربان  
وهما طلب الثبات والبيان والتعريف . ( أن تصيبوا ) لثلاث تصيبوا ( قوما بجهالة ) حال . يعنى  
جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة . ( فتصحبوا ) تصيبوا ( على ما فعلتم نادمين ) . الندم ضرب  
من التم وهو أن تفتى على ما وقع منك تتقئ أنه لم يقع وهو فم يصحب الإنسان محبة لها  
دوام . ( واعلموا أن فيكم رسول الله ) فلا تكذبوا فإن الله يخبره فينبهك ستر الكاذب أو فارجموا  
إليه واطلبوا رأيه . ثم قال مستأففا ( لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ) لو قمتم في الجهد  
والمحلاك . وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زبنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإقناع بنى  
المصطلق وتصديق قول الوليد ، وأق بعضهم كانوا يتصوتون ويزعمهم جثهم من التقوى من

وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ <sup>(١)</sup>  
 أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ <sup>(٢)</sup> فَضَلَّاهُ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ <sup>(٣)</sup> وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 حَكِيمٌ <sup>(٤)</sup> وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا <sup>(٥)</sup>

الحساسة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (ولكن الله حبيب إليكم الإيمان) وقولهم  
 (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى). ولما كانت صفة الذين حبيب الله إليهم الإيمان غايت  
 صفة المتقدم ذكرهم وقت (لكن) في حاق موقعا من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها  
 لما قبلها نفا وإثباتا .

<sup>(١)</sup> (وكره إليكم الكفر) وهو تنظية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو  
 الخروج عن حجة الإيمان بركوب الكجائر (والعصيان) وهو ترك الاقياد لما أمر به  
 الشارع .

<sup>(٢)</sup> أى (أولئك) المستثنون (هم الراشدون) يعنى أصابوا طريق الحق ولم يبلوا عن  
 الاستقامة . والراشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه . من الرشادة . وهى الصخرة .

<sup>(٣)</sup> الفضل والنعمة بمعنى الإنضال والإنعام . والانتصاب على المفعول له . أى حبيب  
 وكره للفضل والنعمة .

<sup>(٤)</sup> (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يُفضل  
 ويستم بالتوفيق على الأفضل .

<sup>(٥)</sup> وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال  
 الحمار فأمسك ابن أبي بانه وقال خلّ سبيل حمارك فقد آذانا تنه . فقال عبد الله بن رواحة  
 والله إن بول حمارة لأطيب من مسكك . ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض  
 بينهما حتى استبأ وتجالدا وجاء قوما هما — وهما الأوس والخزرج — فتجالدا بالصي وقيل  
 بالأيدي والنمال والسعف . فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاح بينهم وزلت . وجمع  
 (اقتتلوا) حلا على المعنى لأق الطائفتين فى معنى القوم والناس . ونفى فى (فأصلحوا بينهما)  
 نظرا إلى اللفظ .

فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٣﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴿٣٤﴾

(٣١) البني الاستطالة والظلم وإساءة الصلح .

(٣٢) (حتى تفيء) أي ترجع - والفيء الرجوع . وقد سمي به الظل والغنمة لأن الظل يرجع بعد نسخ الشمس ، والغنمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين . وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما فالت . فإذا كفت وقبضت عن الحرب أليها تركت - ( إلى أمر الله ) المذكور في كتابه من الصلح وزوال الشحناء . ( فإن فاءت ) عن البني إلى أمر الله ( فأصلحوا بينهما بالعدل ) بالإنصاف ( وأقسطوا ) وأعدلوا . وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في إصلاح ذات البين .

(٣٣) العادلين . والقسط الجور . والقسط العدل . والفعل منه أقسط . وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور .

(٣٤) هذا تقرير لما ألزمه من توفى الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة ، من المؤمنين وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوة لم ينقص عنها . ثم قد جرت العادة على أنه إذا نسب مثل ذلك بين الآخرين ولادارم السائر أن يتأهضوا في رفعه وإزاحته بالصلح بينهما . فالإخوة في الدين أحق بذلك . ( أخوتكم ) يعقوب . ( واتقوا الله لعلكم ترحمون ) أي ( واتقوا الله ) فالتقوى محمدكم على التواصل والاتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرحبوا . والآية تدل على أن البني لا يزيل اسم الإيمان لأتة سبام مؤمنين مع وجود البني .

(٥) القوم الرجال خاصة لأنهم التوام بأمر النساء . قال الله تعالى ( الرجال قوامون على النساء ) . هو في الأصل جمع قائم كهوم وزود في جمع صائم وزائر . واختصاص القوم بالرجال

وَلَا تَلْبِزُوا أَنْفُسَكُمْ<sup>(١١)</sup> وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَ الْقُلُوبِ<sup>(١٢)</sup>

صریح فی الآیة إذ لو كانت النساء داخلة فی ( قوم ) لم یقل ( ولا نساء ) وحقی ذلك زہر فی قوله .

وما أدري ولست إخال أدري • أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم فی قوم فرعون وقوم عاد، هم الذکور والإناث، فليس لفظ القوم بمتماط للفريقين . ولكن قصد ذكر الذکور وترك ذكر الإناث لأنهن تواج لرجالهن . وتنكير القوم والنساء یحتمل معنی أن یراد ( لا یسخر ) بعض المؤمنین والمؤمنات من بعض ، وأن یقصد إفادة الشیاع ، وأن یصیر کل جماعة منهم منیة عن السخریة . وأما لم یقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحید إعلاما بإقدام غیر واحد من رجالهم وغیر واحدة من نسائهم على السخریة ، واستفظاها للشان الذى كانوا علیه . وقوله ( عسى أن یكونوا خیابانهم ) كلام مستأنف ورد مورد جواب المستغیر عن علّة النهی . والآ فقد كان حقه أن یوصل بما قبله بالقاء . والمعنی وجوب أن یعتقد کل واحد أنّ المسخور منه ربما كان عند الله خیرا من الساکر إذ لا اطلاع للناس إلا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر . والذى یزن عند الله خلوص الصائر . فینبئى ألا یحترى أحد على الاستهزاء بمن تقصحه عنه إذا رآه رث الحال أو إذا عاها فی بدنه أو ضریبق فی عبادته . فلهذا أخلص ضمیرا ، أو أتی قلبا بمن هو على ضد صفته . فیظلم نفسه بتحقیر من وقره الله تعالى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه "البلاء موکل بالقول، لو صغرت من كلب نخشیت أن أحول کلبا " .

(١١) ولا تظلموا أهل دینکم . والذ الطمن والضرب بالسائ . ( ولا تلبيزوا ) یعقوب ومسل . والمؤمنون كنفس واحدة . فإذا طاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه . وقيل معناه لا تفعلوا ما تلزون به . لأن من فعل ما استحق به الذر فقد لزم نفسه حقيقة .

(١٢) التابز بالألقاب التداعى بها . والتبزل لقب السوء . والتلقيب المنهى عنه هو ما يتداخل المدح به كراهة لكونه تقصيرا به وذملا له . فأتا ما يحبه فلا بأس به . وروى أن قوما من بنی تمیم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصبيب . فترلت . ومن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تسخر من زینب بنت نزيمة وكانت قصيرة . وعن أنس رضى الله عنه صيرت نساء

يَسَّ الْإِسْمَ التَّسْوُفُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَمَنْ لَرَّ يَنْبَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ <sup>(١)</sup>  
يَسَّيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا <sup>(٢)</sup>

النبي صلى الله عليه وسلم أم حمنة بالفصر . وروى أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وفر . فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لسمع . فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لرجل تنح . فلم يفعل . فقال من هذا؟ فقال الرجل أنا فلان . فقال بل أنت ابن فلانة . يريد إنما كان يعيرها في الجاهلية نجبل الرجل . فقتلت . فقال ثابت لا أغر صل أحد في الحسب بعدها أبدا .

<sup>(١)</sup> (الاسم) ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو بالآؤم . وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس . كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للؤمنين بسبب ارتكابه هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق . وقوله ( بعد الإيمان ) استباح للجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يحظره الإيمان كما تقول بئس الشأن بعد الكثرة الصبوة . وقيل كان في شتمهم لمن أسلم من اليهود يهودى يافاسق . فنهوا عنه . وقيل لم بئس الذكر أن يذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه .

<sup>(٢)</sup> (ومن لم يلب) صمأ نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) . وحّد وجمع اللفظ (من) ومعناه .

<sup>(٣)</sup> يقال جنبه الشر إذا أبعد عنه . وحقيقته جعله في جانب . فيعدى إلى مفعولين . قال الله تعالى ( واجتنبى وبنى أن تعبد الأصنام ) . ومطاوله اجتنب الشر فنقص مفعولا . والمأمور باجتنابه بعض الظن . وذلك اليمض موصوف بالكثرة . ألا ترى إلى قوله ( إن بعض الظن إثم ) . قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سوءا . فاما أهل الفسق فلنا أن نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم . أو معناه اجتبايا ( كثيرا ) أو احتزوا من الكثير ليقع التحزب عن البعض . والإثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب . ومنه قيل لعقوبته الأثم فقال منه كالتكال والمذاب .

<sup>(٤)</sup> أى لا تتبعوا هورات المساهرين ومعايهم . يقال تجسس الأمر إذا تطلّبه وبحث عنه . تفعل من الجسس . وعن مجاهد : خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله . وقال سهل لا تجسسوا من طلب معايب ما ستره الله على عباده .

وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَفَكَّرْتُمُوهُ  
وَأَنْقَضُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ<sup>(٣١)</sup> يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى<sup>(٣٢)</sup>

(٣١) الغيبة المذكور بالغيب ، في ظهر الغيب . وهي من الاغتياب ، كالغيلة من الاغتيال  
وفي الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره . فإن كان فيه فهو غيبة . ولألا فهو بهتان . وعن  
ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس .

(٣٢) (ميتاً مدقاً) . وهذا تمثيل وتصوير لما يناله الميت من عرض المقتاب على الخش  
وجه . وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير . ومنها جعل ما هو في النهاية من  
الكرهه موصولاً بالهبة . ومنها إسناد الفعل إلى (أحدكم) والإشارة بأن أحداً من الأعداء  
لا يجب ذلك . ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان  
أخاً . ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتاً . وعن قتادة كما تمكره إن وجدت جيفة  
مدبوة أن تأكل منها ، كذلك فأكراه لحم أخيك وهو حي . وانتصب (ميتاً) على الحال من  
اللحم أو من أخيه . ولما تزعم بأن أحداً منهم لا يجب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله  
(فكروهموه) أي فتحققتم كراهتكم له باستقامة العقل . فليتحقق أن تكرهوا ما هو نظيره  
من الغيبة باستقامة الدين .

(٣٣) التواب البليغ في قبول التوبة . والمعنى (وأنقضوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه والندم  
على ما وجد منكم منه فإنكم إن أتقيتم تقبل الله توبتكم وأنتم عليكم شواب المتقين التائبين .  
وروي أن سلمان كان يخدم رجلين من الصعابة ويسوى لهما طعامهما . فقام عن شأنه يوماً .  
فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبني لهما إداماً . وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . فقال ما عندى شيء . فأخبرهما سلمان . فقالا لو بعثناه إلى يرميمة لغار ماؤها .  
فأمّا جلما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما مالى أرى خضرة اللحم في أفواهكما ؟ فقالا  
ما تناولنا لحماً . قال إنكما قد اغتبتا . ومن اغتاب مسلماً فقد أكل لحمه . ثم قرأ الآية .  
وقيل : غيبة الخلق ، إنما تكون من الغيبة عن الحق .

(٣٤) من آدم وحواء . أو كل واحد منكم من أب وأم . فما منكم من أحد إلا وهو ينسب  
بمثل ما يدل به الآخر سواء بسواء . فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ  
 اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ  
 قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنَ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾

(١٦) الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب. وهي الشعب والقبيلة  
 والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة. فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمار. والعمارة تجمع  
 البطون. والبطن تجمع الأنفاذ. والفخذ تجمع الفصائل. خزعة شعب. وكانت قبيلة. وقريش  
 عمارة. وقصى بطن. وهاشم فخذ. والعباس فصيلة. وسميت الشعوب لأن القبائل  
 تشعبت منها.

(١٧) أى أئمتنا ربكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يمتري إلى غير  
 آباءه لأن تتفاضلوا بالآباء والأجداد وتدعوا التفاضل في الأنساب. ثم بين الخصلة التي  
 يفضل بها الإنسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)  
 في الحديث من مره أن يكون أكرم الناس فليتق الله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم  
 الدنيا الفنى وكرم الآخرة التقوى. وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله  
 وأثنى عليه. ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها بآبائها الناس أئمتنا الناس  
 وجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاخر شقي هين على الله. ثم قرأ الآية. وعن يزيد بن هجره مر رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشتراى فعلى شرط أن  
 لا يمتنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاشتراه بعضهم فرض فصاده  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تولى خضر دفنه. فقالوا في ذلك شيئا فقتلت. (إن الله عالم  
 كرم القلوب وتقواها (خير) بهم البغوس في هواها.

(١٨) (قالت الأعراب) — أى بعض الأعراب. لأن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم  
 الآخر. وهم أعراب بنى أسد. قدموا المدينة في سنة جدية فآظفروا الشهادة يريدون الصدقة  
 ويمتدحون عليه — (أئمتنا) أى ظاهرا وباطنا. (قل) لم ياجد (لم تؤمنوا) لم تصدقوا بقلوبكم



إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٠١﴾ قُلِ اتَّعَلُّونَ اللَّهَ  
بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُورِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾

(ولكن قولوا أسلمنا) فالإيمان هو التصديق . والإسلام الدخول في السلم والخروج من أن  
يكون حرباً للؤمنين بإظهار الشهادتين . ألا ترى إلى قوله (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)  
فأعلم أنك ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو إسلام ، وما واطأ فيه القلب  
اللسان فهو إيمان . وهذا مراد حيث اللغة . وأما في الشرع فالإيمان والإسلام واحد لما  
حرف . وفي (لما) معنى التوقع . وهو دال على أنك بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد . والآية  
تنفض على الكرامية مذهبهم أنك الإيمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان . فإن قلت مقتضى نظم  
الكلام أن يقال (قل) لا تقولوا آمنا (ولكن قولوا أسلمنا) . أو (قل) لم تؤمنوا (ولكن أسلمتم) .  
قلت أغاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولاً فقول (قل) لم تؤمنوا (مع أدب حسن فلم يقل  
كذبتم تصريحاً ووضع (لم تؤمنوا) الذي هو قبيح ما ادعوا إثباته موضعه واستغنى بقوله (لم  
تؤمنوا) عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤذاه النهي عن القول  
بالإيمان . ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجاً مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم (آمنا)  
كذلك . ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به . وليس قوله  
(ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) تكريراً لمعنى قوله (لم تؤمنوا) فإن فائدة قوله (لم تؤمنوا)  
تكذيب لدعواهم ، وقوله (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) توقيت لما أمروا به أن يقولوه .  
كأنه قيل لهم (ولكن قولوا أسلمنا) حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لأستكم . لأنه كلام واقع  
موقع الحال من الضمير (قولوا) . (وإن تطيعوا الله ورسوله) في السر بترك النفاق (لا يأتاكم)  
بصرى (من أعمالكم شيئاً) أى لا يتقصدكم من ثواب حسناتكم شيئاً . ألت يأت وألات  
يأت ولأت يأت بمعنى وهو الشخص (إن الله غفور) بستر الذنوب ، (رحيم) هاديهم للتوبة  
عن السيئ .

(١١) وصف المؤمنين المخلصين ، فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله  
ثم لم يرتابوا) — ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة . والمعنى أنهم آمنوا

يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ  
 أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهم لما صدقوه . ولما كان الإيقان وزوال  
 الرب ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانته . وعطف حل الإيمان  
 بكلمة الترانى إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا - (وجاهدوا  
 بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) . يجوز أن يكون المجاهد متوياً وهو العدو المحارب أو الشيطان  
 أو الهوى، وأن يكون جاهد مبالغة في جهده . ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو، وأن  
 يتناول العبادات بأجمعها، وبالمجاهدة بالمسال نحو صليح عثمان في جيش العسرة، وأن يتناول  
 الزكاة وكل ما يتعلق بالمسال من أعمال البر . وخبر المبتدأ الذي هو (المؤمنون)، (أولئك هم  
 الصادقون) أي الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أصحاب بنى أسد. أو هم الذين  
 لم يمانهم إيمان صدق وحق . وقوله (الذين آمنوا) صفة لهم . ولما نزلت هذه الآية جاءوا  
 وحلفوا أنهم غلصون فنزل (قل آمنون الله بدينكم) أي اتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم  
 ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) من النفاق والإخلاص وغير ذلك .

﴿٢١﴾ أي (يؤمنون عليك) . (أن أسلموا) يعني بإسلامهم . والمؤمن ذكر الأيادي تعريضا  
 للشكر .

﴿٢٢﴾ أي المنة لله عليكم (أن هذاكم) بأن هذاكم أولان (هذاكم للإيمان إن كنتم صادقين)  
 إن صح زعمكم وصدقت دعواكم . ألا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عالم بخلافه . وجواب الشرط  
 محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره (إن كنتم صادقين) في ادعائكم الإيمان بالله فله المنة عليكم .  
 وقرئ (إن هذاكم) .

﴿٢٣﴾ وبالباء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم . يعني أنه تعالى يعلم كل  
 مستتر في العالم ويصير كل عمل تمولونه في سرهم وعلايتكم لا يغني عليه منه شيء . فكيف  
 يغني عليه ما في صماتكم وهو علام النيوب ؟

## سورة ق مكية

وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ  
الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝

(١) الكلام في (ق) والقمران المجيد بل عجبوا) كاللزام في (ص) والقمران ذى الذكر بل  
الذين كفروا) سواء بسواء لالتقاءهما في أسلوب واحد. و(المجيد) ذو المجد والشرف على غيره  
من الكتب. ومن أحاط علما بمجانيه، وعمل بما فيه، مجد عند الله وعند الناس. وقوله (بل عجبوا)  
أى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم، إنكار لتعجبهم مما ليس  
بمعجب. وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته. ومن كان كذلك لم يكن  
إلا ناصحا لقومه خائفا أن يتألم مكرهه. وإذا علم أن غونا أظلمهم لزمه أن ينذرهم. فكيف  
بما هو غاية الخاف؟ وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على  
خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإقرارهم بالشاة الأولى مع شهادة  
العقل بأنه لا بد من الجزاء. ثم عول على أحد الإنكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شيء عجيب  
أئذا متنا وكنا ترابا) ، دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار.  
ووضع (الكافرون) موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم.  
(وهذا) إشارة إلى الرجوع. و(إذا) منصوب بمضمرة معناه أمين موت ونيل رُجْع؟ (ميتنا) نافع وعلى  
وحدة وحقق. (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد. أى بعيد من الوهم  
والعادة. ويجوز أن يكون الرجوع بمعنى المرجوع وهو الجواب ، ويكون من كلام الله تعالى  
استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث. والوقف على (ترابا) على هذا حسن. وناصب النظر  
إذا كان الرجوع بمعنى المرجوع ما دل على أنه المنذر من المنذر به وهو البعث .

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿١٢﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيْنَهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿١٣﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١٤﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١٥﴾ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١٦﴾

﴿١١﴾ رد لاستبعادهم الرجوع لأت من لطف عليه حتى علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجوعهم أحياء كما كانوا .

﴿١٢﴾ محفوظ من الشياطين ومن التغير . وهو اللوح المحفوظ . أو حافظ لما أودعه وكتب فيه .

﴿١٣﴾ إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جامعا بما هو أفظع من تعجبهم . وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكير ولا تدبر وقيل الحق القرآن . وقيل الإخبار بالبعث .

﴿١٤﴾ (فهم في أمر) مضطرب — يقال مرجح الخاتم في الإصبع إذا اضطرب من سعته — فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يشتهون على شيء واحد .

﴿١٥﴾ دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (إلى السماء فوقهم) إلى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم (كيف بيناها) رصفناها بغير عمد (وزيناها) بالنباتات (وما لها من فروع) من فوق وشقوق . أي أنها سليمة من العيوب لا تقف فيها ولا صدع ولا خلل (والأرض مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت لولا هي لما لت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يتبع به لحسنه .

﴿١٦﴾ لنبصر به ونذكر كل (عبد منيب) راجع إلى ربه مفكر في بدائع خلقه .  
﴿١٧﴾ كثير المنافع .

﴿١٨﴾ أي وحسب الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما .

وَالَّتِخْلَ بَاسِقَتٌ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿٢٢﴾ رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْبَبًا بِهِ بَلَدَةٌ ﴿٢٣﴾  
 مِمَّا كَذَلِكَ أَخْرُوجُ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ  
 وَثَمُودُ ﴿٢٥﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْآيِكَةِ وَقَوْمُ  
 تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ حَقًّا وَعِيدِ ﴿٢٧﴾ أَفَعَيَيْنَا بِإِنْفَاقِ الْآوَلِ ﴿٢٨﴾

(١) طولاً فى السَّيَاء .

(٢) هو كل ما يطلع من ثمر الخيل .

(٣) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكبه أو لكثرة ما فيه من الثمر .

(٤) أى أُنبتَها (رزقاً للعباد) لأن الإنبات فى معنى الرزق فيكون (رزقاً) مصدراً من غير لفظه . أو هو مفعول له أى أُنبتَها لرزقهم .

(٥) (وأحيينا) بذلك المساء (بلدة ميثا) قد جف نباتها .

(٦) أى كما حيث هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لأن إحياء الأموات كإحياء الموات . والكاف فى محل الرفع على الابتداء .

(٧) (كَذَّبَتْ) قبل قريش (قوم نوح وأصحاب الرس) هو بشر لم تطل . وهم قوم باليامة . وقيل أصحاب الأخدود (وثمود وعاد وفرعون) — أراد فرعون قومه كقوله (من فرعون وبنائهم) لأن المطفوف عليه (قوم نوح) والمطفوفات جماعات — (وإخوان لوط) — ستمهم إخوانه لأن بينهم وبينه نسباً قريباً — (وأصحاب الأيكة وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه . وتسمى به لكثرة تبعه . (كل) أى كل واحد منهم (كذب الرسل) لأن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (خلق وعيد) فوجب وحل وعيدى . وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم .

(٨) عي بالأمم إذا لم يستند لوجه عمله . والمهمزة للإنكار . أى أنا لم نستعز عن الخلق الأول . فكيف نستعز عن الثانى ؟ والاعتراف بذلك اعتراف بالإعادة .

بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ<sup>(١)</sup> وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْنَاهُ تُوَسُّوسًا  
 بِهِ نَفْسُهُ<sup>(٢)</sup> وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ<sup>(٣)</sup> إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ  
 عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ<sup>(٤)</sup> مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ<sup>(٥)</sup>

(١) (بل هم في) خلط وشبهة (من خلق جديد) بعد الموت . قد ليس عليهم الشيطان  
 وحدهم . وذلك تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة . فتكروا لذلك الاستدلال  
 الصحيح . وهو أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر . وإتينا ذكر الخلق الجديد  
 ليدل على عظمة شأنه وأن حق من سمع به أن يخاف ويهتبه به .

(٢) الوسوسة الصوت الخفى - ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهيج في ضميره  
 من حديث النفس . والباء مثلها في قوله صوّت بكنا .

(٣) المراد قرب علمه منه هو مثل في فوط القرب . والوريد عرق في باطن العنق . والحبل  
 العرق . والإضافة للبيان كقولهم بغير سانية ( إذ يتلقى المتلقيان ) يعنى الملكين الحافظين . التلقى  
 التلقن بالحفظ والكتابة . والقعيد المقاعد كالجلس بمعنى المماس . وتقديره (عن اليمين) قعيد (وعن  
 الشمال قعيد) من المتلقيين . فترك أحدهما للدلالة على الثاني عليه كقوله :

وماني بأمر كنت منه والذى • برضا ومن أجل الطوى - وماني

أى وماني بأمر كنت منه بريئا وكان والذى منه بريئا . و ( إذ ) منصوب بأقرب لما فيه  
 من معنى يقرب . والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه .  
 وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إيلانا بأن استغفاظ  
 الملكين أمر هو غنى عنه . وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات ؟ وإتينا ذلك  
 للحكمة وهى ما فى كنية الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة  
 لطف له فى الانتهاء عن السيئات والرغبة فى الحسنات . ( ما يلفظ من قول ) ما يتكلم به وما  
 يرى به من فيه ( إلا لديه رقيب ) حافظ ( عتيد ) حاضر . ثم قيل يكتبان كل شيء حتى  
 أينته فى مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما فيه أجر أو وزر . وقيل إن الملكين لا يعتنبانه إلا عند  
 النعاط والجماع .

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ <sup>(٣)</sup> وَنَفَخَ  
 فِي الصُّورِ <sup>(٦)</sup> ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ <sup>(٤)</sup> وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ  
 وَشَهِيدٌ <sup>(٥)</sup> لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ  
 فَبَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ <sup>(٦)</sup> وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي <sup>(٧)</sup>  
 أَلَفِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كِفَارٍ عَنِيدٍ <sup>(٧)</sup> مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ

(١) لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أنهم أت ما أنكره ثم  
 لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة. ونبه على اقتراب ذلك بأن مبرهته بلفظ  
 الماضي. وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أى شدته الناهية بالعقل المتبسدة (بالحق) أى  
 بحقيقة الأمر أو بالحكمة.

(٢) الإشارة إلى الموت. والمحطاب للإنسان في قوله (ولقد خلقنا الإنسان) على طريق  
 الانكشاف. (تحيد) تنفرو وتهرب.  
 (٣) يعنى نفخة البعث.

(٤) أى وقت (ذلك يوم الوعيد) على حذف المضاف. والإشارة إلى مصدر (نفخ).  
 (٥) أى ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله. وعمل (معها)  
 سائق (النصب على الحال من (كل) لتعرفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة.

(٦) أى يقال لها (لقد كنت في غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفتنا عنك  
 غطاءك) أى نازلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرتك اليوم حديد). جعلت الغفلة كأنها غطاء  
 غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا. فلذا كان يوم القيامة يقط  
 وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الإبصار  
 لغلته حديثا ليقتله.

(٧) (وقال قرينه) الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه. (هذا) أى ديوان  
 عمله — مجاهد: شيطانه الذى قبض له في قوله (قبض له شيطاناً فهو له قرين). (هذا)

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ <sup>(١١)</sup>  
 قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ <sup>(١٢)</sup>  
 قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ <sup>(١٣)</sup>

أى الذى وكّلت به — (ما لدى عتيد). (هذا) مبتدأ . (وما) نكرة بمعنى شيء . والظرف بعده وصف له . وكذلك (عتيد). و(ما) وصفتها خبر (هذا) . والتقدير (هذا) شيء ثابت (لدى عتيد) . ثم يقول الله تعالى (ألقيا) — والخطاب للسائق والشهيد . أو لك . وكانت الأصل ألقى ألقى . فتاب (ألقيا) عن ألقى ألقى . لأن الفاعل كالجزم من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل . وقيل أصله ألقين . والألف بدل من النون لإجراء الوصل بحرى الوقف دليله قراءة الحسن (ألقين) — (في جهنم كل كفار) بالنم والمنعم (عتيد) معاند بجانب للقي معاد لأهله (متاع هجير) كثير المنع لئلا عن حقوقه . أو متاع مجلس الخير أن يصل إلى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك في الله وفى دينه .

<sup>(١١)</sup> (الذى) مبتدأ متضمن معنى الشرط ، خبره (فألقياه فى العذاب الشديد) . أو بدل من (كل كفار) و(فألقياه) تكرير للتوكيد . ولا يجوز أن يكون صفة ل(كفار) لأن النكرة لا توصف بالموصول .

<sup>(١٢)</sup> (قال) شيطانه الذى قرن به . وهو شاهد لمجاهد . وإنما أخلت هذه الجملة عن الواو دون الأولى ، لأن الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الموصول . أعنى عجزه كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال . وأما هذه فهى مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التناول كما فى مقابلة موسى وفرعون . فكان الكافر قال رب هو أظننى ذى (قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) أى ما أوقفته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى .

<sup>(١٣)</sup> هو استئناف مثل قوله تعالى (قال قرينه) كأنه قال قال فماذا قال الله ؟ فقيل (قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد) أى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب . فلا فائدة فى اختصاصكم ولا طائل تحته وقد أوردكم بسبأى على الطغيان



مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١١﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ  
 هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿١٢﴾ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ  
 غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿١٣﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿١٤﴾ مَنْ

في كتيبي وعلى السنة رسل فإترك لكم حجة علي. والباء في (بالوعد) مزيدة كما في قوله  
 (ولا تلقوا بأيديكم) أو معدية على أن قدّم مطاوع بمعنى تهكم.

(١) أي لا تطمعوا أن أبذل قولي ووعدي بإدخال الكفار في النار (وما أنا بظلام  
 للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب. وقال (بظلام) على لفظ المبالغة لأنه من قولك هو ظالم  
 لعبده وظلام لعبيده.

(٢) (يوم) - نصب بظلام أو بمضمر هو اذكر وأنذر - (يقول) - نافع وأبو بكر -  
 أي (يقول) الله (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالجهد. أي أنها  
 تقول بعد امتلائها هل من مزيد؟ أي هل بقي في موضع لم يمتلئ؟ يعني قد امتلأت أو أنها  
 تسترشد وفيها موضع للزيد. وهذا على تحقيق القول من جهنم. وهو غير مستنكر كإطلاق  
 الجوارح. والسؤال لتوبيخ الكفرة لعابه تعالى بأنها امتلأت أم لا.

(٣) (غير) نصب على الظرف أي مكانا (غير بعيد). أو على الحال. وتذكيره لأنه على  
 زنة المصدر كالصليب. والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث. أو على حذف  
 الموصوف أي شيئا (غير بعيد). ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزز غير ذليل.  
 (٤) (هذا) - مبتدأ وهو إشارة إلى الثواب. أو إلى مصدر (أزلفت) - (ما توعدون) -  
 صفتة. وبالياء مكّي - (لكل أواب) رجاء على ذكر الله. خبره.

(٥) حافظ لحدوده. جاء في الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان  
 أوابا حفيظا.

(٦) مجرور المحل بدل من (أواب). أو رفع بالابتداء وخبره (ادخلوها) على تقدير  
 يقال لهم (ادخلوها بسلام) لأن (من) في معنى الجمع.

خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالتَّغْيِبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿١﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمٌ  
 الْخُلُودِ ﴿٢﴾ لِمَنْ مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣﴾ وَكَرَّ أَهْلُهَا  
 قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّجِصٍ ﴿٤﴾  
 إِنِّي فِي ذَلِكَ لِذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٥﴾

(١) الخشية أزواج القلب عند ذكر الخطيئة . وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة  
 للثناء البالغ على الخاشي . وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما اتفق عليه بأنه خاشع مع  
 أن الخشي منه غائب .

(٢) حال من المفعول . أي خشيه وهو غائب . أو صفة لمصدر خشي . أي خشيه خشية  
 متبسة بالنيب . حيث خشي عقابه وهو غائب . الحسن : "إذا أغلق الباب وأرعى الستر".  
 (٣) واجع إلى الله . وقيل يسيرة مرضية . وعقيدة صحيحة .

(٤) أي سالمين من زوال النعم وحلول النقم .

(٥) أي يوم تقدير الخلود كقوله ( فادخلوها خالدن ) أي مقدرين الخلود .

(٦) ( ولدينا مزيد ) على ما يشتهون . والجمهور على أنه رؤية الله تعالى بلا كيف .

(٧) ( وكرَّ أهلها ) قبل قومك ( من قرن ) من القرون الذين كذبوا رسلكم ( هم أشد )  
 من قومك قوة وسطوة ( فنقَّبوا ) نفقروا ( في البلاد ) وطافوا . والتنقيب التنقيب عن الأمر  
 والبحث والطلب . ودخلت الفاء للتسبب عن قوله ( هم أشد منهم بطشا ) أي شدة بطشهم  
 أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه . ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم  
 في بلاد القرون . فهل رأوا لهم عيصا حتى يؤتملوا مثله لأنفسهم ؟ ويدل عليه قراءة من قرأ  
 ( فنقبوا ) على الأمر .

(٨) مهرب من الله أو من الموت .

(٩) ( إن في ذلك ) المذكور ( لذكرى ) تذكرة وموعظة ( لمن كان له قلب ) واع لآئ  
 من لا يبى قلبه فكأنه لا قلب له ( أو ألقى السمع ) أصغى إلى المواظ ( وهو شهيد ) حاضر  
 بقطته . لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ  
لُغُوبٍ <sup>(١١)</sup> فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ  
الْغُرُوبِ <sup>(١٢)</sup> وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ <sup>(١٣)</sup> وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ <sup>(١٤)</sup>

(١١) إعياء . قبل نزلت في اليهود — لعنت — تكذيب لقولم خلق الله السموات  
والأرض في ستة أيام أو لها الأحد وآثرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلق على العرش .  
وقالوا إن الذى وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود . ومنهم أخذ . وإنكر اليهود  
التربع في الجلوس وزعموا أنه جلس تلك الجلسة يوم السبت .

(١٢) أى على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه . أو على ما يقول المشركون  
في أمر البعث . فإك من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم .

(١٣) (وسبح) حامدا ربك . والتسبيح محمول على ظاهره . أو على الصلاة . فالصلاة (قبل  
طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشاءان أو التهجد (وإدبار  
السجود) التسبيح في آثار الصلوات — والسجود والركوع يعترهما عن الصلاة — وقيل النوافل  
بعد المكتوبات . أو الوتر بعد العشاء . والأدبار جمع دبر . (وإدبار) مجازى وحمة وخلف .  
من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت . ومناه وقت انقضاء السجود كفولم آتاك خفوق  
النجم .

(١٤) (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة . وفي ذلك تهويل وتمظيم لشأن المخبر  
به . وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم ينادى المناد) بما دل عليه (ذلك يوم الخروج)  
أى (يوم ينادى المنادى) يخرجون من القبور . وقيل تهديره (واستمع) حذبت (يوم ينادى  
المنادى) . (المنادى) بالياء في الحالين مكى وسهل ويعقوب . وفي الوصل مدنى وأبو عمرو .  
وغيرهم غير ياء فيهما . والمنادى إسرائيل ينفخ في الصور وينادى آتيا النظام البالية ،  
والأوصال المتقطعة ، والهمم المتمزقة ، والشعور المنفترقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل  
التضاء . وقيل إسرائيل ينفخ ، وجبريل ينادى بالحشر .

مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۖ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۚ<sup>(٢٢)</sup>  
 إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۚ يَوْمَ نَشْفِقُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ  
 مِرَآءًا ذَلِكَ خَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
 بِجَبَّارٍ ۚ قَدْ كُنَّا بِالْقُرْآنِ مِنْ بَحَافٍ وَعِيدٍ ۚ<sup>(٢٣)</sup>

(٢٢) من محضرة بيت المقدس . وهي أقرب الأرض إلى السماء بأثنى عشر ميلا . وهي  
 وسط الأرض .

(٢٣) (يوم يسمعون) — بل من (يوم يناد) — (الصيحة) النفخة الثانية (بالحق) متعلق  
 بالصيحة . والمراد به البعث والحشر للجزاء . (ذلك يوم الخروج) من القبور .

(٢٤) (نحيي) انخلق ونحييهم في الدنيا (وإلينا) مصيرهم (يوم نشفق) — خفيف كوفي  
 وأبوعمر . وغيرهم بالتشديد — (الأرض عنهم) أي تصدع الأرض فتخرج الموتى من صدوعها  
 (مراعا) حال من المجرور . أي ممرين .

(٢٥) هين . وتهديم الظرف يدل على الاختصاص أي لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم  
 ألا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن .

(٢٦) (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا . تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه  
 وسلم .

(٢٧) كقوله (مسيطر) . أي ما أنت بمسيطر عليهم . إنما أنت داع و باعث . وقيل هو  
 من جبره على الأمر بمعنى أجبره . أي ما أنت بوال عليهم تهييهم على الإيمان .

(٢٨) كقوله (إنما أنت منذر من ينشاها) لأنه لا ينفع إلا فيه . والله أعلم .

## سورة الذاريات مكية

وهي ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾  
فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ لَمَّا تُوْعِدُونَ لَصَادِقًا ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

(١) (والذاريات) الرياح لأنها تذر التراب وغيره . وبادغام التاء في الذال حمزة وأبو عمرو .

(٢) (ذروا) مصدر والفاعل فيه اسم الفاعل . (فالhamلات) السحاب لأنها تجعل المطر . (وقرا) مفعول الحاملات . (فالجاريات) الفلك . (يسرا) جريا ذائسرا أى ذا سهولة . (فالمقسيمات أمرا) الملائكة . لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما . أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك . أو تنوى تقسيم أمر العباد بغيريل للفظلة ، وميكائيل للرحمة ، وملك الموت لقبض الأرواح ، وإسرافيل للتفخ . ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنثني السحاب ، وتقله وتصرفه ، وتجري في الحق جريا سهلا ، وتقسم الأمطار بتصرف السحاب . ومعنى الفاء على الأثر أنه أقسم بالرياح ، فبالسحاب التي تسوقه ، فبالفلك التي تجريها ، يهبها فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومانعها . وعلى الثاني أنها تنبئ في المبوب ، فتذرو التراب والحصباء ، فتقل السحاب ، فتجري في الحق باسطة له ، فتقسم المطر .

(٣) (إما توعدون) — جواب القسم . و (ما) موصولة أو مصدرة . والموعود البعث — (لصادق) وعد صادق كمشية راضية أى ذات رضا  
(٤) (وإن) الجزاء على الأعمال (لواقع) لكائن .

(١١) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿١﴾ إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٢﴾ يُؤْفَكُ ﴿٣﴾ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴿٤﴾ قِيلَ انْخَرُصُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿٦﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿٧﴾

(١١) هذا قسم آخر. (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح. وكذلك حبك الشعر آثار تشبه وتكسره. جمع حبيكة كطريقة وطرق. وبقال إن خلقه السماء كذلك. وعن الحسن حبكها نجومها. جمع حياك.

(٢) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون، وفى القرآن صخر وشعر وأساطير الأولين.

(٣) الضمير للقرآن أو الرسول. أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشده منه وأعظم. أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرمى. ويجوز أن يكون الضمير لـ (ما تواعدون) أو لـ (الذين) أقدم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقدم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه. ففهم شك ومنهم جاحد. ثم قال (يؤفك) عن الإقرار بأمر القيامة من هو مأفوك.

(٤) لمن. وأصله السماء بالقتل والهلاك. ثم جرى مجرى لمن.

(٥) الكتّابون المقدرّون ما لا يصح. وهم أصحاب القول المختلف. واللام إشارة إليهم كأنه قيل (قيل) هؤلاء (الخواصون).

(٦) (الذين هم) فى جهل بضمهم فافلون عما أمروا به (يسألون) فيقولون (أيان) يوم الدين (أى متى يوم الجزاء. وتقديره أيان وقوع يوم الدين لأنه إنما تقع الأحيان ظروفًا للحدثان. وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمّر دلّ عليه السؤال أى يقع (يوم هم على النار يفتنون). ويجوز أن يكون مفتوحا لإضافته إلى ضم متّكّن وهو الجملة. ومحلّه نصب بالضمير الذى هو يقع، أو رفع على هو (يوم هم على النار يفتنون) يبرقون ويبدون.

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ  
 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٢﴾ يَتَخَذُونَ مِمَّا زَكَّاهُمْ رِبْعًا ۖ وَهُمْ  
 فِيهَا قَائِلُونَ ۖ وَكَانُوا قَبْلَ  
 ذَلِكَ مُجْسِمِينَ ﴿١٣﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَبِالْأَسْبَارِ  
 هُمْ يَسْتَقْفِرُونَ ﴿١٥﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٦﴾

(١١) أى يقول لهم نعمة النار (ذوقوا) هذاكم وإحراقكم بالنار . (هذا) مبتدأ خبره  
 (الذى) . أى (هذا) العذاب هو (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا يقولكم (فأتينا بما تعدنا) .

(١٢) ذكر حال المؤمنين فقال (إن المتقين فى جنات وعيون) أى تكون العيون وهى الأنهار  
 الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قائلين لكل ما  
 أعطاهم من الثواب راضين به . و (آخذين) حال من الضمير فى الظرف . وهو خبر (إن) .

(١٣) (لأنهم كانوا) قبل دخول الجنة فى الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم . وتفسير  
 إحسانهم ما بعده : (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون . و (ما) مزيدة للتوكيد -  
 و (يهجعون) خبر كان . والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل - أو مصدرية .  
 والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم . فيرفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو (كانوا) ،  
 لا قليلا لأنه لما صار موصوفا بقوله (من الليل) نخرج من شبه الفعل . وعمله باعتبار المشابهة .  
 أى كان هجوعهم (قليلا من الليل) . ولا يجوز أن تكون (ما) نافية على معنى أنهم لا يهجعون من  
 الليل قليلا ويحيونه كله . لأن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت .

(١٤) وصفهم بأنهم يهيئون الليل متمجدين . فإذا أبحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا  
 فى ليالهم الجرائم . والمحر السدس الأخير من الليل .

(١٥) (وفى أموالهم حق) لمن يسأل لحاجته (والمحروم) أى الذى يتضرع ولا يسأل  
 حياء .

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿١١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾  
وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ  
لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْكَرَ تَنْطِقُونَ ﴿١٤﴾

(١١) (وفي الأرض آيات) — تدلّ على الصانع وقدرته وحكمته وتديره حيث هي مدحوة كاللباس لما فوقها ، وفيها المسالك والتجابع للتقنين فيها ، وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل ، وصلبة ورخوة ، ومعدّة وسبعة ، وفيها ميون متفجرة ، ومعادن مفنّنة ، ودوابّ مبنّنة مختلفة الصور والأشكال ، متباينة الهيئات والأصناف — ( للوقنين ) للوحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصول إلى المعرفة فهم نظّارون بميون باصرة ، وأفهام نافذة . كلّما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيماناً على إيمانهم ، ( وفي أنفسكم ) في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال ، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب القطر ، وبدائع الخلق ، ما تحيّر فيه الأذهان . وحسبك بالقلوب وما زكّر فيها من العقول ، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة ، والبيّنات الفاطحة ، على حكمة مدبرها وصانعها . دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأملها لما خلقت له وما سوى في الأعضاء من المفاسل للانعطاف والتثني . فإنه إذا جسا منها شيء جاء العجز . وإذا استمرى أتاخ النذل ( فتبارك الله أحسن الخالقين ) . وما قيل إن التقدير أفلا تبصرون في أنفسكم ضعيف لأنّه يفضي إلى تقديم مافى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام . ( أفلا تبصرون ) تنظرون نظر من يعتبر .

(١٢) (وفي السماء المطر) — لأنّه سبب الأقوات . وعن الحسن أنّه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم — ( وما توعدون ) الجنة فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش . أو أراد أن ما توعده في الدنيا وما توعده في العقي كلّ مقدور مكتوب في السماء .

(١٣) الضمير يعود إلى الرزق أو إلى ما توعدون .

(١٤) (مثل) بالرفع كوفي غير حفص صفة للحق . أي حقّ مثل نطقكم . وفيهم بالنصب أي ( أنّه الحق ) حقاً مثل نطقكم . ويجوز أن يكون فصاً لإضافته إلى غير ممكن . ( و ما )



هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ <sup>(١)</sup> إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا <sup>(٢)</sup>  
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ <sup>(٣)</sup>

مزينة . وعن الأصمعي أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود . فقال  
من الرجل ؟ فقلت من بني أصمع . قال من أين أقبلت ؟ قلت من موضع يتلى فيه كلام الله .  
قال اتل علي . فتلوت ( والذاريات ) فلما بلغت قوله ( وفي السماء رزقكم ) قال حسبك .  
فقام إلى ناقته فتحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وولى .  
فلما عجمت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا  
بالأعرابي وقد نحل واصف فسلم علي واستقرأ السورة . فلما بلغت الآية صاح وقال ( قد  
وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ) ثم قال وهل غير هذا ؟ فقرأت ( ورب السماء والأرض إنه لحق )  
فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟ لم يصتفوه بقوله حتى  
حلف . قالوا ثلاثاً ونجرت معها نفسه .

(١) (هل أتاك) — تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم . وإنما عرفه بالوحي . وانتظامها بما قبلها باعتبار أنه قال ( وفي الأرض آيات ) وقال  
في آخر هذه القصة ( وتركنا فيها آية ) — (حديث ضيف إبراهيم) — الضيف للواحد والجماعة  
كالصوم والزور لأنه في الأصل مصدر ضافه . وكانوا اثني عشر ملكاً . وقيل تسعة طائرتهم  
جبريل . وجعلهم ضيفاً لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم . أولآتهم  
كانوا في حساباته كذلك — (المكرمين) عند الله لقوله (بل عباد مكرمون) . وقيل لأنه خدمهم  
بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى .

(٢) نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام إبراهيم لهم . ولأخبار اذكر .

(٣) مصدر ساق مبدئ الفعل مستغنى به عنه . وأصله نسلم عليكم سلاماً .

(٤) أي عليكم (سلام) فهو مرفوع على الابتداء . وخبره محذوف . والعلول إلى الرفع  
للدلالة على إثبات السلام . كأنه قصد أن يتخيرهم بأحسن مما حيوه به أخذاً بأدب الله .  
وهذا أيضاً من إكرامه لهم . حمزة وعلي (سلم) . والسلام السلام .

قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١١﴾ قَرَأَ إِلَهُ أَهْلِهِ بَقَاءَ يَعِجِلُ سَمِينٍ ﴿١٢﴾ فَقَرَّبَهُ  
إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ  
وَبَشِّرُوهُ بِنُفْلٍ عَلَيْهِ ﴿١٤﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرَّةٍ فَصَعَّتْ وَجْهَهَا  
وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿١٥﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿١٦﴾

(١١) أي أتم (قوم منكرون) فعزفوني من أتم .

(١٢) فذهب إليهم في خفية من ضيوفه . ومن أدب المضيف أن يخفي أمره ، وإن يسادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حلدا من أن يكفه . وكان حاتمة مال إبراهيم عليه السلام البقر (بقاء يعجل سمين فقربه إليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) أنكر عليهم ترك الأكل أو حتمهم عليه . (فأوجس) فاضمر (منهم خيفة) خوفا لأن لم يأكل طعامك ، لم يحفظ ذمامك . عن ابن عباس رضى الله عنهما : وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) إنا رسل الله . وقيل مسح جبريل السجل فقام ولحق بأتمه (١٣) أي يبلغ ويعلم . والمهشربه إصمق عند الجمهور .

(١٤) في صيغة . من صر القلم والباب . قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا . ومعه التصبى حل الحال . أي بغامت صارت . وقيل فأخذت في صياح . وصرتها قولها (داويتا) .

(١٥) فظلمت بيسط يديها . وقيل فضربت بأطراف أصابعها وجهها فعمل المتعجب .

(١٦) أي أنا (عجوز) فكيف ألد ؟ كما قال في موضع آخر (ألد وأنا عجوز وهذا بهل شيا) .

(١٧) مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أي إني أخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (إنه هو الحكيم) في فعله (العليم) فلا يخفى عليه شيء . وروى أن جبريل قال لها حين استبعدت : انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مורה مثمرة .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢﴾  
لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣﴾ مَسْمُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٤﴾  
فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ  
مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ  
الْأَلِيمَ ﴿٧﴾ وَفِي مَوْصِئٍ إِذْ أُرْسِلْتُهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ سُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

(١) لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا يتلون إلا بأمر الله رسلا في بعض الأمور ( قال فما خطبكم ) أى فإشأنكم وما طلبتكم وفيهم أرسلتم (أيها المرسلون) : أرسلتم بالهشارة خاصة، أولأمر آخر أولها ؟ ( قالوا ) إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ( أى قوم لوط ) لنرسل عليهم حجارة من طين ( أى أريد السجيل . وهو طين طبخ كما يطبخ الأجر حتى صار في صلابه الحجارة .

(٢) معاناة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به .

(٣) فى ملكه وسلطانه .

(٤) ستمهم مسرفين كما ستمهم عادين لإسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم .

(٥) فى القرية ولم يحرلها ذكر لكونها معلومة .

(٦) يعنى لوطا ومن آمن به .

(٧) أى غير أهل بيت . وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد . لأن الملائكة

متوهم مؤمنين ومسلمين هنا .

(٨) ( وتركنا ) فى قوام ( آية للذين يخافون العذاب الأليم ) علامة يعتبر بها الخائفون دون

القاسية قلوبهم . قيل هى ماء أسود متقن .

(٩) مطوف على ( وفى الأرض آيات ) . أو على قوله ( وتركنا فيها آية ) . على معنى ( و )

جعلنا ( فى موسى ) آية كقوله \* طفتها تينا وماء باردا \* .

(١٠) حجة ظاهرة . وهى اليد والمعصا .

فَقَتُولُوا بِرُكْنَيْهِ <sup>(١)</sup> وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ <sup>(٢)</sup> فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ <sup>(٣)</sup> وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ <sup>(٤)</sup> مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ <sup>(٥)</sup> وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ <sup>(٦)</sup> فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَا هُمْ الصَّعِقَةَ <sup>(٧)</sup> وَهُمْ يَنْظُرُونَ <sup>(٨)</sup> قَالَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ <sup>(٩)</sup>

(١) فأعرض عن الإيمان .

(٢) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه . والركن ما يركن إليه الإنسان من مال وجند .

(٣) أى هو ( ساحر أو مجنون ) .

(٤) أت بما يلام عليه من كفره وعناده . وإنما وصف يونس عليه السلام به في قوله ( فأنقمه الحوت وهو ملوم ) لأن موجبات اللوم تختلف . وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم . فراكب الكفر ملوم على مقداره ، وراكب الكثرة والصغرة والذلة كذلك . والجملة مع الواو حال من الضمير في ( فأخذناه )

(٥) هى التى لاخير فيها من إنشاء مطر أو الفلاح شجر . وهى ريح الهلاك . واختلف فيها . والأظهر أنها الدبور لقوله عليه السلام " نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور " .

(٦) هو كل مازم أى بلى وتفتت من عظم أونبات أو غير ذلك . والمعنى ماترك من شىء هبت عليه من أنفسهم وأهوائهم وأموالهم إلا أهلكته .

(٧) (وفى ثمود) آية أيضا (إذ قيل لهم تمتوا حتى حين) . تفسيره قوله ( تمتوا فى داركم ثلاثة أيام )

(٨) فاستكبروا عن امتاله ( فأخذتهم الصاعقة ) العذاب — وكل عذاب مهلك صاعقة . ( الصعقة ) على . وهى المزة من مصدر صمقتها الصاعقة — ( وهم ينظرون ) لأنها كانت نهارا يماينونها ( لما استطاعوا من قيام ) أى هرب . أو هو من قولهم مايقوم به إذا عجز عن دفعه . ( متمتعين من العذاب . أو لم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب لأن معنى الانتصار المقاتلة .

وَقَوْمٌ نُّوحٍ مِنْ قَبْلُ لَانَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١١﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا  
بِأَيْدٍ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿١٣﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْ  
كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ  
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾

(١١) أى (و) أهلكنا (قوم نوح) لأن ما قبله يدل عليه . أو (و) اذكر (قوم نوح) .  
و بالجز أبو عمرو وصل وحزمة . أى (و) فى (قوم نوح) آية . ويؤيده قراءة عبدالله (وفى قوم  
نوح من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (أنهم كانوا قوما فاسقين) كافرين .

(١٢) (والسماء) نصب بفعل يفعله (بنيناها بأيد) بقوة . والأيد القوة .

(١٣) تقادرون . من الوسع وهى الطاقة . والموسع القوى على الإنفاق . أو (لموسعون)  
ما بين السماء والأرض .

(١٤) بسطانها ومهدناها . وهى منصوبة بفعل مضمر . أى فرشنا الأرض فرشناها  
(فقم المأهلون) نحن .

(١٥) (ومن كل شيء) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى . ومن الحسن السماء والأرض ،  
والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والبر والبحر ، والموت والحياة . فصدد أشياء وقال كل اثنين  
منها زوج . والله تعالى فرد لا مثل له .

(١٦) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأرواح لتتذكروا فتعرفوا  
الخالق وتعبده .

(١٧) أى من الشرك إلى الإيمان بالله . أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن . أو من سواه إليه .

(١٨) التكرير للتوكيد . والإطالة فى الوعيد أبلغ .

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿١﴾  
 أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٢﴾ قَتَلُوا عَنْهُمْ قَاتًا أَنْتَ بِمَعْلُومٍ ﴿٣﴾ وَذَكَرَ  
 فَإِنْ أَلَذَّكَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥﴾

(١) الأمر مثل ذلك . وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا .  
 ثم فسر ما أجمل بقوله ( ما آتى الذين من قبلهم ) من قبل قومك ( من رسول ) ( إلا قالوا ) هو ( ساحر  
 أو مجنون ) . ( دعوهم بالسحر أو الجنون بلهملهم .

(٢) الضمير للقول . أى أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين  
 عليه .

(٣) أى لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعهم العلة الواحدة وهى الطغيان  
 والظلمان هو الحامل عليه .

(٤) فأمر من الذين كذرت عليهم الدعوة فلم يحيوا عتادا .

(٥) فلا نوم عليك فى إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة .

(٦) وعظ بالقرآن ( فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) بأن تزيد فى (٥) عملهم .

(٧) العبادة إن حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عاقبة . بل المراد بها المؤمنون من  
 الفريقين . دليله السياق أعنى ( وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) وقراءة ابن عباس رضى  
 الله عنهما ( وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين ) وهذا لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم  
 منهم أنهم لا يؤمنون ، للعبادة . لأنه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد  
 منهم . فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم بلهملهم كما قال ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن  
 والإنس ) . وقيل ألا لأمرهم بالعبادة . وهو مقول عن على رضى الله عنه . وقيل ألا ليكونوا  
 عبادا لى . والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل  
 عبادة فى القرآن فهى توحيد . والكل يؤخذه فى الآخرة لما عرف أن الكفار كلهم  
 مؤمنون موحدون فى الآخرة . دليله قوله ( ثم لم يكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ  
 ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ۝ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ  
 فَلَا يَسْتَعْبِلُونَ ۝ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝

مشركون . نعم قد أشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأبد أقل من يوم .  
 ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته إلا للكتابة كان صادقا في قوله ما اشتريته إلا للكتابة  
 وإن استعمله في يوم من عمره لعمل آخر .

(١) ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادي .

(٢) قال جملب أن يطعموا عبادي . وهي إضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا من  
 الله تعالى " من أكرم مؤمنا فقد أكرمني . ومن آذى مؤمنا فقد آذاني " .

(٣) الشديد القوة . و ( المتين ) بالرفع صفة لدو . وقرأ الأصمش بالخفضة للقوة مل  
 تأويل الاقتدار .

(٤) (فإن للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم)  
 نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة - قال الزجاج الذنوب  
 في اللغة النصيب - (فلا يستعجلون) نزول العذاب . وهذا جواب النضر وأصحابه حين استعجلوا  
 العذاب . (ليبدوني . أن يطعموني . فلا يستعجلوني) بالياء في الحاليين يعقوب . وافته  
 مهل في الوصل . الباقون بذي راء .

(٥) أي من يوم القيامة . وقيل من يوم بدر . وافته أعلم .

## سورة الطور مكية

وهي تسع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ۝ وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍ مَنْشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝  
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝  
مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝

(١١) (الطور) — هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين — (وكتاب مسطور) — هو القرآن . ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب . أو اللوح المحفوظ أو التوراة — (في رق) — هو الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه — (منشور) مفتوح لا ختم عليه . أو لأشخ (والبيت المعمور) — أى الضراح . وهو بيت في السماء حيال الكعبة . وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة . روى أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويفرجون ثم لا يعودون إليه أبدا . وقيل الكعبة لكونها معمورة بالهجاج والعمار — (والسقف المرفوع) أى السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد . والواو الأولى للقدم والبواو للقطف . وجواب القسم (إنا عذاب ربك) أى الذى أوعد الكفار به (لواقع) لنازل . قال جبريل ابن معلم أئيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الأسارى . فلقينته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور . فلما بلغ (إنا عذاب ربك لواقع) أسلمت خوفا من أن يزل العذاب .

(١٢) (ماله من دافع) لا يمنعها مانع . والجملة صفة (لواقع) أى واقع غير مدفوع . والعامل فى (يوم) (لواقع) أى يقع فى ذلك اليوم . أو أذكر (يوم تمور) تمور كالرى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) فى الهواء كالسحاب لأنها تصير هباء متورا .



فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ يَوْمَ  
يَدْعُونَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿٣﴾ هَٰلِكَةُ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤﴾  
أَفِسْحَرْ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تُصْبِرُوا  
سَوَاءٌ عَلَيْكَ إِمَّا تُجِزُّونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ  
فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٧﴾ فَلَكَاهِنَ بِمَا كَانْتُمْ بِهِمْ وَوَقَلْتُمْ بِهِمْ  
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾

(١) غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله (وكنا نخوض مع الخائضين).  
ويبدل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) من (يوم تور). والدع الدفع العنيف. وذلك أن نعمة  
النار يفلون أيديهم إلى أحناقهم ويحسون نواصيمهم إلى أقدامهم ويدفونهم إلى النار دعا على  
وجوههم وزخا في أفتيتهم فيقال لهم (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا.

(٢) (هذا) مبتدأ و (يبحر) خبره . يعني كنتم تقولون للوحى هذا يبحر (أفسح هذا) ؟  
يريد أهدأ المصداق أيضا يبحر ؟ — ودخات الفاء لهذا المعنى — (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم  
لا تبصرون في الدنيا . يعني أنتم عمى عن الخبير عنه كما كنتم عميا عن الخبر ؟ وهذا تفرع  
وتهم .

(٣) خبر (سواء) محذوف أى (سواء عليكم) الأمران الصبر وعدمه . وقيل على  
العكس، ومثل استواء الصبر وعدمه بقوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) لأن الصبر إنما يكون له  
مزية على الجزع لنفحة في العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير . فأما الصبر على العذاب  
الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا مضمة فلا مزية له على الجزع .

(٤) (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) فى آية (جَنّاتٍ) أى (نعم) بمعنى الكمال فى الصفة. أو (فى جَنّاتٍ  
ونعم) مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة. (فَلَكَاهِنَ) حال من الضمير فى الظرف. والظرف خبر.  
أى مثل الذين (بِمَا كَانْتُمْ بِهِمْ) وعطف قوله (وَوَقَلْتُمْ بِهِمْ) على (فى جَنّاتٍ) أى (إِنَّ)

مُتَكِينٍ عَلَىٰ مِرْرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَوُجِّنَهُمْ حُجُورَ عَيْنٍ ۖ وَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَحْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ  
 مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۖ وَامْدَدْنَاهُمْ  
 بِفَيْكِهِمْ وَلَحْمِ بَنَاتِهِمْ ۚ يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا ۚ

المتقين (استقروا) في جنات ... ووقاهم ربهم) أو على (آلأهم ربهم) على أن تجعل  
 (ما) مصدرية . والمعنى (فاكعين) بلبائهم ربهم ووقائهم (عذاب الجحيم) . أو الواو لفتح  
 "وقد" بعدها مضمره . يقال لهم (كلوا واشربوا ههنا بما كنتم تعملون) اكلا وشربا (ههنا) .  
 أو طعاما وشربا (ههنا) . وهو الذي لا تنفص فيه .

(١١) (متكئين) حال من الضمير في (كلوا واشربوا) . (على ممر) جمع سرير . (مصفوفة)  
 موصول بضمها ببعض .

(١٢) وقرآنهم (يحجور) جمع حوراء (عين) عظام الأيمن حسنها .

(١٣) . (والذين) مبتدأ . و (ألحقنا بهم) خبره . (وأتبعناهم) أبو عمرو . (ذريتهم)  
 أولادهم . (بإيمان) حال من الفاعل . أي تلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء وإن قصرت  
 أعمال الذرية عن أعمال الآباء . وقيل إن الذرية وإن لم يلغوا مبلغا يكون منهم الإيمان استدلالا  
 وإنما تلقوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء . (ذريتهم) ذريتهم (مدنى) (ذريتهم) ذريتهم .  
 أبو عمرو . (ذريتهم ذريتهم) شامئ .

(١٤) (وما) تصانهم (من) ثواب (عملهم من شيء) (الثناء) مكى . آلت يآلت وآلت يآلت  
 لثنان . (من) الأولى متعلقة بـ (أثناء) ، والثانية زائدة .

(١٥) أى مرهون فتنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به .

(١٦) وزدناهم في وقت بعد وقت (ها كفة ولم بما يشتهون) وإن لم يفتحوا .

(١٧) نمرا . أى يتعاطون ويتعاطونهم وجلساؤهم من أقرانهم يتناول هذا الكأس  
 من يد هذا وهذا من يد هذا .

لَا لَعْنُو فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ <sup>(١)</sup> وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلَافٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ  
مَّكَنُونٌ <sup>(٢)</sup> وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ <sup>(٣)</sup> قَالُوا إِنَّا كُنَّا  
قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ <sup>(٤)</sup> فَنَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ  
السَّمُومِ <sup>(٥)</sup> إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ <sup>(٦)</sup>

(١) (لا لعنوا) في شربها (ولا تأتيم) أى لا يجرى بينهم ما يلغى حتى لا يجرى بينهم باطل ، ولا ما فيه إثم لو فعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشم ونحوهما كشاري نهر الدنيا لأن عقولهم ثابتة فيكلمون بالحكم والكلام الحسن. (لا لعنوا فيها ولا تأتيم) معنى وبصرى .

(٢) (ويطوف عليهم غلمان) مملوكون (لهم) مخصوصون بهم (كأنهم) من يياضهم وصفاتهم (لؤلؤ مكنون) في الصدف. لأنه رطباً أحسن وأصفى. أو غززون لأنه لا يميزن إلا الثمين .  
الغالى القيمة. في الحديث : — <sup>(١)</sup> إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف بيا به ليك ليك .

(٣) يسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله .

(٤) (إننا كنا) في الدنيا (في أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله. أو خائفين من نزع الإيمان وفوت الأمان. أو من رد الحسنات ، والأخذ بالسيئات (فنزّل الله علينا) بالمغفرة والرحمة (ووقانا عذاب السموم) هى الريح الحارّة التى تتخلل المسام فسميت بها لار جهنم لأنها بهذه الصفة .

(٥) (إننا كنا من قبل لقاه الله تعالى والمصير إليه — يمتنون في الدنيا — ندعوه) نعبد ولا نعبد غيره ونسأله الوفاة (إنه هو البرّ) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذى إذا جُبد أطلب ، وإذا مثل أجاب . (إنه) بالفتح مدنى وعلّ أى بآته أو لآته .

فَذَكِّرْ لَأَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ يَكْفُرْنَ وَلَا يَجْنُونَ<sup>(١١)</sup> أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ  
تَتَّبِصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ<sup>(١٢)</sup> قُلْ تَرِيبُوا قُلُوبِي مَعَكُمْ مِنْ  
الْمُتَرَبِّصِينَ<sup>(١٣)</sup> أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ<sup>(١٤)</sup> أَمْ يَقُولُونَ  
تَقُولُهُ<sup>(١٥)</sup> بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(١٦)</sup> فَلْيَاثُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ<sup>(١٧)</sup>

(١١) ثابت مل نذكر الناس وموقفهم (لأنت) برحة (ربك) وإعناهم عليك بالنبوة  
ورجاء العقل (يكافون ولا يجنون) كما زعموا . وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا  
ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك .

(١٢) (أم يقولون) هو (شاعر تريبص به ريب المنون) حوادث الدهر أى تنتظر  
نوايب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والثابتة . و (ام) فى أوائل هذه الآية  
منقطعة بمعنى بل والمقدمة .

(١٣) أتريبون هلاككم كما تريبصون هلاكى .

(١٤) (أم تأمرهم) عقولهم (بهذا) التناقض فى القول — وهو قولهم كاهن وشاعر مع  
قولهم مجنون . وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى — (أم هم قوم طاغون) مجاوزون  
الحلف فى العناد مع ظهور الحق لهم . وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز .

(١٥) اختلقه عهد من تلقاء نفسه .

(١٦) رد عليهم . أى ليس الأمر كما زعموا . (بل لا يؤمنون) . فكفروهم وعنادهم يرون  
بهذه المطاعن مع طاعتهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمقول لحيى العرب عنه وما عهد إلا واحد  
من العرب . (فليأثوا بحديث) غثلق مثل القرآن (إن كانوا صادقين) فى أنث مجندا  
تقوله من تلقاء نفسه لأنه ليسانهم وهم فصحاء .

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ أَنْخَلِقُونَ ﴿١﴾ أَمْ خُلِقُوا الْمَسَلَاتِ  
وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ  
الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣﴾ أَمْ هُمْ سَلَمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ قَلِيَّاتٌ مَسْتَمِعُهُمْ سُلَاطِنُ  
مُبِينٌ ﴿٤﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكِنَّ الْبَنُونَ ﴿٥﴾ أَمْ نَسْتَلْهُمْ أَجْرًا فَهُمْ  
مِنْ مَغْرَرٍ مُثْقَلُونَ ﴿٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٧﴾

(١) (أم) أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرهم (من غير شيء) من غير مقدر (أم هم) الذين خلقوا أقمهم حيث لا يعلمون الخالق . وقيل أخلقوا من أجل لاشيء من جزاء ولا حساب (أم هم الخالقون) فلا ياتعمرون (أم خلقوا السموات والأرض) فلا يعلمون خالقهما .

(٢) أى لا يتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والأرض .

(٣) (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاعوا بما شاعوا (أم هم المصيطرون) الأرباب الغالبون حتى يذروا أمر الربوبية وينتوا الأمور على مشيقتهم . وبالسین مکى وشامى . (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به إلى السماء (يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون . قال الزجاج (يستمعون فيه) أى عليه .

(٤) بحسبة واضحة تصدق استماع مستمعهم .

(٥) سقاه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكياء عند أقمهم .

(٦) (أم تسألهم أجرا) على التبليغ والإنذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم أن يلزم الإنسان ما ليس عليه . أى لزمهم مغرم ثقيل فدفعهم فزدهم ذلك فى اتباعك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن مبتلنا لم نعذب .

أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٣١﴾ أَمْ هُمْ لَكُمْ غَيْرُ  
 اللَّهِ ۚ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا  
 يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٣٣﴾ فَلَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ  
 يُصْعَقُونَ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٥﴾  
 وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

(٣١) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله والمؤمنين .

(٣٢) إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى .

(٣٣) هم الذين يهود عليهم وبأل كيدهم ويحقيق بهم مكرمهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر . أو  
 المفلوون في الكيد من كايده فكذته .

(٣٤) (أم لهم إله غير الله) يمنهم من عذاب الله .

(٣٥) الكسف القطعة . وهو جواب قولهم (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) .  
 يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا (سحاب مركوم) — قد رم أي  
 جمع بعضه على بعض — يطرأ ، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب .

(٣٦) بضم الياء حاصم وشأى . الباقر بفتح الياء . يقال صمقه فصمق . وذلك عند النفخة  
 الأولى نفخة الصمق .

(٣٧) (وإن) لهؤلاء الظالمه (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة . وهو القتل بيد الله والتعطي  
 سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك .

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١﴾  
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٢﴾

(١) أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فإنك بأعيننا) أي بحيث نراك ونكوك. وجمع العين لأن الضمير بلفظ الجماعة . ألا ترى إلى قوله (ولتصنع على عيني). (وسبح بحمد ربك حين تقوم) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبیر سبحانك اللهم وبحمده. أو من أي مكان كنت. أو من متاهك. (ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل. (وإدبار) زيد. أي في أعقاب النجوم وأثارها إذا غربت . والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات . وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه (ومن الليل) ، صلاة العشائين ، (وإدبار النجوم) صلاة الفجر . وبالله التوفيق .

## سورة النجم مكية

وهي اثنتان وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكَ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ  
الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَيْهِ شَلِيدٌ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾

(١) أقسم بالثريا - أو يجلس النجوم - (إذا هوى) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة .  
وجواب القسم (ما ضلّ) عن قصد الحق (صاحبك) أى محمد صلى الله عليه وسلم - والخطاب  
لغيره - (وما غوى) فى اتباع الباطل . وقيل الضلال تقيض الهدى والحق تقيض الرشد .  
أى هو مهتد راشد . وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والحق .

(٢) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه إنما هو وحى من عند  
الله يوحى إليه . ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأئمة عليهم السلام . ويحاج بأن الله  
تمالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وقزهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى .

(٣) علم محمد عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه . والإضافة غير حقيقية لأنها  
إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها . وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور . ومن قوته أنه اقتلع  
قوى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها . وصاح صيحة  
بثود فاصبحوا جاثمين .



ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۚ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ  
قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۚ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۚ  
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى <sup>(١)</sup>

(١) (ذو منظر حسن - عن ابن عباس - (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتنزل بها كلما هبط بالوحى . وكان ينزل في صورة دحية . وذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها ( فاستوى ) له في الأفق الأعلى - وهو أفق الشمس - فلا الأفق - وقيل مارآه أحد من الأنبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم حين مررت على الأرض ومرت على السماء - (وهو) أى جبريل عليه السلام (بالأفق الأعلى) مطلع الشمس (ثم دنا) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدل) فزاد في القرب - والتدل هو النزول بقرب الشيء - (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين . وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع . ومنه لاصلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رحمين . وفي الحديث "لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قته خير من الدنيا وما فيها" . والقد السوط . وتقديره (فكان) مقدار مسافة قربه مثل (قاب قوسين) - فحذفت هذه المضافات - (أو أدنى) أى على تقدير كم كقوله (أو يزيدون) . وهذا لأنهم خاطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رحمين أو أُنقص . وقيل بل (أدنى فأوحى) جبريل عليه السلام (إلى عبده) إلى عبد الله - وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يثبتس . كقوله (ما ترك على ظهرها) - (ما أوحى) تفخيم الوحى الذى أوحى إليه . قيل أوحى إليه "إن الجنة محزنة على الأنبياء حتى تدخلها وعمل الأمم حتى تدخلها أمتكم" . (ما كذب) فؤاد محمد (ما رأى) مارآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام . أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك . ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه . يعنى أنه رآه بينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أنه مارآه حق . وقيل المرئى هو الله سبحانه . رآه بين رأسه . وقيل بقلبه .

أَقْتَمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى <sup>(١)</sup> وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى <sup>(٢)</sup> عِنْدَ سِدْرَةِ  
الْمُنْتَهَى <sup>(٣)</sup> عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى <sup>(٤)</sup> إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى <sup>(٥)</sup>  
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى <sup>(٦)</sup> لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى <sup>(٧)</sup>

(١) اقتمازلونه . من المراء وهو المحاذلة . واشتقاقه من مرى الناقة . كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ماعدن صاحبه . ( أقتمرونه ) حمزة وعلة وخلف ويعقوب . أقتلونه في المراء من ماريته فريته . ولما فيه من معنى الغلبة قال (عل مايرى) فعذى بعلى كما تقول غلبته على كذا . وقيل ( أقتمرونه ) أقتجعولونه يقال مريته حقّه إذا جحدته . وتعديته بعلى لاتصيح إلا على مذهب التضمين .

(٢) (ولقد) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول. نصبت التزلة نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعل اسم للزلة من الفعل . فكانت في حكمها . أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها . وذلك ليلة المأراج (عند سدره المنتهى) الجمهور على أنها شجرة نبت في السماء السابعة عن يمين العرش . و (المنتهى) بمعنى موضع الانتهاء . أو الانتهاء . كأنها في منتهى الجنة وآخرها . وقيل لم يمازها أحد . وإليها يتنهي علم الملائكة وغيرهم . ولا يعلم أحد ماوراءها . وقيل تنهى إليها أرواح الشهداء . (٣) أى الجنة التي يصير إليها المتقون . وقيل تأوى إليها أرواح الشهداء .

(٤) أى رآه (إذ يغشى السدره ما يغشى) وهو تعظيم وتكثير لما يشاها . فقد علم بهذه العبارة أن ما يشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف . وقيل يشاها الجلم الفقير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها . وقيل يشاها فراش من ذهب .

(٥) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدل عن رؤية السجائب التي أمر برؤيتها . ويمكن منها (وما طغى) وما جاوز ما أمر برؤيته .

(٦) والله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الآيات التي هي كبرها وعظماها . يعنى حين رقى به إلى السماء فأرى عجائب الملكوت .

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ  
وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا  
أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا  
تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٥﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَىٰ ﴿٦﴾

(١) أى أخبرونا عن هذه الأشياء التى تبدلونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة  
والعظمة التى وصف بها رب العزة؟ اللات والعزى ومناة أصنام لهم. وهى مؤنثات. فالات كانت  
لثقيف بالطائف. وقيل كانت بظلة تمبدها قريش. وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلون عليها  
ويشكفون للعبادة. والعزى كانت لقطبان. وهى ثمرة وأصلها تانيث الأعز. وقطعها خالد بن الوليد.  
ومناة محبرة كانت لهذيل ونخاعة. وقيل لثقيف. وكانت سميّت مناة لأن دماء النساء كانت  
تمنى عندها أى تراق. (ومناة) مكى. مفعلة من النوء. كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تتركا  
بها. (الآخري) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة المقدار. كقوله وقالت أنحرهم أولادهم.  
أى وضاعوهم (رؤسائهم) وأشرفهم. ويحوز أن تكون الأؤلية والتقدم عندهم اللات والعزى.

(٢) كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يبدونهم ويرحمون أنهم شفعاؤهم  
عند الله مع وأدم البنات وكراهتهم لهم فقل لهم (الكم الذكركم والأنثى تلك إذا قسمة ضيزى).  
أى جعلكم الله البنات ولكم البنين (قسمة ضيزى) أى جائرة من ضازة يضيزه إذا ضامه.  
و (ضيزى) فعل إذا لا يفعل فى النعوت. فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل  
حمر وسود. (ضيزى) بالهمز مكى من ضازة مثل ضازة. (إن هى) ما الأصنام (إلا أسماء)  
ليس تحتها فى الحقيقة سميات لأنكم تدعون الإلهية لها هو أبعد شئ منها وأشد منافاة لها.  
(سميتوها) أى سميّت بها. يقال سميت زيدا وسميته يزيد. (أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من  
سلطان) حجة (إن يبعون إلا الظن) ألا توهم أن ما هم عليه حق (وما تهوى الأنفس)  
وما تشتهى أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به.  
(٣) هى أم المنقطعة. ومعنى الهمة فيها الانتكار. أى ليس (للإنسان) يعنى الكافر (بما تمنى)  
من شفاعة الأصنام، أو من قوله (ولئن رجعت إلى ربى إنك لى عنده للسنن). وقيل هو محقق  
بعضهم أن يكون هو التى.

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿١١﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ﴿١٣﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿١٤﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَقْوَلِكِ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَبَّ يُرْدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿١٦﴾

(١١) أى هو مالهما وله الحكم لهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وأرضى لامن تمضى .

(١٢) يعنى أن أمر الشفاعة ضيق . فإت الملائكة مع قريتهم وكثرتهم لوشعوا بأجمعهم لأحد لم تن شفاعتهم شيئا قط ولا تنفع (إلا) إذا شفعا (من بعد أن يأذن الله) لهم فى الشفاعة (لمن يشاء) الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له . فكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم ؟

(١٣) أى (يسمون) كل واحد منهم (تسمية الأنثى) لأنهم إذا قالوا للملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الأنثى (وما لهم به من علم) أى بما يقولون . وقرئ (بها) أى بالملائكة والتسمية (إن يتيمون إلا الظن) هو تهليل الآباء (وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) أى إنهم يعرف الحق الذى هو حقيقة الشيء وما هو عليه ، بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم (فأعرض عن) رأيته معرضا عن ذكر الله أى القرآن .

(١٥) (ذلك) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم .

(١٦) أى (هو أعلم) بالفضائل والمهتدى وبمجازهما .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَعُوهَا بِمَا عَمِلُوا  
وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴿١٢﴾  
إِلَّا اللَّعْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ  
أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿١٣﴾

(١١) (ليجزى الذين أساءوا ب) عقاب (ما عملوا) من السوء . أو بسبب ما عملوا من السوء  
(ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالثبوت الحسنى وهي الجنة . أو بسبب الأعمال الحسنى . والمعنى  
أن الله عز وجل إنما خلق العالم وسوى هذه للملكوت ليجزى المحسن من المكلفين والمسلمين  
منهم . إذ الملك أهل لنصر الأولياء وقهر الأعداء .

(١٢) (الذين) بدل . أو في موضع رفع على المذبح . أى هم (الذين يجتنبون كبائر الإثم) أى  
الكبائر من الإثم لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر . والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها .  
(كبير) حمزة وعلى . أى النوع الكبير منه .

(١٣) ما غش من الكبائر . كأنه قال (والفواحش) منها خاصة . قيل الكبائر ما أوعده الله  
عليه النار . والفواحش ما شرع فيها الحد .

(١٤) أى (إلا الصغائر) والاستثناء مقطوع لأنه ليس من الكبائر والفواحش . وهو كالنظرة  
والقبلة واللغة والغمزة . (إك ربك واسع المغفرة) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة .

(١٥) (إذ أنشأكم) أى أباكم (من الأرض) إذ أتم أجنته (جمع جنين) (في بطون أمهاتكم)  
فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوا إلى زكاه العمل وزيادة الخير والطاعات أو إلى الزكاة والطهارة  
من المعاصي ولا تنشأوا عليها واحضموها . فقد علم الله الزكمتكم والتقى أولاً وأخيراً قبل أن يخرجكم  
من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم . وقيل كان ناس يعملون  
أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فزلت . وهنا إذا كان كل سبيل الإعجاب  
أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالعملة فإنه جائز . لأن المسيرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر  
(هو أعلم بمن اتقى) فاكفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس .

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ  
فَهُوَ بَرِئٌ ۚ أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُومِنٍ ۚ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۚ  
أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ وَأَنَّ سَعْيَهُ  
سَوْفَ يُرَىٰ ۚ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۚ وَأَنَّ إِلَكَ رَبِّكَ أَلْمَنُتَ ۚ

(١) (أفرايت الذي) أعرض عن الإيمان (وأعطى قليلا وأكدي) قطع عطيته وأسله  
إكداما لحافه. وهو أن تقناه كذبة وهي صلاة كالمصخرة فيمسك عن الحفر. عن ابن عباس رضي  
الله عنهما فيمن كفر بعد الإيمان. وقيل في الوليد بن المغيرة. وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فغيره بعض الكافرين، وقال له تركت دين الأشياخ وزعمت أنهم في النار. قال أتى خشيت مذاب  
الله. فضمن له، إن هو أعطاه شيئا من ماله ووجع إلى شركه، أن يتحمل عنه عذاب الله. ففعل  
وأعطى الذي مات به بعض ما كان ضمن له ثم يخل به ومنعه. (أعنده علم الغيب فهو يرى) فهو يعلم  
أَن ما ضمنه من مذاب الله حق؟ (أم لم ينبأ) يخبر (بما في صحف موسى) أي التوراة  
(وإبراهيم) أي وفي صحف (إبراهيم الذي وفى) أي وفى وأتم. كقوله (فاتمهن). وإطلاقه ليتناول  
كل وفاء وتوفية. وقرئ مخففا. والتشديد مبالغة في الوفاء. وعن الحسن ما أمره الله بشيء إلا وفى به.  
وعن عطاة بن السائب: عهد ألا يسأل مخلوقا. فلما أقذف في النار قال له جبريل ألك حاجة؟  
فقال أما إليك فلا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي عمله كل يوم أربع ركعات في صدر  
النهار وهي صلاة الضحى. وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله (الذي وفى)؟ كان يقول إذا  
أصبح وإذا أمسى (فسيحان الله حين تمسون) إلى (حين تظهرون). وقيل: وفي مهام  
الإسلام وهي ثلاثون: عشرة في التوبة (الثابتون) وعشرة في الأحزاب (إن المسلمين) وعشرة  
في المؤمنين (قد أطلع المؤمنين).

(٢) أعلم بما في صحف موسى وإبراهيم فقال: (ألا تزر وازرة وزر أخرى). (تزر) من  
وزر يزر إذا اكتسب وزرا وهو الإثم. و(أن) مخففة من الثقيلة. والمعنى أنه (لا تزر).  
والضمير ضمير الشأن. ومحل (أن) وما بعدها الجزأ بدلًا من (ما في صحف موسى) أو الرفع  
على هو (أن لا تزر) كأن قائلا قال وما في صحف موسى وإبراهيم؟ فقبيل (ألا تزر وازرة

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى <sup>(١)</sup> وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا <sup>(٢)</sup> وَأَنَّهُ خَلَقَ  
 الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى <sup>(٣)</sup> مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى <sup>(٤)</sup> وَأَنَّهُ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ  
 الْأُولَى <sup>(٥)</sup> وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى <sup>(٦)</sup> وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّرْعَى <sup>(٧)</sup>

وزر أخرى ( أى لا تحمل نفس ذنب نفس ) وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ) إلا سعيه . وهذه  
 أيضا مما في مصحف إبراهيم ودوسى . وأما ما صح في الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه  
 فقد قيل إن سعى غيره لم ينفعه إلا مبليا على سعى نفسه — وهو أن يكون مؤثما —  
 كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه . ولأن سعى غيره لا ينفعه إذا عمله  
 لنفسه . ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالتائب عنه والوكيل القائم مقامه . ( وأن سعيه  
 سوف يرى ) أى يرى هو سعيه يوم القيامة في ميزانه ( ثم يجزاه ) ثم يميز العبد سعيه — يقال  
 جزاه الله عمله وجزاه على عمله — بمحذف الجزاء وإيصال الفعل . ويجوز أن يكون الضمير للجزاء  
 ثم فسر بقوله ( الجزاء الأول ) أو أبدله عنه . ( وأنت إلى ربك المنتهى ) هذا كله في المصحف  
 الأول . والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء . أى ينتهى إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله  
 ( وإلى الله المصير ) .

(١) خلق الضحك والبكاء . وقيل خلق الفرح والحزن . وقيل ( أضحك ) المؤمنين في المعنى  
 بالمواهب ، وأبكاهم في الدنيا بالنوائب .

(٢) قيل ( أَمَات ) الآباء ، ( وأَحْيَا ) الأبناء . أو ( أَمَات ) بالكفر ( وأَحْيَا ) بالإيمان .  
 أو ( أَمَات ) هنا ( وأَحْيَا ) ثمة .

(٣) إِذَا تُمْنَى فى الرحم . يقال تَمْنَى وأمنى .

(٤) الإحياء بعد الموت .

(٥) وأعطى القينة . وهى المسال الذى تأتله وعزمت ألا تخرجه من يدك .

(٦) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر . وكانت خزاة تبديها . فأعلم الله أنه  
 ربّ معبودهم هذا .

وَأَنذَرْتُ أَهْلَكَ عَادًا أَلَوَّلَى (١) وَثَمُودًا فَا أَتْبَى (٢) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ  
إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ أَظْلَمَ وَأَطْفَى (٣) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٤) فَغَشَّاهَا  
مَا غَشَى (٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٦) هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ أَلَوَّلَى (٧)

(١) هم قوم هود . وعاد الأخرى لادم . (عاد الأولى) مدني وبصري غير سهل بادغام  
التونين في اللام وطرح همزة أولى ونقل فتحها إلى لام التعريف .

(٢) حمزة وحاصم . الباقون (وثمودًا) . وهو معطوف على (عادًا) . ولا ينصب بـ (فا أتبي)  
لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيذا فضربت . وكذا ما بعد النون لا يعمل فيما  
قبله . والمعنى وأهلك ثمود فبا إيقامهم .

(٣) أي (و) أهلك (قوم نوح من) قبل عاد وثمود (لأنهم كانوا هم أظلم وأطفى) من عاد وثمود  
لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك ، وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن  
يسمعوا منه .

(٤) والقرى التي انتفكت بأهلها — أي انقلبت . وهم قوم لوط . يقال أَفَكَ فَا فَفَكَ —  
(أهوى) أي رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أي أسقطها . (والمؤتفكة)  
مقصوب بـ (أهوى) .

(٥) ألبسها ما غشى) . تهويل وتعظيم لما صَبَّ عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر  
المنضود .

(٦) (فبأي آلاء ربك) أيها المخاطب (تتأري) تتشكك؟ بما أولاك من النعم؟ أو بما  
كفالك من العقاب؟ أو بأي نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك؟  
(٧) أي عهد منذر (من النذر الأولى) من المنذرين الأولين . وقال (الأولى) على تأويل  
الجماعة . أو (هذا) القرآن (نذير من النذر الأولى) أي إنذار من جنس الإنذارات (الأولى)  
التي أُنذِر بها من قبلكم .



أَزِفَتْ الْأَزِفَةُ <sup>(١)</sup> لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ <sup>(٢)</sup> أَقْبَنَ هَذَا الْخَبِيثِ  
تَعْجَبُونَ <sup>(٣)</sup> وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ <sup>(٤)</sup> وَأَنْتُمْ سَلَمْدُونَ <sup>(٥)</sup> فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ  
وَأَعْبُدُوا <sup>(٦)</sup>

(١) قربت الموصوفة بالقرب في قوله ( اقتربت الساعة ) .

(٢) أى ( ليس لها ) نفس كاشفة أى مينة متى تقوم . كقوله ( لا يعلمها لوقتها إلا هو )  
أو ( ليس لها ) نفس كاشفة أى قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى . فبرأته لا يكشفها .  
(٣) أى ( أفن ) القرآن ( تعجبون ) إنكاراً ( وتضحكون ) استهزاء ( ولا تبكون ) خشوعاً  
( وأنتم سامدون ) غافلون أو لاهون لاهيون . وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالفتاء ليشغلوا  
الناس عن استماعه .

(٤) أى ( فاسجدوا لله ) واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة . والله أعلم .

## سورة القمر مكية

وهي خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ ۖ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ <sup>(١)</sup> وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ <sup>(٢)</sup> وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَكُلُّ أُمْرٍ مُسْتَقَرٌّ <sup>(٣)</sup>

(١) قربت القيامة (وانشق) القمر نصفين. وقرئ (وقد انشق). أى (اقتربت الساعة) وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه . قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقى القمر . وقيل معناه ينشق يوم القيامة . واجمهور على الأكل وهو المروى فى الصحيحين . ولا يقال لو انشق لما خفى على أهل الأنظار . ولو ظهر عندهم لقلوه متوازا لأن الطباع جبلت على نشر العجائب . لأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيره .

(٢) (وان يروا) يعنى أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الإيمان به (ويقولوا سحر مستعتب) حكم قوئى من الميزة القوة . أو دائم مطرد . أو ما زاهب يزول ولا يبقى .

(٣) (وكذبوا) الذين صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره . (وكل أمر) وعلمهم الله (مستقر) كائن فى وقته . وقيل (كل) ما قدر واقع . وقيل (كل أمر) من أموره واقع (مستقر) أى سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب .

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآتِبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿١﴾ حَكْمَةً بَلِغَةً قَا نَغْنِ  
الْتَنْذُرِ ﴿٢﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرٍ ﴿٣﴾ خُشْعًا أَبْصَرَهُمْ  
يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٤﴾

(١) (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الآتباء) من الفرقان المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مردجر) ازدجار عن الكفر. تقول زجرته وازدجرته أى منعته وأصله ازيجر. ولكن التاء إذا وقعت بعد زاي ما كتبه أبدلت دالا. لأن التاء حرف مهموس، والزاي حرف مجهور. فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسباً. وهذا في آخر خطاب سيويده.

(٢) بدل من (ما) أو هل هو (حكمة).

(٣) نهاية الصواب أو (بالغة) من الله إليهم.

(٤) (ما) نقي. والندرج جمع تذر. وهم الرسل، أو المنتذبه. أو النذر، صدر بمعنى الإنذار (فتولوا عنهم) لعلك أت الانذار لا ينفى فيهم.

(٥) نصب (يوم) يخرجون أو بإضمار اذ كر. (الداعي) إلى الداعي) سهل ويعقوب ومكي فهما. وافق مدنى وأبو عمرو في الوصل. ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها. وحذف الواو من (يدعو) في الكتابة لمناجاة اللفظ. و (الداعي) إسرائيل عليه السلام.

(٦) مفكر فطبع تنكره النفوس لأنها لم تمهد بمثله. وهو هول يوم القيامة. (نكر) بالتخفيف مكي.

(٧) (خاشعا) عراقي - قير عاصم. وهو حال من الخارجين. وهو فعل للأبصار. وذكر كما تقول يخشع أبصارهم - غيرهم (خُشْعًا) على يخشعن أبصارهم. وهى لغة من يقول أكلوني البراغيث. ويجوز أن يكون في (خُشْعًا) ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه. وخشوع الأبصار كناية عن الذلة لأن ذلة الدليل وعزة المزب تظهران في صيغتهما.

(٨) (يخرجون) من القبور (كأنهم جراد منتشر) في كثرتهم وتفرقتهم في كل جهة. والجراد مثل في الكثرة والتفوق. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاوعا كالجراد.

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسْرٍ <sup>(٢)</sup> كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ  
 قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ <sup>(٣)</sup> فَقَدَا رَبُّهُ أَتَى مَغْلُوبٌ  
 فَانْتَصَرَ <sup>(٤)</sup> فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنِيرٍ <sup>(٥)</sup> وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ  
 عَيْبُونَ <sup>(٦)</sup> فَالتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ <sup>(٧)</sup>

(١) مسرعين ماذى أعناقهم إليه .

(٢) صعب شديد .

(٣) (كذبت) قيل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدا) نوحا عليه السلام . ومعنى  
 تكرار التكذيب أنهم كذبوه تكذبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه  
 قرن مكذب أو كذبت (قوم نوح) الرسل (فكذبوا عبدا) أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين  
 للنبوة وأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل .

(٤) أى هو (مجنون) . (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهتد بالقتل . أو هو من جملة  
 قيلهم . أى (قالوا) هو (مجنون) وقد ازدجرته الجن وتخبطنه وذهبت بلبه .

(٥) أى باقى (مغلوب) غلبني قومي فلم يسمعوا منى واستحك اليأس من إجابتهم لى  
 (فانتصر) فانتقم لى منهم بعذاب تبعته عليهم .

(٦) (فتفتحنا) شامى وزيد وسمل ويعقوب .

(٧) منصوب فى كثرة وتاج لم يتقطع أربعين يوما .

(٨) وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر . وهو أطلع من قولك وبجرتا عيون الأرض .

(٩) أى مياه السماء والأرض . وقرئ (الماءان) أى النوعان من الماء السماءى والأرضى .

(١٠) على حال قدرها الله كيف شاء . أو (على أمر قد قدر) فى اللوح المحفوظ أنه يكون . وهو  
 هلاك قوم نوح بالطوفان .

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ <sup>(١)</sup> تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا <sup>(٢)</sup> جَزَاءً لِّمَن كَانَ  
كُفِرٍ <sup>(٣)</sup> وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً <sup>(٤)</sup> فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ <sup>(٥)</sup> فَكَيْفَ كَانَ  
عَذَابِي <sup>(٦)</sup> وَنَذِيرٍ <sup>(٧)</sup> وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ <sup>(٨)</sup> فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ <sup>(٩)</sup>

(١) أراد السفينة . وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنبئ منها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها . ونحوه "ولكن ليصى مسرودة من حديد" أراد ولكن ليصى درع . ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح . وهذا من فصيح الكلام وبديعه . والدرس جمع دسار وهو المسار . فعال من دسره إذا دفعه لأنه يسر به مقده .

(٢) بمرأى منا أو بحفظنا . أو (بأعيننا) حال من الضمير فى (تجرى) أى محفوفة بنا .

(٣) (جزاء) مفعول له لما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده . أى فعلنا ذلك (جزاء لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام . وجعله مكفورا لأن النبى نعمة من الله ورحمة . قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فكان نوح نعمة مكفورة .

(٤) أى السفينة أو الفعلة . أى جعلناها (آية) يعتر بها . وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة . وقيل على الجودى دهرًا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة .

(٥) متعطف يتعطف ويعتبر . وأصله مذكر بالذال والتاء . ولكن التاء أبدلت منها بالال . والبال والذال من موضع . فادغمت الذال فى الدال .

(٦) جمع نذير وهو الإنذار . (ونذرى) يعقوب فيهما . واتفق سهل فى الوصل . غيرهما بغيره . وصل هذا الاختلاف ما بعده إلى آخر السورة .

(٧) مهلناه للآذكار والأتماظ بأن شحناه بالمواظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مذكر) متعطف يتعطف؟ وقيل ولقد مهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه . فهل من طالب لحفظه ليمان عليه ؟ وروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن .

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي <sup>(١)</sup> إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا  
 فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ <sup>(٢)</sup> تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ <sup>(٣)</sup>  
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي <sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ  
 مُدَكِّرٍ <sup>(٥)</sup> كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ <sup>(٦)</sup> فَقَالُوا ابْشِرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعْهُ <sup>(٧)</sup> إِنَّا  
 إِذَا لَنِي ضَلَّلٍ وَسُعُرٍ <sup>(٨)</sup> أَتَيْنَا الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ  
 أَشِرٌّ <sup>(٩)</sup> سَيَعْلَبُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ <sup>(١٠)</sup>

(١) أي وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله . أو وإنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم .

(٢) (إنا أرسلنا عليهم ريحاً) باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمع) دائم

الشّر . فقد استمر عليهم حتى أهلكهم . وكان في أر بعاء في آخر الشهر .

(٣) تعلمهم عن أماكنتهم وكانوا يصطفون أخذنا بعضهم بأيدي بعض ويتداخلون  
 في الشباب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتزعهم وتكهم وتدق رقابهم (كأنهم) حال  
 (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مفارسه . وشبهوا بأعجاز النخل لأن الرّيح كانت  
 تقطع رموسهم فتبقى أجسادا بلا رموس فينساقدون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال  
 (كأنهم أعجاز نخل) وهي أصولها بلا فروع . وذكر صفة (نخل) على اللفظ . ولو حملها على  
 المعنى لأنت كما قال (كأنهم أعجاز نخل خاوية) .

(٤) انتصب (بشرا) فعل يفسره (تتبعه) تقديره أتتبع بشرا متاً واحداً (إنا إذا لقي ضلال  
 وسعر) كان يقول إن لم يتبعوني كنتم في ضلال عن الحق (وسعر) ونيران . جمع سعي . فحسبوا  
 عليه فقالوا إن أتبعناك كنا إذا كما تقول . وقيل الضلال الخلل والبعد عن الصواب ، والسعر  
 الجنون . وقولهم (إبشرا) إنكار لأن يتبعوا مثلهم في الجلسية وطلبوا أن يكون من الملائكة  
 وقالوا (متاً) لأنه إذا كان منهم كانت المائلة أقوى . وقالوا (واحداً) إنكاراً لأن تتبع الأمة رجلاً  
 واحداً . أو أرادوا (واحداً) من أفتائهم ليس من أشرفهم وأفضلهم . ويدل عليه قوله (ألقى

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةَ فِتْنَةً لَّهُمْ فَأَرْتَبِهِمْ وَأَصْطَبِرُ<sup>(١)</sup> وَيَسْأَلُونَ أَن الْمَاءِ  
 قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ<sup>(٢)</sup> كُلِّ شَرِبٍ مَّحْتَضِرٍ<sup>(٣)</sup> فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ<sup>(٤)</sup>  
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي<sup>(٥)</sup> إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً  
 فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ<sup>(٥)</sup>

الذكر عليه من بيننا ) أى أنزل عليه الوحى من بيننا وفيما من هو أحق منه بالاختيار للنبوّة  
 ( بل هو كتاب أشر ) بطر متكبر حله بطره وطلبه التعلّم علينا على ادعاء ذلك . ( سيعلمون  
 خدا ) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ( من الكتاب الأشر ) أصالح أم من كذبه ؟ ( ستعلمون )  
 شائى وحمة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم . أو هو كلام الله على سبيل الالتفات .

(١) (إنا) باعثوها ومخرجوها من المضية كما سألوها (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء . وهو مفعول  
 له أحوال . ( فارتبهم ) فانتظرهم وتبصر ما هم صائرون ( واصطبر ) على أذاهم ولا تعجل حتى  
 يأتيك أمرى .

(٢) مقسوم بينهم لما شرب يوم ولم شرب يوم . وقال ( بينهم ) تظليا للمقلاء .

(٣) محضور يحضر القوم الشرب يوما ومحضر النافعة يوما .

(٤) ( فتادوا ) فنادوا بن سالف أحييم نمود ( فتعاطى ) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم  
 ذير مكترث له ( ففقر ) النافعة . أو فتعاطى النافعة ففقرها . أو فتعاطى السيف . وإنما قال ( ففقروا  
 النافعة ) فى آية أخرى لرضاهم به . أو لأنه عقر بموتهم .

(٥) ( إنا أرسلنا عليهم ) فى اليوم الرابع من عقرها ( صيحة واحدة ) صاح بهم جبريل عليه  
 السلام ( فكانوا كهشيم المحتظر ) . والحشيم الشجر اليابس المتهمم المتكسر . و ( المحتظر ) الذى  
 يعمل الحظيرة . وما يحظر به يهيم بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيصطلم ويتهمم . وقرأ  
 الحسن بفتح الطاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة .

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ  
 بِالْمَلِكِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣﴾  
 نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا  
 بِالنَّذْرِ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ رَوْدُوهُ عَنْ ضَيْقِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِ  
 وَثْنٍ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٧﴾ فَذُوقُوا عَذَابِ وَثْنٍ ﴿٨﴾  
 وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾

(١) يَسَّرْنَا (أرسلنا) على قوم لوط (حاصباً) ربما تعصبهم بالحجارة أى ترميهم (الآل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) من الأحجار . ولذا صرفه . ويقال لقبيته بسحر إذا لقبته في سحر يومه . وقيل هما سحران . فالسحر الأعلى قبل انبصاع الفجر . والآخر عند انبصاعه .  
 (٢) (نعمة) مفعول له أى إنعاماً (من عندنا كذلك نجزي من شكر) نعمة الله بإيمانه وطاعته .

(٣) (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتأروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين .

(٤) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميتهم . وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق . روى أنهم لما عابوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلّوهم يدخلوا (إنا أرسل ربك أن يصلوا إليك) فصفقهم جبريل عليه السلام بحماحه صفقة قرحهم يترددون ولا يبتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط .

(٥) (ذ) قلت لهم حلّ أسنة الملائكة (فوقوا عذاباً ونذر) ولقد صبحهم بكرة (أول النهار) عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم إلى أن يقضى بهم إلى عذاب الآخرة .

وفائدة تكرار (فذوقوا عذاباً ونذر) ولقد يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (أن يجددوا عند استماع كل نيا من أنباء الأولين إذ كانوا وأتباعاً وأن يستأنفوا تنبأ واستيقظوا إذا سمعوا



وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ الْاُنْدُرُ (١) كَذِبُوا بِتَايِنَتِنَا كَيْهًا فَاَخَذْنَاهُمْ اَخَذَ  
عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٢) اَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ اَوْلِيكُمْ اَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٣)  
اَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ (٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٥)  
بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ اَذْهَى (٦) وَاَمْرُ (٧)

الحث على ذلك والحث عليه . وهذا حكم التكرير في قوله (فياى آلاء ربكنا نكذبنا) عند  
كل نعمة مدها ، وقوله (ويل يومئذ للكذابين) عند كل آية اوردتها . وكذلك تكرر  
الانبياء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان ، مذكرة  
غير ملسية في كل اوان .

(١) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء . او هو جمع نذير وهو الإنذار .

(٢) (كذبوا) بالآيات التسع (فاخذناهم اخذ عزيز لا يغال) (مقتدر) لا يهزمه شيء .

(٣) (اكفاركم) يا اهل مكة (خير من اولئك) الكفار الممدودين قوم نوح وهود وصالح  
ولوط وآل فرعون . أى خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا ؟ أو أقل كفرا وعنادا ؟ بئى  
اقل كفاركم مثل اولئك بل شر منهم .

(٤) (ام) انزلت عليكم يا اهل مكة (براة) في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب  
الرسول كان آمنا من عذاب الله فامتنع بترك البراة ؟

(٥) (نحن جميع) - جماعة امرنا مجتمع - (منتصر) ممنوع لارام ولا نضام .

(٦) (سيهزم) جمع اهل مكة (ويولون الدبر) أى الأدبار كما قال ■ كلوا في بعض  
بطونكم تمقوا ■ أى ينصرفون منهزمين . بئى يوم بدر . وهذه من علامات النبوة .

(٧) موعد طناهم بعد بدر .

(٨) أشد من موقف بدر . والداية الأمر المنكر الذى لا يعتدى لهوائه .

(٩) (وامر) مذاقا من عذاب الدنيا واشد . من المزة .

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَعِيرٍ ﴿١١﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿١٢﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٣﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدْرِكٍ ﴿١٥﴾

(١١) (إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَعِيرٍ) عن الحق في الدنيا (وسعر) ويران في الآخرة. أو في هلاك ويران (يوم يسحبون في النار) يحترقون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقولك وجد مس الحتى وذاق طعم الضرب . لأن النار إذا أصابتهم يحترقها فكانت تمسهم مساً بذلك . و (سقر) غير منصرف للتأنيث والتعريف لأنها علم لجنهم من سقرته النار إذا لوتحت .

(١٢) (كَلَمْحٍ) منصوب بفعل مضمر يفترسه الظاهر . وقرئ بالرفع شاذاً . والنصب أولى لأنه لو رفع لأمكن أن يكون (خلقناه) في موضع الجزر وصفاً لشيء ويكون الخبر (بقدر) وتقديره (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا لَنَا كَلَمًا) (بقدر) . ويحتمل أن يكون (خلقناه) هو الخبر وتقديره (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا لَنَا) (بقدر) . فلبا تردد الأمر في الرفع عدل إلى النصب . وتقديره إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ . فيكون الخلق عاتاً لكل شيء وهو المراد بالآية . ولا يجوز في النصب أن يكون (خلقناه) صفة لشيء لأنه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف . والقدر والقدر التقدير . أى بتقدير سابق . أو خلقنا كل شيء مقدرًا محكما مرتبًا على حسب ما اقتضته الحكمة . أو مقدرًا مكتوبًا في اللوح معلوماً قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه . قال أبو هريرة جاء مشركو قریش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاضعون في القدر . فزلت الآية . وكان عمر يحلف أنها زلت في القدرية .

(١٣) (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ) أى (وَمَا أَمْرُنَا) لشيء يزيد تكوينه إلا أن نقول له كن فيكون (كلمة بالبصر) على قدر ما يباح أحدكم يبصره . وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ) .

(١٤) (ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم) فهل من مدرك متعظ ؟

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿١١﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَعْتَرٍ ﴿١٢﴾ إِنَّ  
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿١٣﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿١٤﴾

(١١) (فعلوه) أى أولئك الكفار . أى (وكل شيء) المفعول لم ثابت (في الزبر) في دواوين  
الحفظة : ففعلوه في موضع جزئت لشيء . و (في الزبر) خبر لكل . (وكل صغير وكبير) من  
الأعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور في اللوح .

(١٢) وأنهار . اكتفى باسم المجلس . وقيل هو السمة والضياء . ومنه النهار .

(١٣) في مكان مرضى . (عند ملك) عندية منزلة وكرامة لامسافة ومحاسة ، (مقتدر)  
قادر . وفائدة التكرار فيهما أن يعلم أن لا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدره . وهو على كل  
شيء قدير .

## سورة الرحمن جلّ وعلا مدنية

وهي ست وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَيْهِ الْبَيَانُ ۝<sup>(١)</sup>  
 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝<sup>(٢)</sup>

(١) (خالق الإنسان) أى المجلس أو آدم أو محمد عليهما السلام .

مدد الله عز وجل آلاءه، فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه  
 وصنوف نعمائه وهي نعمة الدين، فقدم من نعمة الدين ما هو ستام في أعلى مراتبها وأقصى مراقبها .  
 وهو إنعامه بالقرآن وتزيله وتعليمه لأنه أعظم وحى الله رتبة ، وأعلاه منزلة ، وأحسنه  
 في أبواب الدين أثرا . وهو ستام الكتب السماوية ومصادقها ، والبيان عليها . وأثر ذكر  
 خلق الإنسان عن ذكره . ثم أتبعه بإياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين ، وليحيط علما بوجبه  
 وكتبه . وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه . ثم ذكر ما يميزه من سائر الحيوان من  
 البيان . وهو المنطق الفصيح العرب حتما في الضمير . و (الرحمن) مبتدأ . وهذه الأفعال  
 مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمحيثها على نمط التعديد . كما تقول  
 زيد أغناك بعد فقر ، أعزك بعد ذل ، كثرك بعد قلّة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد .  
 فما تنكر من إحسانه ؟

(٢) (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجران في بروجهما ومنازلهما . وفي ذلك  
 منافع للناس . منها علم السنين والحساب . (والنجم) النبات الذى ينجم من الأرض لا ساق له  
 كالبقول (والشجر) الذى له ساق — وقيل النجم نجوم السماء — (يسجدان) يتفادان لله تعالى

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ <sup>(١١)</sup> ۖ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ <sup>(١٢)</sup> ۖ وَأَقِيمُوا  
الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ <sup>(١٣)</sup> ۖ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْثَامِ <sup>(١٤)</sup>

فما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين في اتقياده . واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل  
المعنوي لما علم أن الحسيان حسبانته . والسجود له لا لغيره ، كأنه قيل ( الشمس والقمر )  
بحسبانته ، ( والنجم والشجر يسجدان ) له . ولم يذكر العاطف في الجمل الأولى ثم جاء به بعد ،  
لأن الأولى وردت على سبيل التمهيد تبيكنا لمن أنكر آلاؤه كما يبيك منكر إياي النعم عليه  
من الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور . ثم ردت الكلام إلى منهاجه بعد التبيك في وصل  
ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالمعطف . وبين التناسب أن الشمس والقمر سماويان ،  
والنجم والشجر أرضيان . فبين الثقلين تناسب من حيث التقابل . وإن السماء والأرض  
لا تزالان تذكران قرينتين . وإن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الاتقياد لأمر الله .  
فهو مناسب لسجود النجم والشجر .

<sup>(١١)</sup> خلفها مرفوعة مسموكة حيث جعلها مفتأ أحكامه ، ومصدر قضايه ، وممكن  
ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه . وثبه بذلك على كبرياه شأنه وملكه وسلطانه .

<sup>(١٢)</sup> أى كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وفرسطن ومكيل  
ومقياس . أى خلقه موضوعا على الأرض حيث خلق به أحكام عباده من التسوية والتعديل  
في أخذهم وإعطائهم .

<sup>(١٣)</sup> لا (ألا تظفوا) . أو هي ( أن ) المفسرة . ( وأقيموا الوزن بالقسط ) وقوموا وزنكم  
بالعدل ( ولا تخسروا الميزان ) ولا تنقصوه . أمر بالتسوية ونهى عن الظفان الذى هو اعتداء  
وزيادة ، وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان . وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به  
وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه .

<sup>(١٤)</sup> خفضها مدحوة على الماء (لأنثام) لخلق ، وهو كل ما على ظهر الأرض من  
دابة . وعن الحسن الإنسان والجن . فهى كالمهاد لم يتصرفون فوقها .

فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ﴿١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ  
وَالرِّيحَانُ ﴿٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ  
مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿٥﴾  
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿٧﴾

(١) فيها ضرب مما يتفكه به (والنخل ذات الأكام) هي أوعية الثمر، الواحد كيم يكسر الكاف . أو كل ما يكتم أى يغفل من ليفه وسفحه وكفره . وكله متنع به كما يشفع بالمكوم من ثمره وجماره وجذوه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب . أراد (فيها) ما يتلذذ به من الفواكه ، والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل ، وما يتغذى به وهو الحب . (والريحان) بالجر حزة وعلى أى (والحب ذو العصف) الذى هو علف الأنعام ، (والريحان) الذى هو مطعم الأنعام . والرفع على (و) ذو (الريحان) لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . وقيل معناه (و) فيها (الريحان) الذى يشتم (والحب ذو العصف والريحان) شامى أى خلق الحب والريحان . أو وأخص الحب والريحان.

(٢) أى التمسحاً بعدد من أوّل السورة . جمع ألى وألى .

(٣) الخطاب للثقلين بدلالة الأنعام عليهما .

(٤) (من) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أى الطين المطبوخ بالنار . وهو الخرف . ولاختلاف فى هذا وفى قوله (من حمأ مسنون . من طين لازب . من تراب) لاتفاقها معنى . لأنه يفيد أنه خلقه من تراب ثم جمعه طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصلاً .

(٥) (وخلق) أى بالحق - قيل هو إبليس - (من مارج) - هو اللهب الصافي الذى لا دخان فيه . وقيل المختلط بسواد النار . من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط - (من نار) هو بيلسان المارج كأنه قيل من صاف (من نار) أو مختلط (من نار) أو أراد (من نار) خصوصاً كقوله (فأنذرتكم نارا غطى) .

(٦) أراد مشرق الشمس فى الصيف والشتاء ومغربهما .

فَيَأْتِي ۚ آءِآءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿٢﴾ بَيْنَهُمَا  
 بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٣﴾ فَيَأْتِي ۚ آءِآءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا  
 الطُّلُوءَ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥﴾ فَيَأْتِي ۚ آءِآءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ  
 الْمُنَشَّاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٧﴾ فَيَأْتِي ۚ آءِآءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾  
 كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٩﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٠﴾

(١) أى أرسل البحر المالح والبحر العذب متجاورين متلاقين لا فصل بين المسابغ

في مرأى العين .

(٢) حاجز من قدرة الله تعالى .

(٣) لا يتجاوزان حدسهما ولا يبنى أحدهما على الآخر بالمجازة .

(٤) (يُخْرِجُ) مَدَقٌ وَبَصَرٌ .

(٥) (الطُّلُوءُ) بلاهزم، أي وبروز، وهو كبار الدر (والمرجان) صغاره . وأما قال منهما  
 وهما يخرجان من الملح، لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما،  
 كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر، ولكن من بعضه . وتقول خرجت  
 من البلد، وأما خرجت من محلة من محله . وقيل لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب .  
 (٦) ولله (الجوار) السفن . جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء . والاختيار وصلها  
 وإن وقف عليها واقف بغير ياء فذا جائز على بعد . ولكن يروى الكسر في الراء ليدل على حذف الياء  
 (٧) المرفوعات الشُّرْعُ . (المنشآت) بكسر الشين ، حمزة ويحى ، الرافعات الشُّرْعُ .  
 أو اللاتي يشتن الأمواج بحرين .

(٨) جمع طم . وهو الجليل الطويل .

(٩) (كُلُّ مَنْ) على الأرض (فان) ويبقى وجهه وبك) ذاته (ذو الجلال) ذو العظمة  
 والسلطان — وهو صفة الوجه — (والإكرام) بالتجاوز والإحسان . وهذه الصفة من عظيم  
 صفات الله . وفي الحديث " أنظروا بيانا للجلال والإكرام " وروى أنه طيه السلام من رجل  
 وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والإكرام فقال " قد استجيب لك " .

فَبَيَّـٰتٍ ۖ ءَايَـٰتُ رَبِّكَ تُكَذِّبُـٰنِ ﴿١١﴾ ۖ يَسْـَٔلُهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٢﴾  
كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿١٣﴾

(١١) النعمة في القناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون إلى النعيم السرمد . وقال يحيى بن معاذ "حبنا الموت فهو الذي يقرب الحبيب إلى الحبيب" .

(١٢) وقف عليها نافع . كل من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم ، وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم .

(١٣) (كل) يتصعب ظرفا بما دل عليه (هو في شأن) أى كل وقت وحين يحدث أموراً ويحدث أحوالا . كما روى أنه عليه السلام تلاها فقبل له وما ذلك الشأن؟ فقال "من شأنه أن يفر ذنبا، ويفترج كروبا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين" . وعن ابن عينة "البحر عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا . فشأنه فيه الأمر والنهى ، والإحياء والإماتة ، والإعطاء والمنع . والآخر يوم القيامة . فشأنه فيه الجزاء والحساب" . وقيل نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شأنا . وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستعمله إلى الغد . وذهب كثيرون يفكر فيها . فقال غلام له أسود : يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى . فأخبره . فقال أنا أفسرها لذلك . فأعلمه . فقال "أيها الملك شأن الله أنه يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، ويخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويشفى مرقيا ، ويسقم سليما ، ويتلى معاف ، ويماف مبتلى ، ويمز ذليلا ، وينزل عززا ، ويفقر غنيا ، ويفنى قدرا" . فقال الأمير "أحسنست" وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة . فقال "يا مولاي هنا من شأن الله" . وقيل سوق المقادير إلى المواقيت . وقيل إن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له "أشكلك على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى : قوله (فأصبح من التاديين) وقد صحح أن الندم توبة ، وقوله (كل يوم هو في شأن) وقد صحح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وقوله (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فما بال الأضعاف؟" فقال الحسين يجوز ألا يكون الندم توبة في تلك الأمة . وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله . وكنا قيل (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) مخصوص بقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام . وأما قوله (كل يوم هو في شأن) فلأنها شؤون يبدئها لا شؤون يتلها . فقام عبد الله وقيل رأسه وسقخ خراجها .



فَيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾ سَنَفُخُ لَكَ ءَابَهُ الثَّقَلَانِ ﴿٢﴾ فَيَايَ  
 ءَالَاءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣﴾ يَسْمَعَشَرَ اِلْحِينَ وَالْاِنْسَ اِنْ اَسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوا  
 مِنْ اَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ اِلَّا بِسُلْطٰنٍ ﴿٤﴾ فَيَايَ  
 ءَالَاءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥﴾ يَرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِءَ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٦﴾

(١) مستعار من قول الرجل لمن يتهذهه سأفزع لك يريد سأمجود للإيقاع بك من كل ما يشغلي عنه . والمراد التوفيق على النكاية فيه ، والانتقام منه . ويموز أن يراد سنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله ( كل يوم هو في شأن ) فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم بفعل ذلك فراءءا لهم على طريق المثل . ( سيفرخ ) حمزة وعلى .  
 أى الله تعالى .

(٢) الإنس والجن . متبيا بذلك لأتتهما ثقلا الأرض .

(٣) هو كالتريجة لقوله ( أيها الثقلان ) .

(٤) أى إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هربا من قضائى فاجرجوا . ثم قال ( لا تنفذون ) لا تقدرون على النفوذ ( إلا بسُلطان ) بقوة وقهر وغلبة .  
 وأتى لكم ذلك ؟ وقيل دلم على المعجز عن قوتهم للحساب غدا بالمعجز عن نفوذ الأقطار اليوم .  
 وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحقد بهم الملائكة . فإذا وآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهها إلا وجدوا الملائكة احتاطت به .

٥ ( شواط ) بكسر الشين مكى . وكلاهما اللهب الخالص . ( ونحاس ) أى دخان . ( ونحاس ) مكى وأبو عمرو . فالزق عطف على ( شواط ) . والجن على ( نار ) . والمعنى إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكم لهب خالص من النار ودخان يسوقكم إلى العشر ( فلا تنتصران ) فلا تنتمان منهما .

فَيَأِيَّاءُ الْآءِ رَيْكَا تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً  
كَالدِّهَانِ ﴿٢﴾ فَيَأِيَّاءُ الْآءِ رَيْكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ  
ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٤﴾ فَيَأِيَّاءُ الْآءِ رَيْكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥﴾ يُعْرِفُ  
الْمُجْرِمُونَ ﴿٦﴾ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٧﴾ فَيَأِيَّاءُ الْآءِ رَيْكَا  
تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾ هَلْ يَنْصَرِفُ عَنْهُمْ أَلْفَى يُكَذِّبُهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩﴾ يَطُوفُونَ  
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿١٠﴾ فَيَأِيَّاءُ الْآءِ رَيْكَا تُكَذِّبَانِ ﴿١١﴾

(١) (إذا) افلكت بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الأحمر - وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء - (كالدّهان) كدهن الزيت - كما قال (كالمهل) وهو دردي الزيت . وهو جمع دهن . وقيل (الدّهان) الأديم الأحمر - فيوم تشق السماء (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جاك) أى ولا جئ . فوضع الجاك الذى هو أبو الجئ موضع الجئ كما يقال هاشم ويراد ولده . والتقدير لا يسأل إنس ولا جاك عن ذنبه . والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله (فوركك للسائلهم أجمعين) وقوله (وقفوهم لهم مسؤولون) أن ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولايسألون في آخر . وقال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . وقيل (لا يسأل عن ذنبه) ليعلم من جهته ، ولكن يسأل للتوبيخ .

(٢) بسواد وجوههم وذرقة عيونهم .

(٣) أى يؤخذ تارة بالنواصي وتارة بالأقدام .

(٤) ماء حار قد انتهى حره . أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم .

(٥) النعمة في هذا نجاة التابعى منه بفضلها ورحمته ، وما في الإنذار به من التنبيه .

وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿١١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٢﴾  
 ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿١٥﴾  
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فاكهةٍ زُوجَانِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ  
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴿١٩﴾  
 وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٢٠﴾

(١١) ولَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ فترك الماعى أو فادى الفرائض (جنتان) جنة الإبر وجنة  
 الجنة لأن الخطاب للقلوب وكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخالق الإنسى وجنة  
 للخالق الجنى . (مقام ربّه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة . وقيل  
 هو مقعهم كقوله "وقيت عنه مقام الذنب" أى نفيت عنه الذنب .

(٢١) أخصان . جمع فن . وخص الأفنان لأنها هى التى تروق وتقر . فنها تمتد الظلال ،  
 ومنها تجتنى الثمار . أو ألوان . جمع فن . أى له فيها ما تشهى الأنفس وتلذ الأعين . قال :  
 ومن كل أفنان اللذاعة والصبا • لحوت به والميش أخضر ناضر

(٢٢) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاموا فى الأعلى والأسافل . ومن الحسن  
 تجريان بالساء الزلال إحداهما التسليم والأخرى الساسيل .

(٢٣) صنفان صنف معروف وصنف غريب .

(٢٤) متكبرين ) — نصب على المدح للخالقين أو حال منهم لأن (من خاف) فى معنى  
 الجمع — (على فرش) جمع فراش (بطائنها) — جمع بطانة — (من إستبرق) ديباج ثخين  
 وهو معزب . قيل ظنّها ثراها من سندس وقيل لا يعلها إلا الله .

(٢٥) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكى .

فِي أَيِّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ فَيَبْنَ قَنَصَرْتُ الْطَّرْفَ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ  
وَلَا جَانٌ ۖ (١٦) فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۖ (١٧)  
فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۖ (١٨)  
فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ  
تُكْذِبَانِ ۖ مُدْهَاتَانِ ۖ فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ فِيهِمَا عَيْنَانِ  
نَضَّاخَتَانِ ۖ فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ فِيهِمَا فَنَكُهُتٌ وَنَحْلٌ وَرُمَانٌ ۖ (١٩)  
فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ فَيَبْنَ خَيْرُتٌ حَسَنٌ ۖ فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ  
تُكْذِبَانِ ۖ حُورٌ مَقْصُورَتٌ فِي الْغِيَامِ ۖ فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ (٢٠)  
لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۖ فَيَأَيَّ ءَالَةٍ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ۖ

(١٦) في الجنتين — لاشتمالها على أماكن وقصور ومجالس . أو في هذه الآلاء المعدودة  
من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى — (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن  
على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم .

(١٧) (لم يطمئنن) — بكسر الميم الدورية . وعلى بضم الميم . والطمئت الجماع بالندمية —  
(إنس قبلهم ولا جانت) . وهذا دليل على أن الجن يطمئون كما يطمئ الإنسان .

(١٨) (كأنهنّ الياقوت والمرجان) بياضا . فهو أبيض من اللؤلؤ .

(١٩) (هل جزاء الإحسان) في العمل (إلا الإحسان) في الثواب . وقيل ما جزاء من قال  
لا إله إلا الله إلا الجنة . وعن إبراهيم النخعي أنه : هل جزاء الإسلام ، إلا دار السلام .

(٢٠) (ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للقرين ، (جنتان) لمن دونهم من أصحاب  
اليمين (مدهماتان) سوداوان من شدة الخضرة . قال الخليل الدهمة السواد . (فيهما عينان

مُسْكِينٍ عَلَى رَقَرِفٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيَّ حِسَانٍ ﴿١١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٢﴾ تَبَرَّكَ أَمِّمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٣﴾

نَضَاحَتَانِ (فَوَارَتَانِ) بِالماءِ لَا تَنْقَطِعَانِ . ( فِيمَا فَآكِهَةٌ ) أَلْوَانُ الْفَوَاكِهَةِ ( وَنَجَلٍ وَرِيثَانِ ) .  
وَالرِّثَانُ وَالرِّثَالِيسَا مِنَ الْفَوَاكِهَةِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِلْعُطْفِ ، وَلَأَنَّ الْقَرَفَ فَآكِهَةٌ  
وَعُذَاءٌ ، وَالرِّثَانُ فَآكِهَةٌ وَدَوَاءٌ . فَلَمْ يَخْلُصَا لِلتَّفَكُّهِ . وَهَذَا قَالَا إِنَّمَا عَطَفَا عَلَى الْفَاكِهَةِ لِتَضَامُهَا  
كَأَنَّهُمَا جَسَدَانِ أَحْرَانِ لِمَا لَهَا مِنَ الْمِزْيَةِ كَقَوْلِهِ ( وَجَبْرِيلُ وَمِيكَالُ ) . ( فَبَيْنَ خَيْرَاتِ حِسَانِ )  
أَيِ خَيْرَاتِ نَخَفَتِ . وَقَرِئَ ( خَيْرَاتِ ) عَلَى الْأَصْلِ . وَالْمَعْنَى فَاضِلَاتِ الْأَخْلَاقِ حِسَانُ الْخَلْقِ  
( حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْغِيَامِ ) أَيِ مَخْتَلَرَاتٍ — يُقَالُ امْرَأَةٌ قَصِيرَةٌ وَمَقْصُورَةٌ أَيْ مُخْذَرَةٌ .  
قِيلَ الْغِيَامُ مِنَ الدَّرِّ الْمَخْوْفِ — ( لَمْ يَطْمَئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ) قَبْلَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ . وَلَوْلَا عَلِيمٌ  
ذَكَرَ الْجَنَّةِ .

﴿١١﴾ ( مُسْكِينٍ ) — نَصَبٌ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ — ( عَلَى رَقَرِفٍ ) — هُوَ كُلُّ ثَوْبٍ مَرِيضٍ .  
وَقِيلَ الْوَسَائِدُ — ( خُضِرَ وَعَبْقَرِيَّ حِسَانِ ) دِيْبَاجٌ أَوْ طَنَافِيسٌ .

وَأَمَّا تَقَاصُرُ صِفَاتِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَنِ الْأَوَّلَيْنِ حَتَّى قِيلَ ( وَبَيْنَ دُونَهُمَا ) ، لَأَنَّ  
( مَدَاهَاتِنِ ) دُونَ ( ذَوَاتِنَا ) ، وَ ( نَضَاحَتَانِ ) دُونَ ( تَجْرِيرَانِ ) ، وَ ( فَآكِهَةٌ ) دُونَ  
( كُلِّ فَآكِهَةٍ ) . وَكَذَلِكَ صِفَةُ الْحُورِ وَالْمُسْكَا .

﴿١٢﴾ ( ذِي الْعِظَمَةِ ) — ( ذُو الْجَلَالِ ) شَائِعٌ صِفَةٌ لِلْإِمَامِ — ( وَالْإِكْرَامِ ) لِأَوَّلِيَّائِهِ بِالْإِيمَانِ .  
رَوَى جَابِرُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ سُورَةَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكُمْ سَاكِنِينَ ؟ أَلَيْسَ  
كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رِقْدًا . مَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ ( فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ) إِلَّا قَالُوا لَا وَلَا  
بَشَىءٌ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ . فَلَمَّا الْحَمْدُ ، وَلَكَ الشُّكْرُ . وَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ  
أَحَدِي وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ذَكَرَ ثَمَانِيَةَ مِنْهَا عَقِبَ آيَاتٍ فِيهَا تَعْدَادُ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ وَبَدَائِعِ صُنْعِهِ  
وَمَبْدَأِ الْخَلْقِ وَمَعَادِهِمْ ، ثُمَّ سَبْعَةَ مِنْهَا عَقِبَ آيَاتٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ وَشِدَائِهَا عَلَى عِدَدِ أَبْوَابِ  
جَهَنَّمَ ، وَبَعْدَ هَذِهِ السَّبْعَةِ ثَمَانِيَةَ فِي وَصْفِ الْجَنَّتَيْنِ وَأَهْلِهِمَا عَلَى عِدَدِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَثَمَانِيَةَ  
أُخْرَى بَعْدَهَا لِلْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ دُونَهُمَا . فَمَنْ اعْتَقَدَ الثَّمَانِيَةَ الْأُولَى وَعَمِلَ بِمُوجِبِهَا فَتَحَّتْ لَهُ أَبْوَابُ  
الْجَنَّةِ وَأُفْلَتْ عَنْهُ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ . فَمَوْذُوقٌ لِلَّهِ مِنْهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

## سورة الواقعة مدنية

وهي سبع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِمَنْ لَوْقَعَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾  
إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾

(١) إذا قامت القيامة. وقيل وصفت بالوقوع لأنها تقع لاحالة. فكأنه قيل: إذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها. ووقوع الأمر نزوله. يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله. وانتصاب (إذا) باضمار اذكر.

(٢) نفس كاذبة. أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة. وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات. واللام مثلها في قوله تعالى (يا ليتى قدمت لحياتى).

(٣) أى هي (خافضة رافعة) ترفع أقواما وتضع آخرين.

(٤) حركت تحريكا شديدا حتى يهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء. وهو بدل من (إذا وقعت). ويحوز أن ينتصب بـ (خافضة رافعة). أى تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال.

(٥) وقعت حتى تمود كالسويق. أو سبقت. من بس الغم إذا ساقها كقوله (وسيرت الجبال).

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ  
 مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ<sup>(١)</sup> مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ<sup>(٢)</sup> ۖ  
 وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ  
 ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ۖ وَقِيلَ لِمَنِ<sup>(٣)</sup> الْأَخِيرِينَ<sup>(٤)</sup> ۖ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ<sup>(٥)</sup> ۖ

(١) ( فكانت ) خبرا متفوقا ( وكنتم أزواجا ) أصنافا — يقال للأصناف التي بعضها من بعض أويذكر بعضها مع بعض، أزواج — ( ثلاثة ) صنفان في الجنة وصنف في النار . ثم قسّر الأزواج فقال ( فأصحاب الميمنة ) — مبتدأ . وهم الذين يؤتون محافضهم بأيامهم — ( ما أصحاب الميمنة ) مبتدأ وخبر . وهما خبر المبتدأ الأول . وهو تعجب من حالهم في السعادة ، وتعظيم لشأنهم . كأنه قال ما هم وأى شيء هم ؟ ( وأصحاب المشأمة ) أى الذين يؤتون محافضهم بشألتهم . أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة . من قولك فلان متى باليمن وفلان متى بالشمال إذا وصفتما بالرفعة عندك والضعفة . وذلك لتيمنهم باليمن وتشأؤهم بالشمال . وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمن وبأهل النار ذات الشمال .

(٢) أى أى شيء هم ؟ وهو تعجب من حالهم بالشقاء .

(٣) ( والسابقون ) — مبتدأ — ( السابقون ) خبره . تقديره ( السابقون ) إلى الخيرات ( السابقون ) إلى الخلتات . وقيل الثانى تأكيد للأول . والخبر ( أولئك المقربون ) والأول أوجه .

(٤) أى هم ( فى جنات النعيم ) .

(٥) أى هم ( ثلّة ) . والثلّة الأئمة من الناس الكثيرة . والمعنى إن السابقين كثير ( من الأولين ) وهم الأمم من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهما السلام ( وقيل من الآخرين ) وهم أئمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل ( من الأولين ) من متقدّمى هذه الأئمة ، و ( من الآخرين ) من متأخريها . وعن النبي صلى الله عليه وسلم " اللتان جميعا من أمتي " .

(٦) جمع سرير ككتيب وكتب .

(٧) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت .

مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ<sup>(١١)</sup> يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ<sup>(١٢)</sup>  
 بِأُكُوفٍ وَأُبَارِقٍ<sup>(١٣)</sup> وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ<sup>(١٤)</sup> لَا يَصَدُّعُونَ فِيهَا<sup>(١٥)</sup>  
 وَلَا يُتْرَفُونَ<sup>(١٦)</sup> وَفَلَكِهِم مَّا يَتَخَوَّرونَ<sup>(١٧)</sup> وَلَهُمْ فِيهَا مِن مَّا يُشْتَهَوْنَ<sup>(١٨)</sup>

(١١) متكبين حال من الضمير في (علي) وهو العامل فيها . أى استقروا عليها . متكبين عليها متقابلين ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في أفقاء بعض . وصفوا بحسن المشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء المودة . و (متقابلين) حال أيضا :

(١٢) يخدمهم (ولدان) غلمان — جمع وليد — (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه . وقيل مقزطون . والخلكة القرط . قيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها . وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة .

(١٣) جمع كوب . وهى آنية لا عروة لها ولا خرطوم .

(١٤) جمع إبريق . وهو ما له خرطوم وعروة .

(١٥) وقح فيه شراب . وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس .

(١٦) من نحر تيمرى من العيون .

(١٧) أى يسبها . وحقيقته لا يصدر صدايحهم منها . أو لا يترفون منها .

(١٨) (ولا يترفون) ولا يسكرون . تُرِفَ الرجل ذهب عقله بالسكر . (ولا يترفون) يكسر التزاي كوفي أى لا ينفذ شرابهم . يقال أترف القوم إذا قنى شرابهم .

(١٩) يأخذون خيره وأفضله .

(١٠٠) يمتنون .



وَحُورٌ عِينٌ ﴿١١﴾ كَأَمْثَلِ الثَّوَالِي الْمَكْنُونِ ﴿١٢﴾ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿١٤﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا  
سَلَامًا ﴿١٥﴾ وَاصْحَبُ الْيَمِينِ مَا اصْحَبُ الْيَمِينِ ﴿١٦﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿١٧﴾  
وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿١٨﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿١٩﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٢٠﴾

(١١) (و حور) جمع حوراء (عين) جمع عينا . أى (و) فيها (حور عين) أو (و) لم  
(حور عين) . ويحوز أن يكون عطفًا على (ولدان) . (و حور) يزيد وحمة وعلى عطفًا على  
(جنات النعيم) كأنه قال هم في جنات النعيم... وفاكهة... ولحم... و حور (كأمثال الثوالى)  
في الصفاء والقواء (المكنون) المصنوع وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدغه  
لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال .

(٢٢) (جزاء) مفعول له . أى يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم . أو مصدر . أى يحزون  
(جزاء) .

(٢٣) (لا يسمعون) في الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (إلا قِيلًا سلاما سلاما)  
إلا قولًا ذا سلامة . والاستثناء منقطع . و (سلاما) بدل من (قِيلًا) أو مفعول به لقيل . أى  
(لا يسمعون فيها) إلا أن يقولوا (سلاما سلاما) . والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم ليسمعون  
سلاما بعد سلام .

(٢٤) السدر شجر النبق . والمخضود الذى لا شوك له كأنما خضد شوكه .

(٢٥) الطلح شجر الموز . والمنضود الذى تضد بالجل من أسفله إلى أعلاه فليس له ساق  
بارزة .

(٢٦) تمتد متبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس .

(٢٧) جاز بلا حد ولا خد أى يجرى على الأرض في غير أخدود .

وَفَلَكِهِنَّ كَثِيرَةً ۖ لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ <sup>(١١)</sup> ۖ وَفَرُشَ مَرْفُوعَةٍ ۖ  
 إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ۖ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرُبًا أَتْرَابًا ۖ لِأَحْسَبِ  
 الْيَمِينِ ۖ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ <sup>(١٢)</sup>

(١١) أى كثيرة الأجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع في بعض الأوقات كفوا كه الدنيا بل هى دائمة. (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه. وقيل (لا مقطوعة) بالأزمان، (ولا ممنوعة) بالآتمان .

(١٢) (وفرش) رقيقة القدر . أو نظمت حتى ارتفعت . أو (مرفوعة) على الأسرة . وقيل هى النساء . لأن المرأة يكنى عنها بالفراش . (مرفوعة) على الأرائك . قال الله تعالى (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) . ويدل عليه قوله (إنا أنشأناهن إن شاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة . فإنا أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاءهن أو اللاتي أعيد إنشاءهن . وعلى غير هذا التأويل اضطررنا لأن ذكر الفرش وهى المضاجع دلى عليهم .

(١٣) عذارى كلما أنشأناهن أزواجهن وجدوهن أبكارا .

(١٤) (عربا) حمزة وخلف ويهي وحماد . جمع عروب وهى المتحبة إلى زوجها الحسنة التبتل .

(١٥) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك .

(١٦) من صلبة (أنشأنا) .

(١٧) أى أصحاب اليمين (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) . فإن قلت كيف قال قبل هذا (وقيل من الآخرين) ثم قال هنا (وثلة من الآخرين) ؟ قلت ذاك فى السابقين . وهنا فى أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا . وعن الحسن سابقو الأمم أكثر من سابقي أئمتنا وقابضو الأمم مثل تابعي هذه الأمة .

وَأُخْتُبُ الشِّمَالِ مَا أُخْتُبُ الشِّمَالِ <sup>(١)</sup> فِي مُمْرٍ وَحِيمٍ <sup>(٢)</sup> وَظِلِّ <sup>(٣)</sup>  
 مِنْ يَحْمُومٍ <sup>(٤)</sup> لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ <sup>(٥)</sup> إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ  
 مُتْرَفِينَ <sup>(٦)</sup> وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْخَنثِ الْعَظِيمِ <sup>(٧)</sup> وَكَانُوا يَقُولُونَ  
 إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ <sup>(٨)</sup> أَوْ آبَاءُنَا الْأَوَّلُونَ <sup>(٩)</sup>

(١) الشمال والمشاة واحدة .

(٢) في حر تاريف في المسام .

(٣) وماء حار متناهي الحرارة .

(٤) من دخان أسود .

(٥) في لصفي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال . سماء ظلام في عنه  
 برد الظل وروحه وقفه من يأوي إليه من أذى الحر - وذلك كرمه - ليحرق ما في مدلول الظل  
 ومن الاسترواح إليه . والمعنى أنه ظل حار ضار .

(٦) (إنهم كانوا) في الدنيا (مترفين) منعمين . فمتهم ذلك من الانزجار، وشغلهم عن  
 الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الخنث العظيم) أي على الذنب العظيم . أو على الشرك  
 لأنه تقصص عهد الميثاق . والخنث تقصص العهد المؤكدة باليمين . أو الكفر بالبعث . بدليل قوله  
 (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) .

(٧) تقديره (أ) ثبت (إذا متنا) . وهو العامل في الظرف . وجاز حذفه (إذ مبعوثون)  
 يدل عليه . ولا يعمل فيه (مبعوثون) لأن (إذ) والاستفهام يمتنع أن يعمل ما بعدهما فيما  
 قبلهما .

(٨) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف . وحسن العطف على المضمر  
 في (المبعوثون) من غير تأكيد بخنث ، للفاصل الذي هو الهمزة ، كما حسن في قوله (ما أشركنا  
 ولا آباءنا) لفصل لا المؤكدة للثنى . (أو آباءنا) مدنى وشامى .

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَيَّ مِيقَاتٍ يَوْمَ  
مَعْلُومٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ إِنِّي أُنَكِّرُ أَهْلَ الضَّالِّينَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٣﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ تَحْتِ  
مِنْ زَقُومٍ ﴿٤﴾ فَالِقُوتٍ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ  
الْحَمِيمِ ﴿٦﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ﴿٧﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨﴾

(١) إلى ما وقعت به الدنيا من يوم معلوم . والإضافة بمعنى من تكاتم فضة . والميقات ما وقعت به الشئ أى حد . ومنه مواقيت الإحرام . وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما .

(٢) ثم إنكم أيتها الضالون عن الهدى (المكذبون) بالبعث — وهم أهل مكة ومن في مثل حالم — (لأكون من تحير) — (من) لا ابتلاء الغاية — (من زقوم) — (من) لبيان الشجر — (فالقوت منها البطون فشاربون عليه من الحميم) — أنت ضمير الشجر على المعنى ، وذكره على اللفظ في (منها) و (عليه) — (فشاربون شرب) — بضم الشين مدنى وعاصم وحزة وسهل . وفتح الشين غيرهم . وهما مصدران — (الحميم) هى إبل عطاش لا ترى . جمع أهم وهياه . والمعنى أنه يسقط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل . فإذا ملئوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الحميم . وإنما صح عطف الشارين على الشارين — وهما لدوات متفقة وصفتان متفقتان — لأن كونهن شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب ، وشربهم له على ذلك كما يشرب الحميم الماء أمر عجيب أيضا . فكانتا صفتين مختلفتين .

(٣) (هذا نزلم) — هو الزرق الذى يمد للنازل تكملة له — (يوم الدين) يوم الجزاء .

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿١﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٢﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴿٣﴾  
 أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٤﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٥﴾  
 عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ  
 عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٨﴾

(١) فهلا (تصدقون) تضيض على التصديق إما بالخلق — لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به — وإنا بالبت .  
 لأن من خلق أولا لم يمنع عليه أن يخلق ثانيا .

(٢) ما تمونه أى تقدفونه فى الأرحام من النطف .

(٣) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا .

(٤) (نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرنا وقسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيقتنا . فاختلفت أعماركم من قصر وطويل ومتوسط . (قدرنا) بالتخفيف مكي . سبقت بالشئ إذا أعجزته عنه وغلته عليه . فبنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبذل أمثالكم) أنا قادرون على ذلك لا نطلبونا عليه — و (أمثالكم) جمع بئل . أى (على أن نبذل) منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق — (وننشئكم فيما لا تعلمون) — (و) على أن (ننشئكم فى) خلق لا تعلمونها وما عهدتم بئلا . ببنى أنا تقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يسألكم وما لا يسألكم . فكيف نجز عن إعادةكم ؟ ويجوز أن يكون (أمثالكم) جمع مثل . أى (على أن نبذل) ونغير صفاتكم التى أتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها .  
 (٥) (النشأة) مكي وأبو عمرو .

(٦) (فلولا تذكرون) أن من قدر على شئ مرة لم يمنع عليه ثانيا . وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى .

(٧) ما تحرثونه من الطعام أى تثيرون أرضه وتثقفون فيها بلره .

« أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزَّلْنَاهُ ﴿١١﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴿١٢﴾ فَظَلَمْتُمْ تَفْصِيحُهُمْ ﴿١٣﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿١٤﴾ بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ ﴿١٥﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿١٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿١٧﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ »

(١١) (أنتم) تنبتونه وتزودونه نباتا (أم نحن) المنيعون . وفي الحديث " لا يقولن أحدكم زرعتم . ويلقل حوت " .

(١٢) هشيما منكسرا قبل إدراكه .

(١٣) تعجبون أو تتندمون على تعجبكم فيه وإضافكم عليه . أو مل ما اقترعتم من المعاصي التي أصبتم ببلدكم من أجلها .

(١٤) أي تقولون (إننا) - (أنتا) أبو بكر - (المعرمون) للمزيمون فحرامه ما أفلقنا . أو مهلكون لهلاك رزقنا . من الفرام وهو الهلاك . (بل نحن) قوم (محرمون) عارزون محجودون لا محجودون لا حفظ لنا ولا يفت لنا . ولو كنا محجودين لما جرى طينا هذا .

(١٥) أي (أنزائتم الماء) العذب الصالح للشرب (أنتم أنزلتموه من المزن) - السحاب الأبيض وهو أظن به ماء - (أم نحن المنزلون) بقدرتنا ؟

(١٦) (لو نشاء جعلناه) ملما أو مرأ لا يقدر على شربه . فهلا (تشكرون) . ودخلت اللام على جواب (لو) في قوله (لجعلناه حطاما) وزعت منه هنا لأن (لو) لما كانت داخلية على جملتين متعلقتين فالتعليق بالآولى متعلق بالجزء بالشرط ولم تكن مخصصة للشرط كان ولا حامله مثلهما وإنما جرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إلفادتها في مضمونى جملتها أن الثاني امتنع لاستناع الأول ، انفتحت في جوابها إلى ما ينصب ملما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون ملما على ذلك . ولما شعر موقعه لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه وإثباته . على أن تهتم ذكرها والمسافة قصيرة مفن عن ذكرها ثانية .

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۖ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ۖ أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۚ نَحْنُ  
 جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتْنَعًا لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۚ فَلَا أُقْسِمُ  
 بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۚ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۚ

ولأن هذه اللام مفيد معنى التأكيد لا محالة، فأدخلت في آية المعلوم دون آية المشروب للدلالة  
 على أن أمر المعلوم مقدم على أمر المشروب ، وأن الوعيد يفقده أشد وأصعب من قول  
 أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمعلوم . ولهذا قدمت آية المعلوم على آية المشروب .

(١١) ( أفرايت النار التي ) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد — والعرب تقدح يهودين  
 تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأهل الزند والأسفل الزندة شبهوا بالفعل والطريقة —  
 ( أنتم أنشأتم شجرتها ) التي منها الزناد ( أم نحن ) الخالقون لها ابتداء . ( نحن جعلناها ) أي النار  
 ( تذكرة ) تذكريا نار جهنم حيث خلقنا بها أسباب المعاش ونعمنا بالحاجة إليها البلى تكون  
 حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوردوا به ( ومتنعا ) ومنفعة ( للقوين ) للسافرين  
 النازلين في القواء وهي القفر . أو للذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام . من قولهم  
 أفوت الدار إذا خلت من ساكنيها .

بدأ بذكر خلق الإنسان فقال ( أفرايت ما تمنون ) لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم .  
 ثم بما به قوامه وهو الحب فقال ( أفرايت ما تمحرون ) ثم بما يسجن به ويشرب عليه وهو  
 الماء . ثم بما يخبز به وهو النار . لحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد  
 ما دام حياً .

(١٢) فتره ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل . أو أراد بالاسم الذكر . أي ( فسبح )  
 بذكر ( ربك العظيم ) صفة للضاف أو للضاف إليه . وقيل قل سبحان ربّي العظيم . وجاء  
 صرفوا أنه لما نزلت هذه الآية قال أجعلوها في ركوعكم .

(١٣) أي فأقسم — و ( لا ) منزلة مؤكدة مثلها في قوله ( لئلا يعلم أهل الكتاب ) .  
 وقرئ ( فلا أقسم ) ومعناه فلاناً أقسم . اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر

فِي كِتَابٍ مُّكْتُونٍ ﴿١١﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿١٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ ﴿١٤﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾

وهي أنا أقسم ثم حذف المبتدأ . ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأن حقها أن تقرر بها التوثيق المؤكدة - ( بمواقع النجوم ) بمساقطها ومغارها . ( بموقع ) حمزة وصل . ولعل الله تعالى في آتراكه إذا انحطت النجوم إلى المغرب أصلا مخصصة عظيمة ، أو للائكة عبادات موصوفة ، أو لأنه وقت قيام المتجهدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم ، فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله ( وإنه لقم لو تاملون عظيم ) وهو اعتراض في اعتراض . لأنه اعتراض به بين القسم والمقسم عليه . وهو قوله ( إنه لقرآن كريم ) - حسن مرضى ، أو فاعل جمع المنافع . أو ( كريم ) على الله - واعتراض به ( لو تاملون ) بين الموصوف وصفته .

(١١) أى اللوح المحفوظ .

(١٢) مصون عن أن يأتيه الباطل . أو من غير المقتزين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم .

(١٣) ( لا يمسّه إِلَّا المطهرون ) من جميع الأنداس أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكتون وهو اللوح . وإن جعلتها صفة للقرآن فالملق لا يلبس أن يمسّه إِلَّا من هو على الطهارة من الناس . والمراد من المكتوب منه .

(١٤) ( تنزيل ) صفة رابعة للقرآن . أى منزل ( من رب العالمين ) . أو وصف بالمصدر . لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل . ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه . فقبل جاء في التثنية كذا ، ونطق به التثنية . أو هو ( تنزيل ) على حذف المبتدأ .

(١٥) أى ( أفبهذا ) القرآن ( أنتم مدهون ) متهاونون به كن يدهن في بعض الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوتا به .

(١٦) أى يجعلون شكر رزقكم التكذيب . أى وضعت التكذيب موضع الشكر . وفي قراءة على رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ) أى ( يجعلون شكركم ) لنعمة القرآن ( أنكم تكذبون ) به . وقيل نزلت في الأنواء ونسبهم السفيا



فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٢﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ  
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٤﴾  
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٦﴾  
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ ﴿٧﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٨﴾  
فَسَلَامٌ لَكَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩﴾

إليها . والرزق المطر . أى ( وتعملون ) شكرا يرزقكم الله من الثبث ( أنكم تكذبون ) بكونه  
من الله حيث تسبوه إلى النجوم .

(١) (فلولا إذا بلغت) النفس أى الروح عند الموت (الحلقوم) هو الطعام والشراب  
(وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب إليه) إلى المحضر  
(منكم ولكن لا تبصرون) لا تفعلون ولا تعملون (فلولا إن كنتم غير مدنيين) مروي بين  
— من دان السلطان الرعية إذا ساءهم — (ترجعونها) تردون النفس وهى الروح إلى الجسد بعد  
بلوغ الحلقوم (إن كنتم صادقين) أنكم غير مرييين مقهورين . (فلولا) فى الآيتين  
للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله (ترجعونها) واكتفى بذكره مرة . وترتيب الآية  
(فلولا) ترجعونها (إذا بلغت الحلقوم) إن كنتم غير مدنيين . و (فلولا) الثانية مكررة للتأكيد .  
(ونحن أقرب إليه منكم) بأهل الميت بقدرتنا وعلمنا ، أو بملائكة الموت . والمعنى أنكم  
فى سجودكم آيات الله فى كل شئ : إن أزل عليكم كتابا معجزا قلتم صبر واقترأه ، وإن أرسل  
إليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب ، وإن رزقكم مطرا يحميكم به قلتم صدق نوء كذا على  
مذهب يؤدى إلى الإهمال والتعطيل . فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغ الحلقوم  
إن لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالحقى الميت المبدئى المعيد ؟

(٢) (فأما إن كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة  
فى أول السورة (فروح) فله استراحة (وريحان) وورق (وجنة نعيم) .

(٣) أى (فسلام لك) بإصحاب إيمين (من) إخوانك (أصحاب اليمين) أى يسلمون  
عليك كقوله (إلا قولا سلاما سلاما) .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ <sup>(١)</sup> فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٢﴾ وَتَصْلِيَةً  
بَجِيمٍ ﴿٣﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوْ حَقِّ الْيَقِينِ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾

<sup>(١)</sup> هم المصف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم في هذه السورة (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون) .

<sup>(٢)</sup> أى إدخال فيها . وفي هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملء واحدة ، وأن أصحاب الكائن من أصحاب اليمين لأنهم غير مكذبين .

<sup>(٣)</sup> (إت هذا) الذى أنزل في هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين .  
روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له : ما تشكى ؟ فقال : ذنوبى . فقال : ما تشتهى ؟ قال : رحمة ربى . قال : أفلا تدعو الطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضى . فقال : ألا تأمر بمطالك ؟ قال : لا حاجة لى فيه . قال : نلغمه إلى بناتك . قال : لا حاجة لى فيه . قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة . فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً" . وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله (اقتربت ، الرحمن ، الواقعة) . والله أعلم .

## سورة الحديد مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴿٢﴾

(١) جاء في بعض الفوائج (سبح) بلفظ الماضي، وفي بعضها بلفظ المضارع، وفي بقى إسرائيل بلفظ المصدر، وفي الأصل بلفظ الأمر، استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها. وهي أربع المصدر والماضي والمضارع والأمر. وهذا الفعل قد عدى باللام تارة، ونفسه أخرى في قوله (وسبحوه). وأصله التعدى بنفسه لأن معنى سبحته بعده من السوء، منقول من سبح إذا ذهب وبعد. فاللام إما أن تكون مثل اللام في نصيحته ونصحت له، وإما أن يراد به (سبح لله) اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصاً.

(٢) ما يتأتى منه التسبيح ويصبح.

(٣) (وهو العزيز) المتقن من مكلف لم يسبح له عنادا، (الحكيم) في مجازاة من سبح له انقيادا.

(٤) (له ملك السموات والأرض) لانهزه. وموضع (يحى) رفع. أى هو (يحى) المولى (ويميت) الأحياء. أو نصب أى (له ملك السموات والأرض) محياً ويميتاً.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ  
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ  
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ  
 مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٣﴾

(١١) هو القديم الذي كان قبل كل شيء (والآخِر) الذي يبقى بعد هلاك كل شيء (والظاهر) بالبدنة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وإن كان مرئياً . والواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولى والآخية ، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء ، وأما الوسطى فعل أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين ومجموع الصفتين الآخرين . فهو مستمّر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية . وهو في جميعها ظاهر وباطن . وقيل (الظاهر) العالي على كل شيء الغالب له — من ظهر عليه إذا علاه وظله — (والباطن) الذي بطن كل شيء أي علم باطنه .

(١٢) عن الحسن "من أيام الدنيا" . ولو أراد أن يجعلها في طرفه من الفعل . ولكن جعل الستة أصلاً ليكون عليها المدار .

(١٣) (ثم) استولى على العرش يعلم ما يليج في الأرض ( ما يدخل في الأرض من البذر والقطر والكنوز والموتى (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من الملائكة والأمطار (وما يخرج فيها) من الأعمال والصناعات ( وهو معكم أينما كنتم ) بالعلم والقدرة عموماً وبالفصل والرحمة خصوصاً ( والله بما تعملون بصير ) فيجازيكم على حسب أعمالكم .

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يُرْسِلُ الْبَلَّ  
 فِي النَّهَارِ وَيُرْسِلُ الْبَلَّ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢﴾ آمَنُوا  
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا<sup>(١)</sup>  
 مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ  
 يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾

(١) يدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد في النهار .

(٢) يحتمل الزكاة والإنفاق في سبيل الله .

(٣) يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بحلقه وإنشائه لها . وإنما مؤلّك  
 إياها للاستمتاع بها ، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها . فليست هي بأموالكم في الحقيقة ،  
 وما أتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والثواب . فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى ، ولين عليكم الإنفاق  
 منها كما يكون على الرجل الإنفاق من مال غيره إذا أذن له فيه . أو (جعلكم مستخلفين) ممن كان  
 قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم وسيقله منكم إلى من بعدكم . فاعتبروا بما هم ولا تتخلوا به .  
 (٤) فالذين آمنوا (بالله ورسوله) .

(٥) (لا تؤمنون بالله) حال من معنى الفعل في (مالك) كما تقول مالك قائماً بمعنى  
 ما تصنع قائماً . أي (ومالك) كافر بالله . والواو في (والرسول يدعوكم) واو الحال .  
 فهما حالان متداخلتان . والمعنى وأى منركم في ترك الإيمان (والرسول يدعوكم لتؤمنوا  
 بربكم وقد أخذ ميثاقكم) (و) قبل ذلك (قد أخذ) الله (ميثاقكم) بقوله (أست بربكم)  
 أو بما ركب فيكم من القول ، ومكنكم من النظر في الأئمة . فإذا لم تبق لكم حجة بعد أدلة  
 العقول وتنبيه الرسول ، فما لكم لا تؤمنون (إن كنتم مؤمنين) لموجب ما ؟ فإن هذا الموجب  
 لا مزيد عليه . (أخذ ميثاقكم) أبو عمرو .

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ <sup>(١١)</sup> وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَّلَ أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتَّلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى <sup>(١٢)</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ لَحِيدٌ <sup>(١٣)</sup>

(١١) (هو الذي ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) (بني القرآن) (ليخرجكم) الله تعالى أو محمد بدعوته (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وإن الله بكم لرؤوف رحيم) بالمنة والحمزة ، مجازي وشامئ وحفص . الرأفة أشد الرحمة .

(١٢) (ومالك) في (الأنفقوا في سبيل الله وقسميات السموات والأرض) يرث كل شيء فيها لا يبقى منه باق لأحد من مال وضيعة . يعني وأي فرض لكم في تركنا الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم . وهو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله . ثم بين التفاوت بين المتفقين منهم فقال (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا ، ومن أنفق من بعد الفتح . فحذف . لأن قوله (من الذين أنفقوا من بعد) يدل عليه . (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح — (وهم) (السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه" — (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً) أي كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أي الثبوت الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات . (وكلاً) مفعول أول لوعده . و (الحسنى) مفعول ثان . (وكل) شامئ أي (وكل وعد) (الله الحسنى) : نزلت في أبي بكر رضى الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله . وفيه دليل على فضله وتقدمه .

(١٣) فيجازيكم على قدر أعمالكم .

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾  
يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ  
بُشْرَى الْيَوْمِ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴿٣٣﴾

(٣١) طيب قسه. والمراد الإيفاء في سبيله. واستمر لفظ القرض يدل على التام الجزاء

(٣٢) أى عطيه أجرة على إنفاقه أضعافا مضاعفة من فضله. (يضمعه) مكي (يضمعه) شامى (فيضاعفه) عاصم وسهل (فيضاعفه) غيرهم. فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه، أو عطف على (يقرض).

(٣٣) أى وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف (كريم) في نفسه.

(٣٤) ظرف لقوله (وله أجر كريم) أو منصوب بإضمار اذكر تنظيما لذلك اليوم.

(٣٥) يعنى (نورهم) نور التوحيد والطاعات. وإنما قال (بين أيديهم وبأيمنهم) لأن السعداء يؤتون مصائف أعمالهم من هاتين الجهتين كآت الأشتياك يؤتونها من شمالهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شمارا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا، وبصحاتهم اليص ألفحوا. فإذا ذهب بهم إلى الجنة صوروا على الصراط يسعون، سعى يسيرهم ذلك النور، وهول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات) أى دخول جنات لأن الإشارة تقع بالأحداث دون الجشت. (هو بدل من (يوم ترى)).

(٣٦) أى انتظرونا لأنه يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطفة. (انظرونا) حمزة من النظرة.

وهي الإمهال. جعل أثناءهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم.

(٣٧) نصب منه. وذلك أن يلحقوا بهم فيستبشروا به.

(٣٨) طرد لم وتهكم بهم. أى تقول لهم الملائكة أو المؤمنون (ارجعوا) إلى الموقف إلى حيث أعطيتنا هذا النور فالتمسوه هناك فن ثم يقتبس. أو (ارجعوا) إلى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل سببه وهو الإيمان.

فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بُسُورًا لَّهُرَبًا بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١١﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٢﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَأْنِ

(١١) (فضرب) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار — قيل هو الأعراف — (له) لذلك السور (باب) لأهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب . وهو الشق الذي على الجنة (فيه الرحمة) أى النور أو الجنة (وظاهره) ما ظهر لأهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أى الظلمة أو النار .

(١٢) أى ينادى المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قالوا) أى المؤمنون (بلى) ولكنكم فتنتم أنفسكم) محتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتهم) وشككتهم فى التوحيد (وغرَّتكم الأمانى) طول الآمال ، والطمع فى امتداد الأعمار (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغرَّتكم بالله الغرور) وغرَّتكم الشيطان بأن الله حقو كريم لا يعذبكم ، أو بأنه لا يبعث ولا حساب .

(١٣) (لا تؤخذ) — بالباء شامى — (منكم) أيها المنافقون (فدية) ما يشتد به (ولامن الذين كفروا) ماؤاكم النار) مرجعكم . (هى مولاكم) هى أولى بكم . وحقيقة (مولاكم) محراكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مثنة للكرم أى مكان لقول الفاعل إنه لكرم . (وبئس المصير) النار .

(١٤) من أى الأمر يأتى إذا جاء إناء أى وقته . قيل كانوا مجدين بمكة . فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة . ففقدوا عما كانوا عليه . فزلزل . وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوبتنا بهذه الآية إلا أربع سنين . وعن أبى بكر رضى الله عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل إجماعة فبكوا بكاء شديدا . فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب .



لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَزَلُ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا  
كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ  
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٤١﴾ أَعْلَمُوا أَن اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ  
بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ الْمُصْطَفِينَ وَالْمُصْبِقِينَ  
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٤٣﴾

(١١) (تزل) بالتخفيف، نافع وحفص. الباقون (تزل). و(ما) بمعنى الذى. والمراد بالذكر (وما تزل من الحق) القرآن. لأنه جامع للأمرين المذكور والموعظة وأنه حق نازل من السماء.

(١٢) القراءة بالإاء عطف على (تخمش)، وبأناة ورش على الالتفات. ويمحور أن يكون فيها لم عن مائلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن يتجوا. وذلك أت بنى إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ووقت قلوبهم. فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة، واختلوا وأعدوا ما أعدوا من التعريف ووضعه.

(٣) (فطال مليهم) الأجل أو الزمان (فقت قلوبهم) باتباع الشهوات .

(١) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين . أى وقليل منهم مؤمنون .

(٥) قيل هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب وأنه يجيئها كما يجيئ النيث الأرض .

(٦) بتشديد الدال وحده ، مكى وأبو بكر . وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا  
الله وسوله . . يعنى المؤمنين . الباقون بتشديد الصاد والدال . وهو اسم فاعل من تصدق  
فادعيت النار فى الصاد . وقرئ على الأصل .

(٧) هو عطف على معنى الفعل في (المصدقين) لأن اللام بمعنى اللين وأمر الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا. كأنه قيل (إِنَّ الَّذِينَ اصَّدَقُوا) (واقرضوا). والقرض الحسن أن تصدق من الطيب عن طيبة النفس ورحمة النية على المستحق للصديقة.

(۸) (یضعف) مکی و شامی .

(٩) أى اللجنة .

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۖ  
 أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ  
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَثَلٌ غِيبٌ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ  
 مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ  
 وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۖ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

(١) يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء — وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله — (لم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء، ومثل نورهم . ويموز أن يكون ( والشهداء ) مبتدأ و ( لم أجرهم ) خبره .

(٢) (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) كلب الصبيان ، (ولو) كلهو الفتيان ، (وزينة) كزينة النسوان ، (وتفاخر بينكم) كتفاخر الأقران ، (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (في الأموال والأولاد) أى مباهة بهما — والتكاثر اذعاء الاستكثار — ( كثر غيب ) أى ما لا يعلم به الكفار نباهه ثم يهيج فتراه مصفراً) بعد خضره (ثم يكون حطاما) متفتتا . شبه حال الدنيا وسرعة تفقيها مع قلّة جدواها ، بنيات أنته الغيب فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحلون لنعمة الله فيما رزقهم من النيت والنبات . فبعت طيه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطاما ، عقوبة لم حل بجهودهم ، كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين . وقيل الكفار الزّراع . (وفي الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين . يبنى أن الدنيا وما فيها ليست إلّا من عقرات الأمور . وهى اللب واللّهو والزينة والتفاخر والتكاثر . وأما الآخرة فما هى إلّا أمور عظام . وهى العذاب الشديد، والمغفرة والرضوان من الله الحميد . والكاف (في كثر غيب) فى محل رفع أى أنه خبر بعد خبر . أى الحياة الدنيا مثل غيب . (وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور) لمن ركن إليها واعتمد عليها . قال ذو النون : "يا معشر المريدن

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ  
 وَرُسُلِهِ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ <sup>(٢)</sup>  
 مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ <sup>(٣)</sup> لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى  
 مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ <sup>(٤)</sup>

لا تطلبوا الدنيا . وإن طلبتموها فلا تحبوها . فإن الزاد منها ، والمقل في غيرها . ولما حفر  
 الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة ، بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك  
 وهي المغفرة المنتجية من العذاب الشديد ، والفوز بدخول الجنة ، بقوله (ما بقوا) أى بالأعمال  
 الصالحة ( إلى مغفرة من ربكم ) . وقيل سارعوا مسارعة السابقين لأقراهم في المضار .

<sup>(١)</sup> قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الأرضين . وذكر العرض دون الطول  
 لأن كل ما له عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله . فإذا وصف عرضه بالسطة عرف  
 أن طوله أبسط . أو أريد بالعرض البسطة . وهذا ينفي قول من يقول إن الجنة في السماء الرابعة  
 لأن التي في إحدى السموات لا تكون في عرض السموات والأرض .

<sup>(٢)</sup> وهذا دليل على أنها مخلوقة .

<sup>(٣)</sup> ( ذلك ) الموعود من المغفرة والجنة ( فضل الله يؤتيه من يشاء ) وهم المؤمنون . وفيه  
 دليل على أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله ( والله ذو الفضل العظيم ) .

<sup>(٤)</sup> بين أن كل كائن يقضاه الله وقدره بقوله ( ما أصاب من مصيبة في الأرض )  
 من الجندب وآفات الزرع والثمار — وقوله ( في الأرض ) في موضع الجزأى ( ما أصاب  
 من مصيبة ) ثابتة ( في الأرض ) — ( ولا في أنفسكم ) من الأمراض والأوصاب وموت الأولاد ( إلا  
 في كتاب ) في اللوح — وهو في موضع الحال — أى إلا مكتوبا في اللوح ( من قبل أن نبرأها )  
 من قبل أن نخلق الأنفس ( إن ذلك ) إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب ( على الله يسير ) وإن كان

الَّذِينَ يَبْغُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَغْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ ﴿١١﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

عسيرا على العباد. ثم عالج ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطفئكم (على) ما فاءكم من الدنيا وسعتها. أو من العافية ومحبتها (ولا تفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) أعطاكم. من الإتياء. أبو عمرو (آتاكم) أي جاءكم. من الإتيان. يعني أنكم إذا تلبستم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفاتت وفرحكم على الآتي. لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفارق جزمه عند فقدته لأنه وطن نفسه على ذلك. وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأق وصله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله. وليس أحد إلا وهو يفرح عند منعمة تصبیه ويحزن عند مضرة تنزل به. ولكن يلين أن يكون الفرح شكا، والحزن صبرا. وإتما يلزم من الحزن الجزع المنافي للصبر، ومن الفرح الأشر المطغى الملهى عن الشكر. (واقه لا يصحب كل مختال نخور) لأن من فرح بمحط من الدنيا وعظم في نفسه، اختال وانفخر به وتكبر على الناس.

﴿١١﴾ (الذين) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من (كل مختال نخور). كأنه قال (لا يحب) الذين يخفون. يريد الذين يفرحون الفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا ففحهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويخفون به.

﴿١٢﴾ ويخفون ضيقهم على البخل ويرغبونهم في الإمساك.

﴿١٣﴾ (ومن) يعرض عن الإتياف أو عن أوامر الله ونواهيها ولم ينته عما نهى عنه من الأسمى على الفاتت والفرح بالآتي (فإن الله هو الغني) عن جميع المخلوقات — فكيف عنه؟ — (الحديد) في أماله. (فإن الله الغني) ترك (هو) مدق وشاعى.

﴿١٤﴾ يعني أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء (بالبينات) بالنجيب والمحجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أي الوحي. وقيل الرسل الأنبياء. والأول أولى، لقوله (مهم). لأن الأنبياء ينزل عليهم الكتاب.

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ <sup>(١١)</sup> وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْعَفَةٌ  
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ <sup>(١٢)</sup>  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ <sup>(١٣)</sup>  
فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ <sup>(١٤)</sup> ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم <sup>(١٥)</sup>

<sup>(١١)</sup> روى أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال مر قومك يزوا به (ليقوم الناس) ليعتدلو بهم إبقاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحدًا .

<sup>(١٢)</sup> قبل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكتبان والمقعة والمطرقة والإبرة . وروى ومعه المرو والمسعاة . وعن الحسن ( وأنزلنا الحديد ) خفاه ( فيه بأس شديد ) وهو القتال به ( ومنافع للناس ) في مصالحهم ومنايئهم وصنائعهم . لما من صناعة الآلة ( والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد ) ( ليعلم الله من ينصره ورسله ) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين . وقال الزجاج ( ليعلم الله ) من يقاتل مع رسوله في سبيله ( بالغيب ) ظاهراً عنهم ( إنا الله قوي ) يدفع بقوته ، بأس من يعرض عن ملته ( عزيز ) يربط بعزته جأش من يتعوض لنصرته

والمناسبة بين هذه الأشياء الثلاثة أفعال الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية ، وبين سبل المرشد والمهتد ، ويتضمن جوامع الأحكام والحدود ، و يأمر بالعدل والإحسان ، وينهى عن البغي والطغيان ، واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم إنما يقع بآلة يقع بها التعامل ، ويحصل بها التساوى والتعادل . وهى الميزان . ومن المعلوم أفعال الكتاب الجامع للأوامر الإلهية ، والآلة الموضوع للتعامل بالتسوية ، إنما تحض العامة على اتباعهما بالسيف ، الذى هو حجة الله على من يجحد عنده ، ونزع من صفقة الجماعة اليد . وهو الحديد ، الذى وصف بالباس الشديد .  
<sup>(١٣)</sup> خصا بالذكرياتهما أبوان لأنبياء طهيم السلام . ( وجعلنا في ذريتهما ) أولادهما ( النبوة والكتاب ) الوحي . وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخطأ بالقلم . يقال كتب كتاباً وتكاتب .  
<sup>(١٤)</sup> فمن التورية أو المرسل لهم - وقد خلق طهيم ذكر الإرسال والمرسلين - ( مهتدون كثير منهم فاسقون ) . هذا تفصيل للحالم . أى ( منهم ) من اهتدى باتباع الرسل ( منهم ) من فسق أى خرج عن الطاعة . والغلبة للفاسق .

<sup>(١٥)</sup> أى نوح وإبراهيم ومن مضى من الأنبياء .

رُسُلَنَا وَفَقِينَا يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ  
رِضْوَانِ اللَّهِ فَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ  
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلَاسِقُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُلِهِ  
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿١٢﴾

(١١) (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) مودة ولينا (ورحمة) تعطفنا على اخوانهم كما قال  
في صفة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (رحماء بينهم) .

(١٢) (ورهبانية) هي تهمهم في الجبال فآثرين من الفتنة في الدين مخلفين انفسهم للعبادة . وهي  
الفعلة المنسوبة الى الرهبان . وهو الخائف . فعلان من رهب ، تخشيان من خشى . وانتصابها  
بفعل مضمر يشمره الظاهر تقديره (و) ابتدعوا (ورهبانية ابتدعوها) أى اخرجوها من عند  
انفسهم وادبروها (ما كتبناها عليهم) لم تفرضها نحن عليهم (إلا ابتغاء رضوان الله) استئنا.  
منقطع . أى ولكنهم ابتدعوها (ابتغاء رضوان الله) فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناصر  
رعاية لئلا ياتيه همد الله لا يجعل نكته .

(١٣) أى أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا يعيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله  
عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون .

(١٤) الخطاب لأهل الكتاب . (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم) الله  
(كفلاين) نصيبين (من رحمته) لإيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانكم به قبله (ويجعل لكم)  
يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور في قوله (يسرى نورهم) الآية (ويفر لكم)  
ذنوبكم .

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ لَيْتَ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ  
 مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
 الْعَظِيمِ ﴿١٢﴾

(١١) يعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا - و (لا) منبهة - (أن لا يقدرُونَ). (أن) مخففة  
 من الثقيلة أصله أنه (لا يقدرُونَ). يعنى أن الشأن (لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله) أى  
 لا يبالون شيئاً مما ذكر من فضل الله من الكافرين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلاً قط .

(١٢) (وَأَنَّ الْفَضْلَ) - عطوف على (أَن لا يقدرُونَ) - (بيد الله) أى فى ملكه  
 وأصرفه (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) . والله أعلم .

## سورة المجادلة مدنية

وهي اثنان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُسْتَبَكِّي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ  
تَحَاوُرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ مَبْصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ تَسْلِيمِ (٢)

(١) تحاورك . وقرئ بها . وهي خولة بنت ثعلبة ، امرأة أوس بن العباس ، أمية ، أمية .  
رأها وهي تصلّي . وكانت حسنة الجسم . فلما سألت راودها ، فأبت فغضب ، فظاهر منها .  
فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت إن أوسا تزوجني وأنا شاة مرغوب في . فلما خلا  
منّي وثرت بطنى — أى كثرت ولدى — جعلني عليه كآته . وروى أنها قالت إن لي صبية صفراء  
إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلى جاعوا . فقال صلى الله عليه وسلم ما عندى فى أمرك  
شئ . وروى أنه قال لما حرمت عليه . فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا . وإنما هو أبو ولدى  
وأحب الناس إلى . فقال حرمت عليه . فقالت أشكو إلى الله فاقضى ووجدى . كلما قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم "حرمت عليه" ، هفت وشكت ، فترلت .

(٢) فى شأنه ومعناه .

(٣) فظهر ما بها من المكروه .

(٤) مراجتك الكلام . من حار إذا رجع .

(٥) (إن الله سمع) يسمع شكوى المضطّر (بصير) بماله .

(٦) (يظَاهِرُونَ) حاصم (يظَاهِرُونَ) مجازى وبصرى . فريم (يظَاهِرُونَ) . وفى (منكم)  
توبيخ العرب لأنه كان من إيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم .

(٧) زوجاتهم .



مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَمْ نَكُنْ مِنْهَا نَذِيرٌ ۚ وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ مَذْكَرًا  
مِّنَ الْقَوْلِ زُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝ (١١) وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن  
نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّ (١٢)

(١١) (أُمَّةُهُمْ) الْمُفْضَلُ . الْأَوَّلُ حِجَازِيٌّ وَالثَّانِي تَيْمِيٌّ .

(١٢) يريد أن الأُمَمَاتِ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْوَالِدَاتِ . وَالْمَرْضَعَاتِ مَلْحَقَاتٌ بِالْوَالِدَاتِ بِرَأْسِطَةِ  
الرِّضَاعِ . وَكَذَا أَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَزِيَادَةِ حُرِيَّتِهِنَّ . وَأَمَّا الزَّوْجَاتُ فَابْعِثْنَهُ  
مِنَ الْأُمَمَةِ . فَلَمَّا قَالَ (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَذْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ) تَنَكَّرَ الْحَقِيقَةُ وَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ  
(وَزُورًا) وَكَذَبًا بِاطْلَا مُتَحَرِّفًا عَنِ الْحَقِّ (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ) لَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ .

(١٣) بَيِّنَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قَائِلِهِ مَذْكَرٌ وَزُورٌ . وَبَيِّنَ فِي الثَّانِيَةِ حُكْمَ الظَّاهِرِ .

(١٤) الْعُودُ الصَّرِيحُ ابْتِدَاءُ أَوْ بِنَاءٍ . فَمِنَ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى (حَقِّقْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وَمِنَ الثَّانِي (وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا) . وَيَسْتَدِي بِنَفْسِهِ كَقَوْلِكَ عَدْتُهُ إِذَا أَتَيْتَهُ وَصَرْتُ إِلَيْهِ ،  
وَيُجَرِّفُ الْجَزْأَ إِلَى وَجْهِهِ وَاللَّامُ كَقَوْلِهِ (وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ) وَمِنْهُ (ثُمَّ يَعُودُونَ  
لِمَا قَالُوا) أَيْ (يَعُودُونَ لَ) قَضُ (مَا قَالُوا) أَوْ لَتَدَارَكَهُ عَلَى حَذْفِ الْمَضَافِ . وَعَنِ الْمُعَلِّبَةِ  
(يَعُودُونَ) لِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَوا عَلَى حَذْفِ الْمَضَافِ أَيْضًا . فَبَرَأْنَاهُ أَنَّهُ أَرَادَ بِمَا قَالُوا مَا حَرَّمَوهُ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَلْفُظِ الظَّاهِرِ ، تَتَرَيَّا لِلْقَوْلِ مِثْلُهُ الْمَقُولِ فِيهِ ، كَقَوْلِهِ (وَرَبِّهِ مَا يَقُولُ) أَرَادَ الْمَقُولَ فِيهِ  
وَهُوَ الْمَالُ وَالْوَلَدُ . ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَنَّ الْقَضُ بِمَا ذَا يَحْصُلُ ؟ فَصَدَّقْنَا بِالْعَزْمِ عَلَى الْوُطْءِ وَهُوَ قَوْلُ  
ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَتَقَادَرَا . وَصَدَّقَ الشَّافِعِيُّ بِجَرْدِ الْإِسْمَالِيِّ . وَهُوَ إِلَّا يَطْلُقُهَا عَقِيبَ الظَّاهِرِ .

(١٥) فَعَلِيهِ إِعْتِقَادُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ أَوْ كَافِرَةٍ . وَلَمْ يَجِزِ الْمَذْكَرُ وَأَمَّا الْوَلَدُ وَالْمَكْتَبُ الَّذِي أَذَى شَيْئًا .

(١٦) الضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى مَادَّةٍ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنَ الظَّاهِرِ وَالظَّاهِرِ مِنْهَا . وَالْمَسَامَةُ الِاسْتِمَاعُ  
بِهَا مِنْ جَمَاعٍ أَوْ لِمَسْ شَهْوَةٍ أَوْ نَظَرٍ إِلَى فَرْجِهَا شَهْوَةٍ .

ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنْتُمْ كَمَا كُنْتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

(١١) (ذلك) الحكم (توعظون به) لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية .  
فيجب أن تتعلموا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخاصوا عقاب الله عليه .

والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي . وإذا وضع موضع أنت عضوا منها يبرّه من الجلبة ، أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأتم كالبطن والفخذ ، أو مكان الأتم ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع — نحو أن يقول أنت عليّ كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أُمِ امرأتي أو ابنتها — فهو مظاهر . وإذا امتنع المظاهر من الكفارة ، للراءة أن تراضه . ومثل القاضي أن يبرّه على أن يكفروا أن يحبس . ولا شيء من الكفارات يبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار . لأنه يضّر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع . فإن مس قبل أن يكفّر استغفر الله ولا يعود حتى يكفّر . وإن أعق بعض الرقبة ثمّ مس ، عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رضى الله عنه .

(١٢) (فمن لم يجد) الرقبة (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) الصيام (ف) عليه (إطعام ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من برّ أو صاع من غيره . ويجب أن يقسّمه على المسكيس . ولكن لا يستأنف إن جامع في خلال الإطعام .  
(١٣) (ذلك) البيان والتعليم للأحكام (لتؤمنوا) لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل بشراعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليّكم .

(١٤) (وتلك) الأحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة (حدود الله) التي لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم .

(١٥) (إن الذين) يحادون ويشاقون (الله ورسوله كذبوا) أنزوا وأهلكوا (كما كذب الذين من قبلهم) من أعداء الرسل .

وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَلَكِنَّ فَرِيقًا عَذَابَ مُهِينٍ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادُسُهُمْ وَلَا ادْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٣﴾

(١١) (وقد أنزلنا آيات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) هذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بزمهم وكبرهم .

(١٢) (يوم) — منصوب بهمين، أو باضمار اذكر، تعظيماً لليوم — (يبعثهم الله جميعاً) كلهم لا يترك منهم أحداً غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تنجيلاً لهم وتوبيخاً وتنبهاً بما لم يحلموا يتخون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رموس الأشهاد .

(١٣) أحاط به مدنا لم يفته منه شيء (ونسوه) لأنهم تهاونوا به حين ارتكبهوه وإنما تحفظ معظيات الأمور (والله على كل شيء شهيد) لا يفيب عنه شيء .

(١٤) (ما يكون) من كان الثالثة . أى ما يقع (من نجوى ثلاثة) — النجوى التناجى . وقد أضيفت إلى ثلاثة — أى (من نجوى ثلاثة) نفر (إلا هو) أى الله (رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقل (من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم) يعلم ما يحتاجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه — وقد تعالى عن المكان ملوا كثيراً — (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجازيهم عليه .

وتخصيص الثلاثة والخمسة لأنها نزلت في المنافقين . وكانوا يتحققون للتناجى مغايطة المؤمنين على هذين العددين . فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة (ولا أدنى من) عدديهم (ولا أكثر) إلا والله معهم ما يقولون . ولأن أهل التناجى في العادة طائفة من أهل الرأي والتجارب . وأول مددهم الاثنان فصاعداً إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال . فذكر جز وعلا الثلاثة والخمسة وقال (ولا أدنى من ذلك) فدل على الاثنى والأربعة، وقال (ولا أكثر) فدل على ما يقارب هذا العدد .

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَزَّلْنَا مِنْهُمُ النُّجُومَ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِلَهِمْ وَالْعُلْدُونَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُ اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبُوهُمْ يَصْلُونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّجْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِلَهِمْ وَالْعُلْدُونَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْأَلْبِزِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا النُّجُومُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

(١) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتعامزون بأعينهم إن أراوا المؤمنين ويريدون أن يظفروهم ويوهومهم في نجوهم وتعامزهم أن غزاتهم غلبوا وأت أفاعيرهم قتلوا . فهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعادوا لمثل فعلهم . وكان تناجهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعية الرسول ومخالفته . ( ويتناجون ) حمزة وهو بمعنى الأول . (٢) يعني أنهم يقولون في تحييتك السام عليك يا محمد . والسام الموت . والله تعالى يقول (وسلام على عباده الذين اصطفى) ويأيا الرسول ويأيا النبي .

(٣) أى يقولون فيما بينهم لو كان نبياً لعاقبنا الله بما نقوله . فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذاباً (يصلونها) حال أى يدخلونها (فبئس المصير) المرجع ، جهنم .

(٤) (يأتيا الذين آمنوا) بالستهم وهو خطاب للمنافقين . والظاهر أنه خطاب للمؤمنين .

(٥) أى (إذا تناجيتهم) فلا تشبهوا باليهود والمنافقين في تناجهم بالشر (وتناجوا بالبر) بإداه الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصي (واتقوا الله الذى إليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شر . (أتيا النجوى) بالإثم والعدوان (من الشيطان) من تزييه (ليحزن) — أى الشيطان . و بضم الباء نافع — (الذين آمنوا وليسن) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيئاً إلا بإذن الله) يعلمه وقضاه وقدره .

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا  
فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢﴾

(١١) أى يكون أمرهم إلى الله ويستعينون به من الشيطان .

(١٢) (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) توسعوا فيه — (في المجالس) حاصم وقائع .  
والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا يتضايقون فيه تنافسا على القرب منه  
وحرصا على استماع كلامه . وقيل هو المجلس من مجالس القتال ، وهى مراكز الفزاة .  
كقوله (مقاعد للقتال) . مقابل : في صلاة الجمعة — (فافسحوا) توسعوا .

(١٣) مطلق في كل ما يتنى الناس الفسحة فيه من المكان والزرق والصدر والقبر وغير  
ذلك .

(١٤) (وإذا قيل) انهمضوا للتوسعة على المقبلين — أو انهمضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إذا أمرتم بالتموض عنه . أو انهمضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير — (فافسحوا) — بالضم فهما مدنى  
وشامى وحاصم غير حماد — (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (والذين  
أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات) . وفي الدرجات قولان . أحدهما في الدنيا في المرتبة  
والشرف ، والآخر في الآخرة . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال : "يأيها  
الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم" . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : "فضل العالم على  
العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" . وعنه صلى الله عليه وسلم "عبادة العالم  
يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة" . وعنه صلى الله عليه وسلم "يشفع يوم القيامة ثلاثة  
الأنياء هم العلماء هم الشهداء" . فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : "غير سليمان عليه السلام بين العلم والمال  
والملك ، فأختار العلم . فأعطى المال والملك معه" . وقال صلى الله عليه وسلم : "أروحن الله إلى  
إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني أعلم أحب كل علم" . وعن بعض الحكماء : "ليت شعري  
أى شئ أدرك من فاته العلم ؟ وأى شئ فاته من أدرك العلم ؟" وعن الزبيرى : "العلم ذكرك فلا  
يجبه إلا ذكورة الرجال" . والعالم أنواع فأشرفها أشرفها معلوما .

يَأْتِيكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَةٌ<sup>(١١)</sup>  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(١٢)</sup> ءَأَشْفَقْتُمْ أَنَّ  
 تُقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا<sup>(١٣)</sup>  
 الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ<sup>(١٤)</sup>

(١١) إذا أردتم مناجاته (تقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أى قبل نجواكم . وهى استشارة  
 من له يدان . كقول عمر رضى الله عنه "من أفضل ما أوتيت العرب ، الشعر يقدمه الرجل  
 أمام حاجته فيستعطر به الكريم ويستترل به القيم" يريد قبل حاجته .

(١٢) (ذلك) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لأن الصدقة طهرة . (فإن لم تجدوا)  
 ما تصدقون به (فإن الله غفور رحيم) فى ترخيص المناجاة من غير صدقة . قيل : كان ذلك  
 شريلا لم يفسخ . وقيل : ما كان إلا ساعة من نهار ثم "فسخ" . وقال على رضى الله عنه :  
 "هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى . كان لى دينار فصرفته .  
 فكنت إذا ناجيته تصبقت بدهم ، وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فأجابنى  
 عنها . قلت يارسول الله ما الوفاء ؟ قال التوحيد وشهادة لا إله إلا الله . قلت وما الفساد ؟  
 قال الكفر والشرك بالله . قلت وما الحق ؟ قال الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك .  
 قلت وما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . قلت وما عل ؟ قال طاعة الله وطاعة رسوله . قلت  
 وكيف أدعو الله تعالى ؟ قال بالصدق واليقين . قلت وماذا أسأل الله ؟ قال العافية . قلت  
 وما أصنع لنجاة نفسي ؟ قال : كل حلالا ، وقل صدقا . قلت وما السرور ؟ قال الجنة .  
 قلت وما الراحة ؟ قال لقاء الله . فلما فرضت منها نزل نسخها" .

(١٣) أخفتم تقديم الصدقات لى فيه من الإنفاق الذى تكرهونه ؟

(١٤) (فإن لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) أى خفف عتكم وأزال  
 عتكم المؤاخذه بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذه بالذنب عن التائب عنه (فأقيموا  
 الصلوة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أى فلا تفوتوا فى الصلوة والزكاة وسائر الطاعات  
 (والله خير بما تعملون) وهذا وعد وعيد .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴿٤﴾ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٨﴾

(١) كان المنافقون يتولون اليهود — وهم الذين غضب الله عليهم في قوله (من لئنه الله وغضب عليه) — ويقولون إليهم أسرار المؤمنين .

(٢) (ما هم منكم) يامسكون (ولا منهم) ولا من اليهود . كقولهم (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) .

(٣) أى يقولون والله إنا مسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) أنهم كاذبون منافقون .

(٤) نوما من العذاب متفاقا .

(٥) (إنهم) كانوا في الزمان الماضى مصرين على سوء العمل . أو هى حكاية ما يقال لهم في الآخرة .

(٦) (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصلوا) الناس في خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والإيمان به .

(٧) ودمهم العذاب الخزي لكفرهم وصدتهم كقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) .

(٨) (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من) عذاب (الله شيئا) قليلا من الإغناء .

(٩) (يحلِفون له) أى لله في الآخرة أنهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) في الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم) في الدنيا (على شيء) من النفع . أو يحسبون أنهم على شيء من النفع ثم بإيمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا . (ألا أنهم هم الكاذبون) حيث استوت سالم في الدنيا والآخرة .

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ <sup>(١١)</sup>  
 أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَالِسُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّثُونَ اللَّهَ  
 وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ فِي الْآذَانِ <sup>(١٣)</sup> كُتِبَ اللَّهُ لَا غَيْبَ إِنَّا وَرُسُلِي  
 إِنَّا اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٤﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ  
 أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ <sup>(١٥)</sup>

(١١) استولى عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على  
 العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشرب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء  
 الله ونعمائه والقيام بشركما، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والفتية والبهتان، ويشغل  
 لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها.

(١٢) جنده.

(١٣) في جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم.

(١٤) (كتب الله) في الألواح (لأظن أنا ورسلي) بالهجة والسيف أو بأحدهما (إن الله قوياً)  
 لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب.

(١٥) (يوادون) — هو مفعول ثان لتجد. أحوال أو صفة لقوما. و (تجد) بمعنى تصادف  
 على هذا — (من حاداه) خالفه وعاداه (ورسوله). أى من المتنع أن تجده قوما مؤمنين يوالون  
 المشركين. والمراد أنه لا ينبغي أن يكون ذلك. وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال. مبالغة  
 في الزجر عن ملاسته والتوصية بالتصليب في بجانب أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم  
 ومعاشرتهم. وزاد ذلك تأكيداً وتشديداً بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو  
 عشيرتهم)، وبقوله (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) أى أثبتته فيها، ومقابلة قوله (أولئك  
 حزب الشيطان) بقوله (أولئك حزب الله).



وَأَيُّهُمْ يُرْجَى مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ  
الْمُقْلِحُونَ ﴿١١﴾

(١١) أى بكتاب أنزل، فيه حياة لهم . ويموز أن يكون الضمير الإيمان أى (روح)  
من الإيمان ، على أنه فى نفسه روح ، لحياة القلوب به .

وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب الساطان . وعن عبد العزيز  
ابن أبى رواد أنه لقى المنصور فلما عرفه هرب منه . وتلاها . وقال سهل "من صحح  
إيمانه وأخلص توحده فإنه لا يأمن بمتدع ولا يحالسه ويظهر له من نفسه السداوة .  
ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن . ومن أجاب مبتدع لطلب عز الدنيا أو غناها  
أذله الله بملك العز وأفقره بذلك الفنى . ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه .  
ومن لم يصدق فليجرب" .

(١٢) (رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسم فى الآخرة  
أو بما قضى عليهم فى الدنيا .

(١٣) أنصار حقه ودعاة خلقه .

(١٤) الهادون فى النعم المقيم ، الفائزون بكل هروب ، الآمنون من كل مرهوب .

## سورة الحشر مدنية

وهي أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾  
هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ

(١) روى أن هذه السورة نزلت بأسرها في بني النضير . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يكونوا عليه ولا له . فلما ظهر يوم بدر ، قالوا هو النبي الذي نعت في التوراة . فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا . فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة . خالف أبا سفيان عند الكعبة . فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبا غيلة . ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش إليهم لخاصهم إحدى وعشرين ليلة . وأسر بقطع نخيلهم . فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح . فأبى عليهم إلا الجلاء ، على أن يحمل كل ثلاثة إربات حل يبرما شاحوا من متاعهم . فلقوا إلى الشام إلى أريحا وأندرات .

(٢) يعني (أخرج) يهود بني النضير (من ديارهم) بالمدينة . واللام في (لأول الحشر) تنافي بأخرج . وهي اللام في قوله تعالى (ياليتي قدمت لحياتي) وقولك جنته لو قت كذا . أي أخرج الذين كفروا عند أول الحشر . ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام . وكانوا

مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ <sup>(١)</sup>  
فَأْتَلَّهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ <sup>(٢)</sup>

من سبط لم يصعبهم جلاء قط . وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام . أو هذا أول حشرهم . وآخر حشرهم لإجلاء عمر إليهم من خير إلى الشام . أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة . قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك أن الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية . فهم الحشر الأول وسائر الناس الحشر الثاني . وقال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا : « امضوا لأنكم أول الحشر ونحن على الأثر » . فتأد : « إذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس إلى أرض الشام وبها تقوم عليهم القيامة » . وقيل معناه أمرهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ( ما ظننتم أن يخرجوا ) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عديدهم وعظمتهم .

(٢) أى ( ظنوا ) أن حصونهم تمنعهم من بأس الله . والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذى جاء عليه أن فى تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط ونوقهم بمصابتها ومنعها إليهم ، وفى تعبير ضميرهم اسما لأن وإستاد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى مغازاتهم . وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم .

(٣) أى ( قاتلهم ) أمر الله وعقابه . وفى الشواذ ( قاتلهم الله ) أى قاتلهم الملاك ( من حيث لم يحسبوا ) من حيث لم يظنوا ولم يحطروا بهم . وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه رضاحا .

(٤) الخوف .

يُخْرِجُونَ بِيوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَالْمُؤْمِنِينَ فَاغْتَبَرُوا يَنْبَؤِي الْأَبْصَرِ ﴿٢١﴾  
 وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
 عَذَابُ النَّارِ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ  
 اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا ﴿٢٤﴾

(٢١) (يُخْرِجُونَ) أبو عمرو. والتخريب والإحراق والإفساد بالنقض والهدم. والخربة الفساد. وكانوا يخرجون مواطنيهم والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شاقهم والآتي لم يبق في المدينة دار، ولا منهم ديار. والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليستدوا بها أفواه الأتربة، والآتي تصبروا بعد جلائهم على بقائهم مساكن المسلمين، وإن يبقوا معهم ما كان في أيديهم من جيد الخشب والساج. وأما المؤمنون فدأبهم إلى التخريب إزالة منعتهم، وأن يفسد لهم مجال الحرب. ومعنى تخريبهم لما بأيدي المؤمنين أنهم لما تعرضوا بكتفهم المهدي لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفهم إياه.

(٢٢) أي فأتوا بها في زل هولاء والسبب الذي استحقوا به ذلك. فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم. وهذا دليل على جواز القياس.

(٢٣) (ولولا أن كتب الله عليهم) الخروج من الوطن مع الأهل والولد (لمذبذبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل بنو قريظة (ولم) سواء أجلاوا أو قتلوا (في الآخرة عذاب النار) الذي لا أشد منه.

(٢٤) أي إنما أصابهم ذلك بسبب أنهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله) ومن يشاق الله ورسوله (فإن الله شديد العقاب).

(٢٥) (من لينة) بيان لما قطعتم. ومحل (ما) نصب بقطعتهم. كأنه قيل أي شيء (قطعتهم). وأنت الضمير الراجع إلى (ما) في قوله (أو تركتموها) لأنه في معنى اللينة. واللينة النخلة، من الألوان. وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها. وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين.

قَائِمَةً عَلَىٰ أَصُولَهَا فَيَاذَنِ اللَّهُ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾

(١١) قطعها وتركها بإذن الله .

(١٢) وليذل اليهود ويظلمهم ، أذن في قطعها .

(١٣) (وما) جملة فيها له خاصة (منهم) من بني النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك . والركاب الإبل . والمضى (لما أوجفتم) على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبت في القتال عليه . وإنما مشيتم إليه على أرجلكم لأنه على ميلين من المدينة . وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب .

(١٤) يعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة . ولكن سطره الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسقط رسله على أعدائهم . فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا . فقسماها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة منهم لثقتهم .

(١٥) إنما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى . فهي منها غير اجتنابة عنها . بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة . وزيّف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الأولى نزلت في أموال بني النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة ؛ وهذه الآية في غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة . وفي الآية بيان مصرف خمسها فهي مبتدأة .

كَى لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ  
وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾  
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ  
اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٣﴾

(١١) تكون دولةٌ يزيد، على كان التامة . والدولة والدولة ما يدور للإنسان أى يدور  
من الجلد . ومعنى قوله (كلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) كى لا يكون الفى ، الذى حقه أن  
يعطى الفقراء لكون لم بلغه يمشون بها ، جدًا بين الأغنياء يتكاثرون به .

(١٢) أى ما أعطاكم من قسمة غنيمة أو فى (تخذه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه  
منها (فانتهاوا) عنه ولا تطلبوه (واتقوا الله) أن تخالفوه وتهاونوا بأوامره ونواهيه (إن الله  
شديد العقاب) إن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم . والأجود أن يكون مائتا فى كل  
ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه . وأمر الفى داخل فى عمومه .

(١٣) (لفقراء) — بدل من قوله (ولذى القربى) والمعطوف عليه . والذى منع الإبدال  
من (لله وللرسول) وإن كان المعنى لرسول الله ، أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء  
فى قوله (وينصرون الله ورسوله) وأنه يقرع برسول الله عن التسمية بالفقير ، وأن الإبدال  
على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل — (المهاجرين الذين أخرجوا  
من ديارهم وأموالهم) بمكة . وفيه دليل على أن الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لأن  
الله تعالى سمى المهاجرين قراء مع أنه كانت لهم ديار وأموال .

(١٤) (يبتغون) — حال — (فضلا من الله ورضوانا) أى يطلبون الجنة ورضوان الله .

(١٥) أى (ينصرون) دين الله (و) يسيئون (رسوله) .

(١٦) (الصادقون) فى إيمانهم وجهادهم .

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ  
فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ<sup>(١)</sup>

(١) (والذين) معطوف على المهاجرين . وهم الأنصار (تبوءوا الدار) توطنوا المدينة (والإيمان) وأخلصوا الإيمان كقوله « ملقننا تبنا وماء باردا » أو وجدوا الإيمان مستقرا ومتوطنا لم تتكهن واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك . أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لأم التعريف في الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه .

(٢) من قبل المهاجرين، لأنهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والإيمان . وقيل من قبل هجرتهم .

(٣) (يحبون من هاجر إليهم) حتى شاطروهم أموالهم وأئزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن إحداها حتى ترقج بها رجل من المهاجرين .

(٤) (ولا يعلمون) في أنفسهم طلب محتاج إليه مما أوتى المهاجرون من الثمن وغيره . والمحتاج إليه يسمى حاجة . يعني أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمع إلى شيء منه يحتاج إليه . وقيل (حاجة) حسداً مما أعطى المهاجرون من الثمن حيث خصهم النبي صلى الله عليه وسلم به . (و) قيل (لا يجدون في صدورهم) من (حاجة من) فقد (ما أوتوا) لحذف المضافان .

(٥) فقر . وأصلها خصاص البيت وهي فروجه . والجملة في موضع الحال . أى مفروضة خصاصتهم . روى أنه نزل رجل منهم ضيف فقام الصبية وقرب الطعام وأطفا المصباح ليضيء ضيفه ولا يأكل هو . ومن أنس أهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه إلى جاره فتدلوته تسعة أنفس حتى عاد إلى الأول . أبو زيد قال لى شاب من أهل بلخ ما الزهد عندكم ؟ قلت إذا وجدت أكلنا ، وإذا فقدنا صبرنا . فقال هكذا عندنا كلاب بلخ . بل إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا .

وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِئْكَ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَهُمْ وَلَهُمْ لَكُذِبُونَ ﴿١٣﴾

(١١) الظافرون بما أرادوا . والشح اللوم وأن تكون نفس الرجل كزرة حرصية على المنع . وأما البخل فهو المنع نفسه . وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما . والبخل منع مالك . ومن كسرى الشح أضر من الفقر . لأنَّ الفقير يأسع إذا وجد بخلاف الشحيح .

(١٢) عطف أيضا على ( المهاجرين ) وهم الذين هاجروا من بعد . وقيل التابعون بإحسان . وقيل من بعدهم إلى يوم القيامة . قال عمر رضي الله عنه دخل في هذا القى كل من هو مولود إلى يوم القيامة في الإسلام . بفعل الواو للعطف فيهما . وقرئ (الذين) فيهما . قيل هم المهاجرون والأنصار . طائفة رضي الله عنها <sup>(١)</sup> أمروا بأن يستغفروا لهم فسبواهم .

(١٣) (ولا تجعل في قلوبنا) حقدا (للذين آمنوا) يعني الصحابة . وقيل لسعيد بن المسيب <sup>(٢)</sup> ما تقول في عثمان وطلحة والزبير ؟ قال " أقول ما قولني الله " . وتلا هذه الآية .

(٥) عجب نبيه . أي ( ألم تر ) يا محمد ( إلى ) عبد الله بن أبي وأشياعه ( يقولون ) لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ) يعني بنى النضير . والمراد أخوة الكفر ( إن أُخرجتم ) من دياركم ( لنخرجنَّ معكم ) . روى أن ابن أبي وأصحابه دسوا إلى بنى النضير حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم و ( إن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم ) في قتالكم ( أحدا أبدا ) من رسول الله والمسلمين ( إن حملنا عليه . أو في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة . وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد لهم لكاذبون ) في مواعيدهم لليهود . وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغييب .



لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَقَرْتَهُمْ  
لَيَبْرُنَّ الْأَدْبُرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ <sup>(١)</sup> لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ <sup>(٢)</sup> لَا يَقْنَلُوكَ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى  
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ <sup>(٣)</sup> بِأَسْمِهِمْ شَدِيدٌ تَحَسُّبِهِمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ  
شَتَّى <sup>(٤)</sup> ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ <sup>(٥)</sup> كَذَلِكِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

<sup>(١)</sup> إنما قال (ولئن نصروهم) بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم ، على الفرض والتقدير  
كقوله (إن أشركت ليحيطن عملك) . وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون .  
والمنعى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزم المنافقون (ثم لا ينصرون) بعد ذلك . أى يهلكهم  
الله ولا ينفعهم . نفاهم لظهور كفرهم . أو لينهزم اليهود ثم لا ينفعهم نصره المنافقين .

<sup>(٢)</sup> أى أشد رهوبة . مصدر رهب المنى للفعول . وقوله (في صدورهم) دلالة على  
نفاهم . يعنى أنهم يظهرون لكم في الملاية خوف الله وأتم أهيب (في صدورهم من الله  
ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته .

<sup>(٣)</sup> لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) — مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين — (إلا) كاشين  
(في قرى محصنة) بالخاناق والدروب (أو من وراء جدر) . (جدار) مكى وأبو عمرو .

<sup>(٤)</sup> يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا . ولو قاتلوك لم  
يبقى لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يمين عند محاربة الله ورسوله .

<sup>(٥)</sup> (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى)  
متفرقة لا ألفة بينها . يعنى أن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حتى التعاضد . وهذا  
تجسير للأومنين وتسجيع لقلوبهم على قتالهم .

<sup>(٦)</sup> (ذلك) التفرق (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتت القلوب عما يوهن قواهم  
ويمين على أرواحهم .

<sup>(٧)</sup> أى مثلهم كمثل أهل بدر . غطف البتة .

قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ كَذَلِكَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ  
لِلْإِنْسَانِ أَكْفَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ مُخَلَّدَيْنِ فِيهَا ﴿٧٨﴾ وَذَلِكَ جَزَاؤُ  
الظَّالِمِينَ ﴿٧٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَقُوا اللَّهَ وَتَنْتَظِرَ نَفْسُ مَاقَدَمَتِ لِيُغْدِ

(٧٦) أى استقروا (من قبلهم) زمنا (قريبا) .

(٧٧) (ذاقوا) سوء عاقبة كفرهم ومداومتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . من قولهم كلام  
وبيل وخيم سبي العاقبة . معنى ذاقوا عذاب القتل في الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى ولم  
مع ذلك في الآخرة عذاب النار .

(٧٨) أى مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم ليأتهم النصر ثم متاركتهم  
لهم وإخلافهم ، كمثل الشيطان إذ استغوى الإنسان بكيدته ثم تبرأ منه في العاقبة . وقيل المراد  
استغواؤه قريشا يوم بدر . وقوله لم (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) إلى قوله  
(إني برىء منك) .

(٧٩) (فكان) عاقبة الإنسان الكافر والشيطان (أنهما في النار خالدين فيها) . (عاقبتهما)  
خبر (كان) مقدم . وإن مع اسمها وخبرها ، أى (في النار) ، في موضع الرفع على الاسم .  
(وخالدين) حال .

(٨٠) (أتقوا الله) في أوامره فلا تخالفوها .

(٨١) نكر النفس ههنا للاقتصاص النواظر فيما قدمن للآخرة .

(٨٢) معنى يوم القيامة . سمّاه باليوم الذى على يومك تهريبا له . أو متر عن الآخرة بالنقد .  
كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد . وتذكيره لتعظيم أمره . أى (لغد) لا يعرف كنهه لعظمته .  
وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحتنا ما قدمتنا خسرنا ما خلقنا .

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
 نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢﴾ لَا يَسْتَوِي  
 أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٣﴾  
 لَوْ أَزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَنْ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ  
 خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾

(١) كَرَّرَ الأمر بالتقوى تأكيداً . أو (اتقوا الله) في أداء الواجبات لأنه قرن بها هو  
 عمل (واتقوا الله) في ترك المعاصي لأنه قرن بها يحرى الوعيد وهو (إن الله خبير  
 بما تعملون) . وفيه تحريض على المراقبة لأن من علم وقت فعله أن الله مطلع على ما يرتكب  
 من الذنوب يمتنع عنه .

(٢) تركوا ذكر الله من وجب وما أمرهم به .

(٣) تركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق .

(٤) الخارجون عن طاعة الله .

(٥) هذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لقرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة ونهايهم على  
 إشار العاجلة وآتياع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار واليون العظيم بين  
 أصحابها وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الأليم مع أصحاب النار فمن حقهم أن  
 يعلموا ذلك ويظهروا عليه كما تقول لمن يبق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبه  
 بذلك على حق الآية الذي يقتضى الإرتعاط . وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على أن  
 المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء . وقد أجبتنا عن مثل هذا  
 في أصول الفقه والكافي .

(٦) أى من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل في الجبل لميز وأزل عليه القرآن لنشع  
 أى لخضع وتطاعا وتصدع أى تشقق (من خشية الله) . وجائز أن يكون هذا تمثيلاً كما في قوله

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾  
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ﴿١٢﴾  
 الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾

(إنا عرضنا الأمانة). ويدل عليه قوله (وذلك الأمان نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهي إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من الترتيل. والمراد توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قواعده وزواجره.

(١١) رد على من أشرك وشبهه بخلق فقال (هو الله لدى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) أي السر والعلاوية. أو الدنيا والآخرة. أو المعلوم والموجود.

(١٢) (الملك) الذي لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبايح. وفي تسبيح الملائكة يسبح قدوس رب الملائكة والروح.

(١٣) الذي سلم الخلق من ظلمه، عن الزجاج.

(١٤) واهب الأمن. وعن الزجاج الذي آمن الخلق من ظلمه. أو المؤمن من عذابه من أطاعه.

(١٥) الرقيب على كل شيء الحافظ له. مفيد من الأمن إلا أن هزته قلبت هاء.

(١٦) الثالب غير المغلوب.

(١٧) العالی العظيم الذي يذل له من دونه. أو العظيم الشأن في القدرة والسطان. أو القهار ذو الجبروت.

(١٨) البليغ الكبرياء والعظمة.

(١٩) نزه ذاته عما يصفه به المشركون.

هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمَصْورُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾

(١) (الخالق) المقتدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) في الأرحام (له الأسماء  
الحسنى) الدالة على الصفات العلا .

(٢) ختم السورة بمبدأ به . عن أبي هريرة رضى الله عنه " سألت حبيبي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن الاسم الأعظم فقال عليك بأحسن الحشر فأكثر قراءته . فأعدت عليه  
فأعاد علي . فأعدت عليه فأعاد علي " .

## سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْضُوا خِذَا يَدَيْكُمْ وَأَعْيُوهَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ <sup>(١)</sup>

(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْضُوا خِذَا يَدَيْكُمْ وَأَعْيُوهَا. روى أن مولاه لأبي عمرو بن هبيرة ابن هاشم يقال لما سأرة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أسلمة جئت؟ قالت لا. قال أفهاجرة جئت؟ قالت لا. قال لما جاء بك؟ قالت احتجت حاجة شديدة. فحث عليها بنى صيدا المطلب فكسوها وحملوها وزودوها. فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاه عشرة دنانير وكساها برما واستحملكها كتابا إلى أهل مكة فاستخذه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أعلموا أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سأرة ونزل جبريل بالبحر. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلمة والزبير والمقداد وأبا هريرة. وكانوا فرسانا. وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإني بها ظمينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها. فإني أبت فاضربوا عنقه. فادركوها فجلدت وحلفت. فمها بالرجوع. فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه. وقال أنجى الكتاب أو تضى رأسك. فأنجته من عقال شعرها. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم. فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال: ما حالك عليه؟ فقال يا رسول الله، ما كبرت منذ أسلمت، ولا غشيتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم. ولكني كنت امرأ مخلصا في قريش. ولم أكن من أقمها. وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يمحون أهاليهم وأموالهم، فیری. فغشيت علي أهل

تَلْقَوْنَ الْيَحْيَىٰ بِالْمِوَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْحَقِّ يَخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رِيكًا ۚ إِنَّ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ جَهَنَّمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ

فأردت أن أتخذ عندهم بدا، وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه، وأن كتابي لا يخفى عنهم شيئا. فصدقته وقبل عنده. فقال عمر رضى الله عنه: دعني يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق. فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أهل بدر. فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. ففاضت عينا عمر رضى الله عنه. فقل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وصدوكم أولياء). صدق أتخذ إلى مقبوليه وهما (عدوئى) و(أولياء). والمدق فصول من مدا كهفو من عفا. ولكنه على زنة المصدر أرفع على الجمع ليقاها على الواحد. وفيه دليل على أن الكبرية لا تسلب اسم الإيمان.

(١١) (تلقون) حال من الضمير في (لا تتخذوا). والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين (اليهم بالموعة). أو مستأنف بعد وقف، على التوبيخ. والإلقاء عبارة عن إيصال الموعة والإنشاء بها اليهم. والباء في (بالموعة) زائدة مؤكدة للتأكيد كقوله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة). أو ثابتة على أن مفعول (تلقون) محذوف. معناه (تلقون اليهم) أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم (ب) سبب (الموعة) التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) — حال من (لا تتخذوا) أو من (تلقون). أى لا تتولواهم — أو تواتونهم؟ — وهذه حالهم — (بما جاءكم من الحق) دين الإسلام والقرآن. (يخرجون الرسول وإياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعدوهم أو حال من (كفروا). (أن تؤمنوا) تليل لـ (يخرجون) أى يخرجونكم من مكة لإيمانكم بالله ربكم).

(١٢) متعلق بـ (لا تتخذوا). أى لا تتولوا أعدائى (إن كنتم) أوليائى. وقول (١٣) التحويرين في مثله : هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه.

(١٣) (جهادا) مصدر في موضع الحال أى (إن كنتم تخرجتم) مجاهدين (في سبيل وابتغاء مرضاتى) ومبتغين مرضاتى.

(١٤) القول بمعنى القول وهو مبتدأ خبره هو شرط الخ.

نُسِرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ <sup>(١١)</sup> إِنْ يَشْفِقُوا كَرَّ أَعْدَاءُ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ <sup>(١٢)</sup> لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ <sup>(١٣)</sup>

(١١) أى تفضون إليهم بمودتكم سرا . أو (تسرون إليهم) أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم (ب) سبب (المودة) — وهو استئذان — (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) . والمعنى أى طائل لكم في أسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي وأنا مطلع رسول على ما تسرون؟ (ومن يفعله) أى هذا الأسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب .

(١٢) إِنْ يَظْفَرُوا بِكُمْ وَيَمْكُنُوا مِنْكُمْ (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أتتم (ويَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ) بالقتل والشتن (وودوا لو تكفرون) ونموا لوترتدون عن دينكم . فإذا موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم . والماسخ وإن كان يمرى في باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة . كأنه قيل ودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم . يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الأفسس وتمزيق الأعراض . وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعدهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لما دونه . والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أهم شيء عند صاحبه .

(١٣) (لَنْ تَنْفَعَكُمْ) قرا باتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أهلهم وتتقربون إليهم بحماة عليهم . ثم قال (يوم القيامة يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) وبين أقاربكم وأولادكم (يوم يفراروه من أخيه) الآية : فما لكم ترفضون حتى الله مراعاة لحق من يقر منكم غدا ؟ (يُفْصِلُ) عاصم (يُفْصِلُ) حمزة وعطى . والفاصل هو الله عز وجل . (يُفْصِلُ) ابن ذكوان . خيمهم (يُفْصِلُ) . (واقه بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم .



قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ  
 إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۖ إِلَّا قَوْلَ  
 إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَفْقَرْتُ لَكَ<sup>(١١)</sup> وَمَا أُمِّلُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ رَبَّنَا  
 عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ<sup>(١٢)</sup> رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا  
 فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(١٣)</sup>

(١١) (قد كانت لكم) قدوة في التبرئ من الأهل (حسنة في إبراهيم) - أي في أقواله. ولهذا  
 استغنى منها (إلا قول إبراهيم) - (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (إذ قالوا لقومهم  
 إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ) - جمع برىء كطريف وظرفاء - (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا  
 وبينكم العداوة) بالأفعال، (والبغضاء) بالقلوب (أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) لحيث لا تترك  
 صداقته. (إلا قول إبراهيم لأبيه لا استغفرك لك). وذلك (لموعدة وعدها إياه). أي اقتدوا به  
 في أقواله ولا تأمسوا به في الاستغفار لأبيه الكافر.

(١٢) أي من هداية ومغفرة وتوفيق. وهذه الجملة لالتيق بالاستثناء. ألا ترى إلى قوله  
 (قل فن يملك لكم من الله شيئا). ولكن المراد استثناء جملة قوله لأبيه. والقصد إلى موعد  
 الاستغفار له وما بعده تابع له. كأنه قال استغفرك وما في طاعتى إلا الاستغفار.

(١٣) متصل بما قبل الاستثناء. وهو من جملة الأسوة الحسنة. وقيل معناه قولوا (ربنا)  
 فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه.

(١٤) (وإليك) أقبلنا (وإليك المصير) المرجع.

(١٥) أي لا تسلطهم علينا فيقتنوا بهذاب (واغفر لنا ربنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أي  
 الغالب الحاكم.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن  
يَتَّبِعْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ<sup>(١)</sup> عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ  
عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(٢)</sup> لَا يَنْهَكُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ  
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup>

(١) كثر الحديث على الالتساء بإبراهيم عليه السلام وقومه قهراً وتأكيده عليهم . ولما  
جاء به مصدراً بالقسم لأنه الغاية في التأكيد ، وأبدل من قوله ( لكم ) قوله ( لمن كان يرجو الله )  
أي جوابه — أو يخشى الله ، وعقبه بقوله ( ومن يتوكل ) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار ( فإن  
الله هو الغني ) عن الخلق ( الحميد ) المستحق للحمد . فلم يترك نوعاً من التأكيد إلا جاء به .

(٢) لما أزلت هذه الآيات وتشدّد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم  
من المشركين ، أطمعهم في تحول الحال إلى خلافه فقال : ( عسى الله أن يجعل بينكم وبين  
الذين عاديتم منهم ) أي من أهل مكة من أقربائكم ( مودة ) بأن يوقفهم للإيمان . فلما يسر  
فتح مكة أظفروهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتمّ بينهم التحاب . و ( عسى ) وعد من الله على طادات  
الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعلّ فلا تبقى شبهة للحجاج في تمام ذلك  
أو أريد به إطاع المؤمنين . ( والله قدير ) على قلب القلوب وتحويل الأحوال وتسهيل  
أسباب المودة ( والله غفور رحيم ) لمن أسلم من المشركين .

(٣) تكروهم وتحسنوا إليهم قولاً وفعلاً . وعمل ( أن تبرؤهم ) جزء على البذل ( من الذين  
لم يقاتلوكم ) . وهو بديل اشتمال . والتقدير ( عن ) برّ ( الذين ) .

(٤) وقضوا إليهم بالقسط ولا تظالموهم . وإذا نهى عن الظلم في حقّ المشرك فكيف  
في حقّ المسلم ؟

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا كُفْرًا فِي الدِّينِ  
وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِينِهِمْ وَظَلَّهُرُوا عَلَىٰ إخراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ  
مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا  
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَفْقُوا ﴿٣﴾

(١) (أن تولوهم) بدل من (الذين قاتلوكم). والمعنى لا ينهككم عن مرة هؤلاء. وإتمامها كم  
عن تولي هؤلاء (ومن يتوهم) منكم (فاولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولي غير موضعه .

(٢) تمامهن مؤمنات لطفهن بكلمة الشهادة وألتهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان.

(٣) نصب على الحال .

(٤) فابتلوهم بالنظر في الأمارات ليطلب على ظنونكم صدق إيمانهم . وعن ابن عباس  
امتحانها أن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأكعبدا رسول الله. (الله أعلم بإيمانهم) منكم . فإنكم  
وإن رزق أحوالهم لا تعلمون ذلك حقيقة . وعند الله حقيقة العلم به .

(٥) (فإن علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طائفتكم وهو الظن الغالب بظهور  
الإمارات- وتسمية الظن علما يؤذن بأن الظن الغالب وما يقضى إليه القياس جار مجرى العلم  
وصاحبه غير داخل في قوله (ولا تحف ما ليس لك به علم) - (فلا ترجعوهن إلى الكفار)  
فلا ترجعوهن إلى أزواجهن المشركين (لأهلهن حل لم ولاهم يحلون لهن) أي لأهل بين المؤمنة  
والمشرك لوقوع الفرة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما أفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل  
مادفعوا إليهن من المهور . زلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرث على  
أهل مكة من جاء مؤمنا منهم . فأنزل الله هذه الآية بيانا لأت ذلك في الرجال لا في النساء لأت  
المسلمة لأت للكاfer . وقيل نسخت هذه الآية الحكم الأول .

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ  
الْكُوفَرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسَلُّوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ كَحُكْمِ اللَّهِ بِكُمْ بَيْنَكُمْ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَنْزُوجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاتُوا  
الَّذِينَ ذَهَبَ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝

(١١) تى منهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات ( إذا آتيتموهن أجورهن ) أى  
مهورهن لأن المهر أجرة البضع . وبه احتج أبو حنيفة رضى الله عنه على أن لا علة على  
المهاجرة .

(١٢) ( ولا تمسكوا ) بصرى ( بعصم الكافر ) . العصمة ما يتصم به من عقد وسبب .  
والكافر جمع كافرة . وهى التى هبت فى دار الحرب ، أو لحقت بدار الحرب مرتدة . أى لا يكن  
بينكم وبينهن عصمة ولا علة زوجية . قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة  
كافرة بمكة فلا يمتد بها من نسائه . لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه . ( واسألوا  
ما أنفقتم ) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار من تزوجها ( وليسألوا ما أنفقوا ) من  
مهور نسايتهم المهاجرات ممن تزوجها متاً . ( ذلكم ) أى جميع ما ذكر فى هذه الآية ( حكم الله ) .  
( يحكم بينكم ) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير . أى يحكمه الله . أو جعل  
الحكم حاكماً على المبالغة . وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا متاً ولا منهم .

(١٣) وإن افلت أحد منهن إلى الكفار — وهو فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه  
( أحد ) — ( فعاقبت ) فأصبتهن فى القتال بقوبة حتى غنم — من الزناج — ( فاتوا الذين  
ذهبت أزواجهن مثل ما أنفقوا ) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار  
الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنمة . وقيل هذا الحكم منسوخ أيضاً .

يَتَّابُهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُسْرِخَنَّ بِإِلَهِ شَيْئًا وَلَا يُسْرِقَنَّ وَلَا يُزْنِينَ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْنٍ يَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ يَتَّابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

(١١) (إذا جاءك المؤمنات يباعدنك) — حال — (عل أن لا يسركن بالله شيئا ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريدوا البنات (ولا يأتين بهن يفتريه بين أيديهن وأرجلهن) — كانت المرأة تنقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك . كنى بالهتان المفقري من يديها وأرجلها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذا . لأن بطنها الذي يحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين — (ولا يعصينك في معروف) طاعة الله ورسوله (فبايعهن واستغفر لهن الله عما مضى . إنا الله غفور) بتحقيق ما سلف ، (رحيم) بتوفيق ما اتفقت . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقدمة متكررة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحجة . فقال عليه السلام "أبايكن على أن لا تشركن بالله شيئا" فبايع عمر النساء على أن لا يسركن بالله شيئا فقال عليه السلام "ولا يسرقن" فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح . ولأى أصبحت من ماله هنات . فقال أبو سفيان . ما أصبحت فهو لك حلال . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعرفها فقال لها "أنتك لهند" قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك . فقال "ولا يزنين" فقالت أو ترى الحوة ؟ فقال "ولا يقتلن أولادهن" فقالت ربيتهن صغارا وقتلتهن كبارا . فأتهم وهم أعلم . وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر . فضحك عمر حتى استلقى وتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "ولا يأتين بهتان" فقالت والله إنا البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق . فقال "ولا يعصينك في معروف" فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء . وهو يشير إلى أن طاعة الولاة لا يجب في المنكر .

(١٢) ختم السورة بما بدأ به . قبل هم للمشركون .

قَدْ يَسُوءُ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُوءُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ <sup>(١)</sup>

(١) (قد يسؤوا) من ثوابها لأنهم يتكفرون بالبعث (كما يسوء الكفار) أي كما يسؤوا — إلا أنه وضع الظاهر موضع الضمير — (من أصحاب القبور) أن يرجعوا إليهم. أو كما يسوء أسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة. أي هؤلاء كسلفهم. وقيل هم اليهود أي (لا تسأوا قوما) مفضو با عليهم (قد يسؤوا من) أن يكون لهم حفظ في (الآخرة) لتنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة (كما يسوء الكفار من) موتهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفار أي (كما يسوء الكفار) الذين قبروا من خير الآخرة. لأنهم تبنوا قبح عالم وسوء مقلهم. والله أعلم.

## سورة الصف مدنية

وهي أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لِرِ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

(١) (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو تعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه . فزلت آية الجهاد فبإطاع بعضهم فزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) ؟ (لم) هي لام الإضافة داخلية على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيه وم وعم وإلام وعلام . وإنا حذفنا الألف لأن ما واللام أو غيرها كشيء واحد . وهو كثير الاستعمال في كلام المستنهم . وقد جاء استعمال الأصل قليلا قال \* على ما قام يشتمني جرير \* والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان . ومن أسكن في الوصل فلا جرأه مجرى الوقف .

(٢) قصد في (كبر) التعجب من غير لفظه كقوله \* غلت ثاب كلب برأثها \* ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظرهم . وأسند إلى (أن تقولوا) ونصب (مقتا) على التمييز . وفيه دلالة على أنك قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه . والمعنى (كبر) قولكم ما لا تفعلون مقتا عند الله . واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض . وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا . فقال أنا أمر ونهى أن أقول ما لا أفعل فاستعمل مقت الله ؟

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ (١)  
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢)  
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا  
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (٣)

(١) أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقْنِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا) أى صافين أنفسهم . مصدر وقع موقع الحال .

(٢) لاصق بعضه ببعض . وقيل أريد به استواء ثيابهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبيان الذي رضى بعضه إلى بعض . وهو حال أيضا .

(٣) (واذ) — منصوب باذكر — (قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى) ببحود الآيات والقذف بما ليس فى (وقد تعلمون) فى موضع الحال أى (لم تؤذوننى) مالمين مالم يقيتا (أتى رسول الله إليكم) وقضية صليكم بذلك توعى وتعطى لا أن تؤذونى .

(٤) (فلما) مالوا عن الحق (أزاع الله قلوبهم) من الهداية . أولئك تركوا أوامره نزع نور الإيمان من قلوبهم . أو فلما اختاروا الزيف (أزاع الله قلوبهم) أى غلبهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (واله لا يهدي القوم الفاسقين) أى لا يهدي من سبق فى ضلله أنه فاسق .

(٥) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فهم فيكونوا قومه .

(٦) أى أرسلت إليكم فى حال تصديق ما تقدمنى من التوراة وفى حال توشى رسول يأتى من بعدى . حتى أتى ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا من تقدم وأتبع (بدي) مجازى وأبو عمرو وأبو بكر . وهو اختيار الخليل وسيبويه . وانتصب (مصدقاً) (ومبشراً) بما فى الرسول من معنى الإرمال .



فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ <sup>(١)</sup> وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ  
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الظَّالِمِينَ <sup>(٢)</sup> يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مَعَ نُورِهِ <sup>(٣)</sup>  
 وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ <sup>(٤)</sup> هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ  
 الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ <sup>(٥)</sup> يَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَى خَيْرٍ مِنْ جَنَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْعَذَابِ <sup>(٦)</sup>

(١) فلما جاءهم عيسى ومحمد طيها السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر  
 مبين). (ساحر) حمزة وعط .

(٢) وأى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذى له نية سعادة  
 الدارين فيجمل، مكان إجابته إليه، افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده  
 إلى الحق : ( هذا سحر ) ، والسحر كذب وتحويل .

(٣) هذا تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن (هذا سحر). مثلث حالهم  
 بحال من ينفخ في نور الشمس فيه لطفته. والمفعول مخنوف. واللام للتعليل. والتقدير (يريدون)  
 الكذب (ليطفوا نور الله بأقواهم) أى بكلامهم (والله مع نوره) معنى حمزة وعط وحفص.  
 (مع نوره) غيرهم . أى مع الحق وميله غايته .  
 (٤) أى الملأه الخفيفة .

(٥) ليعليه (على الدين كله) على جميع الأديان المخالفة له . ولعمري لقد فعل . فما بقى دين  
 من الأديان ألا وهو منسوب مقهور بدين الإسلام. وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن فى الأرض  
 إلا دين الإسلام .

(٦) تنجيكم ( شامى ) .

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ وَآخِرُ نَجْوَاهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾

(١٦) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل؟ فقال (تؤمنون). وهو بمعنى آمنوا عند سيدييه. ولهذا أوجب بقوله ( يغفر لكم ) . ويدل عليه قراءة ابن مسعود : ( آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا). وإنما جاء به على لفظ الخبر للإيمان بوجوب الامتثال وكأنه امتل فهو يغفر عن إيمان وجهاد موجودين .

(١٧) أي ما ذكر من الإيمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (إن كنتم تعلمون) أنه خير لكم حيث لا أنكم إذا علمت ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم تفضلون وتخلصون .

(١٨) أي إقامة وخلود . يقال عدن المكان إذا أقام به . كذا قيل .

(١٩) (و) لكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة (أخرى) عاجلة محبوبه إليكم. ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل. وهو فتح مكة والنصر على قريش. أوفتح فارس والروم. وفي (تجربونها) شيء من التوبيخ على حبة العاجل. وقال صاحب الكشف (٢٠) "معناه (هل أدلكم على تجارة تنجيكم) (و) على تجارة (أخرى تجربونها) . ثم قال (نصر) أي هي (نصر) ."

(٢٠) عطف على (تؤمنون) لأنه في معنى الأمر . كأنه قيل آمنوا وجاهدوا ببلدكم الله وينصركم؛ (وبشر) يارسول الله (المؤمنين) بذلك . وقيل هو عطف على "قل" مراداً قبل (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ  
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ تَحَرُّبُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنْتَ طَائِفَةٌ  
مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ  
فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ <sup>(٢)</sup>

(١) أى (أنصار) دينه . (أنصاراً لله) حجازى وأبو عمرو.

(٢) ظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى (من أنصارى إلى الله) . ولكنه محمول على المعنى :  
أى (كونوا أنصاراً لله كما) كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم (من أنصارى إلى الله) .  
ومعناه (من) جندى متوجهاً (إلى) نصرته (الله) ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون  
نحن أنصار الله) أى نحن الذين ينصرون الله . ومعنى (من أنصارى) من الأنصار الذين يختصون  
بى ويكونون معى فى نصرته الله . و (الحواريون) أصفاؤه . وهم أقل من آمن به . وكانوا اثني عشر  
رجلاً . وحوارى الرجل صفيه وخالفته . من الحور وهو البياض الخالص . وقيل كانوا قضاير  
يحذرون الثياب أى يبيضونها . (تأمنت طائفة من بنى إسرائيل) بمعنى وكفرت طائفة به .  
فقويتنا مؤمنهم على كفارهم . فغلبوا عليهم . والله ولي المؤمنين . والله اعلم .

## سورة الجمعة مدنية

وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ  
 الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ  
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾

(١) التسبيح إما أن يكون تسبيح خلقه . معنى إذا نظرت إلى كل شيء ذلك خلقته على وحدانية الله تعالى وتزنيه عن الأشياء . أو تسبيح معرفة بأن يجعل الله بطلفه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى ويترهه . ألا ترى إلى قوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) . أو تسبيح ضرورة بأن يحرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك .

(٢) ( هو الذي ) أرسل ( في الأميين رسولا منهم ) أى بعث رجلا أميا في قوم أميين . وقيل ( منهم ) كقوله ( من أنفسهم ) يعلمون نسبه وأحواله . والأئمة منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرءون من بين الأمم . وقيل بدئت الكتابة بالطائف . وهم أخنوها من أهل الحيرة . وأهل الحيرة من أهل الأنبار .

(٣) ( يتلوا عليهم ) القرآن ( ويذكرهم ) ويظهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ( ويعلمهم الكتاب ) القرآن ( والحكمة ) السنة أو الفقه في الدين ( وإن كانوا من قبل ) من قبل جد صلى الله عليه وسلم ( ففى ضلال مبين ) كفر وجهالة . ( وإن ) غفلة من التنبلة . واللام دليل طيا . أى كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه .

وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٢﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الصَّالَةَ ثُمَّ كَذَبُوا بِحَمْلِهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

(١١) مجرور معطوف على (الأتين) يعنى أنه بعنه (فى الأتتين) الذين على عهد (و) فى (آخرين) من الأتتين (لما يلحقوا بهم) أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم . وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم . أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين . وقيل هم العجم . أو منصوب معطوف على المنصوب فى (و) يملهم (و) يعلم (آخرين) . لأن التعليل إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكانه هو الذى تولى كل ما وجد منه .

(١٢) (وهو العزيز الحكيم) فى تمكنه رجلا أتيا من ذلك الأمر العظيم وتأيدته عليه واختياره إياه من بين كافة البشر .

(١٣) (ذلك الفضل الذى أعطاه عبداً — وهو أن يكون نبى أبناء عصره ونبى أبناء العصور النواير — هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) إعطاه وهتفضيه حكمته .

(١٤) (مثل الذين) كلفوا عليها والعمل بما فيها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهو الحجاب الكبير . و (يحمل) فى محل نصب على الحال . أو الجز على الوصف لأن الحمار كالنمى فى قوله • ولقد أمر على التميم يستغنى •

شبه اليهود فى أنهم حملوا التوراة وقواؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم يتفعوا بآياتها — وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به — بالخراب حمل كتبنا بكارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرك منها إلا ما يتوهمه ويظهره من الكذب والتبطل . وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله .

(١٥) أى (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) . أو (بئس مثل القوم) المكذبين مثلهم . وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّوْا أَلَمَوْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ وَلَا تَتَّبِعُوهُ أَهْبَاءُ قَدِمَتْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ أَلَمَوْا إِلَيَّ يَتَّبِعُونِي مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَكِيكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَيَّ عَلَيْهِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

(٢) هاد يهود إذا تهود .

(٣) كانوا يقولون (نحن أبناء الله وأحباؤه). أى إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتصنوا على الله أن يمشىكم وينقلكم سرى ما إلى دار كرامته التى أعدّها لأوليائه. ثم قال (ولا يمتحنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أى بسبب ماقدّموا من الكفر. ولا فرق بين لا ولن فى أنة كل واحدة منهما حتى للمستقبل، إلا أنة فى فن تأكيد وتشديدا ليس فى لا. فاق مرة بلفظ التأكيد (ولن يمتحنوه) ومرة بغير لفظه (ولا يمتحنونه). (والله علم بالظالمين) وعيد لهم.

(١١) إِنَّ الْمَوْتِ الَّذِي تَحْزَنُونَ مِنْهُ وَلَا تَحْسَبُونَ أَنْ تَقْتُلُوهُ خِيفَةٌ أَنْ تَكُونُوا بِأَيِّ كَفَرٍ كُمْ (فَأَنْتُمْ مَلَائِكُمْ لَا مَحَالَةَ - وَالْجَلَّةُ خَيْرٌ إِنَّ) وَدَخَلْتَ الْفَأَاءَ تَضَمَّنَ (الَّذِي) مَعْنَى الشَّرْطُ - ثُمَّ تَرْتَوْنَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِخُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فَيَجَازِيكُمْ بِمَا أَنْتُمْ أَهْلُهُ مِنَ الْمَقَابِلِ .

(٥) النداء الأذان. و (من) بيان لإثبات وتفسيره. ويوم الجمعة سيد الأيام. وفي الحديث<sup>33</sup> من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفى قننة القبر<sup>34</sup>.

فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ <sup>(٣)</sup> ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ <sup>(٤)</sup>  
 فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا <sup>(٥)</sup>  
 اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ <sup>(٦)</sup> وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا <sup>(٧)</sup>

(١) فامضوا . وقرئ بها . وقال الفراء السعي والمضي والذهاب واحد . وليس المراد به السرعة في المشي .

(٢) أى إلى الخطبة عند الجمهور . وبه استدلل أبو حنيفة رضى الله عنه على أن الخطيب إذا اقتصر على " الحمد لله " جاز .

(٣) أراد الأمر بترك ما يلهي عن ذكر الله من شواغل الدنيا . وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال . فقيل لهم : بادروا بتجارة الآخرة ، واتركوا تجارة الدنيا ، واسعوا إلى ذكر الله الذى لا شيء أنفع منه وأربح ، (وذروا البيع) الذى تقفه يسير .

(٤) أى السعى إلى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء .

(٥) أى (إذَا) أدت (الصلاة فانتشروا في الأرض) — أمر إباحة — (وابتغوا من فضل الله) الرزق ، أو طلب العلم ، أو عيادة المريض ، أو زيارة أخ في الله .  
 (٦) واشكروه على ما وقفكم لأداء فرضه .

(٧) فتفرقوا عنك إليها . وتقديره (وإذا رأوا تجارة) انفضوا إليها (أو لهوا) انفضوا إليه .  
 حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه . وإنما خص التجارة لأنها كانت أهم صنعم .

روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء ، فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه فما بقى معه إلا ثمانية أو ثنا عشر . فقال صلى الله عليه وسلم " والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا " وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطلل والتصفيق . فهو المراد باللهو .

وَتَرْكُوكَ قَائِمًا<sup>(١)</sup> قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ  
خَيْرُ الرَّازِقِينَ<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب . وفيه دليل على أن الخطيب ينبغي أن يخطب قائما .

<sup>(٢)</sup> ( ما عند الله ) من الدواب ( خير من اللهو ومن التجارة . والله خير الرازقين ) أى لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين . والله أعلم .



## سورة المنافقون مدنية

إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ <sup>(٢)</sup> لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا  
 أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

(١) أرادوا شهادة وأطاعت فيها قلوبهم. ألسنتهم .

(٢) أى ( والله يعلم ) إن الأمر كما يدل عليه قولهم ( إنك لرسول الله . والله يشهد إن المنافقين  
 لكاذبون ) فى ادعاء المواطاة . أو إنهم ( لكاذبون ) فيه لأنه إذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة  
 فى الحقيقة . فهم كاذبون فى تسميته شهادة . أو إنهم ( لكاذبون ) عند أنفسهم لأنهم كانوا  
 ينقدون أن قولهم ( إنك لرسول الله ) كذب وخبر على خلاف ما عليه حال الخبر عنه .

(٣) وقاية من السبي والقتل . وفيه دليل على أن أشهد يمين .

(٤) ( فصعدوا ) الناس ( عن سبيل الله ) عن الإسلام بالتحفيز <sup>(٥)</sup> وإلقاء الشبه ( إنهم ساء  
 ما كانوا يعملون ) من نفاقهم وصنعتهم الناس عن سبيل الله . وفى ( ساء ) معنى التعجب الذى  
 هو معظم أحرهم عند السامعين .

(٥) فى بعض النسخ بالتحفيز بالثنين المعجمة أى بالصياح .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمُ كَفَرُوا فَكُفُّوا عَنْهُمْ وَأَجْسامُهُمْ وَلَئِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ ﴿١٢﴾

(١١) (ذلك) إشارة إلى قوله (سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). أى (ذلك) القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالاً (١) سبب (أنهم آمنوا ثم كفروا). أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستعجان بالإيمان. أى ذلك كله (٢) سبب (أنهم آمنوا) أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام (ثم كفروا) ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن حير، ونحو ذلك. أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام. كقوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) الآية .

(١٢) نظم عليها حتى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم .

(١٣) لا يتدبرون أولاً يعرفون صحة الإيمان .

(١٤) انطباع لرسول الله أو لكل من مخاطب. كان ابن أبي رجلا جسيماً صليحاً قصبياً، وقوم من المتأقين في مثل صفته. فكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن. فكان النبي صلى الله عليه وسلم من حضر يعجبون بهما كلهم ويسمعون إلى كلامهم .

(١٥) رفع على هم (كانهم خشب) — أو كلام مستأنف لا محل له — (مسندة) إلى الحائط. شبهوا في استنادهم — وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير — بالخشب المسندة إلى الحائط. لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرها من مظان الانتفاع. وما دام متروكاً غير متفقع به أسند إلى الحائط. فشبهوا به في عدم الانتفاع. أولاً أنهم أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أعلام. (خشب) أبو عمرو غير عباس وعل، جمع خشبة كبذنة وبنن. و (خشب) كشجرة وثمر.

يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ <sup>(١)</sup> قَتَلَهُمُ اللَّهُ <sup>(٢)</sup>  
 أَنْ يَبْذُلُوا فِي سَبِيلِهِ <sup>(٣)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ  
 اللَّهِ لَوَا رُءُوسَهُمْ <sup>(٤)</sup> وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ <sup>(٥)</sup>

(١) (كل صيحة) مفعول أول. والمفعول الثاني (عليهم). وتم الكلام. أي (يحبسون كل صيحة) واقعة (عليهم) رضاة لهم بليفتهم ورعهم. يعني إذا نادى مناد في العسكرية وانفتحت دابة أو أُنشئت ضالة ظنوه إيقاما بهم. ثم قال (هم العدو) أي هم الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المدابج الذي يكاشرك وتحت ضلوه الداء النوى (فاحذروهم) ولا تفترو بظاهرهم.

(٢) دماء عليهم. أو تعلم للؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك.

(٣) كيف يبدلون من الحق؟ مسجبا من جهلهم وضلاتهم.

(٤) عطفوها وأمالوها إضرابا عن ذلك واستجارا. (لوا) بالتخفيف نافع.

(٥) يعضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار.

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع — وهو ماء لهم — وهزمهم وقتلهم، أزدحم على الماء جهنياه بن سعيد أجير لعمر، وسان الجهنى حليف لابن أبي واقتلا. فصرخ جهنياه: يا المهاجرين! وسان: يا الأنصار! فأطان جهنياهما جمال من فقر المهاجرين، ولطم سنانا. فقال حيد الله لجمال: وأنت هناك! وقال: «ما صهيبا محمدا إلا لنطلم». والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: «تمن كليك يا كلك». أما والله (لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) «عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم». ثم قال لقومه: «والله لو أمسكن من جمال ونويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم. فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا <sup>(١٢)</sup> وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>(١٣)</sup>

حول عهد<sup>(١)</sup> فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث . فقال : "أنت والله القليل المبعض في قومك . وعهد على رأسه تاج الميراج ، في حزم من الرحمن ، وقوة من المسلمين" . فقال عبدالله : "استك ! إنما كنت ألعب" . فاجبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر رضي الله عنه : "دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله" . فقال : "إذن ترد أنف كثيرة يثرب" . قال : "فإن كرهت أن يقتله مهاجرى ، فأمر به أنصارياً" . قال : "كيف إذا تحدث الناس أت محمداً يقتل أصحابه ؟" وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله . "أنت صاحب الكلام الذى يبنى" . قال : "والله الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك ، وإنك زيدا لكاذب" . فهو قوله (اتخذوا إيمانهم جنة) . فقال الحاضرون : "يا رسول الله . شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام فلام صي أن يكون قد وهم" . فلما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد : "يا فلام إنك الله قد صدقت وكذب المنافقين" . فلما بان كذب عبد الله قيل له : "قد نزلت فيك آى شداد . فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك ، فلوى رأسه . فقال : أمرتمونى أن أومن فأمنت وأمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت . وما بقى لى إلا أن أسجد لمحمد" . فنزل (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) ولم يلبث إلا أياماً حتى اشتكى ومات .

(١) أى (لن يغفر الله لهم) ماداموا على النفاق . والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا ينتدون به لكفرهم . أو لأن الله لا يغفر لهم . وقرئ (استغفرت) على حذف حرف الاستهتام . لأن (أم) المعادلة تعلل عليه .

(٢) ينفضوا .

(٣) أى وله الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم .

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ  
لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾  
وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ  
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿٤﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ ﴿٥﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

﴿١﴾ ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهدون بما زين لهم الشيطان .

﴿٢﴾ (لن رجعا) من غزوة بني المصطلق .

﴿٣﴾ (ولله) الغلبة والقوة ولن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين . وهم الأخفاء  
بذلك كما أت المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين . وعن بعض الصالحات  
وكانت في هيئة رثة : "أست على الإسلام وهو المر الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه"  
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنك رجلا قال له : "إن الناس يزعمون أنك نيك تها"  
قال "ليس بيه . ولكنه عزة" . وتلا هذه الآية .

﴿٤﴾ لا تشغلكم (أموالكم) والتصرف فيها والسعى في تدبير أمرها بالنماء وطلب التاج (ولا)  
أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عن ذكر الله) أي عن الصلوات  
والحس أو عن القرآن .

﴿٥﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين . وقيل : من يشتغل بتدبير أمواله ، عن تدبير أحواله ،  
ومرضاة أولاده عن إصلاح معاده ، (فأولئك هم الخاسرون) في تجارتهم حيث باعوا الباقي  
بالفاني .

﴿٦﴾ (من) للتبويض . والمراد بالإتفاق الواجب .

﴿٧﴾ أي (من قبل أن) يرى دلائل الموت ، ويعاين ما يئس منه من الإهمال ، ويتعذر  
عليه الإتفاق .

فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَنْتَرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾  
وَلَن يُؤْتِرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

(١١) هَلَّا أَنْتَرْت مَوْتِي إِلَى زَمَانٍ قَلِيلٍ فَأَصْدَقَ - وهو جواب (لولا) - (وأكن من الصالحين) من المؤمنين . والآية في المؤمنين . وقيل في المنافقين . (وأكون) أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ . والجزم على موضع (فأصدق) كأنه قيل إن أَنْتَرْتِي أَصْدَقَ وَأَكُن .

(١٢) (ولن يُؤْتِرَ الله نفسا) عن الموت (إذا جاء أجلها) المكتوب في اللوح المحفوظ (والله خير بما تعملون) - (يعملون) حماد ويحيى - والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقتها مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لأعماله وأن الله حليم بأعمالكم فجاز عليها من منع واجب وغيره ، لم يبق إلَّا المصارعة إلى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى . والله أعلم بالصواب .

## سورة التغابن

ثمانى عشرة آية مختلف فيها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ  
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَسَفَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ  
مُؤْمِنٌ ﴿٢﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ

(١) قَدَّمَ الظرفان ليدلّ بتقديمها على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل. وذلك لأن  
الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء والقائم به. وكذا الحمد لأن أصول النعم وفروعها  
منه. وأما ملك غيره فتسليط منه واسترقاء، وحده غيره اعتداد بأنّ نعمة الله جرت على يده.

(٢) أى فأنكم أت بالكفر وفاعل له، ومنكم أت بالإيمان وفاعل له. ويدلّ عليه قوله  
(والله بما تعملون بصير) أى عالم وبصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم. والمعنى (هو الذى)  
تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد من العدم. وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم  
شاكرين. فلا بالكم تفرقتم إنما (فأنكم كافر ومنكم مؤمن) ؟ وقدم الكفر لأنه الأغلب  
عليهم والأكثر فيهم. وهو ردّ لقول من يقول بالمتئمة بين المتزلتين. وقيل: (هو الذى خلقكم  
فأنكم كافر) بالخلق وهم النهرية (ومنكم مؤمن) به.

(٣) بالحكمة البالغة. وهو أن جعلها مقام المكلفين ليعملوا فيجازيهم.

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ <sup>(١)</sup> وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ <sup>(٢)</sup> يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ <sup>(٣)</sup>  
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَنَاقُوا رَبَّكَ أَكْفَارًا <sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ أَتَوْا  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ <sup>(٥)</sup>

(١) أى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاء بدليل أن الإنسان لا يتنمى أن تكون صورته  
على خلاف ما يرى من سائر الصور . ومن حسن صورته أنه خلق مشعباً غير منكب .  
ومن كانت دميماً مشوه الصورة سمح الخلقة فلا سماجة ثم . ولكن الحسن على طبقات .  
فلا يخطأها عما نوقها لا تستلح . ولكنها غير خارجة عن حد الحسن . وقالت الحكماء "شيطان  
لا غاية لها الجمال والبيان" .

(٢) ( وإليه المصير ) فأحسنوا صرائركم كما أحسن صوركم .

(٣) نبه بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه بما يسره العباد وعلونه ثم بعلمه  
بذات الصدور ، أن شهادته من الكليات والجزئيات غير خاف عليه . لحقه أن يتقى ويحذر  
ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه . وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد .

وكل ما ذكره بعد قوله (لنكن كافر ومنكم مؤمن) في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن  
يعصى الخالق ولا أشكر نعمته .

(٤) الخطاب لكفار مكة .

(٥) يبنى قوم نوح وهود وصالح ولوط .

(٦) أى ناقوا وبال كفرهم في الدنيا (ولهم عذاب أليم) في المعنى .



ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَائِبِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا ابْشِرْ يَهُودُنَا  
فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ فِي حِمْدِهِ <sup>(١)</sup> زَعَمَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبِّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ  
وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ <sup>(٢)</sup> فَفَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي  
أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ <sup>(٣)</sup> يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ <sup>(٤)</sup>

(١) (ذلك) — إشارة إلى ما ذكر من الوال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة — (بأنه) بأن الشأن والحديث (كانت تائبهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا ابشروا يهودونا) أنكروا الرسالة للبشر، ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالزل (وتولوا) عن الإيمان (واستغنى الله) (أطلق ليتناول كل شيء، ومن جعلته إيمانهم وطاعتهم (والله غني) عن خلقه (حميد) على صمته .

(٢) أي (زعم) أهل مكة — والزعم اذماء العلم . ويتعمد تعدي العلم — (أن لن) يبعثوا) . (أن) مع مافي حقه قائم مقام المفعولين . وتقديره أنهم (لن يبعثوا) .

(٣) هو إثبات لما بعد (لن) وهو البعث .

(٤) أكد الإخبار باليمين \* فإن قلت مامعنى اليمين على شيء أنكره ؟ قلت هو جائز لأن التهديد به أعظم موقفا في القلب . فكأنه قيل لم ما تنكروه كأن لا محالة .

(٥) (وذلك) (على الله يسير) حين (فآمنوا بالله ورسوله) عهد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) يعني القرآن لأنه يبين حقيقة كل شيء فيمتد به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم .

(٦) (يوم يجمعكم) — انتصب الظرف بقوله (لتنبؤن) أو بإخبار اذكر — (يوم الجمع) يجمع فيه الأولون والآخرون .

ذَلِكَ يَوْمَ النَّفَاثِ <sup>(١)</sup> وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ <sup>(٢)</sup> جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَلُ <sup>(٦)</sup> الْمُمِينُ ﴿٧﴾

(١) هو مستعار من نفاث القوم في التجارة ، وهو أن يفتر بعضهم بعضا ، لتزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا يتزولونها لو كانوا سعداء ، وتزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا يتزولونها لو كانوا أشقياء . كما ورد في الحديث . ومعنى ( ذلك يوم النفاث ) - وقد يتفان الناس في غير ذلك اليوم - استمطام له ، وأن تفانبه هو التفان في الحقيقة لا التفان في أمور الدنيا .

(٢) صفة للصبر أي عملا (صالحا) .

(٣) والذين فيهما مدنى وشامى .

(٤) شدة ومريض وموت أهل أو هي يقتضى هماً .

(٥) (إلا) بلمه وتقديره ومثيلته . كأنه أذن للصبيبة أن تصبيه .

(٦) (هد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول (إنا لله وأنا إليه راجعون) أو يشرحه للازدیاد من الطاعة والتغير . أو (هد قلبه) حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وعن مجاهد : " إن ابتلى صبر ، وإن أعطى شكر ، وإن ظلم غفر " .

(٧) ( فإن توليتم ) عن طاعة الله وطاعة رسوله ( فإنما على رسولنا البلاغ المبين ) أي فعلية التبليغ وقد فعل .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَّا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدَا لَكُمْ فَأَعْدُوهُمْ وَإِن  
 تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾  
 وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

(١) بث رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه  
 وتولى عنه .

(٢) أى إن من الأزواج أزواجا يعادون ويخاصمونهم ، ومن الأولاد أولادنا  
 يعادون آبائهم ويعقونهم .

(٣) الضمير للمدق أو للأزواج والأولاد جميعا . أى لما علمت أن هؤلاء لا يخلون  
 من عدو ، فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم .

(٤) (وإن تعفوا) عنهم إذا أطلعت منهم على عداوة ولم تعالوهم بمثلها (وتصفحوا)  
 تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) تستروا ذنوبهم (فإن الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم  
 ويكفر عنكم سيئاتكم . قيل إن ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فقبضهم أزواجهم وأولادهم ،  
 وقالوا تنطلقون وتضيئوننا . فرقوا لهم ووقفوا . فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقهم  
 قد قهروا في الدين ، أرادوا أن يساقبوا أزواجهم وأولادهم . فزین لهم المفو .

(٥) (أئمتا أموالكم وأولادكم) بلاء وحمة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة ولا بلاء  
 أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أى في الآخرة . وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم  
 وأولادكم . ولم يدخل فيه (من) كما في العداوة . لأن الكل لا يخلو من الفتنة وشغل القلب .  
 وقد يخلو بعضهم عن العداوة .

(٦) جهدكم ووسعكم . قيل هو تفسير لقوله (حق نقاته) .

وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ<sup>(١١)</sup> وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ<sup>(١٢)</sup>  
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣﴾ إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ  
 لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٤﴾ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٥﴾

(١١) واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه ( وأنفقوا )  
 في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها ( خيرا لأنفسكم ) أى إنفاقا خيرا لأنفسكم . وقال  
 الكسائي يكن الإنفاق ( خيرا لأنفسكم ) . والأصح أن تقديره اتوا ( خيرا لأنفسكم ) وافعلوا  
 ما هو خير لها . وهو تأكيد لثبوت كل امتثال هذه الأوامر ، وبيان لأن هذه الأمور خير  
 لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أتم ما كفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا .  
 (٢) أى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة .

(٣) (إن تقرضوا الله) بنية وإخلاص . وذكر القرض تلطّف في الاستدعاء .

(٤) (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعة إلى ما شاء من الزيادة  
 ( ويغفر لكم والله شكور ) يقبل القليل ويعطي الجزيل ( حلیم ) يقبل الجزيل من ذنب  
 البخیل . أو يضعف الصدقة لدافعها ، ولا يسجل المقبولة لمأثمها .

(٥) أى يعلم ما استتر من سرائر القلوب ( والشهادة ) أى ما انتشر من ظواهر الخطوب  
 ( العزيز ) المعز بظهار السيوب ( الحكيم ) في الإخبار عن الغيوب . والله أعلم .

## سورة الطلاق مدنية

وهي اثنا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ<sup>(١)</sup>

(١) خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب، لأنَّ النبي إمام أئمة وقديهم . كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا لإظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه ، وأنه قدوة قومه . فكان هو وحده في حكم كلهم ، وسأذا مسدَّ جيبهم . وقيل التقدير (يأيتها النبي) والمؤمنون . ومعنى (إذا طلقتم النساء) إذا أردتم تطليقهنَّ وهنَّ به . على تنزيل المقبيل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه . كقوله عليه السلام " من قتل قتيلًا فله عليه " . ومنه كان الماسئى إلى الصلاة والمتنظر لها في حكم المصل .

(٢) (فطلِّقوهنَّ) مستقبلات (لعدَّتِهِنَّ) . وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم (في قبل عدَّتِهِنَّ) . وإذا طَلَّقَتِ المرأة في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرانها فقد طَلَّقَتْ مستقبلًا لعدَّتِها . والمراد أن تطلق المدخول بهنَّ من المستقبلات بالحيض في طهر لم يحامن فيه ، ثم يخرجن حتى تنقضي عدَّتِهِنَّ . وهذا أحسن الطلاق .

(٣) واضبطوها بالحفظ وأكلوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا قصصان فيهنَّ وخوطب الأزواج لفعله النساء .

(٤) (لا تخرجوهنَّ) حتى تنقضي عدَّتِهِنَّ (من بيوتهنَّ) من مساكنهنَّ التي يسكنها قبل العدة . وهى بيوت الأزواج . وأضيف إليهنَّ لاختصاصها بهنَّ من حيث السكنى . وفيه

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ  
 نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا<sup>(١٢)</sup> فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُنَ فَأَمْسِكُوهُنَّ<sup>(١٣)</sup>  
 بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ<sup>(١٤)</sup>

دليل على أنه السكنى واجبة ، وآفة الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما إذا  
 حلف لا يدخل داره . ومعنى الإخراج ألا يخرجهن البعولة غضبا طليق وكراهة لمساكنتهن  
 أو لحاجة لم إلى المساكن ، وألا يأذنوا لمن في الخروج إذا طليق ذلك ، إيلانا بأن إذهبن  
 لا أثره لا رفع الخطر . ( ولا يخرجن ) بأنفسهن لأن أردن ذلك .

<sup>(١١)</sup> قيل هي الزنا . أى إلا أن يزني فيخرجن لإقامة الحد عليهن . وقيل خروجها قبل  
 انقضاء العدة فاحشة في نفسه .

<sup>(١٢)</sup> أى الأحكام المذكورة .

<sup>(١٣)</sup> ( لا تدري ) أيها المخاطب ( لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ) بأن يقلب قلبه من بعضها  
 إلى محبتها ، ومن الرضا عنها إلى الرضا فيها ، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه ، فيراجعها .  
 والمعنى ( تطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ) ولا تخرجوهن من بيوتهن لعدتكم تندمون فتراجعون .

<sup>(١٤)</sup> ( فإننا ) قاربين آخر العدة فاتم بالسيار إن شتم فالرجمة والإمساك بالمعروف  
 والإحسان . وإن شتم فترك الرجمة والمفاخرة وانتهاء الضرار . وهو أن يراجعها في آخر عدتها  
 ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعليلها لها .

<sup>(١٥)</sup> يعنى ( وأشهدوا ) عند الرجعة والفرقة جميعا — وهذا الإشهاد مندوب إليه لئلا يقع  
 بينهما التباحث — ( ذوى عدل منكم ) من المسلمين .

<sup>(١٦)</sup> لوجهه خالصا . وذلك أن يقيموها لا للشهود له ولا للشهود عليه ولا لترض من  
 الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الضرر .

ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ  
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ  
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ

(١١) (ذلكم) الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى إنما يفتى به هؤلاء .

(٢) هذه جملة افتراضية مؤكدة لما سبق من إبراء أمر الطلاق على السنة . والمعنى (ومن يتق الله) فطلاق للسنة ولم يضار المعتة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) مما فى شأن الأزواج من النجوم والوقوع فى المضايق ويخرج عنه ويسطه الاخلاص (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه . ويجوز أن يعمد بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله (ذلكم يوعظ به) . أى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ويخلصه من غموم الدنيا والآخرة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها ، فقال (مخرجا) من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بالكف عنهم: (ومن يتق الله)» . فإزال يقرأها ويمدها . وروى أن عوف بن مالك أسر المشركون ابنه له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا إليه القافة . فقال : ما أمسى عند آل جد إلا مذبذبة . فأتى الله وأصبروا كثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فعاد إلى بيته وقال لأمري أنه إن رسول الله أمرنى ولم يأكل أن أستكر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقالت : نعم ما أمرنا به . فجعل يقرآن ذلك . فبينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تنقل عنها العدو فاستأفها . فنزلت هذه الآية .

(٣) (ومن) بكل أمره إليه من طمع غيره وتغيير نفسه (فهو حسبه) كافيه فى الدارين .

(٤) حفص . أى منفذ أمره . غيره (بالأمر) . أى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يسجزه مطلب .

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا <sup>(١)</sup> وَاللَّيْلِ يَبَسُّنَ مِنَ الْآمِحِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ <sup>(٢)</sup> إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ <sup>(٣)</sup> وَاللَّيْلِ لَمْ يَبْخَضَنَّ وَأَوَّلْتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ <sup>(٤)</sup> وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ إِسْرَارًا <sup>(٥)</sup> ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ <sup>(٦)</sup> وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا <sup>(٧)</sup>

(١) تقديره وتوقيته . وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتقويض الأمر إليه ، لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدرة والتوكل .

(٢) روى أن ناسا قالوا قد عرفنا عدّة ذوات الأقران فاعدة اللأى لم يمحض . فنزلت .

(٣) أى ( إن ) أشكل عليكم حكمهن وجهتهن كيف يستدن ( فعدتن ثلاثة أشهر ) أى فهذا حكمهن . وقيل ( إن أربتم ) فى دم البائعات مبلغ الياس — وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين — أهو دم حيض أو استحاضة ، ( فعدتن ثلاثة أشهر ) . وإذا كانت هذه عدّة المراتب بها فغير المراتب بها أولى بذلك .

(٤) من الصغائر . وتقديره ( واللأى لم يمحض ) فعدتن ثلاثة أشهر . غذفت الجملة لدلالة المذكور عليها .

(٥) ( وأولات الأحمال ) عدتن ( أن يضعن حملهن ) . والنص يتناول المطلقات والمتوقضات أزواجهن . وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدّة الحامل المتوقض عنها زوجها أبعد الأجلين .

(٦) يسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى .

(٧) أى ما علم من حكم هؤلاء المعتقات ( أنزله إليكم ) من اللوح المحفوظ ( ومن يتق الله ) فى العمل بما أنزله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه ( يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ) .



أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا  
 عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمِيْلًا فَلَا تَفْقَرُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يُبْضَغْنَ  
 حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَعَاقُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَعْمِرُوا بَيْنَكُمْ

(١١) يَبِّ (التقوى في قوله (ومن يتق الله) . كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن  
 المعتذات ؟ فقيل (أسكنوهن) - وكذا وكذا - (من حيث سكنتم) . هي (من التبعية  
 ببعضها محذوف . أي (أسكنوهن) مكانا (من حيث سكنتم) أي بعض مكان سكنكم .

(١٢) هو عطف بيان لقوله (من حيث سكنتم) وتفسيره . كأنه قيل (أسكنوهن) مكانا  
 من مسكنكم بما تطيقونه . والوجد الوسع والطاقة . وقرئ بالحركات الثلاث . والمشهور الضم .

والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة . وعند مالك والشافعي لا نفقة للبتوة لحديث  
 فاطمة بنت قيس أن زوجها أبى طلحة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى  
 لك ولا نفقة . وعن عمر رضي الله عنه لا تدع كتاب ربنا وصلة نيتنا بقول امرأة لها نسيت  
 أو شبه لها . سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة .

(١٣) ولا تستعملوا معهنّ الضرار (لضيّقوا عليهنّ) في المسكن ببعض الأسباب من إزال  
 من لا يوافقهنّ أو يشغل مكانهنّ أو غير ذلك حتى تضطروهنّ إلى الخروج .

(١٤) (وإن كنّ) أي المطلقات (أولات حمل) ذوات أحمال (فأنفقوا عليهنّ حتى يوضعن  
 حملهنّ) . وفائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول فيظنّ غلاك النفقة تسقط إذا مضى  
 مقدار مدة الحامل . ففنى ذلك الوهم .

(١٥) يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من فطرتهنّ أو منهنّ بعد انقطاع عصمة  
 الزوجية (فأجورهنّ) حكتهنّ في ذلك حكم الأظفار . ولا يجوز الاستئجار إذا كان الولد  
 منهنّ ما لم يكن ، خلافا للشافعي رحمه الله .

(١٦) أي تشارروا على التواضع في الأجرة . أو ليأمر بعضكم بعضا . والمخطاب للآباء والأقهار .

بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَ رِجْمٌ فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُمَّ أُخْرَى ۖ لِيُفِيقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ ۖ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْنِقْ ۖ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ لَا يَكِلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَمَّهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ خَسَبْنَاهَا حَسَبًا شَدِيدًا وَعَدَّيْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَنَقِبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ۖ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۖ

(١) بما يليق بالسنة ويمسح في المروءة . فلا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأتته ولدهما وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه .

(٢) ( وإن ) تضايقت فلم ترض الأم بما ترضع به الأجنبية ولم يزد الأب على ذلك ( فاسترضع له أخرى ) فتستوجد ولا تموز مرضعة غير الأم ترضعه . وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة . وقوله ( له ) أي للأب . أي سيجعل الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه .

(٣) أي ليفيق كل واحد من المومنين والمعمرين ما يلغيه وسعه . يريد ما أمر به من الإيفاق على المطلقات والمرضعات . ومعنى ( قدر عليه رزقه ) ضيق . أي رزقه الله على قدر قوته .

(٤) أعطاهما من الرزق .

(٥) سيجعل الله بعد ضيق في المعيشة سعة . وهذا وعد لدى العمر باليسر .

(٦) ( وكأين من ) أهل قرية عتت أي عصت ( عن أمر ربها ورسوله ) أمرضت عنه على وجه التثنية والسناد ( لخاسبتها حسابا شديدا ) بالاستقصاء والمناقشة ( وعدَّيناها عذابا نكرا ) ( نكرا ) مدني وأبو بكر . متكررا عظيما ( فذات وبال أمرها ) وكان عاقبة أمرها خسرا أي خسارا وهلاكاً . والمراد حساب الآخرة وعذابها وما ينفقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر . ووجه

قَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٢﴾ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

به على لفظ الماضي لأن المتظر من وعد الله ووعده ملق في الحقيقة . وما هو كائن فكان قد . ( أعد الله لهم مذايا شديدا ) تكرير للوعيد وبيان لكونه متوقفا . كأنه قال ( أعد الله لهم ) هذا العذاب . فليكن لكم ذلك ( يا أولى الألباب ) من المؤمنين لطفاً في تقوى الله وحذر عقابه . ويحوز أنه يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظه ، وما أصيبوا به من العذاب في العاجل ، وأن يكون ( عنت ) وما عطف عليه صفة للقرية ، ( وأعد الله لهم ) جواباً لـ ( كانوا ) .

﴿١﴾ ( ذكرنا ) أى القرآن . وانتصب (رسولا) بفعل مضمر . هديره أرسل رسولا . أو بئد من ( ذكرنا ) كأنه في نفسه ذكر . أو على تقدير حذف المضاف أى ( قد أنزل الله إليكم ) ذا ذكر (رسولا) ، أو أريد بالذكر الشرف . كقوله ( وأنه لذكر لك ولقومك ) أى ذا شرف ومجد عند الله ، وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام .

﴿٢﴾ ( يتلوا ) أى الرسول أو الله عز وجل ( عليكم آيات الله مبينات ليخرج ) الله ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح . أو ليخرج الذين علم أنهم يؤمنون ( من الظلمات إلى النور ) من ظلمات الكفر أو الجهل إلى نور الإيمان أو العلم .

﴿٣﴾ ( يدخله ) — وبالنون مدني وشامي — ( جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ) . وحده وجمع حلا على لفظ ( من ) ومعناه .

﴿٤﴾ فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب .

﴿٥﴾ مبتدأ وخبر .

سَبَّحَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

(١) أجمع المفسرون على أن السموات سبع . (ومن الأرض مثلون) بالنصب عطفًا على  
(سبع سموات) قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية . وبين كل  
سماءين مسيرة خمسمائة عام . وظل كل سماء كذلك . والأرضون مثل السموات . وقيل  
الأرض واحدة . إلا أن الأقاليم سبعة .

(٢) أى يعبرى أمر الله وحكمه بينهم وملكه ينفذ فيه .

(٣) اللام يتعلق بخلق .

(٤) هو تميز . أو مصدر من غير لفظ الأول . أى قد علم كل شيء علمًا . وهو علام الغيوب .

## سورة التحريم مدنية

وهي اثنا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ لِرَحْمَتِكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتُّغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ قَرَضَ اللَّهُ لَكَ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكَ ۝

(١) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضى الله عنها وطمت بذلك حفصة . فقال لما اكتمى عل . وقد حرمت مارية على نفي . وأبشرك أن إبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتي . فأخبرت به عائشة . وكانتا مصادقتين . وقيل خلا بها في يوم حفصة . فأرضاها بذلك واستكنهما فلم تكتم فطلقها . واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية . فترل جبريل عليه السلام وقال راجعها فأتها صوامة قوامة . ولأنها لمن نساءك في الجنة . وروى أنه شرب عصلا في بيت زينب بنت جحش فتواطلت عائشة وحفصة وقالتا له : إنا نشم منك ريح المنافر . وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم الثقل . فحرم العسل . فبعناه ( لم يحرم ما أحل الله لك ) من ملك اليمين أو من العسل ( تبتي مرضات أزواجك ) تفسير لتحريم ، أو حال ، أو استئناف . وكان هذا زلة منه ، لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله . ( والله غفور ) قد غفر لك ما زلت فيه ( رحيم ) قد رحمتك فلم يؤاخذك به .

(٢) قد قدر الله لكم ما تمهلون به إيمانكم . وهي الكفارة . أو قد شرع لكم تحليها بالكفارة . أو شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم . من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها وذكر إن

وَاللَّهُ مَوْلَانَا وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١١﴾ وَإِذْ أَمَرْنَا النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ  
حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ  
فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَانِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٢﴾

شَاءَ اللَّهُ عَقِيبًا حَتَّى لَا يَحِثَّ . وَتَحْرِيمُ الْحَلَالِ بَيْنَ عِنْدَنَا . وَعَنْ مَقَاتِلِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْتَقَ رَقَبَةً فِي تَحْرِيمِ مَارِيَّةَ . وَعَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ لَمْ يَكْفُرْ لِأَنَّهُ كَانَ مَغْفُورًا لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلِيمٌ لِلْمُتَعَلِّمِينَ .

(١١) (وَاللَّهُ) سَيِّدُكُمْ وَمَتَوَلَّى أُمُورِكُمْ . وَقِيلَ (مَوْلَاكُمْ) أَوَّلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَكَانَتْ نَصَبِيَّتُهُ أَنْفَعَ لَكُمْ مِنْ نَصَابَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بِمَا يَصْلُحُكُمْ فَيُشْرَهُ لَكُمْ (الْحَكِيمُ) فِيهَا أَحْلَى وَحُجْمٌ .

(١٢) يَعْنِي (وَإِذْ أَمَرْنَا النَّبِيَّ إِلَى) حَفْصَةَ حَدِيثِ مَارِيَّةَ وَإِمَامَةِ الشَّيْخَيْنِ (فَلَمَّا) أَفْتَنَتْهُ إِلَى طَائِفَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) وَأَطْلَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِفْشَائِهَا الْحَدِيثَ عَلَى لِسَانِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، (عَرَفَ بَعْضُهُ) أَعْلَمَ بِبَعْضِ الْحَدِيثِ (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) فَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ تَكَثُّرًا . قَالَ سَفِيَّانٌ مَا زَالَ التَّنَافُلُ مِنْ قَوْلِ الْكَرَامِ . (عَرَفَ) بِالْتَّخْفِيفِ ، حَتَّى . أَيْ جَازَى عَلَيْهِ . مِنْ قَوْلِكَ لِمَنْ لَأَعْرِفَنَّ لَكَ ذَلِكَ . وَقِيلَ الْمُرُوفُ حَدِيثُ الْإِمَامَةِ وَالْمُعْرَضُ عَنْهُ حَدِيثُ مَارِيَّةَ . وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ لَهَا : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ اكْتُمِي عَنِّي ؟ قَالَتْ : فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا مَلَكَتْ نَفْسِي ، فَرَحًا بِالْكَرَامَةِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ بِهَا أَبَاهَا .

(١٣) (فَلَمَّا) نَبَأَ النَّبِيَّ حَفْصَةَ بِمَا أَفْتَنَتْ مِنَ السَّوِّ إِلَى طَائِفَةٍ (قَالَتْ) حَفْصَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَانِي الْعَلِيمُ) بِالْمُرَائِزِ (الْخَبِيرُ) بِالضَّيَّارِ .

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ  
مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٣﴾  
عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْتُكَ أَنْ يَبْلُغَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ  
عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْتُكَ أَنْ يَبْلُغَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ

(١) خطاب لخصمة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما . وجواب الشرط محذوف . والتقدير ( إن توبا إلى الله ) فهو الواجب . ودل على المحذوف ( فقد صغت ) مالت ( قلوبكما ) عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه .

(٢) (تظاهرا) بالتخفيف كقوله . وإن تعاونوا عليه بما يسوءه من الإفراط في الفرية وإنشاء سره (فإن الله هو) وليه وناصره—وزيادة (هو) إيذان بأنه يتولى ذلك بذاته—(وجبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين . أى . كل من آمن وعمل صالحا . وقيل : من برئ من النفاق . وقيل : الصعابة . قيل : واحد أريد به الجمع . كفولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد المجلس . وقيل أصله صالحو المؤمنين لحذف الواو من الخط موافقة للفظ .

(٣) (والملائكة) على تكثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرته الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهري) فوج مظاهره . فما يبلغ تظاهرا امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ؟ ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرته الله قال (بعد ذلك) تعظيما لتصريحهم ومظاهرتهم .

(٤) (يبله) — مدنى وأبو عمرو . فالتشديد للكثرة — (أزواجا خيرا منك) . فإن قلت كيف تكون المبتلات خيرا منك ولم يكن على وجه الأرض نساء خيرا من أمهات المؤمنين ؟ قلت إذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإبائهن إياه لم يبقن على تلك الصفة ، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرا منك .

(٥) مقولات مخلصات .

فَنِينَتِ تَنِينَتِ عَنِدِتِ سَنِحَتِ تَبِينَتِ وَأَبْكَارُ ﴿١١﴾ يَنَائِبُ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا  
مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٢﴾  
يَنَائِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

(١١) (قائنات) مطيعات — فالقنوت هو القيام بطاعة الله. وطاعة الله في طاعة رسوله —  
(ثابتات) من الذنوب أو راجعات إلى الله وإلى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات —  
أو صائمات. وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه.  
فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يبيء وقت إفطاره — (ثيبات وأبكارا) — إنما وسط  
العاطف بين الثيبات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متناقضتان بخلاف سائر  
الصفات .

(١٢) (قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون  
به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوما من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد  
فيها من البراق بالحطب (عليها) على أمرها وتمذيب أهلها (ملائكة) معنى الزبانية التسعة  
عشر وأصواتهم (غلاظ شداد) في أجزامهم غلظة وشدة أو غلاظ الأقوال ، شداد الأفعال  
(لا يعصون الله) في موضع الرفع على النعت (ما أمرهم) في محل النصب على البطل. أي  
(لا يعصون) ما أمر الله. أي أمره. كقوله (أنصبت أخرى) . أو لا يعصونه فيما  
أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون) . وليست الجملة في معنى واحد. إذ معنى الأولى أنهم  
يتقبلون أوامره ويلتزمونها ، ومعنى الثانية أنهم يؤثرون ما يؤمرون به ولا يتأقفلون عنه  
ولا يتوانون فيه .

(١٣) أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار : (لا تعتذروا) لأنه لا مذر لكم أو لأنه  
لا ينفعكم الاعتذار . (إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا .



يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكَ أَن يُكَفِّرَ  
عَنكَ سَيِّئَاتِكَ وَيُدْخِلَكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ  
اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ  
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمُ

(١) صادقة ، عن الأغفش رحمه الله . وقيل خالصة . يقال حصل فاصح إذا خلص من  
السمع . وقيل (نصوحا) من نصاحة الثوب . أى توبة ترفع تحرقك في دينك وترم خلك .  
ويحوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستماله  
الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها . وبضمّ النون حماد ويحيى . وهو مصدر . أى ذات  
(نصوح) أو تنصح نصوحا . وجاء مرغوبا <sup>(٢)</sup> إن التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى  
الذنب إلى أن يعود اللبن في الضرع . وعن حذيفة "بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب  
ثم يعود فيه" . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : "هى الاستغفار باللسان ، والندم بالقلوب ،  
والإقلاع بالأركان" .

(٢) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الإجابة بمضى ولعل وقوع ذلك منهم موقع  
القطع والبت .

(٣) نصب يمدحكم .

(٤) فيه ترضى من أنتم الله من أهل الكفر .

(٥) (نورهم) مبتدأ . (يسعى بين أيديهم وبأيمنهم) في موضع الخبر .

(٦) يقولون ذلك إذا انطلقوا نور المنافقين .

(٧) (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ ، والوعد البليغ — وقيل  
بإقامة الحدود عليهم — (وأغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدما به من القتال والحاجة باللسان .

وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيَلَسَ الْمَصِيرُ ۖ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا  
 أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ  
 فَخَافَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ  
 الدَّٰخِلِينَ<sup>(١)</sup>

(١) مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يماقبون على كفرهم وعداوتهم المؤمنين  
 بلا محاباة ولا يفهمهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وإن كان  
 المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً، بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما ناقتا وخانتا الرسولين  
 بإفشاء أسرارهما، فلم يغن الرسولان (عنهما) أى عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج  
 إغناء من عذاب الله، (وقيل) لها — عند موتها، أو يوم القيامة — (ادخلا النار مع)  
 سائر (الداخلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخلها من إخوانها من قوم نوح  
 وقوم لوط.

ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم  
 عند الله، بحال امرأة فرعون ومزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله، ومريم  
 ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين، مع أن قومها  
 كانوا كفاراً.

وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأقوى المؤمنين المذكورين في أول السورة، وما فرط  
 منهما من النظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه، وتحذير لها على أغلظ وجهه،  
 وإشارة إلى أن من حققهما أن تكونا في الإخلاص كهاتين المؤمنين وآلا تتشكلا على أنهما  
 زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ  
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾  
وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ  
بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَلِيلِينَ ﴿١٢﴾

(١١) هي آسية بنت مزاحم . آمنت بموسى فقبلها فرعون بالأوتاد الأربعة .

(١٢) (إذ قالت) وهي تعذب (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) — فكأنها أرادت الدرجة العالية ، لأنه تعالى مثله عن المكان ، فعبّرت عنها بقولها (عندك) — (ونجيني من فرعون وعمله) أى من عمل فرعون ، أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بنير جرم (ونجيني من القوم الظالمين) من القبط كلهم . وفيه دليل على أن الاستمادة بالله والاتجاه إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل ، من سير الصالحين .

(١٣) (أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (فيه) في الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) أى بصحفه التي أنزلها على إدريس وغيره (وكتبه) بصريّ وحفص بنى الكتب الأربعة (وكانت من القانتين) . لما كان القنوت صفة تشتمل من قنن من القليلين ، غلب ذكره على إناثه . و (من) للتبعيض ويجوز أن يكون لا ابتداء الغاية على أنها ولدت (من القانتين) لأنها من أعقاب هرون أخى موسى عليهما السلام .

## سورة الملك مكية

وهي ثلاثون آية . وتسمى الواقعة والمنجية لأنها تقي قارئها من مذاب القبر

وجاء مرثوفاً " من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾<sup>(١١)</sup> الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ  
وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكَ أَجْرَ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾<sup>(٢)</sup>

(١١) (تبارك) تعالى وتعالى عن صفات المخلوقين (الذي بيده الملك) أى بتصرفه  
الملك والاستيلاء على كل موجود ، وهو مالك الملك يؤتیه من يشاء ويؤزمه من يشاء  
(وهو على كل شيء) من المقدورات ، أو من الإنعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال .

(٢) (الذى خلق الموت) — خبر مبتدأ محذوف أو بطل من (الذى) قبله — (والحياة)  
أى ما يصح بوجوده الإحساس . والموت ضيقه . ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح  
واعداً . والمعنى (خلق) موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما  
بين الموت الذى يعم الأمير والأسير ، والحياة التى لاتنفى بطل ولا طيب ، فيظهر منكم ما علم  
أنه يكون منكم ، فيجازيكم على عملكم لاعل علمه بكم . (أيتكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملاً) أى  
أخلصه وأصوبه . فالتخلص أن يكون لوجه الله . والصواب أن يكون على السنة . والمراد أنه  
أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم إلى اختيار  
العمل الحسن على القبيح . فما وراءه إلا البعث والجزاء الذى لايتد منه . وقدم الموت على الحياة

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ  
فَآرِجِعَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ  
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

لأنَّ أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موهب بين يديه . فقدم لأنه يارجع إلى المسوق له الآية أهم . ولما قدّم الموت الذي هو أثر صفة القهر ، حل الحياة التي هي أثر اللطف ، قدّم صفة القهر على صفة اللطف بقوله ( وهو العزيز ) أي الغالب الذي لا يهزم من أساء العمل ، ( التفور ) السور الذي لا ينكس منه أهل الإساءة والزلل .

(١١) مطابقة بعضها فوق بعض . من طابق النمل إذا خصفها طبقاً على طبق . وهذا وصف بالمصدر . أوّل ذات طباق . أوّل طوبقت (طباقاً) . وقيل جمع طبق بكمل وبحال .

(١٢) ( ما ترى في خلق الرحمن ) — الخطاب للرسول أو لكل مخاطب — ( من تفوت ) حمزة وصل . ومعنى البتامين واحد كالتماحد والمتهمد . أي من اختلاف واضطراب . وعن السدي : من صيب . وحقيقة التفاوت عدم التماسك . كأن بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه . وهذه الجملة صفة (طباقاً) . وأصلها ( ما ترى ) فيمن ( من تفاوت ) . فوضع ( خلق الرحمن ) موضع الضمير ، تعظيماً للخلق وتنبهياً على سبب سلامتهم من التفاوت ، وهو أنه خلق الرحمن ، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسك .

(١٣) ( أارجع البصر ) رده إلى السماء حتى يصح عنك ما أخبرت به بالمأينة فلا تنق ممل شبهة فيه : ( هل ترى من فطور ) صدوح وشقوق . جمع فطر وهو الشق .

(١٤) ( ثم ) ككرر النظر ( كرتين ) أي مرتين مع الأولى . وقيل سوى الأولى . فتكون ثلاث مرات . وقيل : لم يرد الاختصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أي ككرر نظرك ودققه هل ترى خلا أو عيا . وجواب الأمر ( ينقلب ) يرجع ( إليك البصر خاسئاً ) ذليلاً أو بعيداً مما تريد — وهو حال من البصر — ( وهو حسير ) كليل معي ولم يرفها خلا .

(١٥) القرمي . أي ( السماء الدنيا ) منكم .

يَمْصَبِحُ<sup>(١١)</sup> وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ<sup>(١٢)</sup> وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ<sup>(١٣)</sup> ﴿١٤﴾  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ<sup>(١٥)</sup> ﴿١٥﴾ إِذَا أُلْقُوا  
فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ<sup>(١٦)</sup> ﴿١٦﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ<sup>(١٧)</sup>

(١١) بكواكب مضيفة كإضاءة الصباح . والمصابيح السرج . فسحيت بها الكواكب .  
والناس يزيتون مساجدهم ودورهم بإيقاد المصابيح . قليل ( ولقد زيتنا ) سقف الدار التي  
اجتمعتم فيها ( بمصابيح ) أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة .

(١٢) أى لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات . قال قتادة : خلق الله العجوم  
ثلاث : زيتة للساء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك فتد  
تكلف ما لا علم له به . والرجوم جمع رجم . أو هو مصدر سمي به ما رجم به . ومعنى كونها (رجوما  
للشياطين) أن يفصل عنها شباب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنّ أو يخبئه ، لأن الكواكب  
لا تزل عن أماكنها لأنها قاذرة في تلك على حالها .

(١٣) (وأعدنا) للشياطين (عذاب السعير) في الآخرة بعد الإحراق بالنهب في الدنيا .

(١٤) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون  
مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع ، جهنم .

(١٥) (إذا) طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة (سمعوا لها) (شهيقة) (شهيقة)  
صوتا متكررا كهووت الحمار . شبه حسيما المنكر الفظيع بالشهيق (وهي تفور) تتل بهم غليان  
للرجل بما فيه .

(١٦) (تكاد) تتأزى بمعنى سقطت وتفترق (من الغيظ) على الكفار . فقلت كأنما غيظ طهم  
استمارة لشدة غليانهم بهم .

كَلَّمَآ أَنبَىٰ فِيهَا قَوَّجٍ سَالُحُمُ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿١﴾  
 قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ  
 إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٢﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا  
 فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَحَقًّا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾

(١) (كلما أتى فيها) جماعة من الكفار (سالم خزنتها) مالك وأعوانه من الزانية ،  
 توينا لهم : (ألم يأتكم نذير) رسول يتوفاكم من هذا العذاب . فالنذير بمعنى الإنذار . ثم وصف به  
 منذرهم للعذاب في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارا .

(٢) اعترف منهم بعدل الله وإقرار بأنه تعالى أراح طلالهم بعثت الرسل وإنذارهم  
 ما وقعوا فيه .

(٣) أى فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شيء) مما يقولون من وعد ووعد وغير ذلك ،  
 (إن أنتم إلا في ضلال كبير) أى قال الكفار للنورين ما أنتم إلا في خطأ عظيم . وجزاء أن يكون  
 هذا كلام الخزنة للكفار على إرادة القول ومراهم بالضلال الهلاك . أو سموا جزاء الضلال  
 باسمه كما سمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء . ويسمى المشاكلة في علم البيان . أو كلام  
 الرسل لهم حكمه مخزنة . أى قالوا لنا هذا فلم نقبله .

(٤) (لو كنا نسمع) الإنذار سمع طالب الحق (أو نعقل) أى نعقله عقل متأمل  
 (ما كنا في أصحاب السعير) في جملة أهل النار . وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع  
 والعقل ، وأنهما يجتزمان لمزتان .

(٥) يكفرهم في تكذيبهم الرسل .

(٦) وبضم الحاء يزيد وصل . فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته ، اعترفوا أو جمحدوا . فإن  
 ذلك لا ينفعهم . وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع السقاء .

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾  
وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ أَلَا يَعْلَمُ  
مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٤﴾

(١١) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ (قبل معاينة العذاب لهم مغفرة) للذنوب (وإبركير)  
أى الجنته .

(١٢) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار . ومعناه ليستو عندكم إسراركم  
وإجهاركم في علم الله بهما . روى أن مشركي مكة كانوا يناولون من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فيغربه جبريل بما قالوه فيه وقالوه منه . فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع الله محمد .  
فنزلت . ثم قلته بقوله (إنه عليم بذات الصدور) أى بضائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها ،  
فكيف لا يعلم ما تكلم به ؟ .

(١٣) (من) في موضع رفع بآته فاعل يعلم . أنكرا ألا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر  
من خلقها وصنفته أنه (اللطيف) أى العالم بدقائق الأشياء (الخبير) العالم بمخاتق الأشياء .  
وفيه إنبات خلق الأقوال ، فيكون دليلا على خلق أفعال العباد . وقال أبو بكر بن الأصم  
وجعفر بن حرب (من) بمفعول . والتفاعل مضمر . وهو الله تعالى . فاحتالا بهذا لنفى  
خلق لأعمال .

(١٤) لينة سهلة مذكلة لا تمنع المشي فيها .

(١٥) (فامشوا في) جوانبها استدلالا واستزافا — أو جبالها ، أو طرقها — (وكلوا من رزقه)  
أى من رزق الله فيها (وإليه النشور) أى وإليه نشوركم فهو سالككم بن شكر ما أنعم به عليكم .



ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُودُ <sup>(١)</sup>  
 أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ  
 نَذِيرٍ <sup>(٢)</sup> وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ <sup>(٣)</sup> أَوَلَمْ  
 يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٌ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَرْحَمُنَّ <sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> أى (أأمنت من) ملكوته (في السماء) لأنها مسكن ملائكته ، ومنها تنزل قضاياء  
 وكتبه وأوامره ونواهيها ، فكأنه قال (أأمنت) خالق السماء وملكه . أو لأنهم كانوا يعتقدون  
 التشبيه ، وأنه في السماء ، وأت الرحمة والعذاب ينزلان منه . فقبل لهم على حسب اعتقادهم  
 (أأمنت من) تزعمون أنه (في السماء) وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الأرض)  
 كما خسف بقارون (فإذا هي تمود) تضطرب وتهتز .

<sup>(٢)</sup> حجارة . (أن يرسل) بدل من بدل الاشتغال . وكذا (أن يخسف) .

<sup>(٣)</sup> أى إذا وأيم المنذر به علمهم كيف إنذارى حين لا ينفعكم العلم .

<sup>(٤)</sup> (ولقد كذب الذين) من قبيل قومك (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم  
 إذ أهلكهم .

<sup>(٥)</sup> نبه على قدرته على الخسف وإرسال الحاصب بقوله (أو لم يروا إلى الطير) جمع  
 طائر (فوقهم) في الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانهن (ويقبضن)  
 ويضممنها إذا ضربن بها جنيتهن . (ويقبضن) معطوف على اسم التفاعل حملا على المعنى .  
 أى يصفقن (ويقبضن) ، (أو صافات) وقابضات . واختيار هذا التركيب باعتبار أنه أصل  
 الطيران هو صف الأجنحة لأق الطير في الهواء كالسباحة في الماء ، والهواء للطائر كالماء  
 للسباح . والأصل في السباحة الأضراس وبسطها . وأما القبض فطائر على البسط للاستظهار  
 به على التحرك . فجاء بما هو طائر بلقظ الفعل ، على معنى أنهم صافات ويكون منهم

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرِفُكَ مِنْ  
 دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿١١﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي  
 يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿١٢﴾ أَمَّنْ يَمِشُ  
 مُبْكِيًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمِشُ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣﴾

القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح . ( ما يسكن ) عن الوقوع عند القبض والبسط  
 ( إلا الرحمن ) يقدره . وإلا فالثقل يتسفل طبعاً ولا يعلو . وكذا لو أمسك حفظه وتدبره  
 عن العالم لتهاقت الأفلاك . و ( ما يسكن ) مستأنف . وإن جعل حالاً من الضمير  
 في ( يقبض ) يجوز .

﴿١٠﴾ يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العباد .

﴿١١﴾ ( من ) مبتدأ خبره ( هذا ) ، ويبدل من هذا ( الذي هو جند لك ) . وعمل ( ينصرف )  
 من دون الرحمن ) رفع فتمت بجنود محمول على اللفظ . والمعنى من المشار إليه بالنصرف غير الله تعالى .  
 ﴿١٢﴾ أي ما هم ( إلا في غرور ) .

﴿١٣﴾ ( أم ) من ( يشار إليه ) ويقال ( هذا الذي يرزقك إن أمسك رزقه ) وهذا على التقدير :  
 ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاحتقادهم أنهم يحفظون من النواصب ويرزقون  
 بركة ألهتهم . فكانهم الجند الناصر والرازق .

﴿١٤﴾ لما لم يتغلبوا أضرب عنهم فقتل ( بل لجؤا ) تهادوا ( في عتو ) استكبار  
 عن الحق ( ونفور ) وشراء عنه لثقله عليهم فلم يقبوه .

﴿١٥﴾ ضرب مثلاً للكافرين والمؤمنين فقال ( أمَّن يَمْشِي مُبْكِيًا عَلَى وَجْهِهِ ) أي ساقطاً  
 على وجهه يمشي ساعة ويمشي معتسفاً - وأكب مطاوع كَبَّه يقال كَبَّهته فأكب - ( أهدى )  
 أرشد - ( من ) - ( أم من يَمْشِي سَوِيًّا ) مستوياً منتصباً سالماً من العتور والحرور  
 - ( على صراط مستقيم ) على طريق مستو . وخبر ( من ) محذوف لهداية ( أهدى ) عليه .  
 وعن الكلبي : عني بالمكب أبو جهل ، وبالسوي التي طبعه السلام .

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ  
 قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ  
 تُحْشَرُونَ ﴿٢﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ قُلْ إِنَّمَا  
 أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ  
 وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَفُيِّلَ هَذَا الَذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٥﴾

(١) (هو الذي) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) . خصها لأنها  
 آلات العلم. (قليلًا ما تشكرون) هذه النعم لأنكم تشكرون بالله ولا تخلصون له العبادة . والمنى  
 (تشكرون) شكرًا قليلًا . و(ما) زائدة . وقيل القلة عبارة عن العدم .

(٢) (هو الذي) خلقكم (في الأرض وإليه تحشرون) للحساب والجزاء . (ويقولون) أي  
 الكافرون للمؤمنين استهزاء : (متى هذا الوعد) الذي تعدوننا به ؟ يعني العذاب . (إن كُنتُمْ  
 صادقين) في كونه فأصوبنا زمانه .

(٣) أي (قل) علم وقت العذاب (عند الله وإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) أي أن لكم  
 الشرائع .

(٤) (فلَمَّا رَأَوْهُ) أي الوعد يعني العذاب الموعود (زُلْفَةً) قريبًا منهم — وانتصاباً على  
 الحال — (سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي ساءت رؤية الوعد ووجوههم بأن علنها الكآبة والمساءة  
 وغشيتها القلّة والسواد (وقيل هذا الذي) — القائلون الزبانية — (كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ) تفتعلون  
 من الدماء أي تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا . أو هو من الدعوى أي كُنتُمْ بِسَبَبِهِ  
 تَدْعُونَ أَنْتُمْ لَا تَبْتَغُونَ . وقرأ يعقوب (تدعون) .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ  
 مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ  
 مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ  
 يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿١٣﴾

(١١) أى (إن) أمانى الله - كقوله (إن امرؤ هلك) - (ومن معي) من أصحابي (أو رحمتنا) أو أئتمروا في آجالنا (لمن يجير) ينقذ (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم؟ كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون مذبذبون لإحدى الحسنيين إما أن نهلك كما تفتنون فنقلب إلى الجنة ، أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو . فأتهم ما تصنعون؟ من يجيركم وأتم كفارون من عذاب النار؟ لا بد لكم منه .

(١٢) أى الذى أَدْعُوكم إليه (الرحمن آمناً به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه تَوَكَّلْنَا) فَوَضَعْنَا إِلَيْهِ أُمُورَنَا (فستعلمون) إذا نزل بكم العذاب - وبالْيَاءِ، على - (من هو في ضلال مبين) نحن أم أئتم .

(١٣) فأمرنا ذاهبا في الأرض لانتاله الدلاء . وهو وصف بالمعصية ، كمثل معنى عادل .

(١٤) جار يصل إليه من أَرَادَهُ . وتكثرت عند ملحد فقال يأتى بالمول والممن . فذهب ماء عينه في تلك الليلة وعسى . وقيل إنه عهد بن زكريا المتطبيب . زادنا الله بصيرة .

## سورة ن مكية

وهي اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾

(١) الظاهر أن المراد به هذا الحرف من حروف المعجم . وأما قول الحسن إنه الدواة ، وقول ابن عباس إنه الحوت الذي عليه الأرض واسمه بهموت ، فمشكل لأنه لا بد له من الإعراب سواء كان اسم جنس ، أو اسم علم . فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم .

(٢) أى ما كتب به اللوح ، أو قلم الملائكة ، أو الذى يكتب به الناس . أقدم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف .

(٣) أى ما يسطره الحفظة ، أو ما يكتب به من الخير من كتب . و ( ما ) موصولة أو مصدرية .

(٤) جواب القسم . ذ ( أنت ) اسم ( ما ) . وخبرها ( مجنون ) . و ( بنعمة ربك ) — أى بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها — اعتراض بين الاسم والخبر . والباء فى ( بنعمة ربك ) تتعلق بمجنون . ومجمله المنصب على الحال ، والعالم فيها ( مجنون ) . وتقديره ( ما أنت ) مجنون منعا عليك بذلك . ولم يمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي . وهو جواب قولهم ( وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنا نكفركم ) .

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿١١﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾  
 فَسَتَبْصِرُ وَبَصِيرُوكَ ﴿١٣﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿١٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ  
 بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٥﴾ فَلَا تُطِيعِ  
 الْمُكْذِبِينَ ﴿١٦﴾ وَذُوا لَوْ تَدْرِيهِمْ فَيُدْهِنُونَ ﴿١٧﴾

(١١) (وإن لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (الأجرا) ثوابا (غير ممنون) غير مقطوع ،  
 أو (غير ممنون) عليك به .

(١٢) قيل هو ما أمره الله تعالى به في قوله ( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن  
 الجاهلين). وقالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن" أى ما فيه من مكارم الأخلاق.  
 وإنما استعظم خلقه لأنه جاد بالكوثرين وتوكل على خالقهما .

(١٣) أى عن قريب ترى ويرون — وهذا وعد له ووعد لهم — (بأيكم المفتون)  
 المجنون لأنه قن أى ممن بالجنون . والبلاء مزيلة . أو المفتون مصدر كالمفعول أى (بأيكم)  
 الجنون. وقال الزجاج البلاء بمعنى فى . تقول كنت ببلى كذا أى فى بلى كذا . وتقديره فى (أيكم  
 المفتون) أى فى أى الفريقين منكم المجنون فريق الإسلام أو فريق الكفر .

(١٤) أى هو أعلم بالمجاهدين على الحقيقة . وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين)  
 أى هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون .

(١٥) تيسيج للتصميم على معاصيتهم . وقد أرادوه على أن يعبد الله مدته وألهمهم مدته  
 ويكفوا عنه فواظهم .

(١٦) (وذرا) لو تدين لهم فيلينون لك . ولم ينصب باضممار أن وهو جواب التثنية لأنه مدلل  
 به إلى طريق آخر . وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف . أى (ف) هم (يدهنون) أى فهم الآن  
 يدهنون لطمعهم فى إدهانك .

وَلَا تُطْع كُلَّ حَلَّافٍ مِّمِّينَ ﴿١١﴾ هَازِ مَشَاءَ بَنِيهِمْ ﴿١٢﴾ مَنَاعٍ  
لِّلْخَبِيرِ مُعْتَدٍ ائْتِمِ ﴿١٣﴾ عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٤﴾ اَنْ كَانَ ذَا مَالٍ  
وَبَنِينَ ﴿١٥﴾ اِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ اَسْطِيرُ اَلْاَوَّلِينَ ﴿١٦﴾

(١١) (ولا تطع كل) كثير الحلاف في الحق والباطل—وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف —  
(ميمين) حقير في الرأي والتمييز ، من المهانة وهى القلة والحفارة . أو كذاب لأنه حقير عند  
الناس (هاز) عياب طعان مقتاب (مشاء بنيم) يقال للحديث من قوم لم يقرم على وجه  
السعاية والإفساد بينهم — والتميم والنيمة السماوية — (مناع حقير) بخيل — والخير المال . أو مناع  
أهله من الخير . وهو الإسلام . والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور . وكان يقول لبيه  
العشرة من أسلم منك ممتن رقدى — (معتد) مجاوز في الظلم حدّه (ائتم) كثير الآثام (عتل)  
فليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدّ له من المثالب (زيم) دعى . وكان الوليد دعياً في قريش  
ليس من سخفهم . أذناه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده . وقيل بنت أمه ولم يعرف  
حتى نزلت هذه الآية . والنظفة إذا خبلت خبت الناشئ منها . روى أنه دخل على أمه وقال  
إنا حمدا وصفني بعشر صفات وجدت تسعا في . فأما الزيم فلا علم لي به . فإن أخبرني بحقيقته ،  
وإلا ضربت عنقك فقالت : إنا أباك عزيز . وخفت أن يموت فيحصل ماله إلى غير ولده .  
فدعوت راعيا إلى نفعي فانت من ذلك الراعي . قالوا لما عاب الوليد النبي صلى الله عليه وسلم  
— كاذبا — باسم واحد وهو المجنون ، سمّاه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا . فإن كان من عدله  
أن يجرى المسمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشرة ، كان من فضله أن من صلى عليه  
واحدة صلى الله عليه بها عشرا .

(١٢) (أن كان) متعلق بقوله (ولا تطع) . أى ولا تطعمه مع هذه المثالب لـ (أن كان ذا مال) أى  
ليسهه وحقله من الدنيا . ويحوز أن يتماق بما بعده . أى لـ (أن كان ذا مال وبنين) كذب  
بآياتنا . يدل عليه (إذا تلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأولين) . ولا يعمل فيه (قال)  
لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله . (أن) حمزة وأبو بكر . أى الآن كان ذا مال كذب ؟  
(أن) شامى وزيد ويعقوب ومهل .

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ <sup>(١١)</sup> ﴿١١﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ <sup>(١٢)</sup> كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ <sup>(١٣)</sup>  
 إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ <sup>(١٤)</sup> ﴿١٢﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ <sup>(١٥)</sup> ﴿١٣﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا  
 طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ <sup>(١٦)</sup> ﴿١٤﴾ فَأَصْبَحَت كَالصَّرِيمِ <sup>(١٧)</sup> ﴿١٥﴾  
 فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ <sup>(١٨)</sup> ﴿١٦﴾ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْبُكُمْ <sup>(١٩)</sup> إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ <sup>(٢٠)</sup> ﴿١٧﴾

(١١) سنكويه (على الخرطوم) على أنه مهافة له ولعلها يعرف به . وتخصيص الأنف  
 بالنذ كراتك الرسم عليه أشع . وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمعة على خرطومه .

(١٢) امتحننا أهل مكة بالهبط والجوع حتى أكلوا الجيف والرم بدعاء النبي صلى الله  
 عليه وسلم حيث قال "اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف" .

(١٣) هم قوم من أهل الصلات كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان . وكانت  
 على فرضين من صنعاء . وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي على الفقراء . فلما  
 مات قال بنوه إن فلانا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ، ونحن أولو عيال . فحلفوا  
 (ليصرمتها مصبحين) في السدف ، خيفة من المساكين . ولم يستنوا في بينهم . فأحرق الله  
 جنتهم . وقال الحسن كانوا كفارا . والجهور على الأول .

(١٤) حلفوا (ليصرمتها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء —  
 حال من فاعل (ليصرمتها) — (ولا يستنون) ولا يقولون إن شاء الله . وسمى استثناء وإن  
 كان شرطا صورة لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأمرجن إن شاء الله ،  
 ولا أخرج إلا أن يشاء الله ، واحد .

(١٥) نزل عليها بلاء . قبل أنزل الله تعالى عليها نارا فأحرقها (وهم نائمون) أى في حال  
 نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) كالليل المظلم . أى احترقت فاسودت . أو  
 كالصريح . أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر . وقيل كالصرومة أى كأنها صرمت لهلاك ثمرها .

(١٦) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حربكم) ولم يقل إلى  
 حربكم لأن الغدو إليه ليصرموه كان غدوا عليه . أو ضمن الغدو معنى الإقبال . أى فاقبلوا على  
 حربكم باكرين (إن كنتم صادقين) صريدين صرامه .



فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَخْتَفُونَ ﴿١﴾ اَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ  
مَسْكِينٌ ﴿٢﴾ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَلِيلٍ ﴿٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا  
إِنَّا لَنَصَائِدُونَ ﴿٤﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٥﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَ أَقْلَ لَكُمْ  
لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٦﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٧﴾

(١) ذهبوا (وهم يتخفون) يتساورون فيما بينهم لتلاي سمع المساكين (أن لا يدخلها) (أي الجنة). و(أن) مفسرة. وقرئ بطرحها بإضمار القول. أي (يتخفون) يقولون (لا يدخلها اليوم عليكم مسكين). والتهى عن دخول المسكين نهى عن التمكن. أي لا يمكنه من الدخول.

(٢) (غدا) (على جد في المنع) (قادرين) عند أنفسهم على المنع. كذا عن فطوهم. أو الحرد القصد والسرعة. أي (وغدا) قاصدين إلى جنتهم بسرعة (قادرين) عند أنفسهم على صرامها وزي منفعتها عن المساكين. أو هو علم الجنة أي (غدا على) تلك الجنة (قادرين) على صرامها عند أنفسهم.

(٣) (فلما رأوها) أي جنتهم محترقة (قالوا) في بداية وصولهم (إننا لنصائدون) أي ضالينا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها. فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا (بل نحن محرومون) حرمتنا خيرها بلحنا يتنا على أنفسنا.

(٤) (قال) (أعلم وخبرهم) (ألم أقل لكم لولا تسبحون) هل تستنبون إذ الاستثناء التسبيح لانتقامها في معنى التعظيم لله. لأن الاستثناء تفويض إليه. والتسبيح تزيه له. وكل واحد من التفويض والتزيه تعظيم. أو (لولا) تذكر الله وتو بون إليه من خبت نيتكم. كان أوسطهم قال لم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه الزيمة الخبيثة. فمضوه فخيرهم. ولمضنا (قالوا سبحان ربنا. إننا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولا وأقروا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف وترك الاستثناء وتزهوه عن أن يكون ظالما.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْمُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَتَوَيْنَنَا إِنَّا كُنَّا  
طَالِعِينَ ﴿١٢﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّمَّا إِنَّا لَكِ رَبِّتَا  
رَاغِبُونَ ﴿١٣﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا  
يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٥﴾ أَفَنَجْعَلُ  
الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٧﴾

(١١) (فأقبل بعضهم على بعض يتلومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الحرب من  
المساكين ويحيل كل واحد منهم اللأمة على الآخر. ثم اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله  
(قالوا يا ويلنا إنا كنا طالعين) بمنع حق الفقراء وترك الاستئناء.

(١٢) (أن يبدلنا) - بالتشديد مدني وأبو عمرو - (خيرا منها) من هذه الجنة.

(١٣) طالبون منه الخير واجتنب لمفوه. عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها. ومع  
ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها غناب يعمل  
الغفل منه عقودا.

(١٤) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه ، عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب  
الآخرة أكبر) أعظم منه. (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يقضى إلى هذا العذاب. ثم ذكر  
ما عند المؤمنين فقال (إن للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنتات النعيم)  
جنتات ليس فيها إلا النعيم الخالص بخلاف جنتات الدنيا.

(١٥) استفهام إنكار على قولهم لو كان ما يقول عذرا حقاً فنحن نعطي فى الآخرة خيرا  
مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا. فقيل لهم (أ) نحيف فى الحكم (فنجعل المسلمين)  
كالكافرين؟ ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالك كيف تحكمون) هذا الحكم الأعوج  
- وهو التسوية بين المطيع والمعاصى - كأن أحد أجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه  
بما شئتم.

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿١٢﴾  
 أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَيْكُمْ يَوْمَ الْآخِرَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا  
 تَحْكُمُونَ ﴿١٣﴾ سَأَلْتُمُ آبَاءَكُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿١٤﴾ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ  
 فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴿١٦﴾

(١١) (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرأون في ذلك الكتاب (إن لكم فيه ما  
 تختارون) أي أن ما تختارونه وتشتبهونه لكم . والأصل تدرسون أن لكم ما تختارون ففتح أن لأنه  
 مدرّس لوقوع الدرس عليه . وإنما كسرت لجهى اللام . ويعوز أن يكون حكاية للدرّس  
 كما هو كقوله (وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح) . ويختار الشيء واختاره أخذ خبره .  
 (١٢) (أم لكم) عهود مؤكدة بالإيمان (بالغة إلى يوم القيامة) — (بالغة) نصت (إيمان) .  
 وتتأق (إلى يوم القيامة) ببالغة . أي أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة لم تبطل منها عين  
 إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم . أو بالمقدّر في الطرف . أي هي ثابتة لكم علينا  
 (إلى يوم القيامة) لا نخرج من عهدتها إلا يومئذ إذا حكمتكم وأعطيناكم ما تحكون —  
 (إن لكم لما تحكون) به لأنفسكم . وهو جواب المقسم . لأن معنى (أم لكم إيمان علينا)  
 أم أقمنا لكم بإيمان مغلظة متناهية في التوكيد . (سألتهم) أي المشركين (آبائهم بذلك) الحكم  
 (زعم) كقيل بأنه يكون ذلك . (أم لهم شركاء) أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويلعبون  
 مذهبه فيه ؟ (فليأتوا بشركائهم) إن كانوا صادقين (في دعواهم) يعني أن أحدا لا يسلم لهم هذا  
 ولا يساعدهم عليه ، كما أنه لا تحاب لهم ينطق به ، ولا عهد لهم به عند الله ، ولا زعيم لهم  
 يضمن لهم من الله بهذا .

(١٣) ناصب الطرف (فليأتوا) أو اذكر مضمرًا . والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة  
 عن شدة الأمر وصعوبة الخطب . فمعنى (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الأمر ويصعب  
 ولا يكشف ثمة ولا ساق . ولكن كنى به عن الشدة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق .  
 وهذا كما تقول للاقطع الشجيع "يده مغلوله" ولا يد ثمة ولا غل وإنما هو كناية من البخل .  
 وأما من شبه ظفريق عطنه وقلة نظره في علم البيان . ولو كان الأمر كما زعم المشبه لكان من  
 حق الساق أن يتوف لأنّها ساق معهودة عنده .

وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١١﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ  
ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ ﴿١٢﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ  
يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَلِرْجُهِمْ مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

(١١) (ويدعون) أى الكفار ثمة (إلى السجود) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم  
السجود في الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لأن ظهورهم تصير كصياصي البقرة لا تنفى عند  
الخفض والرفع .

(١٢) (خاشعة) ذليلة - حال من الضمير في (يدعون) - (أبصارهم) أى (يدعون) في حال  
خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار .

(١٣) (وقد كانوا يدعون) على ألسن الرسل (إلى السجود) في الدنيا (وهم سالون)  
أى وهم أمعاء ، فلا يسجدون . فلذلك منوا عن السجود ثم .

(١٤) (يأله ذنوبه وإياه أى كله إلى نفاى أكفيكه) (ومن يكذب) - معطوف على المفعول  
أو مفعول معه - (بهذا الحديث) بالقرآن . والمراد كل أمره إلى وخل يبنى وبينه نفاى عالم بما  
ينبئ أن يفعل به مطبق له . فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه . تسليه لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، وتهديد للكافرين .

(١٥) (سندنيهم من المذاب درجة درجة) . يقال استدرجه إلى كذا أى استزله إليه درجة  
فدرجة حتى يورطه فيه . واستدرج الله تعالى المصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون  
يرزق الله ذريعة إلى ازدياد المصاى .

(١٦) من الجهة التى لا يشعرون أنه استدرج . قيل كلما جتدوا معصية جتدنا لهم نعمة  
وانسيانهم شكرها . قال عليه السلام إذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته  
فاعلم أنه مستدرج . وكلا الآيت .

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ عَنْهُمْ الْقَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿١٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٤﴾ لَوْلَا أَنْتَ ذَرَكْنَاهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِتَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٥﴾

﴿١١﴾ وأملهم (إك كيدى متين) قوى شديد. فسئلى إحسانه وتمكينه كيلا كاستمأ واستندراجا، لكونه فى صورة الكيد، حيث كان سببا للهلاك. والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن. ولا يجوز أن يسئى الله كأنذا وما كرا ومستدرجا.

﴿١٢﴾ (أم لسالم) هل تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون ؟ استغفهم بمعنى الغنى . أى لست تطلب أجرا على تبليغ الوعى فيقتل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك .

﴿١٣﴾ (أم عندهم) اللوح المحفوظ — عند الجمهور — (فهم يكتبون) منه ما يحكون به.

﴿١٤﴾ (فأصبر لحكم ربك) وهو إلهالهم وتأخير نصرتك عليهم، لأنهم أهملوا لم يعملوا .

﴿١٥﴾ (ولا تكن) كيولس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبلى ببلائه . والوقف على الحوت . لأنك (إذ) ليس ينظرف لما تقدمه . إذ النداء طاعة فلا ينهى عنه . بل مفعول محذوف . أى اذكر (إذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بـ (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) .

﴿١٦﴾ محلو غيظا . من كظم السقاء إذا ملأه .

﴿١٧﴾ (لولا أن تداركه) رحمة (من ربه) أى لولا أن الله أتم عليه بإجابة دعائه وقبول صوره (لنبت) من بطن الحوت (بالعراء) بالنضاء (وهو مذموم) معاتب بزلته . لكنه رحم فهذه غير مذموم .

فَاجْتَبَيْهِ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿١٢﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾

(١١) اصطفاؤه لدمائه وعذره (لجعله من الصالحين) من المستحكين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة. وقيل: من الأنبياء. وقيل: من المرسلين. والوجه هو الأول لأنه كان مرسلًا ونبيًا قبله لقوله تعالى (وَإِنْ يَوْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَقْبَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) الآيات .

(١٢) (لَيُزْلِقُونَكَ) يفضح الياء، مدنى. (إِنْ) غشقة من الثقلية واللام ملهها. زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه. أى قارب الكفار من شدة نظرهم إليك شذرا ببيون العداوة أَنْ يَزِيلُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ مِنْ مَكَانِكَ ، أَوْ يَهْلِكُوكَ لَشَدَّةِ حَتْمِهِمْ عَلَيْكَ . وكانت العين في بنى أسد . فكان الرجل منهم يقرع ثلاثة أيام فلا يتر به غىء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلّا هلك . فأريد بعض البشائير على أن يقول في رسول الله مثل ذلك. فقال: لم أر كاليوم مثله رجلا . فعصمه الله من ذلك . وفي الحديث : العين حق وَإِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْخُلُ الْجَبَلَ الْقَدِيرَ ، وَالرَّجُلَ الْقَبِيرَ . وعن الحسن : رقية العين هذه الآية :

(١٣) (لَمَّا سَمِعُوا) القرآن (وَيَقُولُونَ) حسدا على ما أوتيت من النبوة: (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) إِذْ عَمِدَا (لَمَجْنُونٌ) حيرة في أمره وتنفيها عنه ، (وَمَا) القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) وعظ (لِلْعَالَمِينَ) للجن والإنس . يعنى أنهم جنتوه لأجل القرآن . وما القرآن إلا موعظة للعالمين . فكيف يمتنع من جاءه بعثته ؟ وقيل (لَمَّا سَمِعُوا) الذكر أى ذكره عليه السلام (وَمَا هُوَ) أى عجد عليه السلام (إِلَّا ذِكْرٌ) شرف (لِلْعَالَمِينَ) فكيف ينسب إليه المجنون ؟ والله أعلم .

## سورة الحاقة مكية

إحدى وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ <sup>(١)</sup> مَا الْحَاقَّةُ <sup>(٢)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ <sup>(٣)</sup> كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِوَاعَدِ  
بِالْقَارِعَةِ <sup>(٤)</sup> فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ <sup>(٥)</sup> وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ

(١) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجدى التى هى آتية لا ريب فيها . من حق يحق  
بالكسر أى وجب .

(٢) مبتدأ وخبر . وهما خبر الحاقة . والأصل ( الحاقة ) ما هى ؟ أى أى شئ هى ؟  
فمنها لسانها وتعظيما لهما . أى حقها أن يستفهم عنها لعظمها . فوضع الظاهر موضع  
الضمير لزيادة التهويل .

(٣) وأى شئ أهلك ( ما الحاقة ) ؟ معنى أنك لا علم لك بكنها ومدى عظمها لأنه  
من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين . ( وما ) رفع بالابتداء . و ( أدراك ) الخبر .  
والجمله بـ ( ما ) فى موضع نصب لأنها مفعول ثان لا يرى .

(٤) أى بالحاقة . فوضعت القارعة موضعها لأنها من أسماء القيامة . وتميت بها لأنها  
تقرع الناس بالأفزع والأحوال .

(٥) لما ذكرها ونفمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب  
التكذيب ، تذكرها لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم : ( فأما ثمود فأهلكوا  
بالطاغية ) بالواقعة الجاوزة للحد فى الشدة . واختلف فيها . فقيل الرجفة . وقيل الصيحة .  
وقيل الطاغية مصدر كالعافية . أى بطغيانهم . ولكن هذا لا يطابق قوله ( وأما عاد فأهلكوا  
بريح ) أى بالبور لقوله صلى الله عليه وسلم " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالبور " .

صَرَصِرَ عَائِيَةً ﴿١١﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَحْنِيَةً أَيَّامٌ حُسُومًا ﴿١٢﴾  
فَقَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُجِازٌ يُنْخَلُ خَاوِيَةً ﴿١٣﴾ فَهَلَلْ  
تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿١٤﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتِ ﴿١٥﴾  
بِالْخَاطِئَةِ ﴿١٦﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٧﴾

(١١) شديدة الصوت . من الصَّرة الصبيحة . أو باردة من الصَّر كَأَنها التي كرر فيها البرد  
وكثر فهي تحرق بشدة بردها .

(١٢) شديد البصر . أو عنت على نيرانها فلم يضبطوها بإذن الله ، غضبا على أعداء الله .

(١٣) سألطها ( عليهم سبع ليل وثمانية أيام ) . وكان ابتداء العذاب يوم الأربعاء آخر  
الشهر إلى الأربعاء الأخرى .

(١٤) أى متتابعة لا تنقطع . جمع حاسم كشود . تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة  
الكي على الداء مرة بعد أخرى حتى يتحسم . وجاز أن يكون مصدرا . أى تحسم حُسُوما بمعنى  
تستأصل استئصالا .

(١٥) (قترى) أيها المخاطب (القوم فيها) في مهايها أو في الليالي والأيام (صرعى) — حال  
جمع صريع — (كأنهم) — حال أخرى — (أجياز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة  
أو بالية .

(١٦) (من) نفس (باقية) . أو (من) بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان .

(١٧) (ون) تهادمه من الأمم . (ومن قبله) بصري وعل . أى ومن عنده من أتباعه .

(١٨) قري قوم لوط فهي انتفكت أى انقلبت بهم .

(١٩) بالخطأ أو بالعملة . أو بالأفعال ذات الخطأ العظيم .

(٢٠) (فصصوا) أى قوم لوط (رسول ربهم) لوطا (فأخذهم أخذة رابية) شديدة  
زائدة في الشدة كما زادت قيامتهم في الفصح .



إِنَّا لَمَّا طَفَا الْمَاءَ حَمَلْنَاكَ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكَ تَذَكُّرًا  
وَتَعِيًّا أُذُنٌ وَعِيَّةٌ ﴿٢﴾ فَلَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْثَةً وَاحِدَةً ﴿٣﴾  
وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكًا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ  
الْوَارِقَةُ ﴿٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿٦﴾ وَالْمَلَكُ  
عَلَى أَرْجَائِهِا ﴿٧﴾ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿٨﴾

(١) (لما) ارفع وقت الطوفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا (حملناكم)  
أى آباءكم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) — أى الفعلة . وهى إجماع  
المؤمنين وإغراق الكافرين — (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيا) وتحفظها (أذن) — بضم الدال ،  
غير نافع — (واعية) حافظة لما تسمع . قال قتادة : وهى أذن عقلت عن الله وانفتحت  
بما سمعت .

(٢) (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) — هى النفخة الأولى . ويموت عندها  
الناس . والثانية يبعثون عندها — (وحملت الأرض والجبال) رفعا عن موضعهما (فدكًا  
دكة واحدة) دقا وكسرا ، أى ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء  
منبثا ، (فيومئذ) حينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة . وهى القيامة . وجواب (إذا) ،  
(وقعت) ، و (يومئذ) بطل من (إننا) .

(٣) . فتحت أبوابا (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت عمكة  
(والملك) — للجنس بمعنى الجمع . وهو أعم من الملائكة — (على أرجائها) جوانبها . واحدتها رجا  
مفصور . لأنها إذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجئون إلى أطرافها .

(٤) (ويحمل عرش ربك) فوق الملك الذين على أرجائها (يومئذ ثمانية) منهم . واليوم  
تحملة أربعة . وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة . وعن الضحاك ثمانية صغوف . وقيل  
ثمانية أصناف .

يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تَحْقِقَ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١١﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ  
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٢﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي  
مُلْكٌ حَسَابِيَةٌ ﴿١٣﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٤﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٥﴾

(١١) (تعرضون) للحساب والسؤال - شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعريف أحواله -  
"لا تلتفتي منكم خافية" سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا . وبالياء كوفي غير حاصم . وفي الحديث  
"يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات . فأتانا عرضتان بغدال ومعاذير . وأما الثالثة  
فنحنها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ، والمالك كتابه بشماله" .

(١٢) (فأما) - تفصيل للعرض - (من أوتي كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه  
من المنجزات ، خطابا بجماعته : (هؤلأء) اسم للفعل . أى خذوا (اقربوا كتابه) . تهديره (هؤلأء)  
كتابي (اقربوا كتابه) تخفف الأول لدلالة الثاني عليه . والعامل في (كتابيه) (اقربوا عند  
البصريين . لأنهم يعملون الأقرب . والماء في (كتابيه) و (حسابيه) و (ماليه) و (سلطانيه)  
للسكت . وحقها أن تلبث في الوقف وتسقط في الوصل . وقد استحسب إشار الوقف إشارا  
لثباتها لثبوتها في المصحف .

(١٣) علمت . وإنما أجرى الظن مجرى العلم ، لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم في الماديات  
والأحكام ، ولأن ما يدرك بالاجتهاد قدما يتلو عن الوسواس والخواطر . وهي تفضي  
إلى الظنون بجاز إطلاق لفظ الظن عليها لما لا يتلوه عنه .

(١٤) معين حسابي .

(١٥) ذات رضا يرضى بها صاحبها . كلاين .

(١٦) رفيعة المكان . أو رفيعة الدرجات . أو رفيعة المراتب والقصور . وهو خبر بعد خبر .

قُطِرُوهَا دَانِيَةً ﴿١١﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ  
الْأَخْلَافِ ﴿١٢﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشَإِلِهِ فَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لَرَّ أَوْتُ  
كِتَابِي ﴿١٣﴾ وَلَرَّ أَذْرٍ مَا حِسَابِي ﴿١٤﴾ يَلْبِثُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿١٥﴾  
مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٖ ﴿١٦﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿١٧﴾ خَذُوهُ قُغْلُوهُ ثُمَّ  
الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿١٩﴾

(١١) ثمارها قريبة من مریدها ينالها القائم والقاعد والمتكبر .

(٢٢) يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئاً) أكلوا وشربوا هنيئاً لا مكروه فيها ولا أذى .  
أو هنيئاً هنيئاً — على المصدر — (بما أسلفتم) بما قدتم من الأعمال الصالحة (في الأيام  
الخالفة) الماضية من أيام الدنيا . وعن ابن عباس : هي في الصائمين . أي كلوا واشربوا  
بدل ما أسلفتم من الأكل والشرب لوجه الله .

(٢٣) (فيقول باليتي لم أوت كتابي) لما يرى فيه من الفضائح (ولم أدر ما حسابي)  
أي باليتي لم أعلم ما حسابي (باليتي) باليت الموتة التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة  
لأمرى . فلم أبحث بعدها ، ولم ألق ما ألقى . (ما أغنى عنى ماله) أي لم ينفعنى ما جمعت في الدنيا .  
فـ (ما) نفى والمفعول محذوف أي شيئاً . (هلك عنى سلطانیه) ملكى وتسلى على الناس  
وبقيت فقيراً ذليلاً . وعن ابن عباس رضى الله عنهما . ضلّت عنى هجى . أي بطلت هجى  
التي كنت أحتج بها في الدنيا .

(٢٤) فيقول الله تعالى نلزنة جهنم (خذوه قغلو) أي اجمعوا يديه إلى عقبه (ثم الجحيم  
صلوه) أي أدخلوه — يعنى ثم لا تصلوه إلا الجحيم ، وهى النار العظمى . أو نصب الجحيم  
بفعل يفسره (صلوه) — (ثم) في سلسلة ذرعها (سبعون ذراعاً) — بذراع الملك ،  
عن ابن جريج . وقيل لا يعرف قدرها إلا الله — (فاسلكوه) فادخلوه . والمعنى في تقديم السلسلة  
على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية .

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٢﴾  
 فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿١٣﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿١٤﴾ لَا يَأْكُلُهُـ  
 إِلَّا الْخَلِيطُونَ ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

(١١) تمثيل . كأنه قيل : ماله يذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بأنه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين . وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث . لأن الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وإنما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على إطعامهم . أى أنه مع كفره لا يحترض غيره على إطعام المحتاجين . وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لأنه عطفه على الكفر وجعله دليلاً عليه وقرينة له ، ولأنه ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق . وعن أبي الرداءة أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين ، ويقول خلعتنا نصف السلسلة بالإيمان فخلعت نصفها بهذا . وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعاً ، والكافرين لا يرحمون . لأنه قسم الخلق نصفين بفعل صنفنا بينهم أهل اليقين ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله ( إني ظننت أني ملاق حسابه ) ، وصنفنا منهم أهل الشك والوصفهم بالكفر بقوله ( إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ) . وجازأت الذي يصاقب من المؤمنين إنما يصاقب قبل أن يؤتى كتابه بميثمه .

(١٢) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه .

(١٣) غسالة أهل النار . فعلى من الفسل . والنون زائدة . وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم .

(١٤) الكافرون أصحاب الخطايا . وخطيئ الرجل إذا تمعد الذئب .

(١٥) ( فلا أقسم بما تبصرون ) من الأجسام والأرض والماء ( وما لا تبصرون ) من الملائكة والأرواح . فالخلاص أنه أقسم بجميع الأشياء .

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾  
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٣﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾  
وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٥﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٦﴾  
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٧﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٨﴾

(١) أى إن القرآن ( لقول رسول كريم ) أى محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل عليه السلام . أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله ( وما هو بقول شاعر ) كما تدعون ( قليلا ما تؤمنون ولا يقول كاهن ) كما تقولون ( قليلا ما تذكرون ) . وبالإيهام فيها مكى وشامى ويقوب وسهل . وبخفيف الذال كوفى غير أبى بكر . والقلة فى معنى العلم . يقال هذه أرض قلما تنبت . أى لا تنبت أصلا . والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة .

(٢) هو (تنزيل) . بياناً لأنه قول رسول نزل عليه ( من رب العالمين ) .

(٣) ولو ادعى علينا شيئا لم قلناه ( لأخذنا منه باليمين ) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاملة بالسخط والانتقام . فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته . وخص اليمين لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ يساره . وإذا أراد أن يوقعه فى جبهه وأنت يكفحه بالسيف — وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف — أخذ يمينه . ومعنى (لأخذنا منه باليمين) لأخذنا بيمينه . وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه . وهو نياط القلب إذا قطع مات صاحبه .

(٤) الخطاب للناس أو للساكنين . ( من ) زائدة . ( عنه ) عن قتل محمد . وجمع ( حاجزين ) وإن كان وصف (أحد) لأنه فى معنى الجماعة . ومنه قوله تعالى ( لا تهزق بنى أحد من رسله ) .

وَإِنَّهُ لَنَذِيرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ  
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْبَقِيَّةِ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾

(١) وإِنَّ القرآن (لنذكرة) لمنظة (للتقين وإنا نعلم أَنَّ مِنْكُمْ مكذِّبين وإِنَّه) وإِنَّ القرآن  
(لحسرة على الكافرين) به المكذِّبين له إذا وأوا ثواب المصدِّقين به (وإِنَّه) وإِنَّ القرآن  
(لحقُّ الباقين) لبين اليقين وبعض اليقين .

(٢) (فسبح) الله بذكر اسمه (المعظم) وهو قوله سبحانه الله .

## سورة المعارج مكية

وهي أربع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ <sup>(١)</sup> لِّلْكَافِرِينَ <sup>(٢)</sup> لَّيْسَ لَهُ دَافِعٌ <sup>(٣)</sup>   
 مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ <sup>(٤)</sup> تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ   
 كَانَ مِقْدَارُهُ <sup>(٥)</sup> مِئَتِينَ أَلْفَ سَنَةٍ <sup>(٦)</sup>

(١) هو النضر بن الحرث . قال ( إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) . أو هو النبي صلى الله عليه وسلم . دعا بتزول العذاب عليهم . (سأل) بغير همز ، مدني وشامي . وهو من السؤال أيضا إلا أنه خفف بالتلويح . و (سائل) مهموز إجماعا .

(٢) لما ضيق سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه قبل دعا داع (ببذاب واقع) من فواك دعا بكنا إذا استدعاه وطلبه . ومنه قوله تعالى ( يدعون فيها بكل فاكهة ) .

(٣) صفة لعذاب . أي (ببذاب واقع) كائن (للكافرين) .

(٤) (ليس) لذلك العذاب (دافع) راد . (من الله) متصل بواقع . أي واقع من عنده . أو بدافع . أي ليس له دافع من جهة تعالى إذا جاء وقته .

(٥) أي مصاعد السماء لللائكة . جمع مِعْرَج وهو موضع العروج .

(٦) وصف المصاعد وبعد مداها في الملق والارتفاع فقال (تعرج) تصعد — وبأياها على — (اللائكة والروح) — أي جبريل عليه السلام . خصه بالذكر بعد العموم لفضله

فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا <sup>(١)</sup> إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا <sup>(٢)</sup> وَنَرَاهُ قَرِيبًا <sup>(٣)</sup> يَوْمَ تَكُونُ  
السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ <sup>(٤)</sup> وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ <sup>(٥)</sup> وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا <sup>(٦)</sup>

وشرفه . أو خلق هم حفظة على الملائكة كما إن الملائكة حفظة علينا . أو أرواح المؤمنين عند الموت - (إله) إلى عرشه ومهبط أمره (في يوم) - من صلة (تخرج) - (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك . أو من صلة (واقع) . أى يقع (في يوم) طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم . وهو يوم القيامة . فإما أن يكون استطلاة له لشدة حل الكفار أو لآلته على الحقيقة كذلك . فقد قيل : فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة . وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهور والعصر .

(١) بلا جزع ولا شكوى . متعلق بـ (سأل سائل) لانتاج استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي . وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه .

(٢) إن الكفار (يرونه) أى العذاب أو يوم القيامة (بعيداً) مستحيلاً (ونراه قريباً) كأننا لا محالة . فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان ، والقريب القريب منه .

(٣) نصب بـ (قريباً) . أى يمكن في ذلك اليوم . أو هو بدل عن (في يوم) فيمن قلقة بـ (واقع) .

(٤) كمدى الزيت أو كالفضة المنذبة في تلونها .

(٥) كالصوف المصبوغ ألواناً . لأن الجبال (جند بيض وحم) تختلف ألوانها وغرايب (سود) فإذا بنست وطيرت في الجوّ أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح .

(٦) (ولا يسأل) قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه . وعن البرى والبرجى بضم الياء . أى (ولا يسأل) قريب عن قريب . أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه .



يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ كَوَيْفَتَدَى مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يَنْجِيهِ ۖ  
وَصَحْبَتُهُ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ  
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَرُ ۖ نَزَاعَةٌ لِلشَّوْىِ ۖ

(١) صفة . أى (جمياً) مبصرين معروفين إياهم . أو مستأنف . كأنه لما قال (ولا يسأل  
جمع حمياً) قيل لعله لا يبصره فقليل (يبصرونهم) ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم .  
والواو ضمير الجمم الأول . و (هم) ضمير الجمم الثانى . أى يبصر الأحماء الأحماء . فلا يخفون  
عليهم . وإنما جمع الضميران وهما للحميين لأن فميلاً يقع موقع الجمع .

(٢) يتقنى المشرك . وهو مستأنف . أو حال من الضمير المرفوع أو المصوب من  
(يبصرونهم) .

(٣) (يومئذ) بالفتح مدنى وعلى على البناء ، للإضافة إلى غير ممكن . (وصاحبتة) وزوجته .  
(وفصيلته) وعشيرته الأذنين (التي تؤويه) تضمه انتماء إليها . وينير همز يزيد . (ومن في الأرض  
جمياً) من الناس . (ثم يفيهِ) الاقتداء . حلف على (يقتدى) .

(٤) ودع الجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا يئتمه الاقتداء ولا ينجيه من العذاب .

(٥) إن النار — ودل ذكر العذاب عليها . أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر . أو ضمير  
القصة — (لظى) لم للنار .

(٦) (نزاعة) حفص والمفضل ، على الحال المؤكدة . أو على الاختصاص ، للتبويل .  
وغيرهما بالرفع ، خبر بعد خبر لإت . أو على هي (نزاعة للشوى) لأطراف الإنسان كاليدن  
والرجلين . أو جمع شواة . وهى جلدة الرأس ترمعها زنا ففترقها ثم تعود إلى ما كانت .

تَدْعُوا<sup>(١)</sup> مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى<sup>(٢)</sup> وَجَمَعَ فَأَوْعَى<sup>(٣)</sup> إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا<sup>(٥)</sup> وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا<sup>(٦)</sup> إِلَّا الْمُطْلَبِينَ<sup>(٧)</sup>  
 الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ<sup>(٨)</sup> وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ<sup>(٩)</sup>  
 مَّعْلُومٌ<sup>(١٠)</sup> لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ<sup>(١١)</sup> وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ<sup>(١٢)</sup>

(١) تدعو (تدعو) باسمائهم يا كافر يا منافق إلى إلى. أوتهلك. من قولهم دعاك الله أى أهلكك.  
 أو لما كان مصيره إليها جعلت كائنات دعه .

(٢) (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فاوعى) بجعله فى وعاء  
 ولم يؤد حق الله منه .

(٣) (إلى الإنسان) - أريد به الجلس ليصبح استثناء المطالبين منه - (خلق هلوفا) . عن  
 ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) . والمطلع  
 صرعة الجزع عند مس المكروه وصرعة المنع عند مس الخير . وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر  
 تعليبا عن الملع ، فقال قد فسر الله تعالى . ولا يكون تفسير آيين من تفسيره . وهو الذى إذا  
 ناله شر أظهر شدة الجزع ، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس . وهذا طبعه . وهو  
 مأمور بخالفة طبعه ، وموافقة شرعه . والشر الضر والفقر ، والخير السعة والغنى أو المرض  
 والصحة .

(٤) أى (على) صلواتهم الخمس (دائمون) أى يحافظون عليها فى مواقيتها ، عن ابن مسعود  
 رضى الله عنه .

(٥) يعنى الزكاة لأنهم مقدرة معاونة . أو صدقة يوظفها الرجل حل نفسه يؤتيها  
 فى أوقات معلومة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى يتحقق عن السؤال فيحسب غنيا  
 فيحرم .

(٦) أى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة .

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿١﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ  
مَأْمُونٍ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٣﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ  
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٤﴾ فَمَنْ أَشْفَىٰ وراءَ ذَلِكَ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْلِهِمْ رَاعُونَ ﴿٦﴾  
وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٨﴾

(١) (مشفقون) خائفون . واعترض بقوله ( إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ) بالهمز سوى  
أبي عمرو . أى لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمته ، وينبى أن يكون  
مترجماً بين الخوف والرجاء .

(٢) (إلا على) نسائهم (أو ما ملكت أيمانهم) أى إمائهم (غير ملومين) حل تركه  
الحفظ .

(٣) (لمن) طلب منكها (وراء ذلك) أى غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون)  
المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام . وهذه الآية تدل على حرية المتعة ووطء الذكران والبهائم  
والاستمته بالكف .

(٤) (والذين هم لأمانتهم) — متى . وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد —  
(وعهدهم) أى عهودهم — ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان — (راعون) حافظون  
غير خائنين ولا ناقضين . وقيل الأمانات ما تدل عليه العقول ، والعهد ما آتى به الرسول .

(٥) (والذين هم بشهادتهم) — سهل . وبالألف ، حفص ويعقوب — (قائمون) يقيمونها  
عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف ، وترجيح للقوى على الضعيف ، إظهاراً للصلاية  
في الدين ، ورغبة في إحياء حقوق المسلمين .

(٦) كَرَّرَ ذكر الصلاة لبيان أنها أهم . أولاً أن أحداها للفرائض ، والأخرى للتوافل .  
وقيل الدوام عليها الاستكثار منها ، والمحافظة عليها ألا تضيق عن مراقبتها . أو الدوام عليها  
أدائها في أوقاتها ، والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وصننها وآدابها .

أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿١١﴾ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿١٢﴾  
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿١٣﴾ أَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ  
نَعِيمٍ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ  
وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿١٦﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿١٧﴾

(١١) أصحاب هذه الصفات (في جنّات مكرومون) . هما خبران .

(١٢) كتب مفصولا أتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه .

(١٣) (قبلك) — نحوك — معمول (مهطعين) مسرعين . حال من (الذين كفروا) . (عن  
اليمين وعن الشمال) عن بين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزین) حال . أى فواشئ .  
جمع عزة . وأصلها عزوة كأن كل فرقة تمتري إلى غير من تمتري إليه الأخرى فهم مفرقون .  
كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ، وفرقا فرقا ، يستمعون  
وربهم بسلامه ، ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول عهد لندخلها قبلهم . فزلت .

(١٤) (أن يدخل) — بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل — (جنة نعيم) كالمؤمنين .

(١٥) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة .

(١٦) أى من النطفة المذرة . ولذلك أجمع إشعارا بأنه منصب يستحق من ذكره . فمن  
أين يقشرون ويدعون ويقدمون ويقولون لندخل الجنة قبلهم ؟ أو معناه (إننا خلقناهم) من  
نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم . ومن حكنا ألا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان . فلم طمع أن  
يدخلها من لا إيمان له ؟ .

(١٧) (فلا أقسم ربّ) مطالع الشمس ومقاربها (إننا لقادرون على أن نبذل خيرا منهم)

على أن نهلكهم ونأى بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بما جئنا .

فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿١٠﴾ يَوْمَ  
يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿١١﴾ خَشِيعَةً  
أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٢﴾

(١٠) فدع المكذبين (يخضون) في باطلهم (ولعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي  
يوعدون) فيه العذاب (يوم) — بدل من (يومهم) — (يخرجون) — بفتح الياء وضم الراء سوى  
الأعشى — (من الأجداث) القبور (مرعاً) — جمع مرعى . حال . أى إلى الداعى — (كانهم)  
— حال — (إلى نصب) — شامئ وحفص وممل . (نصب) المفضل . (نصب) غيرهم .  
وهو كل ما نصب وعبد من دون الله — (يوفضون) يسرعون .

(١٢) (خاشعة) حال من ضمير (يخرجون) . أى ذليلة (أبصارهم) يعنى لا يرفعونها لذلتهم  
(ترهقهم ذلة) يشاهم هوان . (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) في الدنيا وهم يكذبون به .

## سورة نوح عليه السلام مكية

وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ <sup>(١)</sup> أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ <sup>(٢)</sup> قَالَ يَتَقَوْمِ <sup>(٣)</sup> إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ <sup>(٤)</sup> إِنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ <sup>(٥)</sup>  
وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا <sup>(٦)</sup> يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُزَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى <sup>(٧)</sup>

(١) قيل معناه بالسر ياتية الساكن .

(٢) خوف . أصله بأن أنذر . لحذف الجلال وأوصل الفعل وعمله عند التحليل جر ،  
وعند غيره نصب . أو (إن) مفسرة بمعنى أى لآك في الإرسال معنى القول .

(٣) عذاب الآخرة أو الطوفان .

(٤) أضافهم إلى نفسه إظهارا للشفقة .

(٥) غوفاً (مبين) أيّن لكم رسالة الله بلغة تعرفونها .

(٦) وحذوه . و (أن) هذه نحو (أن أنذر) في الوجهين .

(٧) واحذروا عصيانه (وأطيعوا) فإيا أمركم به وأنها كم عنه . وإِنَّمَا أضافه إلى نفسه  
لأن الطاعة قد تكون لنبر الله تعالى بخلاف العبادة .

(٨) (يغفر لكم) جواب الأمر . (من ذنوبكم) للبيان كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)  
أو للتبويض لأن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالتقصاض وغيره . كما  
في شرح التاويلات . (ويؤخركم إلى أجل مسمى) وهو وقت موتكم .

إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١٢﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَإِنِّي كُلَّ دَعْوَتِهِمْ لَتُغَيِّرُهُمْ جَعَلُوا أَصْدِقَهُمْ فِيْءًا أَنَّهُمْ وَاسْتَشْفَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا دَعْوَتَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَمْرُهُمْ ثُمَّ إِنِّي أَمْرًا ﴿١٥﴾

(١١) إِنَّكَ مَوْتٌ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْتِرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. أَيْ (لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنَ التَّدَامَةِ عِنْدَ اقْتِضَاءِ أَجَلِكُمْ ، لَا أَسْتَمُ . قِيلَ إِنَّكَ تَعَالَى قَضَى مِثْلًا أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ إِنْ آمَنُوا عَمَّرَهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا أَهْلَكَهُمْ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةِ أَلْفٍ . فَقِيلَ لَهُمْ : آمَنُوا وَيُؤْتِرْكُمْ إِلَى أَجْلِ مَسْئَلِي . أَيْ تَبْلُغُوا أَلْفَ سَنَةٍ . ثُمَّ أُخْبِرَ أَنَّ الْأَجَلَ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْتِرُ كَمَا يُؤْتِرُ هُنَا الْوَقْتُ . وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْإِهْلَاكَ مِنْ قَوْمِهِمْ بِإِيْمَانِهِمْ وَاجَابَتِهِمْ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَكَانَتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتْنَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُمْ بِإِيْمَانِهِمْ يَقِينُونَ إِلَى الْأَجْلِ الَّذِي ضَرَبَ لَهُمْ لَوْ لَمْ يُؤْمِنُوا . أَيْ أَنْتُمْ إِنْ أَصَابَتْكُمْ بَقِيَّتُهُ إِلَى أَجْلِ مَسْئَلِي آمِينَ مِنْ عَذَابِكُمْ .

(٣) دعوت فوجی) داتا بلا قور (فلم یردم دعائی آلأ فرا) عن سلطانك . ونسب ذلك إلى دعائه لحصوله عنده ، وإن لم يكن الدماء سببا للفرار في الحقيقة . وهو كقولہ (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) والفرقان لا يكون سببا لزيادة الرجس . وكان الرجل يذهب بابنه إلى فوج عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يتوكل فإني أرى قد وصاني به .

(٣) ﴿كَلِمَاتُ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ (تُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ) أَيْ لِيُؤْمِنُوا تَغْفِرُ لَهُمْ فَانْكَفَى بِذَلِكَ الْمَسْئِلَةَ (جَعَلُوا أَهْلِيَهُمْ فِي أَقْبَانِهِمْ) سَدُّوا مَسَامِعَهُمْ لِئَلَّا يَسْمَعُوا كَلَامِي (وَأَسْتَعِشُوا بَنِيَاهُمْ) وَتَنْظُرُوا بِبَنِيَاهُمْ لِئَلَّا يَبْصُرُونِي كَرَامَةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ مَنْ يَصْطَحُّهُ فِي دِينِ اللَّهِ (وَأَمْسَرُوا) وَأَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ (وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِجَارًا) وَتَنْظُرُوا عَنْ إِبَاحَتِي . وَذَكَرَ الْمَصْدَرُ دَلِيلَ عَلَى

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٢٦﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢٧﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٢٨﴾

فرط استجبارهم (ثم إنى دعوتهم جهارا) مصدر فى موضع الحال . أى مجاهرا . أو مصدر (دعوتهم) كقعد الفرساء لأن الجهار أحد نوعى الدعاء . يعنى أظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثم إنى أعلنت لهم وأسرت لهم أسراراً) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر . فالخاصل أنه دعاهم ليلا ونهارا فى السر ، ثم دعاهم جهارا ، ثم دعاهم فى السر والعلن ، وهكذا يفعل الأمر المعروف : يتدبى بالأهون ثم بالأشد فالأشد . فافتتح بالمناسبة فى السر . فلما لم يقبلوا فتح بالمجاهرة . فلما لم تؤثر قلت بالجمع بين الأسرار والإعلان . و (ثم) تدل على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الأسرار . والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما .

(١١) (استغفروا ربكم) من الشرك . لأن الاستغفار طلب المغفرة . فإن كان المستغفر كافرا فهو من الكفر . وإن كان صاحبا مؤمنا فهو من الذنوب .  
(٢٦) لم يزل غفارا للذنوب من ينسب إليه .

(٢٧) (يرسل المطر عليكم مدرارا) كثيرة الدورات—ومفعال يستوى فيه المذخر والمؤنث—  
(ويمددكم بأموال وبنين) يذككم أموالا وبنين (ويجعل لكم جَنَّاتٍ) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية لمزارعتكم وبساتينكم . وكانوا يحبون الأموال والأولاد لحزوكوا بهذا على الإيمان .  
وقيل لما كثبوه بعد طول تكرار الدعوة حبس عنهم القطر وأقم أرحام تسأهم أربعين سنة أو سبعين . فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ، ورفق عنهم ما كانوا فيه . وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فآ زاد على الاستغفار . فقيل له ما رأيناك استسقيت . فقال لقد استسقيت بمحاذيع السماء التى يستزل بها المطر . شبه عمر الاستغفار بالأأنواء الصادقة التى لا تخطئ . وقرأ الآيات . وعن الحسن أن رجلا شكأ إليه الجذب . فقال استغفر الله . وشكأ إليه آخر الفقر ، وأخر قلة النسل ، وأخر قلة ريع أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار . فقال له الربيع بن صبيح : أذاك رجال يشكون أبوابا ، فأمرتهم كلهم بالاستغفار . فلا الآيات .



مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٢﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ  
 اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٣﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿٤﴾  
 وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٥﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٦﴾

(١) ما لكم) لا تخافون (لله) عظمة، عن الأخفش. قال: والرجاء هنا الخوف. لأن مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس. والوقار العظمة. أو لا تأملون له توقيرا أى تعظيما. والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب (وقد خلقكم أطوارا) في موضع الحال. أى ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للإيمان به. لأنه (خلقكم أطوارا) أى تارات وكرات: خلقكم أولا نعلما، ثم خلقكم علما، ثم خلقكم مضنا، ثم خلقكم عظاما ولحما.

(٢) نبيهم أولا على التفار في أنفسهم لأنها أقرب، ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجايب الدالة على الصانع بقوله (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) مضى على بعض.

(٣) (فيهن) أى في السموات. وهو في المياه الدنيا. لأن بين السموات ملازمة من حيث أنها طباق. فلما أن يقال فيهن كذا، وإن لم يكن في جميعهن، كما يقال في المدينة كذا، وهو في بعض أوجها. وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم <sup>٢٢</sup> إن الشمس والقمر وجوههما مما على السموات وظهورهما مما على الأرض. فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لأنها لطيفة لا تحجب نوره.

(٤) مصباحا يبصر أهل الدنيا في ضوءها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره. وضوء الشمس أقوى من نور القمر. وأجمعوا على أن الشمس في المياه الرابعة.

(٥) (واقه) أنشأكم. استعير الإنشَاء للإنشاء. نباتا) فنبهت نباتا (ثم) يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة (إخراجا) ألكه بالمصدر. أى أى إخراج.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ سَبَاطًا ﴿١١﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٢﴾  
 قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي أَعِصُوكَ وَأَتَّبِعُكَ مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ  
 إِلَّا خَسَارًا ﴿١٣﴾ وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿١٤﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ  
 وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١٥﴾

(١١) (والله جعل لكم الأرض) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلّبوا عليها كما يتقلب الرجل على سباطه . (سبلا) طرقا (بفجاجة) واسعة أو مختلفة .

(١٢) (عصوني) فيا أمرتهم به من الإيمان والاستغفار (واتبعوا) أي السفلة والفقراء (من لم يزد ماله ولده) — أي الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد . (وولده) مكى وعراقى غير حاصم . وهو جمع ولد ، كاسد وأسد — (إلا خسارا) في الآخرة .

(١٣) (مطوف على (لم يزد) . وجمع الضمير وهو راجع إلى (من) لأنه في معنى الجمع . والمذكرون هم الرؤساء . ومكرهم احتياطهم في الدين ، وكيدهم لنوح ، وتعريض الناس على آداء ، وصدهم عن الميل إليه .

(١٤) عظيما . وهو أكبر من الكبار . وقرئ به . وهو أكبر من الكبير .

(١٥) (وقالوا) أي الرؤساء اسفلتكم (لا تذرنا آلهتكم) على العموم أي عبادتها (ولا تذرنا ودا) — بفتح الواو وضمتها . وهو قراءة نافع . لغتان . صم على صورة رجل — (ولا سواعا) — هو على صورة امرأة — (ولا يغوث) — هو على صورة أسد — (ويعوق) — هو على صورة فرس . وهما لا يتصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيتين ، وللتعريف والمجعة إن كانا أعجميتين — (ونسرا) هو على صورة نسر . أي هذه الأصنام الخمسة على الخصوص . وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم . نفصوها بعد العموم . وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لكعب ، وسواع لهمدان ، ويغوث لمذحج ، ويعوق لمرد ، ونسر لمجبر . وقيل هي أسماء رجال صالحين كان الناس يقتلونهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوّروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة . فلما طال الزمان قال لهم الجلس إنهم كانوا يبدونهم فيبدونهم .

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٢﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ  
 أَغْرِقُوا فَاَدْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿١٣﴾  
 وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٤﴾  
 إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا ﴿١٥﴾

(١١) (وقد أضلوا) أى الأصنام كقوله (إني أضللن كثيرا من الناس) . أو الرؤساء .

(١٢) عطف على (رب أنهم عصوني) على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد (قال) .  
 وبعد الواو النائية عنه . ومعناه (قال نوح رب أنهم عصوني) (و) قل (لا تزد الظالمين)  
 — أى قال هذين القولين . وهما في محل النصب لأنهما مفعولا (قال) — (إلا ضللا)  
 هلاكا . كقوله (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) .

(١٣) (تمأخطاياهم) — أى ذنوبهم — (أغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) عظمة .  
 وتقدم (مما خطبائهم) لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان ، وإدخالهم في النار ، إلا  
 من أجل خطيئاتهم . وأكد هذا المعنى بزيادة (ما) . وكفى بها منجزة لمركب الخطايا . فإن  
 كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهن . والفاء في (فادخلوا) الإيذان  
 بأنهم عذبوا بالإحراق عقب الإغراق . فيكون دليلا على إثبات عذاب القبر .

(١٤) (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم ويمعنونهم من مذهب الله .  
 (١٥) أى أحدا يدور في الأرض . وهو فيعال من النور . وهو من الأسماء المستعملة  
 في النفي العام .

(١٦) (إن تذرهم) ولا تهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم إلى الضلال (ولا يلدوا إلا فاجرا  
 كفارا) إلا من إذا بلغ فحرو وكفر . وإنما قال ذلك لأنه تعالى أخيره بقوله (لن يؤمن  
 من قومك إلا من قد آمن) .

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ<sup>(١١)</sup>  
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا<sup>(١٢)</sup>

<sup>(١١)</sup> وكان مسلمين . واسم أبيه لك . واسم أمه شمخاء . وقيل هما آدم وحواء . وقرأ (ولولدي) يريد ساما وحاما .

<sup>(١٢)</sup> (ولن دخل) منزلي أو مسجدي أو سقيتي (مؤمنا) لأنه علم أن من دخل بيته مؤمنا لا يعود إلى الكفر (والمؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة . خصّ أولا من يصل به لأتيم أولى وأحقّ بدماؤه ثم مع المؤمنين والمؤمنات .

<sup>(١٣)</sup> أي (ولا ترد) الكافرين (إلا تبارا) هلاكاً فأهلكوا . قال ابن عباس رضي الله عنهما : دعا نوح عليه السلام يدعوهم إحداهما للمؤمنين بالمغفرة ، وأخرى على الكافرين بالتبار . وقد أجهت دعوته في حق الكفار بالتبار . فاستحال ألا تستجاب دعوته في حق المؤمنين . واختلف في صبيانهم حين أغرقوا . فقيل أقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا . وقيل : علم الله برأيتهم فأهلكوا بفير عذاب . والله أعلم .

## سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا<sup>(١)</sup>

(١) (قل) يا محمد لا تنك (أوحى إلى أنه) أن الأمر والشأن . أجمعوا على فتح (أنه) لأنه فاعل (أوحى)، و (إن لو استقاموا . وأنت المساجد) للمطف على (أنه استمع) فان عظمة من التثنية ، و (أن قد أبلغوا) لعمد يلم إليها ، وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو (فإن له نار جهنم . وقالوا إنما سمعنا) لأنه مبتدأ محكي بعد القول . واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من (أنه تعالى جدر بنا) إلى (وأنا من المسمعون) ففتحها شامى وكوفى غير أبي بكر ، عطف على (أنه استمع) أو على محل الجحار والمجرور في (أمتا به) فحذره صفة فاعله وصفتنا أنه تعالى جدر بنا (وأنه كان يقول سفينا) إلى آخرها . وكسرها غيرهم عطف على (إننا سمعنا) وهم يقولون على آخر الآيات .

(٢) (استمع تفر) جماعة من الثلاثة إلى العشرة (من الجن) جن نصيبين (فقالوا) لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر: (إننا سمعنا قرآنا عجبا) عجبا بديها مبينا لساير الكتب في حسن نظمها وصحة معانيه . والعجب ما يكون خارجا عن العادة . وهو مصدر ونوع موضع العجب .

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا <sup>(١)</sup> وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا <sup>(٢)</sup> وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا <sup>(٣)</sup> وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا <sup>(٤)</sup> وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا <sup>(٥)</sup>

<sup>(١)</sup> يدعو إلى الصواب ، أو إلى التوحيد والإيمان (قائماً به) بالقرآن . ولما كان الإيمان به إيماناً بالله وبوحدانيته وبرأته من الشرك ، قالوا (ولن نشرك ربنا أحداً) من ظنهم . وجاز أن يكون الضمير في (به) لله تعالى لأت قوله (ربنا) يفهمه .

<sup>(٢)</sup> عظمتهم . يقال جد فلان في معنى أى عظم . ومنه قول عمر أو أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا . أى عظم في حيوتنا .

<sup>(٣)</sup> (ما اتخذ زوجة ولا ولداً) كما يقول كفار الجن والإنس .

<sup>(٤)</sup> (وأنه كان يقول) جاهلنا أو إبليس — إذ ليس فوقه سفيه — (على الله شططاً) كفراً لبعده عن الصواب . من شطت النار ، أى بدت . أو قولاً يجوز فيه عن الحق . وهو نسبة الناصحية والولد إليه . والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره .

<sup>(٥)</sup> قولاً (كذباً) أو مكنوياً فيه . أو نصب على المصدر إذ الكذب نوع من القول أى كان في ظننا أنه أحدنا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه . فكأن نصبتهم فيما أضافوا إليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم .

<sup>(٦)</sup> كان الرجل من العرب إذا نزل يجتوف من الأرض قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه — يريد كبير الجن — فقال (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم) أى زاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم (رهقاً) طغياناً وسفهاً وكبراً بأن قالوا سددنا الجن والإنس أو فزاد الجن الإنس (رهقاً) إثمًا لاستعاذتهم بهم . وأصل الرهق خفيان المخطور .

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا <sup>(١)</sup> وَأَنَا لَمَسْنَا  
السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَمَتْ فَكُلُّهَا حَرًّا شَدِيدًا وَضُحْبًا <sup>(٢)</sup> وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا  
مَقْعِدَ اللَّسْمِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآلِفَ يُحَدِّثْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا <sup>(٣)</sup> وَأَنَا  
لَا نَذَرِي أَشْرًا أُريدُ مَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا <sup>(٤)</sup>

(١) وآت الجن (ظنوا كما ظنتم) ياهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت .  
أى أن الجن كانوا يذكرون البعث كإنكارهم ثم يسارع القرآن احتدوا وأقروا بالبعث . فهذا  
أقرتم كما أقروا I

(٢) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها . واللس المس . لاستعير للطلب لأن المساق  
طالب متعزف .

(٣) جمعا أوفياء من الملائكة يحرسون . جمع حارس . ونصب على التمييز . وقيل الحرس  
اسم مفرد فى معنى الحراس ، كالخدم فى معنى الخدام ، ولذا وصف بشديد . ولو نظر إلى  
معناه لقل شداذا .

(٤) جمع شهاب أى كواكب مضيئة .

(٥) (وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء .  
يعنى كُنَّا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع  
بعد المبعث (يحده) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد . أى يحده  
شهابا راصدا له ولأجله . أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرحم .  
وهم الملائكة الذين يرحمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع . والجمهور على أن ذلك لم يكن  
قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل كان الرجم فى الجاهلية . ولكن الشياطين كانت  
تسرق السمع فى بعض الأوقات فتمنوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم .  
(٦) (أ) عذاب (أريد بمن فى الأرض) بعدم استراق السمع (أم أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)  
خيلا وروحة .

وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَأَ قَدْرًا <sup>(١)</sup> وَأَنَا  
ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا <sup>(٢)</sup> وَأَنَا لَمَّا  
سَمِعْنَا الْهُدَىءَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ رَبِّهِ فَلَا يَحْأُفُ بِحَسَا وَلَا  
رَهَقًا <sup>(٣)</sup> وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ  
تَحَرُّوا رَشَدًا <sup>(٤)</sup> وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا <sup>(٥)</sup>

(١) (وَأَنَا مِنَّا) الأبرار المتقون (ومنا) قوم (دون ذلك) لغذف الموصوف . وهم  
المتنصبون في الصلاح غير الكاملين فيه . أو أرادوا غير الصالحين .

(٢) بيان للقسمة المذكورة أي كَمَا ذُيِرَ مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة . والقصد  
جمع قلة وهي القطعة من قدت السير أي قطعتة .

(٣) إِيْقَنَّا (أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ) لَنْ نُفَوِّتَهُ (فِي الْأَرْضِ) حال . أي لَنْ نُعْجِزَهُ كَأَشْيَرٍ  
(فِي الْأَرْضِ) إِنِنَّا كَمَا فِيهَا .

(٤) مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . أي (وَلَنْ نُعْجِزَهُ) هَارِبِينَ مِنْهَا إِلَى الْمَيَاةِ .  
وهذه صفة الجحش وما هم عليه من أحوالهم وحقائدهم .

(٥) (لَمَّا سَمِعْنَا) القرآن (آمَنَّا بِهِ) بِالْقُرْآنِ أَوْ بِاللَّهِ (لَمَنْ يُؤْمِنُ رَبَّهُ فَهُوَ) (لَا يَحْأُفُ)  
— مبتدأ وخبر — (بِحَسَا) نقصا من ثوابه (ولَا رَهَقًا) أي وَلَا تَرَهَقُهُ ذَلَّةٌ . من قوله (وَتَرَهَقُهُمْ  
ذَلَّةٌ) ، قوله (وَلَا يَرَهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ) . وفيه دليل على أَنَّ الْعَمَلُ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ .  
(٦) (مِنَّا) الْمُؤْمِنُونَ (وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الْكَافِرُونَ الْجَاهِلُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ . قَسَطَ  
جَار . وَأَقْسَطَ عَمَلٌ .

(٧) طَلَبُوا هُدًى . وَالتَّحَرَّوْا طَلَبَ الْإِخْرَى أَيْ الْأُولَى .

(٨) (فَكَانُوا) فِي عِلْمِ اللَّهِ (لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وَقَدْ نَا . وفيه دليل على أَنَّ الْجَنَى الْكَافِرَ يَدْخُلُ  
فِي النَّارِ . وَيَتَوَقَّفُ فِي كَيْفِيَّةِ تَوَلَّيْهِمْ .



وَأَلَوْ اسْتَقَرُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١١﴾ لِنَقِّنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٣﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٤﴾

(١١) (إن) غفقة من التقيلة . يعنى وأنه . وهى من جملة الموحى . أى أوحى إلى أن الشأن (لو استقاموا) أى القاسطون (على الطريقة) طريقة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) كثيرا . والمعنى لو سقنا عليهم الرزق — وذكر الماء الفلق لأنه سبب سعة الرزق — (لنقنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه .

(١٢) (ومن يعرض عن) القرآن أو التوحيد أو العبادة (يسلكه) — بالياء عراق — غير أبى بكر — يدخله (عذابا صعدا) شاقا . مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا . فوصف به العذاب لأنه يتصعد المذنب أى يعلوه وينليه فلا يطيقه . ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شيء ما تصعدنى خطيئة الكناح . أى ما شق على .

(١٣) من جملة الموحى . أى أوحى إلى (أن المساجد) أى البيوت المبنية للصلاة فيها (لله) . وقيل مناه : (و) ل(أن المساجد لله فلا تدعوا) حل أن اللام متعلقة بلا تدعوا . أى (فلا تدعوا مع الله أحدا) فى المساجد لأنها خالصة لله وعبادته . وقيل المساجد أعضاء السجود وهى الجهة واليدان والركبتان والقدمان .

(١٤) (لما قام) عهد عليه السلام إلى الصلاة . وتهديره (و) أوحى إلى (أنه لما قام عبد الله يدعوه) يعبده ويقرا القرآن — ولم يقل نبي الله أو رسول الله لأنه من أحب الأسماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأنه لما كان واقفا فى كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جئ به على ما يقتضيه التواضع ، أولأن عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا — (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات — جمع لبدة — همجبا ثم رأوا من عبادته ، واقفدا أصحابه به ، وإعجابا بما تلاء من القرآن . لأنهم رأوا ما لم يروا مثله .

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا <sup>(١)</sup> قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ  
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا <sup>(٢)</sup> قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ  
وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا <sup>(٣)</sup> إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ <sup>(٤)</sup>

(١) قل إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وحده - (قال) غير عاصم وحمة - (ولا أشرك به أحدا)  
في العبادة . فلم تتحجبون وتزدحمون على ؟

(٢) قل إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مَضَرَّةً (ولا رشدا) فعا . أو أراد بالضّر التي بدليل قراءة  
أبي (غيا ولا رشدا) . يعني لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم . لأن الضار والنافع هو الله .

(٣) لن يدفع عني هذا به أحد إن عصيته كقول صالح عليه السلام (فمن ينصرنى من الله  
إن عصيته ) .

(٤) ملتحدا .

(٥) استثناء من (لا أملك) . أى (لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) - (إلا بلاغا من الله) .  
(و) قل إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي (اعتراض لنا كيد نفي الاستطاعة من نفسه وبيان عجزه . وقيل (بلاغا)  
بدل من (ملتهدا) . أى (لن أجِد من دونه) متجى (إلا) أن أبلغ عنه ما أرسلنى به . يعنى  
لا يخفى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به فإن ذلك يخفى . وقال الفراء هذا شرط وجزاء  
وليس باستثناء . وإن منفصلة من لا وتقديره إن لا أبلغ بلاغا . أى إن لم أبلغ لم أجِد من دونه  
ملتحا ولا يجبر لى كقولك إن لا قياسا ففعودا . والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ .  
(و) (من) ليست بصلة للتبليغ . لأنه يقال بلغ عنه . إِنَّمَا هِيَ بَمَثَلِ (من) فى (براعة من  
الله) أى (بلاغا) كأننا (من الله) .

(٦) عطف على (بلاغا) . كأنه قيل (لا أملك لكم) إلا التبليغ والرسالات . أى إلا أن أبلغ  
عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله إليه ، وأن أبلغ رسالته التى أرسلنى بها بلا زيادة وتقصان .

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْجُدُونَ مِنْ أَضْعَفِ نَاصِرًا وَأَقَلِّ عُدَّةٍ ﴿٢﴾  
 قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ لِيَجْعَلَ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٣﴾ عَلِيمٌ  
 الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٤﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ

(١) (ومن يعص الله ورسوله) في ترك القبول لما أنزل على الرسول — لأنه ذكر على أثر تبليغ الرسالة — (فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا). وحّد في قوله (له) (وجمع في (خالدين) للفظ (من) ومعناه .

(٢) يتعلّق بخنوف دلت عليه الحال . كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه (حتى إذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فيسجدون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصرا وأقلّ عددا) أم أم المؤمنين أي الكافر لا ناصر له يومئذ، والمؤمن ينصره الله وملائكته وأبيّأوه .  
 (٣) ما أدري (أقرب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربّي) — وفتح الياء مجازي — وأبو عمرو — (أمدا) غاية بعيدة . يعني أنكم تمّدّون قطعا . ولكن لا أدري أهو حال أم مؤجل .

(٤) (عالم) خبر مبتدأ . أي هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) من خلقه (إلا من ارتضى من رسول) (إلا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض النبيّ ليكون إخباره عن النبيّ معجزة له . فإنّه يطلع على غيبه ما شاء . و (من رسول) بيان لمن ارتضى . والولى إذا أخبر بشيء فظهر فهو غير جازم عليه . ولكنّه أخبر بقاء على رؤياه أو بالفراسة . على أنّ كلّ كرامة للولى فهي معجزة للرسول . وذكر في التأويلات : قال بعضهم في هذه الآية دلالة تكذيب المنجّمة . وليس كذلك فإنّ فهم من يصدق خبره . وكذلك المتطبّبة يعرفون طبائع النبات . وذا لا يعرف بالتأمل . فلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول اقتطع أثره وبقي علمه في الخلق .

فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا <sup>(١)</sup> ﴿١١﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا  
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَيْسَ لَهُمْ وَاحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا <sup>(٢)</sup> ﴿١٢﴾

(١) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حفضة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصونه من وساوسهم وتحالطهم حتى يبلغ الوحي .

(٢) (ليعلم) الله (أن) قد أبلغوا (أى الرسل) رسالات ربهم (كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم . أى يعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد . وحّد التضمير في (من بين يديه) للفظ (من) ، وجمع في (أبلغوا) لعماءه .

(٣) (وأحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم (واحصى كل شيء عددا) من القطر والرسل وورق الأشجار وزبد البحار . فكيف لا يحيط بما عند الرسل من رحيه وكلامه ؟ و (عددا) حال . أى وعلم كل شيء معدودا محصورا . أو مصدر في معنى إحصاءه . والله أعلم

## سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية

وهي تسع عشرة آية بصري وثمان عشرة شامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يٰٓأَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ  
قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَّزِلْ أَلْفُورًا ۖ أَنْ تَرْتَبِلَا ﴿٤﴾

(١) أي المترسل . وهو الذي ترتل في ثيابه . أي تلفف بها . بادغام التاء في الزاي . وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائمًا بالليل مترسلًا في ثيابه . فأمر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل إلا قليلا نصفه) — بدل من (الليل) . و (إلا قليلا) استثناء من قوله نصفه — تقديره (قم نصف الليل (إلا قليلا) من نصف الليل (أو انقص) من النصف — بضم الواو، غير حاصم وحزمة — (قلبا) إلى الثالث (أوزد عليه) على النصف إلى الثلثين . والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتة ، وبين أن يختار أحد الأمرين . وهما التقصان من النصف والزيادة عليه . وإن جعلت (نصفه) بدلا من (قليلا) كان تخيرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه . وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل . وإلا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على مادون النصف . ولهذا قلنا إذا قرأت لفلان عليه ألف درهم إلا قليلا أنه يلزمه أكثر من نصف الألف .

(٢) بين وفصل . من التفر المرتل أي المفاجئ الأسنان . وكلام رتل بالتحريك . أي مرتل . وتفر رتل أيضا إذا كان مستوى البيان . أو اغرا على تودة بقبين الحروف وحفظ الوقوف وإشباع الحركات .

(٣) هو تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه لا بد منه للفارئ .

إِنَّا سَنُنَزِّلُ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿١٢﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا وَثِيلاً ﴿١٣﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَغِلْ إِلَيْهِ ﴿١٤﴾

﴿١١﴾ سنزل عليك (قولا ثقيلا) أى القرآن لما فيه من الأوامر والنواهي التى هى تكاليف شاقّة ثقيلة على المكلفين . أو (ثقيلا) على المنافقين . أو كلام له وزن ورجحان ليس بالفساف الخفيف .

﴿١٢﴾ بالهمز سوى ورش . قيام الليل ، عن ابن مسعود رضى الله عنه . فهو مصدر من نشأ إذا قام ونهض ، على فاعلة كالعافية . أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث . أو ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة فساعة . وكان زيد العابدين رضى الله عنه يصلّى بين العشاءين ويقول : هذه ناشئة الليل .

﴿١٣﴾ (وطأ) وفاقا ، شامى وأبو عمرو . أى يواطىء فيها قلب القائم لسانه . وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية ، لا تقطاع رؤية الخلائق . غيرهما (وطأ) أى أقبل على المصل من صلاة النهار لطرد النوم في وقته ، من قوله صلى الله عليه وسلم " اللهم اشد وطأتك على مضر " .

﴿١٤﴾ وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدق الأصوات وانقطاع الحركات .

﴿١٥﴾ (إن لك فى النهار) تصرفا وتقبلا فى مهماتك وشؤائك ، ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك . أو فراغا طويلا لنومك وراحتك .

﴿١٦﴾ ودم على ذكره فى الليل والنهار . وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم .

﴿١٧﴾ انقطع إلى عبادته عن كل شئ ، والتبذل الاقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره . وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله .

تَبَيَّنَا<sup>(١)</sup> رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ<sup>(٢)</sup> وَكِيلًا<sup>(٣)</sup> وَأَصْبِرْ  
عَلَى مَا يَقُولُونَ<sup>(٤)</sup> وَانْجِرْهُمْ<sup>(٥)</sup> جِجْرًا<sup>(٦)</sup> وَذَرْنِي<sup>(٧)</sup> وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ  
قَلِيلًا<sup>(٨)</sup> إِنَّ لَدَيْنَا<sup>(٩)</sup> الْكَالَ وَجَجِيمًا<sup>(١٠)</sup> وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا<sup>(١١)</sup>

(١) في اختلاف المصدر زيادة تأكيد . أى بتلك الله . فتبطل تبتيلا . أو جىء به مراعاة لحق الفواصل .

(٢) (رب) بالرفع . أى هو (رب) . أو مبتدأ خبره (لا إله إلا هو) . وبالجزأ شامى وكوفى خبر حفض ، بل من (ربك) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم بإسما حرف القسم نحو الله لأفعلن . وجوابه (لا إله إلا هو) كقولك والله لا أحد فى الدار إلا زيد .

(٣) وليا وكفيل بما وصلك من النصر . أو إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب وأن لا إله إلا هو (فاتخذ) كافيا لأمره . وفائدة الفاء أن لا علمت بعد أن عرفت فى تهيؤ الأمور إلى الواحد القهار إذ لا مذرك فى الانتظار بعد الإقرار .

(٤) (وأصبر على ما يقولون) فى من الصابحة والولد ، وفيك من الساحر والشاعر .

(٥) جانبهم بقلب وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافاة . وقيل هو منسوخ آية القتال .

(٦) أى كلهم إلى فانا كافيم . (والمكذبين) — رؤساء قريش — مفعول معه . أو عطف على (ذرى) أى دعى وأيامهم . (أولى النعمة) التتم . وبالكسر الإنعام . وبالضم المسرة . (ومهلهم) أمهالا (قليل) إلى يوم يدرأ إلى يوم القيامة .

(٧) (إنك لدينا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيودا هالكا — جمع نكل — (وججيرا) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) أى الذى ينشب فى الحلق فلا يبلع . معنى الضمير والزقوم (وعذابا أليما) يخلص وجهه إلى القلب . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصمق . وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال أرفعه . ووضع عنده اللبلة الثانية فعرضت له فقال أرفعه . وكذلك الليلة الثالثة . فأخبر ثابت البناني وغيره بلأمو فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق .

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا <sup>(١)</sup>  
 إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
 رَسُولًا <sup>(٢)</sup> فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا <sup>(٣)</sup> فَكَيْفَ  
 تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا <sup>(٤)</sup> السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ <sup>(٥)</sup>

(١) (يوم) منصوب بما في (الدنيا) من معنى الفعل. أى استقر للكفار (الدنيا) كذا وكذا (يوم ترجف الأرض والجبال) أى تهتز حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) جمعا من كذب الشيء إذا جمعه. كأنه فيل بمعنى مفعول — (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه .

(٢) (إنا أرسلنا إليك) يأهل مكة (رسولا) يعنى محمدا عليه السلام (شاهدا عليك) يشهد عليك يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فصلى فرعون الرسول) أى ذلك الرسول — إذ النكرة إذا أعيدت معرفة كان التاني عين الأول — (فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا غليظا . وإنما خص موسى وفرعون لأن خبرهما كان مقشرا بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود .

(٣) (يوما) مفعول (تتقون) . أى (كيف تتقون) حذاب يوم كذا (إن كفرتم) ؟ . أو ظرف . أى (فكيف) لكم التقوى في يوم القيامة (إن كفرتم) في الدنيا ؟ أو منصوب به (كفرتم) على تأويل جحدتم . أى كيف (تتقون) الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء ؟ لأن تقوى الله خوف عقابه .

(٤) (يجعل الولدان) — صفة لـ (يوما) . والمعاند محذوف أى فيه — (شيبا) من هوله وشذته . وذلك حين يقال لأدم عليه السلام قم فابست بميت النار من ذرتك . وهو جمع أشيب . وقيل هو على التثنية لا تأويل . يقال لليوم الشديد : يوم يشيب نواصي الأطفال .

(٥) وصف اليوم بالثبته أيضا . أى (المياه) على عظمها وإحكامها تنفطر به ، أى تنشق ، فظنك بنهرها من الخلاق ؟ والتذكير على تأويل المياه بالسقف . أو (السما) شيء (منفطر) . وقوله ( به ) أى بيوم القيامة . يعنى أنها تنفطر لثبته ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به .



كَانَ وَعَدُهُ مَفْعُولًا<sup>(١)</sup> إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا<sup>(٢)</sup> إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ<sup>(٣)</sup> وَثُلُثَهُ<sup>(٤)</sup> وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ<sup>(٥)</sup>

(١) كان وعده — المصدر مضاف إلى المفعول، وهو اليوم؛ أو إلى الفاعل، وهو الله عز وجل — (مفعولا) كاتنا .

(٢) (إن هذه) الآيات الناطقة بالوعد (تذكرة) . موعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي من شاء اتَّخَذَ بها واتَّخَذَ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية .

(٣) (تقوم) أقل — فاستمر الأدنى وهو الأقرب للأقل . لأن المسافة بين الشيتين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز ، وإذا بعدت كثر ذلك — (من ثلثي الليل) بضم اللام سوى هشام .

(٤) منصوبان — عطف على (أدنى) — مكى وكوفى . ومن جرهما عطف على (ثلثي) .

(٥) (وطائفة) — عطف على الضمير في (تقوم) وجاز بلا تأكيد لوجود الفاصل — (من الذين معك) . أي ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك .

(٦) أي ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يسلم مقادير ساعاتها إلا الله وحده . وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه (يقدر) هو الدال على أنه مختص بالتقدير . ثم إنهم قاموا حتى انتفضت أقدامهم . فترل (علم أن لن نحصوه) لن نطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقة وفي ذلك حرج .

(٧) تلفظ عليك واسقط عنك فرض قيام الليل .

فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ  
فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا<sup>(١١)</sup>  
مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا<sup>(١٢)</sup>

(١١) (فاقروا) — في الصلاة . والأمر للوجوب . أو في غيرها . والأمر للندب —  
(ما تيسر) عليكم (من القرآن) . روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال "من  
قرأ مائة آية في ليلة لم يكتب من الغافلين . ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين" . وقيل  
أراد بالقرآن الصلاة لأنه بعض أركانها . أى فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعلم من صلاة الليل .  
وهذا ناسخ للأول . ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس . ثم بين الحكمة في النسخ وهي تذكّر القيام  
على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم أن سيكون منكم) — أى الله . تخففه من  
الثقلية . والسبب بدل من تخفيفها وحذف اسمها — (مرضى) فيشتق عليهم قيام الليل  
(وآخرون يضربون في الأرض) يسافرون (يبتغون) — حال من ضمير (يضربون) —  
(من فضل الله) رزقه بالتجارة أو طلب العلم (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) . سوى بين  
المجاهد والمكتسب ، لأن كسب الحلال جهاد . قال ابن مسعود رضى الله عنه "إنما رجل جلب  
شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء" .  
وقال ابن عمر رضى الله عنهما "ما خلق الله مائة أمواتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلى من  
أن أموت بين شعبتي رجل أضرب في الأرض أبقي من فضل الله" .

(١٢) كَرَّ الْأَمْرُ بِالتَّيَسُّرِ لِثَلَاثَةِ أَحْتِيَاطِهِمْ .

(١٣) (واقموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة (واقترضوا الله) — بالنوافل .  
والقرض لغة القطع . فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره . وكذا المتصدق  
يقطع ذلك القدر من ماله فيجعل لله تعالى . وإنما أضافه إلى نفسه لتلايم على الفقير فيما  
يتصدق به عليه . وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القرية فلا يكون له عليه مئة بل المئة  
للفقير عليه — (قرضا حسنا) من الحلال بالإخلاص .

وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا<sup>(١)</sup>  
وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٢)</sup>

(١) (يجدوه) أى ثوابه - وهو جزاء الشرط - (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم .  
فالمفعول الثانى لتجدوه (خيرا) و (هو) فصل . وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن "أفعل  
من" أشبه المعرفة لامتناعه من حذف التعريف .

(٢) وأجزل ثوابا .

(٣) (واستغفروا الله) من السيئات والتقصير في الحسنات (إن الله غفور) يستر على أهل  
الذنب والتقصير (رحيم) ينفذ عن أهل الجهد والتوفير . وهو على ما يشاء قدير . والله أعلم .

## سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكة

وهي ست وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُنَاقِبُ الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾

(١) روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله . فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئا . فنظرت إلى فوق . فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض " — يعني الملك الذي ناداه — " فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني " فدفترته خديجة . بخاء جبريل وقرأ ( يا أيها المدثر ) أي المتلفف بثيابه — من الدثار . وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار . والشعار الثوب الذي يل الجسد . وأصله المدثر . فادغم — ( قم ) من مضجعتك . أو ( قم ) قيام عزم وتصميم ( فأنذر ) خذرك قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا . أو فأنذر الإنذار من غير تخصيص له بأحد . وقيل سمع من قرينش ما كرهه فاهتم فتنطى بشوبه مفعرا كما يفعل المنعوم . ففيل له يا أيها الصارف أذى الكفار ، عن نفسك بالدار ، قم فاشتغل بالإنذار ، وإن آذاك الفجار .

(٢) واختص ربك بالتكبير . وهو التعظيم . أي لا يتكبر في عينك غيره ، وقل عند ما يعرورك من غير الله : الله أكبر . وروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الله أكبر" فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي . وقد يحمل على تكبير الصلاة . ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره .

وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ <sup>(١١)</sup> وَالرَّحْزَ فَاهْجُرْ <sup>(١٢)</sup> وَلَا تَحْنُفْ <sup>(١٣)</sup> تَسْتَكَثِّرْ <sup>(١٤)</sup>  
وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ <sup>(١٥)</sup> فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ <sup>(١٦)</sup> فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ  
عَسِيرٌ <sup>(١٧)</sup> عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ <sup>(١٨)</sup> ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

(١١) (ويا بك فطهر) بالماء عن النجاسة لأن الصلاة لا تصح إلا بها. وهي الأولى في غير الصلاة. أو فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الديول. إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة. أو طهر نفسك مما يستقذر من الأفعال. يقال فلان طاهر الثياب إذا صفوه بالنفاء من المعائب. وفلان دنس الثياب للغادر. ولأن من طهر باطنه يطهر ظاهره.

(١٢) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص. وغيرهم بالكسر. العذاب. والمراد ما يؤدي إليه.

(١٣) أى ثبت على هجره لأنه كان بريئاً منه.

(١٤) بالرفع. وهو منصوب المحل على الحال. أى لا تخط مستكثراً رايماً لا تعطيه كثيراً. أو طالباً أكثر مما أعطيت فإنك مأمور بأجل الأخلاق وأشرف الآداب. وهو من من عليه إذا أنعم عليه. وقرأ الحسن (تستكثر) بالسكون جواباً للهي.

(١٥) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور منه.

(١٦) (فإذا) نفخ في الصور—وهي النفخة الأولى. وقيل الثانية—(فذلك)—إشارة إلى وقت النفر. وهو مبتدأ—(يومئذ)—مرفوع المحل بدل من ذلك—(يوم عسير) خبر. كأنه قيل فيوم القريوم عسير. والقائه في (فإذا) للتيسيب وفي (فذلك) للجزاء. كأنه قيل اصبر على أذاهم. فينبأ أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه. والعامل في (فإذا) مادل عليه الجزاء. أى (فإذا قرئ الناقور) عسر الأمر (على الكافرين). وأكده بقوله (غير يسير) ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين. أو (عسير) لا يرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا.

(١٧) أى كله إلى. يعنى الوليد بن المذبة. وكان يلقب في قومه بالوحيد. (ومن خلقت) معطوف. أو مقول معه.

وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا ۞  
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَتْ أَزِيدُ ۞ كَلَّا إِنَّهُ  
كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۞ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ۞ إِنَّهُ فَكَّرَ  
وَقَدَّرَ ۞ فَقُنْصِلْ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُنْصِلْ كَيْفَ قَدَّرَ ۞

(١١) (وحيداً) حال من الياء في (ذري). أى ذرى وحدى معه فى أكفيك أمره. أو من التاء في (خلقت) أى خلقته وحدى لم يشركنى في خلقه أحد. أو من الهاء المحذوفة، أو من (من) أى خلقته منفرداً بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا ممدوداً) بمسوطاً كثيراً. أو ممدوداً بالثناء. وكان له الزرع والضرع والتجارة. وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار. وعنه أنه له أرضاً بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهوداً) حضورياً معه بمكة لغنائم من السفر. وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيداً) وبسطت له الجاه والرياسة فأتمت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا. (١٢) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد في ماله وولده من غير شكر. وقال الحسن (إن أزيد) أن أدخله الجنة فأوتيته مالا وولداً كما قال (لأوتين مالا وولداً).

(١٣) ردع له وقطع لرجائه. أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم. فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك.

(١٤) (إنه كان) للقرآن (عنيداً) معانداً جاحداً. وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأنه قائلاً قال لم أزيد؟ فقيل إنه يحمده آيات المنعم وكفر بذلك نعمته. والكافر لا يستحق المزيد. (١٥) سأغشيه (صعوداً) عقبة شاقة المصعد. وفي الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين شهيداً ثم يموى فيه كذلك أبداً.

(١٦) تعليل للوعيد كأن الله تعالى حاجله بالفقر والذل، بعد الفنى والعز، لتناوده وبقائه في الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن بغيراً. يعنى (إنه فكر) ماذا يقول في القرآن (وقدر) في نفسه ما يقوله وهياً (فقتل) لمن (كيف قدر) تعجب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كثر للتأكيد. و(ثم) يشعر بأن الدعاء الثانى أبلغ من الأول.

ثُمَّ نَظَرَ ﴿١١﴾ ثُمَّ عَمَسَ وَبَسَرَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿١٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿١٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿١٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿١٨﴾

(١١) (ثم نظر) في وجوه الناس ، أو فيما قدر (ثم عمس) قطب وجهه (وبسر) زاد في التقيض والكسح (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أو عن مقامه وفي مقاله . و (ثم نظر) عطف على (فكر وقدر) والدعاء اعتراض بينهما . وإيراد (ثم) في المعطوفات لبيان أن بين الأعمال المعطوفة تراخيا .

(١٢) (فقال) ما (هذا إلا سحر يؤثر) يروى عن السحرة (إن هذا إلا قول البشر) . وروى أن الوليد قال لبني غزوم : " والله لقد سمعت من جد آفا كلاما ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن . إن له لحلاوة ، وإن له لعلوة ، وإن أملاه لشعر ، وإن أسفله لمذق ، وإنه يعلوما يعل . " فقالت قريش " صبا والله الوليد " . فقال أبو جهل — وهو ابن أخيه — " أنا أكفيكموه " . فقمعد إليه حزينا وكأبه بها إحماء . فقام الوليد فاتاهم . فقال " ترعمون أن هذا مجنون . فهل رأيتموه يضحك ؟ وتقولون إنه كاهن . فهل رأيتموه قط يتكهن ؟ وترعمون أنه شاعر . فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط ؟ وترعمون أنه كذاب . فهل جرتم عليه شيئا من الكذب ؟ " فقالوا في كل ذلك " اللهم لا " . ثم قالوا " فما هو ؟ " ففكر فقال " ما هو إلا ساحر . أما رأيتموه يفترق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟ وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلة وأهل بابل " . فارتج النادى فرسا وتفرقوا متعجبين منه . وذكر الفراء دليل على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله فطرق بها من غير تلبث . ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأن الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى .

(١٣) سأدخله . يدل من (سأرهقه صعودا) .

(١٤) علم لجهنم . ولم ينصرف للتعريف والتأنيث .

(١٥) تهويل لثأنها .

(١٦) أى هي (لا تبقي) لما (ولا تذر) عظا . أو (لا تبقي) شيا تبقي فيها إلا أهلكته (ولا تذر) هالكا بل يسود كما كان .

لَوَاحَةٍ لِلْبَشَرِ <sup>(١)</sup> عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ <sup>(٢)</sup> وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً  
وَمَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَبَيِّنَ <sup>(٣)</sup> الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ  
وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءِيمَنَّا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْعُؤْمُونُونَ  
وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا <sup>(٤)</sup> مَثَلًا

(١) خبر مبتدأ محذوف . أى هى (لواحة للبشر) جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . أى  
مسودة للجلود ومحرقة لها .

(٢) على سفر ، أى على أمرها (تسعة عشر) ملكا . عند الجمهور . وقيل : صففا من  
الملائكة . وقيل : صففا . وقيل : تقييا .

(٣) أى (وما جعلنا) نختها (إلا ملائكة) لأنهم خلاف جنس المذنبين فلا تأخذهم  
الزفة والزفة لأنهم أشد الخلق بأسا . فللواحد منهم قوة الثقلين . (وما جعلنا عدتهم)  
تسعة عشر (إلا فتنة) أى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) ، حتى قال أبو جهل لما نزلت  
(عليها تسعة عشر) : — "ما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأتمّ الدهم ؟!" .  
فقال أبو الأشد — وكان شديد البطش : "أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أتم اثنين" .  
فنزات (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون .

وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد، مع أنه لا يطلب فى الأعداد العلى : — إن ستة منهم  
يقودون الكفرة إلى النار، وستة يسوقونهم، وستة يضربونهم بمقامع الحديد، والآخر خازن جهنم .  
وهو مالك . وهو الأكبر . وقيل : فى سقر تسعة عشر دركاً . وقد سلط على كل درك ملك . وقيل  
يمدب فيها تسعة عشر لونا من المذاب . وعلى كل لون ملك موكل . وقيل : إن جهنم تحفظ  
بما تحفظ به الأرض من الجبال . وهى تسعة عشر . وإن كان أصلها مائة وتسعين إلا أن غيرها  
يسحب عنها .

(٤) (ليستبين الذين أوتوا الكتاب) لأن عدتهم تسعة عشر فى الكتابين . فإذا سمعوا بمثلها  
فى القرآن إيقنوا أنه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد — وهو عطف على (ليستبين) —  
(إيمانا) لتصديقهم بذلك ، كما صدقوا سائر ما أنزل . أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب



كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ <sup>(١١)</sup> وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ <sup>(١٢)</sup>

أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا. وفيه تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان. إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالان على انتفاء الارتياب، ثم عطف على (السيقين) أيضا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) فحاق (والكافرون) المشركون. فإن قلت التناقظ ظهر في المدينة والسورة مكية. قلت معناه (وليقول المنافقون) الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكة: — (ماذا أراد الله بهذا مثلا)؟ وهذا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالنيوب. وهذا لا يخالف كون السورة مكية. وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كانوا أكثرهم شاكين. و (مثلا) تمييز لهذا أو حال منه، كقوله (هذه ناقة الله لكم آية). ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة، وأك مثله حقيق بأن تفسيره الركان سيرها بالأمثال سمي مثلا. والمعنى أى شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟ وأى معنى أراد أن يجعل الملائكة تسعة عشر لآخرين؟ وغرضهم إنكاره أصلا، وأنه ليس من عند الله، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد ناقص.

<sup>(١١)</sup> الكاف نصب. و (ذلك) إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى. أى مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى — يعنى إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة في ذلك — (يضل الله من يشاء) من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء. وفيه دليل خلق الأنفال ووصف الله بالهداية والإضلال.

<sup>(١٢)</sup> لما قال أبو جهل لعنه الله أما لرّب محمد أخوان إلا تسعة عشر، نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (إلا هو) فلا يعز عليه تنجم الخزنة عشرين. ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها.

<sup>(١٣)</sup> متصل بوصف سقر. و (هى) ضميرها أى (وما) سقر وصفتها (إلا ذكرى للبشر) أى تذكرة للبشر. أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها.

كَلَّا وَالْقَمَرِ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ ۖ إِنَّهَا لَإِحْدَى  
 الْكُبَرِ ۖ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۖ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۖ  
 كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ

(١١) إنكار - بعد أن جعلها ذكراً - أن تكون لهم ذكراً لأنهم لا يتذكرون .

(١٢) (والقمر) - أقسم به لعظم منافذته - (والليل إذا أدبر) - نافع وحفص وحزق وعقوب  
 وخلف وغيرهم (إذا أدبر) ودبر بمعنى أدبر . ومعناها ولّى ذهب . وقيل (أدبر) ولّى ومضى ،  
 و(دبر) جاء بعد النهار - (والصبح إذا أسفر) أضواء . وجواب القسم (إنها) إن أسفر (لإحدى الكبر)  
 هي جمع الكبرى أى (لإحدى) البلايا أو الدواهي (الكبر) . ومعنى كونها إحداً أنها من بينهن  
 واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال . وهي إحدى النساء .

(١٣) (نذيراً) تمييز من (إحدى) . أى (إنها لإحدى) الدواهي إنذاراً . كقولك  
 هي إحدى النساء حفاً . وأقبل من (للشعر) ، (لمن شاء منكم) - بإعادة الجواز -  
 (أن يتقدم) إلى الخليل (أو يتأخر) عنه . ومن الزجاج إلى ما أمر وعما نهى .

(١٤) هى ليست بتأنيث رهن في قوله (كل امرئ بما كسب رهن) لتأنيث النفس .  
 لأنه لو قصدت الصفة لقل رهن . لأنك فيلما بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث . وإنما  
 هى اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم كأنه قيل (كل نفس بما كسبت) رهن . والمعنى (كل  
 نفس) رهن بكسبها عند الله غير مفكوك .

(١٥) أى أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها . أو إلا المسلمين فإنهم فسخوا  
 رقابهم بالطاعة كما يخلص الرهن رهنه بأداء الحق .

(١٦) أى هم (في جنات) لا يكتنه وصلها .

يَسْأَلُونَ ﴿١١﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿١٣﴾  
 قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٤﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿١٥﴾ وَكُنَّا  
 نُحْضِضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿١٦﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١٧﴾ حَتَّى أَتَيْنَا  
 الْيَقِينَ ﴿١٨﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ  
 مُعْرِضِينَ ﴿٢٠﴾ كَانَتْهُمْ حُرٌّ مُسْتَنْفِرَةً ﴿٢١﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٢٢﴾

(١١) يسأل بعضهم بعضاً عنهم . أو يسألهون فيهم عنهم .

(١٢) (ما) أدخلكم فيها . ولا يقال لا يطابق قوله (ما سلككم) — وهو سؤال الجرمين — قوله  
 (يسألهون عن الجرمين) وهو سؤال عنهم ، وإنما يطابق ذلك لوقيل يسألهون الجرمين ما سلككم ،  
 لأن (ما سلككم) ليس بياناً للتساؤل عنهم . وإنما هو حكاية قول المسئولين عنهم . لأن المسئولين  
 يقولون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين الجرمين فيقولون قلنا لهم (ما سلككم في سقر قالوا لم نك  
 من المصلين) . إلا أنه اختصر كما هو نصح القرآن . وقيل (عن) زائدة .

(١٣) (قالوا لم نك من المصلين) أى لم نفتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم السامعون  
 (وكنا نحضض مع الخاطئين) الخوض الشروع في الباطل ، أى تقول الباطل والزور في آيات الله  
 (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعَةُ الشافعين)  
 من الملائكة والنبيين والصالحين لأنها للمؤمنين دون الكافرين . وفيه دليل ثبوت الشفاعة  
 للمؤمنين . في الحديث "إن من أتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر" .

(١٤) (فما لهم عن) التذكير وهو العظة أى القرآن (معرضين) مولين . حال من الضمير  
 نحو مالك قائماً .

(١٥) (كانتهم حمر) — أى حمر الوحش . حال من الضمير في (معرضين) — (مستفجرة)  
 شديدة التفار كأنها تطلب التفار من نفوسها — وفتح الفاء مدنى وشأى أى استنفرها  
 فيها — (فرّت من قسورة) حال . وقد معها مقدرة . والقسورة الرماة أو الأسد . فعולה من  
 القسر . وهو الفهر والظبية . شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحر جدت  
 في تفارها .

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً ﴿١١﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ  
 الْآخِرَةَ ﴿١٢﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿١٣﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿١٤﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ  
 إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿١٥﴾

(١١) (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى) قراطيس تشر وتقرأ. وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن تبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان تؤمر فيها بتابعك. ونحوه قوله (لن تؤمن لريقك حتى ننزل علينا كتابا نقرؤه). وقيل: قالوا إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار.

(١٢) (كلا) ردع لهم عن تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات. ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف.

(١٣) ودعهم عن إعراضهم عن التذكرة. وقال إن القرآن (تذكرة) بليغة كافية.

(١٤) أى (فمن شاء) أن يذكره ولا ينساه فعل فأتى نفع ذلك عائد إليه.

(١٥) وباللأ نافع ويقوب.

(١٦) إلّا وقت مشيئة الله أو إلّا بمشيئة الله.

(١٧) في الحديث (هو أهل) أن يتقى (وأهل) أن يفر من اتقاء والله أعلم.

## سورة القيامة مكية

وهي أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ  
الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾

(١) (لا أقسم بيوم القيامة) أى أقسم ، عن ابن عباس . و (لا) صلة كقوله  
(لئلا يعلم) وقوله

• في غير لآخر مَرَى وما شعر • وكقوله .

تَذَكَّرْتُ لَيْلِي فَأَعْرِضْ صَبَابَةً      وكاد ضمير القلب لا يتقطعُ

وعليه الجمهور . وعن الفراء (لا) رد لإنكار المشركين البعث كأنه قيل : ليس الأمر كما  
تزعمون ثم قيل : أقسم بيوم القيامة . وقيل أصله (لأقسم) كقراءة ابن كثير ، على أن اللام  
للابتداء ، و (أقسم) خبر مبتدأ محذوف . أى لأننا أقسم . ويقويه أنه في الإمام بن سير الألف .  
ثم أشبع فظهر من الإشباع ألف . وهذا اللام يصحبه نون التأكيد في الأغلب وقد يفارقه .  
(ولا أقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على أنه قسم آخر . وعن الحسن : أقسم بيوم القيامة  
ولم يقسم بالنفس اللوامة . فهي صفة ذم ، وعلى القسم صفة مدح . أى النفس المتقية التي  
تلوم على التصير في التقوى . وقيل هي نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من  
الجنة . وجواب القسم محذوف . أى لتبغثن . دليله (أيحسب الإنسان) أى الكافر المنكر  
للبعث (أن لن يجمع عظامه) بعد تفريقها ورجوعها رفانا مختلطا بالتراب .

بَلَىٰ قَلِيلٍ عَالَمُ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَاتُهُ ﴿٣١﴾ بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ  
 أَمَامَهُ ﴿٣٢﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٣٤﴾ وَخَسَفَ  
 الْقَمَرُ ﴿٣٥﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٣٦﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ  
 أَئِنَّا لَمَمْفَرُونَ ﴿٣٧﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿٣٨﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿٣٩﴾

(٣١) (بلى) أوجبت ما بعد النفي . أى (بلى) نجعلها (قادرين) حال من الضمير في مجمع .  
 أى نجعلها (قادرين) على جمعها وإعادتها كما كانت . أو (قادرين على أن تسوى) أصابعه  
 كما كانت في الدنيا بلا قصبان وتفاوت مع صفرها . فكيف بكبار المظالم ؟

(٣٢) عطف على (المحسب) فيجوز أن يكون مثله استفهاما .

(٣٣) ليدوم على بظوره فيما يستقبله من الزمان .

(٣٤) (يسأل) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة .

(٣٥) (فإذا برق البصر) تمير فرطاً — وفتح الزاء مدنى . شخص — (وخسف القمر) وذهب  
 ضوؤه أو غاب — من قوله (نفسنا به) . وقرأ أبو حية بضم الخاء — (وجمع الشمس والقمر)  
 أى جمع بينهما في الطلوع من المغرب . أو جمعا في ذهاب الضوء . أو بجماع فيقذفان في البحر  
 فيكون نار الله الكبرى (يقول الإنسان) الكافر أو المؤمن أيضا من الهول (يومئذ أين المفر)  
 هو مصدر . أى الفرار من النار . وقرأ الحسن بكسر الفاء . وهو يحتمل المصدر والمكان .

(٣٦) (كَلَّا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ . (إلى ربك) خاصة (يومئذ المستقر)  
 مستقر العباد . أو موضع قرارهم من جنة أو نار ، مفوض ذلك لمشيئته ، من شاء أدخله  
 الجنة ، ومن شاء أدخله النار .

يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ<sup>(١)</sup> بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ  
 بَصِيرَةٌ<sup>(٢)</sup> وَلَوْ أَلْفَ مَآذِرٍ<sup>(٣)</sup> لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ<sup>(٤)</sup>  
 إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ<sup>(٥)</sup> فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ<sup>(٦)</sup> ثُمَّ إِنَّ  
 عَلَيْنَا بَيَانَهُ<sup>(٧)</sup> كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ<sup>(٨)</sup> وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ<sup>(٩)</sup>

(١) يخبر ( بما قَدَّمَ من عمل عمله (وأخَّر) ما لم يعمل .

(٢) شاهد . والهاء للبالغة ككلامه . أو أنه لأنه أراد به جوارحه إذ جوارحه تشهد عليه .  
 أو هو حجة على نفسه . والبصيرة الحجّة . قال الله تعالى ( قد جاءكم بصائر من ربكم ) . وقول لغيرك  
 أنت حجة على نفسك وبصيرة . رفع بالابتداء وخبره ( على نفسه ) تقدّم عليه . والجملة خبر  
 ( الإنسان ) كقولك زيد على رأسه عمامة . والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه .  
 (٣) أرني ستوره . والمُعَذَّر السّر . وقيل ولو جاء بكلّ معذرة ما قبلت منه . فعليه من  
 يكذب منزه . والمعاذير ليس بجميع معذرة لأنّ جمعها معاذير . بل هي اسم جمع لها . ونحوه  
 المناكير في المنكر .

(٤) ( لا تحرك ) بالقرآن ( لسانك لتعجل به ) بالقرآن . وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ  
 في القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن يتغلّت منه . فقيل له ( لا تحرك ) لسانك بقراءة الوحي  
 ما دام جبريل يقرأ ( لتعجل به ) لتأخذه على عجلة ؛ ولئلا يتغلّت منك . ثمّ علّل النهي عن  
 العجلة بقوله ( إن علينا جمعه ) في صدرك ( وقرآنه ) وإثبات قراءته في لسانك . والقرآن القراءة .  
 ونحوه : ( ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ) .

(٥) أي ( فإذا قرأه عليك جبريل — بفعل قراءة جبريل قراءته — فاتبع قرآنه ) أي قراءته  
 عليك ( ثمّ إن علينا بيانه ) إذا أشكل عليك شيء من معانيه .

(٦) رجع عن إنكار البعث . أو ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن السجلة وإنكار  
 لها عليه . وأكده بقوله ( بل تحبون العاجلة ) كأنه قيل بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتُم من عجل  
 وطبعتم عليه تتجولون في كلّ شيء ، ومن ثمّ ( تحبون العاجلة ) الدنيا وشهواتها ( وتذرون الآخرة )  
 الدار الآخرة ونعيمها فلا تملكون لها . والقراءة فيها بالثناء ، مدنيّ وكوفيّ .

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٢﴾ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ  
 بَاسِرَةٌ ﴿١٣﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿١٥﴾  
 وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿١٦﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿١٧﴾ وَالْتَفَتِ الْأَنفُسُ بِالْأَسَاقِ ﴿١٨﴾

(١١) (وجوه) هي وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (إلى ربها ناظرة) بلا كلفة ولا جهة ولا ثبوت مسافة. وحمل النظار على الانتظار لأمر ربها أو لنوابه، لا يصح، لأنه يقال نظرت فيه أى تفكرت. ونظرت انتظرتة. ولا يمدى برأى إلا بمعنى الرؤية. مع أنه لا يليق الانتظار في دار القرار.

(١٢) كالحة شديدة العبوسة وهي وجوه الكفار.

(١٣) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو في شدته (فاقرة) داهية تقسم فقار الظهر.

(١٤) ردع عن إتيار الدنيا على الآخرة. كأنه قيل ارتفعوا عن ذلك وتبهبؤا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلون إلى الأجلة التى تبقون فيها مخلدين.

(١٥) أى الروح. وجاز وإن لم يمر لها ذكر، لأن الآية تدل عليها.

(١٦) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. جمع ترقوة.

(١٧) يقف حفص على (من) وقيفة. أى قال حاضرو المختصر بعضهم لبعض: أيكم يرقبه ممّا به؟ من الرقية، من حدّ ضرب. أو هو من كلام الملائكة أيكم رقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ من الرقى، من حدّ علم.

(١٨) أيّن المختضر (أنه الفراق) أت هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة.

(١٩) الترت ساقاه عند موته. وعن سعيد بن المسيّب هما ساقاه حين تلقّان في أكفانه. وقيل شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة، على أن الساق مثل في الشدّة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هما همتان هم الأهل والولد، وهم القدمون على الواحد الصمد.



إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ  
 وَتَوَلَّىٰ ﴿٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِعُ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ فَاوُولُ ﴿٥﴾ ثُمَّ أُولَٰئِكَ  
 فَاوُولُ ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ  
 مَنِيٍّ يُُمْتَعًى ﴿٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً نَّفْثًا قَسْوَىٰ ﴿٩﴾ فَبَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ  
 الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿١٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقُنْدَرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿١١﴾

(١) هو مصدر ساقه . أى مساق العباد إلى حيث أمر الله إلتما إلى الجنة أو إلى النار .

(٢) ( فلا صدق ) بالرسول والقرآن ( ولا صلى ) الإنسان — فى قوله ( أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ )  
 أن لن يجمع عظامه ) — ( ولكن كذب ) بالقرآن ( وتولى ) عن الإيمان . أو ( فلا صدق )  
 ماله معنى فلا زكاه .

(٣) يتبعثر . وأصله يمتطع . أى يتخذ . لأنه المتبعثر يبد خطاه . فأبدلت الطاء ياء لاجتماع  
 ثلاثة أحرف متماثلة .

(٤) بمعنى ويل لك . وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره ، كقولنا كيد . كأنه قال ويل لك  
 فويل لك ثم ويل لك فويل لك . وقيل ويل لك يوم الموت ، وويل لك فى القبر ،  
 وويل لك حين البعث ، وويل لك فى النار .

(٥) ( أَيْحَسِبُ ) الكافر ( أن يترك ) مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يهازى ؟

(٦) بالياء ، ابن حامر وحفص . أى يراق المني فى الرحم . وبالتاء يعود إلى النطفة .

(٧) أى صار المني قطعة دم جامد بعد أربعين يوماً .

(٨) ( خلق ) الله منه بشراً سوياً ( بفعل منه ) من الإنسان ( الزوجين الذكور والأنثى ) أو  
 من الصنفين . ( أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ) أليس الفعال لهذه الأشياء بقادر  
 من الإبداع ؟ وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأها يقول "سبأنك ، بلى" . والله أعلم .

## سورة الإنسان مكية

وهي إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا  
خَلَقْنَاهُ أَلْفَافًا مِّن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴿٢﴾ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٣﴾

(١) قد مضى (على الإنسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة مصورًا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيئًا مذکورًا) لم يذكر اسمه ولم يدرك ما يراد به. لأنه كان طينًا يمزجه الزمان. ولو كان غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر. وعمل (لم يكن شيئًا مذکورًا) النصب على الحال من (الإنسان). أي أتى عليه (حين من الدهر) غير مذکور. (إنا خلقناه ألفافًا من نطفة أمشاج) أي ولد آدم — وقيل الأول ولد آدم أيضًا. و (حين من الدهر) هل هذا مدة لبته في بطن أمه إلى أن صار شيئًا مذکورًا بين الناس — (من نطفة أمشاج) نبت أو بدل منها. أي (من نطفة) قد امتزج فيها الماء. ومشجه ومزجه بمعنى. و (نطفة أمشاج) كلمة أعشار. فهو لفظ مفرد غير جمع. ولذا وقع صفة المفرد.

(٢) حال أي خلقناه مبتلين. أي مرطين ابتلاءه بالأمر والنهي له.

(٣) ذا سمع وبصر.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ <sup>(١١)</sup> إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا <sup>(١٢)</sup> إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا  
وَأَغْلَلْنَا وَسْعِيرًا <sup>(١٣)</sup> إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا <sup>(١٤)</sup>  
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا <sup>(١٥)</sup> يُوفُونَ بِالْأَنْدَرِ <sup>(١٦)</sup>

(١١) يَهْدِيهِ طَرِيقَ الْهُدَى بِأَدَلَّةِ الْعَقْلِ وَالسَّمْعِ .

(١٢) (إِذَا شَاكَرًا) مُؤْمِنًا (وَإِمَّا كَفُورًا) كَافِرًا، حَالَانِ مِنَ الْمَاءِ فِي (هَدَيْنَاهُ) . أَيْ إِنْ شَكَرَ وَكَفَرَ فَقَدْ هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ فِي الْحَالَيْنِ . أَوْ مِنَ (السَّبِيلِ) أَيْ عَظْمَاءِ السَّبِيلِ (إِنَّا) سَيَلًا (شَاكَرًا وَإِنَّا) سَيَلًا (كَفُورًا) . وَوَصَفَ السَّبِيلَ بِالشُّكْرِ وَالْكَفْرِ بِجَازٍ .

(١٣) لَمَّا ذَكَرَ الْفَرِيقَيْنِ أَتَيْهِمَا مَا أُعِدَّ لَهُمَا فَقَالَ : (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا) - جَمْعُ سَاسِلَةٍ . بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، حَقِصٌ وَمَتْنٌ وَأَبُو صَمْرُو وَحِزَّةٌ . (و) بِهِ لِيُنَاسِبَ (أَغْلَلْنَا وَسْعِيرًا) إِذْ يَجُوزُ صَرْفُ ضَيْرِ الْمُنْتَصِرِ لِلتَّنَاسُبِ ، ضَيْرُهُمْ - (وَأَغْلَلْنَا) جَمْعُ غَلٍّ (وَسْعِيرًا) نَارًا مُوقَدَةٌ . وَقَالَ : (إِنَّ الْأَبْرَارَ) - جَمْعُ بَرٍّ أَوْ بَارٍّ كَرَّبَ وَأَرَابَ وَشَاهَدَ وَأَشْهَدَ . وَهُمْ الصَّادِقُونَ فِي الْإِيمَانِ ، أَوْ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ النَّفْسَ وَلَا يَضْمُرُونَ الشَّرَّ - (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) نَعْمُ - فَفَنَسَ الْخَمْرَ تَسْمَى كَأْسًا ، وَقِيلَ الْكَأْسُ الزَّجَاجَةُ إِذَا كَانَ فِيهَا نَعْمُ - (كَانَ مِزَاجُهَا) مَا تَمِزُجُ بِهِ (كَافُورًا) مَاءٌ كَافُورٌ . وَهُوَ اسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ مَاؤُهَا فِي بَرَاضِ الْكَافُورِ وَرَاسْمَتُهُ وَبَرْدُهُ (عَيْنًا) بَدَلُ مِنْهُ (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) أَيْ مِنْهَا أَوِ الْبَاءُ زَائِدَةٌ أَوْ هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى أَيْ يَنْتَدِي بِهَا أَوْ يَرَوِي بِهَا . وَإِنَّمَا قَالَ أَوَّلًا بِمَحْرَفٍ (مِنْ) وَثَانِيًا بِمَحْرَفِ الْبَاءِ لِأَنَّ الْكَأْسَ مُبْتَدَأُ شَرْبِهِمْ وَأَوَّلُ غَايَتِهِ . وَإِنَّمَا الْعَيْنُ فِيهَا يَمِزُجُونَ شَرَابَهُمْ فَكَأَنَّهُ قِيلَ يَشْرَبُ عِبَادُ اللَّهِ بِهَا الْخَمْرَ .

(١٤) يَمِزُجُونَهَا حَيْثُ شَامُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ (تَفْجِيرًا) مَسِيلًا لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ .

(١٥) (يُوفُونَ) بِمَا أُوجِبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ . وَهُوَ جَوَابُ مَنْ عَسَى أَنْ يَقُولَ مَا لِمَ يَرْزُقُونَ ذَلِكَ ؟ وَالْوَفَاءُ بِالْأَنْدَرِ مِثَالُهُ فِي وَصْفِهِمْ بِالتَّوَقُّرِ عَلَى آدَاءِ الْوَاجِبَاتِ لِأَنَّ مَنْ وَفَى بِمَا أُوجِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ لَوْجُهُ اللَّهِ كَانَ بِمَا أُوجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْفَى .

وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿١١﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ۖ  
 مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ  
 جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ﴿١٤﴾  
 فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١٥﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا  
 جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٦﴾

(١١) (كان شره) شدائده (مستطيرا) منتشرا ، من استطار الفجر .

(١٢) أى (ويطعمون الطعام على ) حب الطعام من الاشتاء والحاجة إليه أو على حب  
 الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيمًا) صغيرا لا أب له (وأسييرا) مأسورا  
 محبوكا أو غيره . ثم مالوا إطماعهم فقالوا (إنما نطعمكم لوجه الله) أى لطلب ثوابه — أو هو  
 بيان من الله عز وجل عما في ضمائرهم لأن الله تعالى علمه منهم فأنشئ عليهم وإن لم يقولوا شيئا —  
 (لا نريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكورا) ثناء . وهو مصدر كالشكر .

(١٣) أى إننا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة . أو (إننا  
 نخاف من ربنا) فتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف .

(١٤) وصف اليوم بصفة أهله من الأشفياء نحو نهارك صائم . والقطرير الشديد العبوس  
 الذى يجمع ما بين عينيه .

نزلت في علي وفاطمة وقصة جارية لها : لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما  
 نزلوا صوم ثلاثة أيام . فاستقرض علي رضى الله عنه من يهودى ثلاثة أصوع من الشعر  
 فطحن فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فأثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم  
 مسكينا ويتيمًا وأسيرا ولم يذوقوا إلا الماء في وقت الإفطار .

(١٥) صاهم من شدائده (ولقاهم) أعطاهم بمل عبوس الفجار (نضرة) حسنا في الوجوه  
 (وسرورا) فرحا في القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصرهم على الإيثار (جنة) بسنا فيه  
 ما كل حتىه (وحريرا) ملبسا بيا .

مُتَكَبِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١١﴾  
 وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٢﴾ وَيُطَافُ  
 عَلَيْهِمْ بِنَائِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٣﴾ قَوَارِيرًا مِنْ  
 فِضَّةٍ قَلْدُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٤﴾

(١١) (متكبين) - حال من هم في (جزام) - (فيها) في الجنة (على الأرائك) (الأسرة - جمع الأريكة - (لا يرون) - حال من الضمير المرفوع في (متكبين) - غير رايين (فيها) في الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لأنه لا شمس فيها ولا زمهرير. فظلها دائم وهو أضاء معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذى. وفي الحديث هواء الجنة يصحح لحر ولا قو. فالزمهرير البرد الشديد. وقيل القمر. أي الجنة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقر.

(١٢) قرية منهم ظلال أشجارها. عطفت حل (جنة). أي (و) جنة أخرى (دانية عليهم ظللها). كأنهم وصلوا يجتنبين لأنهم وصفوا بالخوف - بقوله (إنا نخاف من ربنا) - (ولن خاف مقام ربنا جنتان).

(١٣) سخرت للقامم والقاعد والمتكئ. وهو حال من (دانية). أي تدنو ظللها عليهم في حال تذليل قطوفها عليهم. أو معطوفة عليها أي (ودانية عليهم ظللها) ومذلة (قطوفها) ثمسارها. جمع قطف.

(١٤) أي يدير عليهم خدمهم كنوس الشراب. والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء.

(١٥) (وأكواب) أي من فضة - جمع كوب. وهو يريق لاهوة له - (كانت قوارير) - كان تامة - أي كؤن (كانت قوارير) يتكئين الله. نصب على الحال - (قوارير من فضة) أي مخلوقة من فضة فهي جامعة لياض الفضة وحسنها، وصفاء القوارير وشقيفها، حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها. قال ابن عباس رضي الله عنهما قوارير كل أرض من تربتها. وأرض الجنة فضة. قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتثنية فيهما، وحزمة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما، وابن كثير بثنوين الأول. والتنوين

وَيَسْقُونَ فِيهَا كَاسًا كَانَ مَرْاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١١﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٢﴾  
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴿١٣﴾ وَإِذَا  
رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿١٤﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ ذَرَّةً خَضْزٍ  
وَيَسْتَبْرَقُونَ ﴿١٥﴾

في الأول لتناسب الآى المتقدمة والمتأخرة ، وفي الثانى لإتباعه الأول. والوقف على الأول قد  
قيل . ولا يوثق به لأن الثانى بدل من الأول . (قدروها تقديرا) صفة لـ (قوارير من فضة)  
أى أهل الجنة قدروها على أشكال غصنوصة بغامت كما قدروها تكمرة لهم أو السقاة جعلوها  
على قدرى شارها. فهى الذلهم وأخف عليهم . وعن مجاهد لا تفيض ولا تنفيض .

(١١) (ويسقون) أى الأبرار (فيها) فى الجنة (كاسا) حمرا (كان مزاجها زنجبيل  
عينا) - بدل من (زنجبيل) - (فيها) فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيل) . سميت العين  
(زنجبيل) لطعم الزنجبيل فيها ، والعرب تستلذه وتستطبه ، و (سلسبيل) سلاسة انحدارها  
فى الحلق وسهولة مساقها . قال أبو عبيدة ماء سلسيل أى عذب طيب .

(١٢) غلمان يشتمهم الله لخدمة المؤمنين . أو ولدان الكفرة يعملهم الله تعالى خدما لأهل الجنة .  
(١٣) لا يموتون (إذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبتائهم فى مجالسهم  
(لؤلؤا مثنورا) . وتخصيص المثنور لأنه أزين فى النظر من المنظوم .

(١٤) (ثم) ظرف . أى فى الجنة . وليس لأيت مفعول ظاهر ولا مقتر ليشيع فى كل مرثى .  
تقديره (وإذا) اكتسبت الرؤية فى الجنة (رأيت فيها) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا . يروى  
أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أذناه . وقيل ملك  
لا يعقبه هلك . أو لم فيها ما يشاءون أو تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم .

(١٥) (عليهم) بالنصب على أنه حال من الضمير فى (يطوف عليهم) . أى (يطوف  
عليهم ولدان) غالبا ليطوف عليهم (ثياب) . وبالسكون ، مدنى وحمة ، على أنه مبتدأ خبره  
(ثياب سندس) . أى ما يملوهم من ملابسهم (ثياب سندس) وقيق الديساج (خضر) جمع  
أخضر (ويستبرقون) غليظ . برقعهما ؛ حملا على الثياب ، نافع وحفص . ويجزهما ؛ حمزة  
وعلى ، حملا على (سندس) . ويرفع الأول وجر الثانى أو عكسه ، فيرفع .

وَحَلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقْلُهُمْ رَبَّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٣﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٤﴾ إِنَّا نَحْنُ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ نَنْزِيلًا ﴿٥﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٦﴾

(١) (وحلوا) - عطف على (ويطوف) - (أساور من فضة). وفي سورة الملائكة (يعلنون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا). قال ابن المسيب "لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ".

(٢) أضيف إليه تعالى للتحريف والتخصيص. وقيل إن الملائكة يرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط. فإذا هم بكاسات تلاق أفواههم بشيء أكف من غيب إلى عهد.

(٣) ليس برجس تكبر الدنيا. لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم. أولاته لم يصرفتمسه الأيدي الوضرة وتلوسه الأقدام الدنسة.

(٤) يقال لأهل الجنة (إن هذا النعيم كان لكم جزاء لأعمالكم) (وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قاتم للسكين واليتيم والأسير (لا تريد منكم جزاء ولا شكورا).

(٥) تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لإقناع، تأكيد على تأكيد معنى اختصاص الله بالتزويل ليستقر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المتزل لم يكن تزويله مفقذا إلا حكمة وصوابا. ومن الحكمة الأمر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذى وتأخير نصرته على أعدائك من أهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (أئمة) راكبا ما هو أئمة داعيا لك إليه (أو كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك إليه. لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو أئمة أو كفور أو غير أئمة ولا كفر. فهي أن يساعدهم على الأولين دون الثالث. وقبل الآثم عتبة، لأنه كان ركبا للآثم والفسوق، والكفور الوليد، لأنه كان غالبا في الكفر والجحود. والظاهر أن المراد كل آثم وكافر. أي لا تطع أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا يمتنع فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا. ولو كان بالواو لحازان يطع أحدهما لأن الواو للجمع فيكون منبعا عن طاعتهما معا لاعتنا طاعة أحدهما. وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا يمتنع كان عن طاعتهما جميعا أنهى. وقيل (أو) بمعنى ولا. أي ولا تطع آثما ولا كفورا.

وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ لِيلًا  
 طَوِيلًا ﴿٢﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٣﴾  
 نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴿٤﴾ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٥﴾  
 إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُوهُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦﴾ وَمَا تَسَاءَوْنَ  
 إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ ﴿٧﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٨﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَسَاءُ  
 فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩﴾

(١) صَلَّ له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلاً) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلاً طويلاً) أى تهجد له هزيعاً طويلاً من الليل ثلثه أو نصفه أو ثلثه .

(٢) (إِنَّ هَؤُلَاءِ) الكفرة (يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) يؤثرون على الآخرة (ويزرون وراءهم) قد هم أو خلف ظهورهم (يوماً ثقيلاً) شديداً لا يثبتون به . وهو يوم القيامة . لأن شدة ثقله على الكفار .

(٣) (وشددنا) أحكنا (أسرهم) خلقهم ، عن ابن عباس رضى الله عنهما والفراء .

(٤) أى (إذا شئنا) إهلاكم أهلكتهم و (بدلنا أمثالهم) فى الحلقة بمن يطيع .

(٥) (إِنَّ هَؤُلَاءِ) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ إلداً به سبيلاً) بالتقرب إليه بالعاعة له (وأتباع رسوله) وما تشامون) اتخاذاً السبيل إلى الله - وبالياء ، مكي وشامى وأبو عمرو - (إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ) . عمله النصب على الظرف أى ألا وقت مشيئة الله . وإنما يساء الله ذلك من علم منه اختياره ذلك . وقيل هو لمعوم المشيئة فى الطاعة والمصيان والكفر والإيمان فيكون حجة لنا على المعتزلة .

(٦) (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بما يكون منهم من الأحوال ، (حكيماً) مصيباً فى الأقوال والأفعال ، (يدخل من يساء) وهم المؤمنون (فى رحمة) جنته لأنهم يساء برحمته تعالى . وهو حجة على المعتزلة لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلاً فى رحمة لأنه شاء إيمان الكل . والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء فى رحمة وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى . (والظالمين) الكافرين - لأنهم وضعوا العبادة فى ذم موضعها - نصب بفعل مضمر يفهمه (أعد لهم عذاباً أليماً) ، هو أوعد وكافأ .



## سورة المرسلات مكية

وهي خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَاتِ ﴿٢﴾ وَالنَّشِيرَاتِ تَشْرًا ﴿٣﴾  
فَالْفَرَقَاتِ ﴿٤﴾ فَالْمُغِيرَاتِ دُكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ تَنْدَرًا ﴿٦﴾

(١) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره، فمصفن في مضيق، ويطوائف منهم تُشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحى، أو تُشرن الشرائع في الأرض، أو تُشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحى، ففرقن بين الحق والباطل، فالقن (ذكرنا) إلى الأنبياء عليهم السلام (عنرا) للحقن (أو تُندرا) للبطان. أو أقسم برياح عذاب أرسلهن، فمصفن، ورياح رحمة تُشرن السحاب في الجو، ففرقن بينه — كقوله (ويجعله كسفا) — فالقن (ذكرنا) إما (عذرا) للذين يعتذرون إلى الله بتوهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في النيث ويشكرونها، وإما (ندرا) للذين لا يشكرون ويسبون ذلك إلى الأنواء. وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية. (عرفنا) حال. أى متتابعة كمرف القوس يتلو بعضه بعضا. أو مفعول له. أى أرسلن للإحسان والمعروف. و(عصفا) و(نشرنا) مصدران. (أو تُندرا) أبو عمرو وكوفي غير أبي بكر وحماد. والندروالتندر مصدران من عذر إذا عا الإساءة ومن أنذر إذا خوف، هل فعل كالكفر والشكر. واتصباهما على البذل من (ذكرنا)؛ أو على المفعول له.

إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٍ <sup>(١)</sup> فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ <sup>(٣)</sup>  
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ <sup>(٤)</sup> وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ <sup>(٥)</sup> لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ <sup>(٦)</sup>  
لِيَوْمِ الْفَصْلِ <sup>(٧)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ <sup>(٨)</sup> وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ  
لِّلْمُكَذِّبِينَ <sup>(٩)</sup> أَلَّا نُهَلِّكِ آلَ وَلِيِّكَ <sup>(١٠)</sup> ثُمَّ نُنْعِيهِمُ الْآخِرِينَ <sup>(١١)</sup>

(١) إن الذي توعده من مجيء يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لا ريب فيه . وهو جواب القسم . ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم .

(٢) عيت أو ذهب بنورها . وجواب (فإذا) محذوف . والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه . و (النجوم) فاعل فعل يفسره (طمست) .

(٣) فتحت فكانت أبوابا .

(٤) قلعت من أما كتبها .

(٥) أى (وقئت) كقراءة أبى عمرو . أبدلت الهمزة من الواو . ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أمهم .

(٦) أخرت وأمهلت . وفيه تعظيم لليوم ، وتجب من هوله . والتأجيل من الأجل ، كالتوقيت من الوقت .

(٧) بيان ليوم التأجيل . وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق .

(٨) تنجب آخر وتمظيم لأمره .

(٩) (ويل) مبتدأ - وإن كان نكرة . لأنه في أصله مصدر منصوب ساذ مسد فعله ولكنه عدل به الى ارفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للدعوى عليه . ونحوه (سلام عليكم) - (يومئذ) ظرفه (للكذابين) بذلك اليوم ، خبره .

(١٠) الأثم الخالية المكذبة .

(١١) مستأنف بهدوقف . وهو وعيد لأهل مكة . أى (ثم) فعلل بامثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين . لأنهم كتبوا مثل تكذيبهم .

كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١١﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ  
مُهِينٍ ﴿١٣﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ  
الْقَادِرُونَ ﴿١٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿١٨﴾  
أَحْبَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً  
فُرَاتًا ﴿٢٠﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢١﴾ أَنْظِلُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾

(١١) مثل ذلك الفعل الشليح (نقل بالمجرمين) بكل من أكرم .

(١٢) (المكذبين) بما أوعدنا .

(١٣) (الم تخلقكم من ماء) حقير وهو النطفة (بجعلناه) أى المماء (في قرار مكين) مقرو  
يتمكن فيه . وهو الرحم . وحمل (إلى قدر معلوم) الحال أى مؤتمرا إلى مقدار من الوقت (معلوم)  
قد علمه الله وحكم به . وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها .

(١٤) (فقدروا) ذلك تقديرا (فتم القادرون) فتم القادرون له نحن . أو (فقدروا) على ذلك  
(فتم القادرون) عليه نحن . والأول أحق لقراءة نافع وحمل بالتشديد ، ولقوله (من نطفة  
خلقته فقدته) .

(١٥) (المكذبين) بنعمة الفطرة .

(١٦) (كفاتا) من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه . وهو اسم ما يكفت ، كفولهم الضام لما  
يضم . وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافة (أحياء وأمواتا) . أو بفعل مضمر يدل  
عليه (كفاتا) وهو تكفت . أى تكفت (أحياء) على ظهورها (أمواتا) في بطنها . والتذكير فيما  
للتفخيم . أى تكفت (أحياء) لا يموتون (أمواتا) لا يحصرون .

(١٧) (وجعلنا فيها) جبالا ثوابت (شامخات) طاليات (وأسقينكم ماء فراتا) مذبذبا (ويل  
يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة .

(٢٢) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا إلى النار التى كنتم بها تكذبون .

أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنْ  
 أَلْهَبٍ ۖ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ مَمَلَكَةٌ صُفْرٌ ۖ  
 وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطَقُونَ ۖ

(١) تكرر للتوكيد .

(٢) دخان جهنم .

(٣) يشعب لعظمه ثلاث شعب . وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق .

(٤) ( لا ظليل ) نمت ( ظل ) . أى لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار ( ولا يغني )  
 في حل الجزء . أى وغير مغن لهم ( من ) حر ( الاله ) شيئا .

(٥) أى النار ( ترمي بشرر ) هو ما تظهر من النار ( كالقصر ) في العظم . وقيل هو النليظ  
 من الشجر . الواحدة قصرة . ( كأنه جمالة ) كوفى فير أبى بكر . جمع حمل . ( جمالات ) غيرهم .  
 جمع الجمع . ( صفر ) جمع أصفر . أى سود تضرب إلى الصفرة . وشبه الشرر بالقصر ، لعظمه  
 وارتفاعه ، وباجمال للعظم والطول واللون .

(٦) ( ويل يومئذ للمكذبين ) بأن هذه صفتها .

(٧) وقرئ بنصب اليوم . أى ( هذا ) الذى قص عليكم واقع يومئذ . ومثل ابن عباس  
 رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ( ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) فقال  
 في ذلك اليوم مواقف : في بعضها يختصمون ، وفي بعضها لا ينطقون . أو ( لا ينطقون )  
 بما ينفعهم . فجعل نطقهم كلا نطق .

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدُونَ ﴿١١﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٢﴾ هَذَا يَوْمُ  
الْفَصْلِ جَمَعْتُمْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿١٤﴾  
وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾  
وَفَوْكَاهُمْ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٧﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾  
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٠﴾ كُلُّوا  
وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٢﴾

(١١) (ولا يؤذن لهم) في الاعتذار (فيعتدون) عطف على (يؤذن) مضطرب في سلك  
النفي أى لا يكون لهم إذن واعتذار .

(١٢) (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم .

(١٣) (هذا يوم الفصل) بين الحق والمبطل والحسن والمسيء بالجزاء . (جمعناكم) بالمكذبين  
مجد (والأولين) والمكذبين قلكم . (فإن كان لكم كيد) حيلة في دفع العذاب (فكيدون)  
فاحتالوا على تخليص أنفسكم من العذاب . والكيد متعذ تقول كدت فلانا إذا احتلت عليه .

(١٤) (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث .

(١٥) (إن المتقين) من عذاب الله (في ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية في الجنة  
(وفواكه مما يشتهون) أى لذينة مشتهاة . (كلوا واشربوا) - في موضع الحال من ضمير (المتقين)  
في الطرف الذى هو (في ظلال) . أى هم مستترون (في ظلال) مقولا لهم ذلك - (هنيئا بما  
كنتم تعملون) في الدنيا (إننا كذلك نجزي المحسنين) فاحسنوا تجزوا بهذا .

(١٦) (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة .

(١٧) (كلوا وتمتعوا) - كلام مستأنف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقولهم  
(اعملوا ما شئتم) - (قليل) لأن متاع الدنيا قليل (إنكم مجرمون) كافرون أى أذ كل مجرم  
يا كل و يتنعم أياما قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم .

(١٨) (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ <sup>(١)</sup> وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ <sup>(٢)</sup>  
فَبَأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ <sup>(٣)</sup>

(١) (وإذا قيل لهم) اخضعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم . أو (إذا قيل لهم) صلوا لا يصلون .

(٢) (ويل يومئذ للمكذبين) بالأمر والتهمة .

(٣) (فبأي حديث) بعد القرآن (يؤمنون)؟ أي إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنه آية مبصرة ومهجة باهرة من بين الكتب السماوية فبأي كتاب بعده يؤمنون ؟ والله أعلم .

## سورة النبا مكية

وهي أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾  
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ ﴿٦﴾

(١) أصله (عن ما). وقرئ بها. ثم أدمجت النون في الميم فصارت (عما) وقرئ بها. ثم حذفت الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال في الاستفهام. وعليه الاستعمال الكثير. وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية.

(٢) يتساءلون يسأل بعضهم بعضا. أو يسألون غيرهم من المؤمنين. والضمير لأهل مكة. كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستنزاء. (عن النبا العظيم) أي البعث. وهو بيان للشأن المنزخم. وتقديره (عم يتساءلون)؟ يتساءلون (عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بإنكاره ومنهم من يشك. وقيل الضمير للمؤمنين والكافرين. وكانوا جميعا يتساءلون عنه. فالمسلم يسأل ليزداد خشية، والكافر يسأل استنزاء. (٣) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزوا.

(٤) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانا أن ما يتساءلون عنه حق.

(٥) كَرَّرَ الردع للتشديد. و(ثم) يشعر بأن الثاني أبلغ من الأول وأشد.

(٦) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة؟ فلم تتكروا قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات؟ أو قيل لهم لم فعل هذه الأشياء والحكيم لا يفعل عينا وإنكار البعث يؤدي إلى أنه حابت في كل ما فعل؟

مَهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ۖ وَجَعَلْنَا  
نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۖ  
وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۖ وَجَعَلْنَا مَرَجًا وَهَاجًا ۖ وَأَنْزَلْنَا  
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۖ  
وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۖ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۖ يَوْمَ يُنفَخُ

(١١) ( أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ فِرَاشًا فَرَشْنَاهَا لَكُمْ حَتَّىٰ مَسْكُوهَا ، ( والجبال أوتادا )  
للأرض للامتداد بكم ، ( وخلقناكم أزواجا ) ذكرا وأنثى ( وجعلنا نومكم سباتا ) قطعا لأعمالكم ،  
وراحة لأبدانكم — والسبت القطع — ( وجعلنا الليل لباسا ) سترًا يستتركم عن العيون  
إذا أردتم إخفاء مالاتحبون الاطلاع عليه ، ( وجعلنا النهار معاشا ) وقت معاش تتقلبون  
في حوائجكم ومكاسبكم ، ( وبنينا فوقكم سبعا ) سبع سموات ( شدادا ) جمع شديدة .  
أى بحكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان ، أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة نهمائة عام  
( وجعلنا مريجا وهاجا ) مضيا وقادا . أى جامعا للنور والحرارة . والمراد الشمس ( وأنزلنا من  
المعصرات ) أى السحاب إذا أعصرت أى شارفت أن تمصرها الرياح تمطر — ومنه أعصرت  
الجارية إذا دنت أن تحيض . أو الرياح لأنها تنثني السحاب وتذر أخلافه فيصبح أن تجعل مبدأ  
للإنزال . وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب — ( ماء ثجاجا )  
منصببا بكثرة ( لنخرج به ) بالماء ( حبا ) كالبر والشعير ( ونباتا ) وكلاً ( وجنات ) بساتين ( ألفافا )  
ملتفة الأشجار . واحدها لف بجذع وأجذاع ، أو ليف كشرى وأشراف . أولا واحده  
كأوراق ، أو هى جمع الجمع . فهى جمع لف . واللف جمع لقاء وهى شجرة مجتمعة . ولا وقف  
من ( أَلَمْ نَجْعَلِ ) إلى ( أَلْفَافَا ) . والوقف الضرورى مل ( أوتادا ) و ( معاشا ) .

(١٢) ( إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ) بين المحسن والممىء والحق والمبطل ( كَانَ مِيقَاتًا ) وقتا محدودا  
ومنتهى معلوما لوقوع الجزء أو مجيذا للثواب والعقاب .

(١٣) بدل من ( يوم الفصل ) أو عطف بيان .



فِي الْأَصُورِ فَنُتَاوَنُ أَقْوَابًا ﴿٣٢﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٣٣﴾ وَسُيِّرَتِ  
الْجِبَالُ فَكَانَتْ مَرَابًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٣٥﴾ لِلطَّاغِينَ  
مَنَابًا ﴿٣٦﴾ لِّيُذِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٣٧﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٣٨﴾  
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٣٩﴾

(١) في القرن .

(٢) حال . أى جماعات مختلفة . أو أَمَا كُلُّ أُمَّةٍ مَع رُسُولِهَا .

(٣) خفيف ، كوفي . أى شقت لتزول الملائكة .

(٤) فصار ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج .

(٥) (وسُيِّرَتِ الجبال) عن وجه الأرض (فكانت سرايا) أى هباء تَحْمِلُ الشمسُ أَنَّهُ ماء .

(٦) ( إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ ) طريقا عليه ممر الخلق — فالمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها .  
وقيل المرصاد الحدة الذى يكون فيه الرصد . أى هى حدة الطافين الذى يرصدون فيه للعذاب ،  
وهى مأبهم . أو هى مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأَنَّ مجازهم  
عليها — للكافرين مرجعا (لابئين) ما كئين — حال مقدرة من الضمير فى (للتافين) . حمزة : —  
(لئين) . واللبث أقوى . إذ اللبث من وجد منه اللبث وإن قل ، واللبث من شأنه اللبث والمقام  
فى المكان — (فيها) فى جهنم (أحقابا) — ظرف جمع حُصْب . وهو الدهر . ولم يرد به عدد محصور . بل  
الأبد كلما مضى حُصْب تبعه آخر إلى غير نهاية . ولا يستعمل الحقب والحقبه إلا إذا أُريد نتائج  
الأزمنة وتواليها . وقيل الحقب ثمانون سنة . وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب (٥)  
بعد عشرين سنة (لابئين فيها أحقابا) — (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى غير ذائقين . حال من  
ضهير (لابئين) . فإذا انقضت هذه الأحقاب أتت عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلا بأحقاب  
آخر فيها عذاب آخر . وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها . وقيل هو من حَقَب مامنا  
إذا قُلَّ مطره وغيره ، وحَقَب فلان إذا أخطأه الرزق ، فهو حَقَب وجمعه أحقاب . فينصب

(٥) قوله فأجاب الخ بتدوير .

جَزَاءً وَفَاقًا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
كَذِبًا ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۖ فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ  
إِلَّا عَذَابًا ۖ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ  
وَكُلَاسًا دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ۖ

حالا عنهم . أى لا يشين فيها حقين جهدين ، و ( لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ) تفسير له .  
وقوله ( إلّا حميا وغساقا ) استثناء منقطع أى ( لا يذوقون ) فى جهنم أو فى الأحقاب ( بردا )  
روحاً ينفس عنهم حر النار - أو نوما . ومنه منع البرد البرد - ( ولا شرابا ) يستكن عطشهم ،  
ولكن يذوقون فيها ( حميا ) ماء حارّاً يحرق ما يأتى عليه ( وغساقا ) ماء يسيل من صديدهم .  
و بالتشديد كوفى غير إلى بكر .

(١١) جوز و ( جزاء وفاقا ) موافقا لأعمالهم . مصدر : معنى الصفة أو ذا وفاق . ثم استأنف بمعللا  
فقال ( إنهم كانوا لا يرجون حسابا ) لا يحاسبون بحاسبة الله إليهم . أولم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا .  
(١٢) فكذبوا . وفصال فى باب قل كلّه فاش .

(١٣) ( وكل ) نصب بمضمّر يفتره ( أحصيناه كتابا ) مكتوبا فى اللوح . حال ،  
أو مصدر فى موضع إحصاء . أو أحصينا فى معنى كتبنا . لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالبا .  
وهذه الآية أمراض لأن قوله ( فذوقوا ) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات .  
أى ( فذوقوا ) جزاءكم - والاتفات شاهد على شدة الغضب - ( فلن تزيدكم إلّا عذابا ) .  
فى الحديث هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار .

(١٤) ( مفازا ) مفعول من الفوز يصلح مصدرا ، أى نجات من كل مكروه ، وظفرا بكل  
محبوب . و يصلح للكان ، وهو الجنة . ثم أبدل منه بدل البعض من الكل فقال ( حدائق )  
بساتين فيها أنواع الشجر المثمر - جمع حديقة - ( وأعنابا ) كروما - عطف على ( حدائق ) -  
( وكواعب ) نواهد ( أترابا ) لدات مستويات فى السن ( وكلاس دهاقا ) مملوءة ( لا يسمعون  
فى ) فى الجنة - حال من ضمير خبر ( لك ) - ( لغوا ) باطلا ( ولا كدبا ) الكسفى خفيف  
بمعنى مكاذبة . أى لا يكتب بعضهم بعضا أولا يكاذبه .

جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴿٣٨﴾  
لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴿٤٠﴾

(١١) (جزاء) مصدر . أى جزاءم (جزاء من ربك) .

(٣٦) مصدر أو بدل من (جزاء) .

(٣٧) صفة . يعنى كافيا . أو على حسب أعمالهم .

(١١) (ربّ — — الرحمن) يميزهما ، ابن عامر وصابم ، بدلا من (ربك) . ومن دفعهما  
فـ (ربّ) خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ خبره (الرحمن) . أو (الرحمن) صفته و (لا يملكون)  
خبر . أو هما خبران . والضمير في (لا يملكون) لأهل السموات والأرض ، وفي (منه خطابا)  
لله تعالى . أى لا يملكون الشفاعة من عنده تعالى إلا بإذنه . أولا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى  
خوفا .

(٤٠) (يوم) إن جعلته ظرفا : (لا يملكون) لا تقف على (خطابا) وإن جماعته ظرفا  
لـ (لا يتكلمون) تحذف .

(٦١) جبريل ، عند الجمهور . وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا  
أعظم منه .

(٧١) حال أى مصطفين .

(٨١) (لا يتكلمون) أى الخلاق ثم خوفا (إلا من أذن له الرحمن) في الكلام أو الشفاعة  
(وقال صوابا) حقا بأن قال المشفوع له لا إله إلا الله في الدنيا . أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم  
بالصواب في أمر الشفاعة .

(٩١) الثابت وقوعه .

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ﴿١١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا قَرِيبًا ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَنْظُرُ  
الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَبًّا ﴿١٣﴾

﴿١١﴾ (فمن شاء اتخذ إلى ربه مرجعا بالعمل الصالح .

﴿١٢﴾ (إنا أنزلناه كم عذابا قريبا) في الآخرة لأن ما هو آت قريب .

﴿١٣﴾ (يوم ينظر) الكافر - لقوله (إنا أنزلناه كم عذابا قريبا) - (ما قدمت يداه) من الشر - لقوله (وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم) وتخصيص الأيدي لأن أكثر الأعمال تقع بها ، وإن احتمل ألا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام - (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة اللفظ . أو (المرء) طام . وخص منه الكافر . و (ما قدمت يداه) ما عمل من خير وشر . أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده . وما قدم من خير . و (ما) استغماية منصوبة بـ (قدمت) أي (ينظر) أي شيء (قدمت يداه) ؟ أو موصولة منصوبة بـ (ينظر) يقال نظرته يعني نظرت إليه . والراجع من الصلة محذوف أي (ما قدمت) هـ .

﴿١٤﴾ (يا ليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أنلق ولم أكلف . أو (ليتني كنت ترابا) في هذا اليوم فلم أبعث . وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص إليهم من القراء . ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله . وقيل الكافر إبليس يتمي أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليتاب ثواب أولاده المؤمنين . والله أعلم .

## سورة النازعات مكية

وهي ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَسْطًا ۝ وَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا ۝  
فَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا ۝ فَالْمُدْرِكَاتِ أَمْرًا<sup>(١)</sup> ۝

(١) لا وقف إلى هنا . ولزم هنا لأنه لو وصل لصار (يوم) ظرف (المدركات) وقد انقضى تدبير الملائكة في ذلك اليوم . أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تتزع الأرواح من الأجساد (غرقًا) أي إغراقًا في التزع — أي تزعها من أقاليم الأجساد من أناملها ومواضع أظفارها — وبالعوائف التي تلشطها أي تخرجها — من نسط الدلو من البئر إذا أخرجها — وبالعوائف التي تسبح في مضيقها — أي تسرع — فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر (أمرًا) من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم . أو بجعل الغزاة التي تتزع في أعينها زحاما تنفر في الأعتة لطول أعتاقها لأنها عراب ، والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب — من قولك نور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد — والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الناية فتدبر أمر التوبة والظفر . وإستاد التدبير إليها لأنها من أسبابه . أو بالنجوم التي تتزع من المشرق إلى المغرب — وإغراقها في التزع أن تقطع الفلك كله حتى تتحط في أقصى الغرب — والتي تخرج من برج إلى برج ، والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرًا من علم الحساب . وجواب مخدوف وهو ليعين ، لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ  
أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۖ يَقُولُونَ أُنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۖ أَوَّذَا كُنَّا عَظَامًا  
تُخْرِتُ ۖ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۖ فَاِمْأَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ

(١١) (يوم) تتحرك (الراجعة) حركة شديدة - والرجف شدة الحركة. (الراجعة) النفخة الأولى. وصفت بما يحدث مجدها لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل من عليها - (تتبعها) - حال من (الراجعة) - (الرادفة) النفخة الثانية لأنها تردف الأولى. وبينهما أربعون سنة. والأولى تمت الخلق، والثانية تخييرهم. (قلوب) قلوب متكررة البعث (يومئذ واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب. وانتصاب (يوم ترجف) بما دل عليه (قلوب يومئذ واجفة) أي (يوم ترجف) وجفت القلوب. وارتفاع (قلوب) بالابتداء. و (واجفة) صفتها. (أبصارها)، أي أبصار أصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ما ترى، خبرها.

(١٢) (يقولون) أي متكررو البعث في الدنيا، استهزاء وإنكارا للبعث : - (أنا لمردودون في الحافرة) استفهام بمعنى الإنكار. أي أنزله بعد موتنا إلى أول الأمر، فنعود أحياء كما كنّا ؟ والحافرة الحالة الأولى. يقال لمن كان في أمر نخرج منه ثم عاد إليه : - رجع إلى حافرته. أي إلى حالته لأولى. ويقال النقد عند الحافرة. أي عند الحالة الأولى. وهي الصفة. أنكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا (أئنّا كنّا عظاما تخرف) بالية. (فانخرة) كوفي غير حفص وفعل أبلغ من فاعل. يقال تخرف العظم فهو تخرف وتانر. والمثنى أنزله إلى الحياة بعد أن صرنا عظاما بالية ؟ و (إذا) منصوب بخنوف وهو نبعث.

(١٣) (قالوا) أي متكررو البعث : - (تلك) رجعتنا (إذا كربة خاسرة) رجعة ذات خسران أو خاسر أصحابها. والمعنى أنها إن صحت وبعثنا فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا بها. وهذا استهزاء منهم.

(١٤) متأنق بخنوف. أي لا تحسبوا تلك الكربة صعبة على الله عز وجل فإنها مملوءة هينة في قدرته لما هي إلا صيحة واحدة. يريد النفخة الثانية. من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه.

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١١﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٢﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ  
بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٤﴾ فَقُلْ  
هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى ﴿١٥﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٦﴾  
فَأَرَاهُ آيَةَ الْكُبْرَى ﴿١٧﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١٨﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿١٩﴾

(١١) (فإذا هم) أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتا في جوفها . وقيل الساهرة أرض يعينها بالشام إلى جنب بيت المقدس . أو أرض مكة . أو جهنم .

(١٢) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للناطق به .

(١٣) حين ( ناداه ربه بالواد المقدس ) المبارك المطهر ( طوى ) اسمه .

(١٤) على إرادة القول .

(١٥) تجاوز الحد في الكفر والفساد .

(١٦) ( هل لك ) ميل ( إلى أن ) تتطهر من الشرك والعصيان ، بالطاعة والإيمان ؟  
وبتشديد الزاى مجازي . ( وأهديك إلى ربك ) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه  
( فتخشى ) . لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة . قال الله تعالى ( إنما يخشى الله من عباده العلماء )  
أي العلماء به . وعن بعض الحكماء " عرف الله . فمن عرف الله ، لم يقدر أن يعصيه طرفة عين " .  
فالخشية ملاك الأمر . من خشى الله أتى منه كل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شر . ومنه  
الحديث " من خاف أدبج ، ومن أدبج بلغ المنزل " . بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض ،  
كما يقول الزجل لضييفه : هل لك أن تنزل بنا ؟ وأودعه الكلام الرقيق ، ليستدعيه بالاعطف  
في القول ، ويستتله بالمدارة عن عتوه ، كما أمر بذلك في قوله تعالى ( فقلوا له قولا لينا ) .

(١٧) أي فذهب فأرى موسى فرعون العصا — أو العصا واليد البيضاء . لآتيهما في حكم  
آية واحدة — ( فكذب ) فرعون : موسى والآية الكبرى ، وسماهما ساحرا وصمرا ( وعصى ) الله  
تعالى ( ثم أدبر ) تولى عن موسى ( يسعى ) يجهت في مكائده . أو لما رأى اثنيان أدبر مرمعا .  
يسرع في مشيته وكان طياشا خفيفا .

فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿١١﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٢﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ  
وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَحْشَى ﴿١٤﴾ أَنْتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا  
أُمَ السَّمَاءِ بَنَاهَا ﴿١٥﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا ﴿١٦﴾ وَأَغْطَشَ لِبَاسَهَا وَأَخْرَجَ  
صُحُفَهَا ﴿١٧﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿١٨﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا  
وَمَرْعَهَا ﴿١٩﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٢٠﴾ مَتْنَعًا لِّكُم وَلِيُنَظِّمَ ﴿٢١﴾

(١١) فجاء السحرة وجنوده (فنادى) في المقام الذي اجتمعوا فيه معه (فقال أنا ربكم  
الأعلى) لا رب فوق . وكانت لهم أصنام يعبدون .

(٢٢) عاقبه الله عقوبة (الآخرة والأولى) . والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم .  
ونصبه على المصدر . لأن أخذ بمعنى نكل . كأنه قيل نكل الله به (نكال الآخرة) أى الإغراق  
(والأولى) أى الإغراق . أو (نكال) كلمته (الآخرة) — وهى (أنا ربكم الأعلى) —  
(والأولى) وهى (ما هبست لكم من إله غيرى) وبينهما أربعون سنة ، أو ثلاثون أو عشرون .  
(٢٣) (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لعبرة لمن يحشى) الله .

(٢٤) (أَنْتُمْ) يامتكرى البعث (أشد خلقاً) أصعب خلقاً وإنشاء (أم السماء)؟ مبتدأ محذوف  
الطبر . أى (أم السماء) أشد خلقاً . ثم بين كيف خلقها فقال : (بناها) أى الله . ثم بين البناء فقال :  
(رفع سمكها) أعلى سقفها . وقيل جعل مقدار ذهابها فى سميت الملو رفيعاً مسيرة خمسمائة عام  
(فسواها) فعلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها)  
أبرز ضوء شمسها . وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلماتها ، والشمس سراجها .  
(٢٥) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة قدحيت من مكة بعد خلق السماء بالثاني عام .

(٢٦) فتم البسط فقال : (أخرج منها ماءها) بتفجير الميون (ومرعاها) كلاها .  
ولما لم يدخل الماطف على (أخرج) . أو (أخرج) حال بإضمار قد .

(٢٧) والجبال أرساها أقيمتها . وانتصاب (الأرض) و (الجبال) بإضمار دحا وأرسى  
على شرطية التفسير .

(٢٨) فعل ذلك تتيماً (لكم ولأئمتكم) .



فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿١١﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ﴿١٢﴾  
 مَا سَعَى ﴿١٣﴾ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿١٤﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿١٥﴾  
 وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٧﴾ وَأَمَّا مَنْ  
 خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٨﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ  
 الْمَأْوَى ﴿١٩﴾ يَسْتَئْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ آيَاتُ مُرْسِنِهَا ﴿٢٠﴾

(١١) الداهية العظمى التي تطعم كل الدواهي، أى تملو وتغلب . وهي القنعة الثانية ،  
 أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار .

(٢٢) بدل من (إذا جاءت) . أى إذا رأى أعماله مذكورة في كتابه تذكرها وكان قد نسها .

(٢٣) مصدرة أى سمية . أو موصولة .

(٢٤) وأظهرت لكل راه لظهورها ظهوراً بيناً .

(٢٥) (فأما) — جواب (فإذا) . أى إذا (جاءت الطامة) ، فإن الأمر كذلك — (من طغى) (جاوز  
 الحد فكفر) (وأثر الحياة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فإن الجحيم هى الماوى) المرجع .  
 أى مأواه والألف واللام بدل من الإضافة . وهذا عند الكوفيين . وعند سيبويه وعند البصريين  
 (هى الماوى) له .

(٢٦) أى (من) علم أنه له مقام يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) (الآثارة بالسوء) (من  
 الهوى) (المؤذى) . أى زجرها عن اتباع الشهوات — وقيل هو الرجل همهم بالمعصية فيذكر مقامه  
 للحساب فيتركها . والهوى ميل النفس إلى شهواتها — (فإن الجنة هى الماوى) (أى المرجع) .

(٢٧) متى إرساؤها أى إقامتها . يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ؟

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ۖ إِلَيْكَ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ  
مَنْ يَخْشَاهَا ۖ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ۖ

(١١) في أى شيء أنت من أن تذكر وقتها لم وتعلمهم به ؟ أى ما أنت من ذكرها لم وتبين وقتها في شيء. كقولك ليس فلان من العلم في شيء. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت. فهو على هذا تصحب من كثرة ذكره لها. أى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها. (إلى ربك منهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره. أو (فيم) إنكار لسؤالهم عنها. أى (فيم) هذا السؤال؟ ثم قال (أنت من ذكرها) أى إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها. ولا بعد أن يوقف على هذا على (فيم). وقيل (فيم أنت من ذكرها) متصل بالسؤال. أى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) ويقولون أين أنت من ذكرها ؟ ثم استأنف فقال (إلى ربك منهاها).

(١٢) أى لم تبعت لتعلمهم بوقت الساعة. وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدنا. (منذر) مؤذن، يزيد وعيأس.

(١٣) (كانهم يوم يرونها) أى الساعة (لم يلبثوا) في الدنيا (إلا عشيّة أو ضحاً) أى ضحى العشيّة. استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما طابوا من الهول. كقوله (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) وقوله (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم). وإنما صحت إضافة الضحى إلى العشيّة لللازمة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد. والمراد أن مدة لبثهم لم تبلغ يوماً كاملاً. ولكن أحد طرفي النهار عشيته أو ضحاها. والله أعلم.

## سورة عبس مكية

وهي اثنتان وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى ۚ (٢)  
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ اللَّهُ ۚ (٣) ذِكْرَى ۚ

(١) (عبس) كلع أي النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لأن جاءه — وعمله نصب لأنه مفعول له . والعامل فيه (عبس) أو (تولى) على اختلاف المذهبين — (الأعمى) عبد الله بن أم مكتوم . وأم مكتوم أم أبيه . وأبوه شريح بن مالك . أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام . فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله . وكرر ذلك ، وهو لا يعلم فتشأغله بالقوم . فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه ، وعبس . وأعرض عنه . فترأت . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعد ما ، ويقول مرحبا بن طابني فيه ربني ، واستخلفه على المدينة مرتين .

(٢) وأى شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى ؟ (لعله يزكى) لعل الأعمى يتطهر بما يسمع منك من دس الجهل . وأصله يزكى فادغمت التاء في الزاى . وكذا (أو يذكرك) يتغنى (تتفحصه) — نصبه حاصم خير الأعشى ، جوابا للعل . وغيره رفعه عطفا على (يذكرك) — (الذكرى) ذكراك أى موعظتك أى إنك لا تدري ما هو مترقب منه من ترك أو تذكر . ولو دريت لما فرط ذلك منك .

أَمَّا مِنْ أَسْتَعْنِي ﴿ فَانْتَ لَهُ تَصَدَّقْ ﴾ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا  
 يَرْكُنِي ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ بِسَعْيٍ ﴿ وَهُوَ يَحْشَى ﴾ فَانْتَ عَنْهُ  
 تَلْهَى ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿ فِي صُحُفٍ  
 مُكَرَّمَةٍ ﴿ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿

(١١) أى من كان غنياً بالمال (فانت له تصدق) تتعرض بالإقبال عليه حرصاً على  
 إيمانه — (تصدى) بإدغام التاء في الصاد، حجازى — (وما عليك ألا يركنى) وليس عليك  
 بأس فى ألا يركنى بالإسلام . إن عليك إلا البلاغ .

(١٢) (وأما من جاءك) يسرع فى طلب الخير (وهو يحشى) الله ، أو الكفار أى إذا هم  
 فى إتيانك ، أو الكوة كمادة العيمان (فانت عنه تلهى) تتشاغل . وأصله تلهى . وروى أنه  
 ما عسى بصلحا فى وجه فقير قط ولا تصدى لفى . وروى أن الفقراء فى مجلس الشورى  
 كانوا أمراء .

(١٣) ردع . أى لا تعد إلى مثله .

(١٤) إن السورة أو الآيات (تذكرك) موعظة يجب الاتمّاط بها والعمل بموجبها .

(١٥) (فمن شاء) أن يذكره (ذكركه) وذكر الضمير لأن التذكرك فى معنى الذكر والوعظ .  
 والمدنى فمن شاء الذكر ألهمه الله تعالى إياه .

(١٦) (فى صحف) صفة لتذكرك . أى أنها منبهة فى صحف متسخة من اللوح . أو خبر مبتدأ  
 محذوف . أى هى (فى صحف) عند الله (مرفوعة) فى السماء ، أو مرفوعة القدر والمنزلة  
 (مطهرة) . عن مس غير الملائكة ، أو عما ليس من كلام الله تعالى (بأيدى سفرة) كنية —  
 جمع سافر أى الملائكة يتسخون الكتب من اللوح — (كرام) على الله أو عن المعاصى (بررة)  
 اتقياء جمع بار .

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٢﴾ مِنْ  
 نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿٣﴾ ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرِ ﴿٤﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٥﴾  
 ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٦﴾ كَلَّا لَئِنْ أَيْقُضَ مَا أَمَرُوهُ ﴿٧﴾ فَلْيَنْظُرِ  
 الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٨﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٩﴾  
 ثُمَّ نَبَّاهُ بِالسَّيْلِ أَنْ يَسَّيَّرَ ﴿١٠﴾

(١) لمن الكافر، أو هو أمية، أو ضية (ما أكفره) استفهام توبيخ . أى أى شئ حمله على الكفر ؟ أو هو تسجب . أى ما أشد كفره .

(٢) (من أى شئ) حقير (خلقه) ؟ وهو استفهام ، ومعناه التقرير . ثم بين ذلك الشئ فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه .

(٣) نصب السيل بإضمار يسر . أى ثم سئل له سبيل الخروج من بطن أمه . أو بين له سبيل الخير والشر .

(٤) جملة ذا قبر يوارى فيه لا كالبهايم كرامة له . قبر الميت ، دفنه . وأقره الميت ، أمره بأن يقبره ومكثته منه .

(٥) أحياء بعد موته .

(٦) ردع للإنسان عن الكفر .

(٧) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان .

(٨) لما عدد النعم في نفسه من ابتداء خلقه إلى أن انتهائه أُنجمه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال ( فلينظر الإنسان إلى طعامه ) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره .

(٩) بالفتح ، كوفى ، على أنه بدل اشتغال من الطعام . وبالكسر ، على الاستئناف ، فبرهم .

(١٠) ينهى المطر من السحاب .

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۖ  
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ وَحَدَائِقَ غُلَبًا ۖ وَفَيْكِهَةً وَأَبًّا ۖ مَتَعْنَاكُمْ  
وَلَا نُعَلِّمُكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ  
وَأُيُوبُ ۖ وَأَبِيهِ ۖ وَصَاحِبَتِهِ ۖ وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ  
يُغْنِيهِ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَجُوهٌ  
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْعَجِرُ ۖ

(١١) (ثم شققنا الأرض شقاً) بالنبات (فأنبتنا فيها حباً) كالبز والشعير وغيرها مما يتنذى به (وعنباً) ثمرة الكرم - أى الطعام والفاكهة - (وقضباً) رطباً - متى يعصر قضبه أى قطعه، لأنه يقضب مزة بعد مزة - (وزيتونا ونخلاً وحدائق غلباً) غلباً غلاظ الأشجار - جمع غلباء - (ولفاكهة) لكم (وأباً) مرعى لدوابكم (متاعاً) مصدر. أى متعة (لكم ولا تماركم).

(١٢) (فإذا جاءت الصاحّة) صبيحة القيامة لأنها تصبغ الآذان أى تصفحها. وجوابه محذوف لظهوره. (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) تبعات بينه وبينهم، أو لا اشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه). بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبيتين لأنهم أحب. قيل أول من يفر من أخيه هابيل، ومن أبويه إبراهيم، ومن صاحبه نوح ولوط، ومن ابنه نوح. (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) فى نفسه (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره.

(١٣) مضبغة، من قيام الليل، أو من آثار الوضوء.

(١٤) أى أصحاب هذه الوجوه - وهم المؤمنون - ضاحكون ممرورون.

(١٥) (طباعاً) غبار

(١٦) يدلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه.

(١٧) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) فى حقوق الله (التجرة) فى حقوق المباد. ولما جمعوا الفجور إلى الكفر، جمع إلى سواد وجوههم الغيرة. والله أعلم.

## سورة التكويد مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ <sup>(١)</sup> وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا الْجِبَالُ  
سُيِّرَتْ <sup>(٣)</sup> وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ <sup>(٤)</sup> وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ <sup>(٥)</sup>

(١) ذهب بصورتها . من كورت العامة إذا لفتها . أى يلف ضومها لفا  
ليذهب أبساطه وانتشاره فى الآفاق . وارتفاع الشمس بالفاعلية . ورافعها فعل مضمر يفسره  
(كورت) لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط .

(٢) تساقطت .

(٣) (سُيِّرَتْ) عن وجه الأرض وأبعدت . أو (سُيِّرَتْ) فى الجلق تسير السحاب .

(٤) جمع عشاء . وهى الناقة التى آتى على حملها عشرة أشهر . ثم هو اسمها إلى أن تضع  
لتمام السنة .

(٥) أهملت . عطّلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم ، وكانوا يمحسونها إذا بلغت هذه الحالة  
لعمزتها عندهم ويعطّلون ما دونها . (عطلت) بالتخفيف ، عن اليزيدى .

(٦) جمعت من كل ناحية . قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص . فإذا  
قضى بيننا ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم كالطائوس ونحوه . وعن ابن عباس  
رضى الله عنهما "حشرها موتها" . يقال إذا أجمفت السنة بالناس وأموالهم : حشرتهم السنة .

وَإِذَا الْبَحْرُ مَجْرَجٌ <sup>(١)</sup> وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ <sup>(٣)</sup>  
 مَسِيَّتْ <sup>(٤)</sup> بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ <sup>(٥)</sup> وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرتْ <sup>(٦)</sup> وَإِذَا السَّمَاءُ <sup>(٧)</sup>  
 كُشِطَتْ <sup>(٨)</sup> وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ <sup>(٩)</sup> وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ <sup>(١٠)</sup>

(١) (مَجْرَجٌ) مَكِّيٌّ وَبَصْرِيٌّ. مِنْ يَجْرُ النَّوْرُ إِذَا مَلَأَهُ بِالْحَطَبِ. أَيْ مَلَتْ وَغَرَّ بِعَظْمِهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى تَعُودَ بِمَجْرٍ وَاحِدٍ. وَقِيلَ مَلَتْ نِيرَانًا لَتَعْدِيبِ أَهْلِ النَّارِ.

(٢) قُرِئَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِشَكْلِهَا وَالصَّالِحُ مَعَ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ ، وَالطَّالِحُ مَعَ الطَّالِحِ فِي النَّارِ .  
 أَوْ قُرِئَتْ الْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ . أَوْ يَكْتَبُهَا وَأَعْمَالُهَا . أَوْ قَوْسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخُورِ الْعَيْنِ ، وَقَوْسُ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ .

(٣) الْمَدْفُونَةُ حَيَّةٌ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَشُدُّ الْبَنَاتِ خَشْيَةَ الْإِمْلَاقِ ، وَخُوفِ الْإِسْتِرْفَاقِ .

(٤) (مَسِيَّتْ) سَمَاءٌ طَلُفٌ ، لِنَقُولُ «بِذَا ذَنْبٍ قُتِلَتْ» ، أَوْ لَنُلْدِلَ عَلَى قَاتِلِهَا . أَوْ هُوَ تَوَيْجِجُ لِقَاتِلِهَا بِصَرْفِ الْخَطَابِ عَنْهُ كَقَوْلِهِ (أَأَنْتَ قَتَلْتَ النَّاسَ) الْآيَةَ .

(٥) وَبِالتَّشْدِيدِ يَزِيدُ . وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَمْلِكُونَ ، وَصَلَّى أَنَّ التَّعْدِيبَ لَا يَكُونُ بِذَنْبٍ .

(٦) (نُشِرتْ) فَتَحَتْ . وَبِالتَّخْفِيفِ مَدَنَى وَشَامَى وَعَاصِمٌ وَمَسْلُوبٌ وَمَقْرُوبٌ . وَالْمُرَادُ مَحْصَفُ الْأَعْمَالِ . تَطْوِي صَحِيفَةَ الْإِنْسَانِ حِينَ مَوْتِهِ ثُمَّ تَنْشُرُ إِذَا حُوسِبَ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ (نُشِرتْ) بِزَيْنِ أَصْحَابِهَا . أَيْ فُزِلَتْ بَيْنَهُمْ .

(٧) قَالِ الزَّجَاجُ : قُلْتُ كَمَا يَقْلَعُ السَّقْفُ

(٨) (سُعِرَتْ) أَوْقَدَتْ إِفْرَادًا شَدِيدًا ، وَبِالتَّشْدِيدِ ، شَامَى وَمَدَنَى وَعَاصِمٌ ذِي حِمَادٍ وَيَحْيَى ، لِلْبَالِغَةِ .

(٩) (أُزْلِفَتْ) أَدْنِيَتْ مِنَ الْمُتَقِينَ كَقَوْلِهِ (وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلتَّقِينَ ذِي بَعِيدٍ) .

فهذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا والباقية في الآخرة ، ولا وقف مطلقاً من أول السورة إلى (ما أحضرت) لأنَّ حامل النصب في (إذا الشمس) وفيما عطف عليه ، جوابها وهو (عاشت نفس) أي كل نفس. ولضرورة إقطاع النفس على كل آية يجوز الوقف.



عَلَيْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ﴿١١﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٢﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١٣﴾  
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٤﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٥﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ  
كَرِيمٍ ﴿١٦﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٨﴾  
وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٠﴾

(١١) من غير وشر .

(٢٠) (فلا أقسم) — لا زائدة — (بالخُنُوسِ) بالراجع — بينما ترى النجم في آخر البرج إذا كنت راجعاً إلى أوله — (الجوار) السيارة (الكُنُوسِ) التَّيْب — من كنس الوحش إذا دخل مكانه . قيل هي الدرائى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجرى مع الشمس والقمر، وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس . فحوسها وجوعها . وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس . وقيل هي جميع الكواكب — (والليل إذا عسعس) ، أقبل بظلامه ، أو أدير ، فهو من الأضداد (والصبح إذا تنفس) امتد ضوءه . ولما كان إقبال الصبح يلزمه الروح والنسيم ، جعل ذلك نفساً له مجازاً . وجواب القسم (إنه) أى القرآن (لقول رسول) — أى جبريل عليه السلام . وإنما أضيف القرآن إليه لأنه هو الذى نزل به — (كريم) عند ربه (ذو قوة) قدرة على ما يكلف لا يسجز عنه ولا يضعف (عند ذى العرش) عند الله (مكين) ذى جاه ومزية — ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين ، قال (عند ذى العرش) ليدل على عظم منزلته ومكانته — (مطاع ثم) أى فى السموات يطيعه من فيها — أو عند ذى العرش أى عند الله : يطيعه ملائكته المقربون يصطوبون عن أمره ويرجعون إلى رآيه — (أمين) على الوحي (وما صاحبكم) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزم الكفرة . وهو عطف على جواب القسم .

(٢١) رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته .

(٢٢) بمطلع الشمس .

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينَ ﴿١١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٢﴾ فَأَيْنَ تَذَهُبُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَعِيمَ ﴿١٥﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

(١١) وما) تحمد على الوحي بخيل . من الضنّ وهو البخل . أى لا يخجل بالوحى كما يخجل الكهان رغبة فى الحُلُوان بل يملأه كما علم ولا يكتُم شيئاً مما علم . (بظنين) مكي وأبو عمرو وعلى . أى بهم فبقص شيطان مما أوحى إليه أو يزيد فيه . من الظنة . وهى التهمة .

(١٢) وما) القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد . وهو كقوله (وما تنزلت به الشياطين) أى ليس هو بقول بعض المسترفة للسمع وروحهم إلى أوليائهم من الكهنة .

(١٣) استضلال هم كما يقال لتارك الجادة اعتسافاً أو ذهاباً فى بُنيات الطريق : أين تذهب ؟ مثلت حالم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل . وقال الزجاج . معناه فأى طريق تسلكون أين من هذه الطريقة التى يبتدئ لكم ؟ وقال الجنيدي : ( فأين تذهبون ) هنا وإن من شئ إلا عندنا ؟ .

(١٤) ما القرآن إلا عظة لتلقى (أن شاء منكم) — بدل من العالمين — (أن يستقيم) . أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة . يبنى أن الذين شاعوا الاستقامة بالدخول فى الإسلام هم المستقيمون بالله ذكر . فكانت لم يوظف به غيرهم وإن كانوا موعظين جميعاً .

(١٥) وما تشاءون) الاستقامة (إلا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخالق أجمعين .

## سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ  
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَتْلُوهَا  
الْإِنْسَانُ ﴿٦﴾ مَا عَرَكَ رِبِّكَ أَلْكَرِيمِ ﴿٧﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٨﴾

(١) (إذا السماء) انشقت (وإذا الكواكب) تساقطت (وإذا البحار) فتح بعضها  
إلى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (وإذا القبور) بحت وأخرج موتاها . وجواب  
إذا (علمت نفس) أي كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) ما عملت من طاعة (وأخرت)  
وتركت فلم تعمل ، أو (ما قدمت) من الصدقات (و) (ما) (أخرت) من الميراث .  
(٢) قيل الخطاب لمنكرى البعث .

(٣) أي شيء خدمك حتى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق  
والتسوية والتعديل ؟ وعنه عليه السلام حين تلاها : "فقره جهله" . وعن عمر رضي الله عنه :  
"فقره حمقه" . وعن الحسن : "فقره شيطانه" . وعن الفضيل : "لو خطبت أقول غزقي  
ستورك المرحاة" . وعن يحيى بن معاذ : "أقول غزقي يترك بي سالفاً وآفياً" .  
(٤) بخلقك مستوى الخلق سالم الأعضاء .

(٥) (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسبا الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى  
اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض و بعضها أسود . أو  
بملكك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم . وبالتخفيف كوفي . وهو بمعنى المشدد . أي مدل  
بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت . فكنت معتدل الحلقة متناسبا .

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿١١﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٣﴾ كِرَامًا كُنُتُمْ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٥﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٦﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴿٢١﴾ وَالْأُمُورُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٢﴾

(١١) (ما) مزيد للتوكيد . أى (ركبك) فى أى صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة فى الحسن والفتح والطول والقصر . ولم تعطف هذه الجملة كما عطفت ما قبلها لأنها بيان لـ (عذلك) . وإلحاق يتعلق بـ (ركبك) على معنى وضعك فى بعض الصور وتكثك فيها . أو يهذوف . أى (ركبك) حاصلًا فى بعض الصور .

(٢٢) رجع عن الفقرة عن الله تعالى .

(١٢) (بل تكذبون بالدين) أصلا . وهو الجزء أودين الإسلام . فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وإن عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كنتم) كراما كاتنين . يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاثبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجاوزوا بها (يعلمون ما تفعلون) لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم . وفى تعظيم الكتابة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزء وأنه عند الله من جلال الأمور . وفيه إنذار وتهويل للجرمين ولطف للفقير . وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال ما أشدها من آية على الناظرين .

(١٣) (إن المؤمنين) (الذين نعم) الجنة (وإن الكفار) النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزء (وما هم عنها بغائبين) أى لا يخرجون منها بقوله تعالى (وما هم بخارجين منها) . ثم عظم شأن يوم القيامة فقال : (وما أدراك ما يوم الدين) ثم ما أدراك ما يوم الدين (فكفر للتأكد والتحويل) . ويخبره بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه . وإنما تملك الشفاعة بالإذن . (يوم) بالرفع مكى وبصرى . أى هو (يوم) أولئك من (يوم الدين) . ومن نصب فليستار ذكر أو اختار بدلتون لأن الدين يدل عليه .

(٢٠) أى لا أمر إلا لله تعالى وحده فهو القاضى فيه دون غيره .

## سورة المطففين

تختلف فيها : وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾  
وَلَمَّا كَالُوهُمْ أَوَّزَوْهُمْ يُمْحَرُونَ ﴿٣﴾

(١) (ويل) مبتداً خبره (المطففين) الذين يطمسون حقوق الناس في الكيل والوزن (الذين إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) أى إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وأية تامة . ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرهم ويحتمل فيه عليهم أعدل (على) مكان من للدلالة على ذلك . ويجوز أن يتعاقب (على) بد (يستوفون) . ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصة . وقال الفراء من وصل ينتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه . فإذا قال اكملت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك . وإذا قال اكملت منك فكأنه قال استوفيت منك . وإنما لم يقل أو اتزنوا كما قيل (أو ووزنهم) اكفاه . ويحتمل أن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل ليكتمهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يعدعون ويمتلون في الملاء . وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا ليكتمهم من البخس في التوجيه .

(٢) والضمير المنصوب راجع إلى الناس . أى كالوا لهم أو وزنوا لهم لخلف الجائر وأوصل الفعل .

(٣) يقصون . يقال حُمر الميزان وأخسره .

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ ﴿١٤﴾ لَفِي مِجْمَدٍ ﴿١٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا مِجْمَدٌ ﴿١٦﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٧﴾

(١١) يعنى يوم القيامة . أدخل هزمة الاستفهام على لا النافية توبيخا . وليست ( ألا ) هذه للتوبيخ . وفيه إنكار وتوبيخ عظيم من عالم في الاجتهاد على التطفيف . كأنهم لا يخطر على بالهم ولا يخطر توبيخا أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة . ولو ظنوا أنهم يمشون ما تقصوا في الكيل والوزن . وعن عبد الملك بن مروان أنت أعرابيا قال له " لقد سمعت ما قال الله في المطففين "، أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به ، "لما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المساكين بلا كيل ولا وزن" ؟

(١٢) نصيب بمبعوثون .

(١٣) لأمره وجزائه . وعن ابن جرير رضى الله عنهما أنه قرأ هذه السورة . فلما بلغ هنا بكى تحية وامتنع من قراءة ما بعده .

(١٤) (كَلَّا) ودع وتنبه . أى ردهم عما كانوا عليه من التطفيف والنفلة عن البعث والحساب ، وتنبههم على أنه مما يجب أن يتأب عنه ويندم عليه . ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم ، فقال ( إن كتاب الفجار ) صحائف أعمالهم ( لفي مِجْمَدٍ وما أدراك ما مِجْمَدٍ كتاب مرقوم ) . فإن قلت قد أخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بأنه في مِجْمَدٍ وفسر مِجْمَدًا بكتاب مرقوم . فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم ، فما معناه ؟ قلت مِجْمَدٍ كتاب جامع هو ديوان الشر دُونَ الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس . وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة ، أو مُلَمَّ يعلم من رآه أنه لا خفيه ، من رُفِعَ الثياب علامتها . والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان . وتسمى مِجْمَدًا قَبِيلًا من السجينة وهو الجنس والتضييق ، لأنه سبب الجنس والتضييق في جهنم ، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم ، وهو مسكن إبليس وذريته . وهو اسم علم منقول من وصف كاتم ، منصرف لوجود سبب واحد وهو العلية لحسب .

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢﴾  
 وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٣﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ ﴿٤﴾  
 أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦﴾  
 كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿٨﴾

(١) (ويل) يوم يخرج المكتوب (المكذبين الذين يكذبون يوم الدين) (الجزء والحساب). (وما يكذب) بذلك اليوم (إلا كل) مجاوز للحد مكتسب للإثم (إذا تلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأولين) أى أحاديث المتقدمين. وقال الزجاج (أساطير) إباطيل واحدا أسطورة مثل أحذوتة وأحاديث.

(٢) ردع للتعدي الأثيم عن هذا القول.

(٣) تلى لما قالوا. ويقب حفص على (بل) وقيفة.

(٤) غطاها كسبهم. أى غلب على قلوبهم حتى غمرها (ما كانوا يكسبون) من المعاصي. وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب. وعن الضحاك: الرين موت القلب. وعن أبي سليمان: الرين والقسوة زماما النفلة ودواؤها إيمان الصوم. فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام.

(٥) ردع عن الكسب الرائن على القلب.

(٦) (إنهم من) رؤية (ربهم يومئذ لمحجورون) ممنوعون. والمجب المنع. قال الزجاج في الآية دليل على أنه المؤمنين يرون ربهم وألا لا يكون التخصيص مفيدا. وقال الحسين ابن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده، حجبهم في البقي عن رؤيته. وقال مالك ابن أنس رحمه الله: لما حجب أعداءه فلم يروه، تجلى لأوليائه حتى رآه. وقيل: (عن) كرامة (ربهم) لأنهم في الدنيا لم يشكروا نعمه، فبشوا في الآخرة عن كرامته مجازاة. والأول أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات، فالجيب عنها دليل المحجب عن غيرها.

(٧) (ثم إنهم) بعد كونهم محجورين عن ربهم لما خلون النار.

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١١﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي  
 عِلِّيَّينَ ﴿١٢﴾ وَمَا أَدرَكَكَ مَا عَلِمْتُمْ ﴿١٣﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٤﴾ يَشْهَدُ  
 الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٦﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٧﴾  
 تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٨﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ ﴿١٩﴾

(١١) أي (هذا) المذاب هو (الذي كنتم) تكذبون به في الدنيا وتكررون وقوعه .

(١٢) ردع عن التكذيب .

(١٣) ما كتب من أعمالهم . والأبرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لأنّه  
 ذكر في مقابلة (الفجار) وبين الفجار بأنهم المكذبون بيوم الدين . وعن الحسن : البر الذي  
 لا يؤذى الذر .

(١٤) هو علم لديوان الخير الذي دون فيه كلّ ما عمله الملائكة وصلحاء الثقلين . مقول  
 من جمع على فعل من الملق . متى به لأنّه سبب الارتفاع إلى أعلى الدرجات في الجنة . أولاته  
 مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له .

(١٥) ما الذي أعلمك يا محمد (ما علمون) أي شيء هو ؟

(١٦) تحضره الملائكة . قبل يشهد عمل الأبرار مقربو كلّ سمااء إذا رفع .

(١٧) تتم في الجنان .

(١٨) الأسماء في الجلال .

(١٩) (ينظرون) إلى كرامة الله ونعمته وإلى أعلامهم كيف يمدّون .

(٢٠) بهجة التثم وطراوته .

(٢١) شراب خالص لا غش فيه .



تَحْتُمُونَ ﴿١﴾ خِتَمُهُمْ مِنْكَ ﴿٢﴾ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٣﴾  
وَمِرَاجُهُمْ مِنْ سُسُيْمٍ ﴿٤﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ  
يَتَغَامَرُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٨﴾

(١) تحتم أوانيهم بمسك بدل الطين الذي يمتزج به الشراب في الدنيا. أمر الله تعالى بالتحتم عليه إكراماً لأصحابه. أو (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك. أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه. (خاتمته) حل.

(٢) (وفي) الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليترغب الراغبون. وإذا إنما يكون بالمسارعة إلى الخيرات، والابتغاء عن السيئات.

(٣) ومزاج الرحيق (من تسليم) هو علم لعين بينهما مميت بالتسليم — الذى هو مصدر سئمه إذا رفعه — لأنها أرفع شراب في الجنة. أو لأنها غايتهم من فوق وتنصب في أوانيهم. (٤) حال أو نصب على المدح.

(٥) أى (يشرب) منها (المقربون). عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم: يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب الجنتين.

(٦) (إن الذين) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) في الدنيا استهزاء بهم.

(٧) يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعنًا فيهم وميلاً لهم. قيل جاء على رضى الله عنه في نفر من المساكين فسخر منهم المتألفون وضحكوا وتسامزوا وقالوا أترون هذا الأصابع؟ فقلت قبل أن يصل على إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٨) أى إذا رجع الكفار إلى منازلهم (انقلبوا فكهين) متلفذين بذكورهم والسخرية منهم. وقرأ غير حفص (فاكهين) أى فرحين.

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَالُّونَ <sup>(١)</sup> وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ  
حَافِظِينَ <sup>(٢)</sup> قَالِ يَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ <sup>(٣)</sup>  
عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ <sup>(٤)</sup> هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ <sup>(٥)</sup>

(١) (وإذا) رأى الكافرون المؤمنين (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى خدع عهد هؤلاء  
فضلوا وتركوا اللذات ، لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات . فقد تركوا الحقيقة بالخيال ،  
وهذا هو عين الضلال .

(٢) (وما) أرسل الكفار على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون  
أعمالهم . بل أمروا بإصلاح أنفسهم . فاشتغلوا بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أعمالهم .  
(٣) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) كما ضحكوا منهم هنا مجازاة .

(٤) حال . أى (يضحكون) منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار ، بعد  
العزة والاستنكار ، وهم (على الأرائك) آمنون . وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم  
هلموا إلى الجنة فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم .

(٥) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا إذا فعل بهم ما ذكر ؟ والله أعلم .

## سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۖ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ  
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۖ يَكَايُهَا الْإِنْسَانُ<sup>(١)</sup>

(١) (إذا السماء) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها إلى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله إذ هي مصنوعة مريوبة لله تعالى (وإذا الأرض مدت) بسطت وسويت باندكالك جبالها وكل أمت فيها (والقت ما فيها) وردت ما في جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو - يقال تكلم الكريم إذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه - (وأذنت لربها) في إلقاء ما في بطنها وتخليها (وحقت) وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. وحذف جواب (إننا) ليذهب المقدر كل مذهب، أو كنفاء بما علم بطلها من سورتي التكويد والانفطار، أو جوابه ما دل عليه (فلاقيه). أي (إذا السماء انشقت) لاقى الإنسان كدحه.

إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فُتْلَقِيهِ ﴿١١﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْنِيَ كِتَابُهُ بِسَمِينِهِ ﴿١٢﴾  
 فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿١٣﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٤﴾  
 وَأَمَّا مَنْ أُوْنِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٥﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١٦﴾ وَيَصْلَى  
 سَعِيرًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٨﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَحْجُوزَ ﴿١٩﴾

(١١) (أَنْكَ) (جاهد) (إلى) لقاء (ربك) وهو الموت وما بعده من الحال المثلثة باللقاء .  
 وخبر (فلان) للكبح وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها . والمراد جزاء  
 الكبح إن خيرا فغير وإن شرا فشر . وقيل لقاء الكبح لقاء كتاب فيه ذلك الكبح . بدل عليه  
 قوله (فأما من أُوْنِيَ كِتَابُهُ) أى دأب عمله (بسمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا  
 هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات . وفي الحديث "من  
 يحاسب بذنب" فبذل فأن قوله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال "ذلك العرض من نوقش  
 في الحساب طوبى" .

(١٢) (وينقلب) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين ، أو إلى فريق المؤمنين ، أو (إلى أهله)  
 في الجنة من الحور العين (مسرورا) فرحا .

(١٣) قيل تنقل بمناء إلى عقبه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره .

(١٤) يقول ياثوبراه . والثبور الهلاك .

(١٥) (ويصل) — مرافق فيرطى — (سعيرا) أى ويدخل جهنم .

(١٦) (إنه كان) في الدنيا (في أهله) معهم (مسرورا) بالكفر بضحك ممن آمن  
 بالبعث . قيل ١ — "كان لنفسه متاجرا" وفي مرآة هواء راتما " .

(١٧) (إنه ظن أن لن) يرجع إلى ربه تكفيا بالبعث . قال ابن عباس رضى الله عنهما  
 ما عرفت تفسيره حتى سمعت أعرابية تقول لبلتها "حورى" أى أرجوى .

بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١١﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْشَفَقِ ﴿١٢﴾ وَاللَّيْلِ  
وَمَا وَسَقَ ﴿١٣﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٤﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٥﴾  
قَالَ لَهُمْ لَا يَوْمُنُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قُريَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿١٧﴾  
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿١٩﴾

(١١) (بل) إيجاب لما بعد النفي في (إن يحور). أي (بل) ليحورن (إن ربه كان به) وبأعماله (بصيرا) لا يخفى عليه . فلا بد أن يرجعه ويمارزه عليها .

(٢٢) فاقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (والليل وما وسق) جمع وضيم - والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم . أو ما عمل فيه من التجهيد وغيره - (والقمر إذا اتسق) اجتمع وتم بدرا - افعل من الوسق - (لتركبن) أي الناس كل إرادة الجنس (طباقا عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والوهول . والطبق ما طابق غيره . يقال ما هذا طبق لنا أي لا يطابقه . ومنه قيل للنطاء طبق . ويموز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة . من قولهم هو على طبقات . أي (لتركبن) أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض . وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها . وعمل (عن طبق) نصب كل أنه صفة لـ (طباقا) أي (طباقا) مجاوزا لـ (طبق) . أو حال من الضمير في (لتركبن) أي (لتركبن طبقا) مجاوزين لـ (طبق) . وقال مكحول في كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه . ويفتح الباب متى وعل وحزة . والخطاب له عليه السلام . أي (طباقا) من طباق السماء بعد (طبق) أي في المعراج .

(٣٣) (الحالم) في ألا يؤمنوا .

(٤٤) لا يخضعون .

(٥٥) (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والفران (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم . أو بما يجمعون في صفتهم من أعمال السوء ويتخرون لأتقهم من أنواع العذاب .

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ  
 غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ

(١) أخبرهم خبراً يظهر أثره على بشرتهم .

(٢) استثناء منقطع .

(٣) أي غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم .

## سورة البروج مكية

وهي اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾  
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾

(١) (والسماء ذات البروج) — هي البروج الاثنا عشر. وقيل النجوم. أو عظام الكواكب — (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) في ذلك اليوم (ومشهود) فيه . والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم ، وبالمشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه . وطريق تنكيرها إنما ما في قوله (علمت نفس ما أحضرت) كأنه قيل ما أفرطت كثرة من شاهد ومشهود . وإنما للإيهام في الوصف كأنه قيل (وشاهد ومشهود) لا يكتنه وصفهما . وقد كثرت أقاويل المفسرين فيما قيل محمد ويوم القيامة . أو عيسى وأنته لقوله (وكنيت عليهم شهيدا ما دمت فيهم). أو أمة محمد وسائر الأمم . أو الجبر الأسود والمجبيح . أو الأيام والليالي وبنو آدم ، للحديث "ما من يوم إلا وينادي أنا يوم جديد، وعلم ما يفعل في شهيد . فاعتنني ، ولو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة". أو الحفظة وبنو آدم . أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى (وكنى بالله شهيدا). أو الأنبياء ومحمد عليهم السلام . وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل أصحاب الأخدود) أى لمن . كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم ملمونون — يعنى كفار قريش — كما لمن أصحاب الأخدود . وهو جمع خذ أى شق عظيم في الأرض . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر . فلبس كبرض إليه غلاما ليعلمه السحر . وكانت في طريق الغلام راهب فسمع منه . فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد جهست الناس . فأخذ حجرا فقال . "اللهم إن كان الراهب

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿١١﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿١٢﴾ وَهُمْ عَلَى  
مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿١٣﴾

أحب إليك من الساحر فاقتلها " فقتلها . فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكمة والأبرص . وعسى  
جلس للملك فأراه . فأبصره الملك فسأله " من ردة عليك بصرك ؟ " فقال " ربى " فغضب .  
فعلّبه قنديل على الغلام فعذبه قنديل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار . وأبى  
الغلام فذهب به إلى جبل لي طرح من ذروته فدما فرجف بالقوم فطاحوا ونجا . فذهب به إلى  
قرقر فليجوا به ليرفقه فدما فأنكألت بهم السفينة ففرقوا ونجا . فقال للآل : " لست بقاتل  
حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ مني كذا وتقول بسم الله رب  
الغلام ثم تريني به " . فرماه فوق في صدغه فوضع يده عليه فمات . فقال الناس " آمنا برب الغلام "  
فقيل للآل " نزل بك ما كنت تحذره " فخذ أخذوا وعلاها نارا فن لم يرجع عن دينه طرعه  
فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتعاسست أن تقع فيها فقال " يا أماء اصبري فلنك على الحق "  
فالتي الصبي وأمته فيها .

(١١) بدل اشتغال من (الأخدود)

(١٢) وصف لها بأنها عظيمة لها ما يرتفع به لها من الحطب الكبير وأبدان الناس .

(١٣) ظرف لـ (قتل) أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدتين حولها .

(١٤) أى (إذ) الكفار على ما يدنو منها من حافات الأخدود . جلوس على الكراسي .

(١٥) أى (و) الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الإحراق (شهود) يشهد بعضهم  
لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يخرط فيما أمر به وفوض إليه من التمثيل .

وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتمهل أى أهل مكة .



وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١٤﴾

(١١) وما عابوا (منهم) وما أنكروا إلا الإيمان بكلمه :

• ولا حيب فيهم خير أت سيوفهم •

وقوله :

ما تقموا من بنى آية إلا • لا أنهم يحملون إن غضبوا

وفرئ (قموا) بالكسر . والفصبح هو الفتح .

(١٢) ذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يمشى عقابه ، حميدا متعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه ( الذي له ملك السموات والأرض ) فكل من فيهما تحقق عليه عبادته والخشوع له ، تقريرا لأتق ما تقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل ، وأتق التالين أهل الانتقام الله منهم بعذاب عظيم .

(١٣) وعيد لهم . معنى أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه .

(١٤) يجوز أن يريد بالذين فتنا أصحاب الأخدود خاصة ، وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود . والمعنى ( أن الذين فتنا المؤمنين والمؤمنات ) مذبحهم بالنار وأحرقهم ( ثم لم ) يرجعوا عن كفرهم ( فلهم ) في الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) في الدنيا لما روى أن النار أهلبت عليهم فأحرقهم . ويجوز أن يريد الذين فتنا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم ، والمؤمنين المفتونين ، وأتق لفاتنين مذابن في الآخرة لكفرهم وفتنتهم .

(٥) أى الذين صبروا على تعذيب الأخدود . أو هو عام .

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١١﴾ إِنَّهُ هُوَ يَمِيدُ وَيُعِيدُ ﴿١٢﴾ وَهُوَ  
 الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٣﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٤﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٥﴾  
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٦﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ ﴿١٧﴾ بَلِ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿١٩﴾

(١١) البطش الأخذ بالعنف . فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم . والمراد أخذ  
 الظلمة والجباية بالمذاب والانتقام .

(١٢) أى يخلقهم ابتداء ثم يبيدهم بعد أن صيرهم ترابا . دلى باقتداره على الإبداء والإعادة  
 على شدة بطشه . أو أوعدهم الكفرة بأنه يبيدهم كما أبداهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء  
 وكذبوا بالإعادة .

(١٣) السائر للعيوب المافي عن الذنوب .

(١٤) المحب لأوليائه . وقيل الفاعل لأهل الطاعة ما فعله الودود من إعطائهم ما أرادوا .

(١٥) خالقه وقالعه .

(١٦) وبالجزء من قول على أنه صفة للمرش . ومجد الله عظمته . ومجد العرش علوه وعظمته .

(١٧) (فألم) — خبر مبتدأ محذوف — (لم يريد) تكويته . فيكون فيه دلالة خلق  
 أفعال العباد .

(١٨) أى قد (أتاك) خبر الجموع الطاغية فى الأمم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود .  
 وأراد فرعون إياه وآله . والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسول وما نزل بهم لتكذيبهم .  
 (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للمذاب ولا يعتبرون بالجنود لانطفاء حال  
 الجنود عليهم لكن بكذبوك عتادا (والله من وراءهم محيط) أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم  
 لا يصجزونه . والإحاطة بهم من وراءهم مثل . لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت النىء المحيط به .

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾

(١١) (بل) هذا الذي كذبوا به (قرآن مجيد) شريف على الطبقة في الكتب وفي نظمته وإعجازه ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنه أساطير الأولين (في لوح محفوظ) من وصول الشياطين . (محفوظ) نافع صفة للقرآن . أى من التغيير والتبديل . واللوح عند الحسن شيء يلوح لللائكة فيقرءونه . وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، قلبه نور ، وكل شيء فيه مسطور . مقاتل : هو على يمين العرش . وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك كريم . والله أعلم .

## سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْأَسْمَاءُ وَالطَّارِقُ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۖ  
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۖ  
إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ<sup>(١)</sup>

(١) عظم قدر السماء في عين الخلق لكونها ممدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق . والمراد مجلس النجوم أو مجلس الشهب التي يرجم بها لعظم منفعتها . ثم قسره بالنجم الثاقب أي الماضي كأنه ينقب الظلام فينقذ فيه . ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال لا تأتي ليلا طارق . أولاته يطرق الجنى أي يصكه . وجواب القسم (إن كل نفس لما عليها حافظ) . (لما) إن كانت شديدة بمعنى إلا كقراءة حاصم وحزمة وابن عامر فتكون (إن) نافية أي ما (كل نفس) إلا (عليها حافظ) . وإن كانت مخففة كقراءة غيره فتكون (إن) مخففة من التثنية . أي (إن كل نفس) لها (حافظ) يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فإذا استوفى ذلك مات . وقيل هو كاتب الأعمال . فما زائدة . واللام فارقة بين النافية والتثنية . و (حافظ) مبتدأ و (عليها) الخبر . والجملة خبر (كل) وأيتهما كانت فهي مما يتلوه به القسم .

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿١١﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿١٢﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ  
الْفُصْلِبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿١٤﴾ يَوْمَ تُبْلَى  
السَّرَائِرُ ﴿١٥﴾ قَالُوا مِنْ فُوقَةٍ وَلَا نَاصِرَ ﴿١٦﴾ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١٧﴾

(١١) لما ذكرنا أن كل نفس حافظا أمره بالنظر في أقل أمره ليعلم أنه من أنشاء قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يعل على حافظه إلا ما يسره في طاقته . (ثم خلق) استفهام - أى من أى شيء خلق ؟ - جوابه (خلق من ماء دافق) . والدفق صب فيه دفع والدفق في الحقيقة لصاحبه . والإستناد إلى الماء مجاز . ومن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا صبغته ودفق الماء بنفسه أى انصب . ولم يقل من مامين لا متراجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه .

(١٢) من بين صلب الرجل وترائب المرأة . وهى عظام الصدر حيث تكون الفلادة . وقيل العظم والصب من الرجل واللم والدم من المرأة .

(١٣) إن الخالق ، لدلالة (خلق) عليه . ومعناه إن الذى خلق الإنسان ابتداء من نقطة (على رجعه) على إعادته خصوصا (لقادر) ليقين القدرة لا يعجز عنه كقوله "إني لفقير" أى ليقين الفقر . ونصب (يوم تبلى) - أى تكشف - برجعه أو بمضمر دل عليه قوله (رجعه) . أى يعينه (يوم تبلى السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال .

(١٤) (ف) للإنسان (من قوة) في نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه .

(١٥) أى المطر . وسمى به لعوده كل حين .

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ <sup>(١)</sup> إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ <sup>(٢)</sup> وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ <sup>(٣)</sup>  
 إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا <sup>(٤)</sup> وَأَكِيدُ كَيْدًا <sup>(٥)</sup> فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ <sup>(٦)</sup>  
 أَهْلَهُمْ <sup>(٧)</sup> رَوِيدًا <sup>(٨)</sup>

(١) هو ما تصدع عنه الأرض من النبات .

(٢) إنا القرآن ( لقول فصل ) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان ( وما هو بالهزل )  
 باللبس والباطل . يعنى أنه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيا في الصدور  
 معظما في القلوب يرتفع به قاربه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح .

(٣) يعنى مشركى مكة .

(٤) يمثلون المكاييد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق .

(٥) وأجازهم جزاء كيدهم باستدراجي لم من حيث لا يعلمون . فسمى جزاء الكيد كيدا  
 كما سمي جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وإن لم يكن اعتداء وسيئة . ولا يجوز إطلاق هذا  
 بالوصف على الله تعالى ألا على وجه الجزاء كقوله ( نسوا الله فانساهم ) يخادعون الله وهو  
 خادعهم ( الله يستزى بهم ) .

(٦) أى لا تدع يلا كهم ولا تستعجل به .

(٧) أنظرهم . فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التأكيد والتصيير .

(٨) مهلا يسيرا . ولا يتكلم بها إلا مصفرة . وهى من رادت الريح تروى روزا تحركت  
 حركة ضعيفة .

## سورة الأعلى مكية

وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَسِيحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ  
فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أُنْزَجَ أَلْمَعَ ﴿٤﴾ بِفَعْلِهِ غُشَاءٌ أَحْوَى ﴿٥﴾

(١) تَهْ ذَاتُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ - وَالْأَسْمُ صِلَةٌ - وَذَلِكَ كَانَ يَفْسُرُ (الْأَعْلَى) بِمَعْنَى الْعَلَوِ  
الَّذِي هُوَ الْقَهْرُ وَالْإِقْتِدَارُ لَا بِمَعْنَى الْعُلُوِّ فِي الْمَكَانِ . وَقِيلَ " قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى " .  
وَفِي الْحَدِيثِ لَمْ تَزَلْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اجْعَلُوهَا فِي مَجْهُودِكُمْ .

(٢) أَيْ ( خَلَقَ ) كُلَّ شَيْءٍ ( فَسَوَّى ) خَلَقَهُ تَسْوِيَةً وَلَمْ يَأْتِ بِهِ مُتَفَاوِتًا فِيمِ الْمَلَكُوتِ وَلَكِنْ  
عَلَى إِحْكَامٍ وَأَنْسَاقٍ ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ صَادِرٌ عَنْ عَالَمِ حَكِيمٍ . أَوْ سَوَّاهُ عَلَى مَا فِيهِ مُتَفَعِّلٌ  
وَمُصْلِحٌ .

(٣) أَيْ ( قَدَّرَ ) لِكُلِّ حَيْوَانٍ مَا يَصْلُحُهُ فِهْدَاءً إِلَيْهِ وَعَوَظَهُ وَجِهَ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ . أَوْ ( فَهَدَى )  
وَأَضَلَّ . وَلَكِنْ حَذَفَ وَأَضَلَّ اكْتِفَاءً بِقَوْلِهِ ( يَضِلُّ ) مِنْ يَضَاءٍ وَيَهْدَى مِنْ يَشَاءُ ) . ( قَدَّرَ ) عَلَى .

(٤) أَنْبَتَ مَا تَرَعَاهُ الدُّوَابُّ .

(٥) يَابَسًا هَشِيًا .

(٦) أَسْوَدَ . ذُ ( أَحْوَى ) صِفَةٌ لُ ( غُشَاءٌ ) .

سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿١١﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ  
وَمَا يَخْفَى ﴿١٢﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿١٣﴾ فَذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الدُّكَرَى ﴿١٤﴾  
مَيْدَكَرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٥﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١٦﴾

(١١) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (إلا ما شاء الله) أن ينسخه . وهذا إشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينقل منه شيء إلا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته . وسأل ابن كيسان التحوي جنيلا عنه فقال ( فلا تنسى ) العمل به فقال مثلك يصدر . وقيل قوله ( فلا تنسى ) على النهي . والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيل . أي فلا تنقل قراءته وتكرره فتلهاء ( إلا ما شاء الله ) أن ينسخه برفع تلاوته .

(١٢) أي إلتك تجهز بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التقلت وأنت تعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر . أو ما قرأ في نفسك مخافة النسيان . أو يعلم ما أسررت وما أطلمت من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم .

(١٣) معطوف على ( سنقرئك ) وقوله ( إله يعلم الجهر وما يخفى ) اعتراض . ومعناه ونوفقت للطريقة التي هي أيسر وأسهل . يعني حفظ الوحي . وقيل للشرعية السمعة التي هي أيسر الشرائع أو نوفقت لعمل الجنة .

(١٤) حظ بالقرآن .

(١٥) جواب ( إن ) مدلول قوله ( فذكر ) . قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم . وقيل هو أمر بالتذكير على الإطلاق كقوله ( فذكر إنما أنت مذكر ) غير مشروط بالفتح .

(١٦) سبقت ويقل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة (ويجتنبها) ويلبأه عن الذكرى فلا يقبلها (الأشقى) الكافر أو الذي هو أشقى الكفرة لتوطئه في صداوة رسول الله . قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة .



الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ۖ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۖ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۖ

(١١) (الذي) يدخل نار جهنم - والصغرى نار الدنيا - (ثم) لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذذ بها . وقيل بـ (ثم) لأن الترتيب بين الحياة والموت أفضح من الصل ، فهو متراخ عنه في مراتب الشدة .

(١٢) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك ، أو تطهر للصلاة ، أو أذى الزكاة . تفعل من الزكاة كصديق من الصدقة .

(١٣) وكبر الافتتاح (فصلي) الخمس . وبه يحتج على وجوب تكمية الافتتاح ، وعلى أنها ليست من الصلاة ، لأن الصلاة عطف عليها ، وهو يقتضى المنافرة ؛ وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه من وجب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما " ذكر معاده ووقوفه بين يدي ربه فصل له " . عن الضمالة " (وذكر اسم ربه) في طريق المصل (فصل) صلاة العيد " .

(١٤) (بل تؤثرون الحياة الدنيا) على الآخرة فلا يفعلون ما به تغفلون . والمخاطب به الكافرون . دليله قراءة أبي عمرو (يؤثرون) بالياء .

(١٥) أفضل في نفسها وأقوم .

(١٦) (هذا) إشارة إلى قوله (قد أفلح) إلى (أبقي) . أى أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف . أو إلى ما في السورة كلها . وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لأنه جعله مذكوراً في تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة .

(١٧) يدل من (الصحف الأولى) . وفي الأثر . وفي صحف إبراهيم " يبنى لما قل أن يكون حافظاً للسانه حارفاً زمانه مقبلاً على شأنه " .

## سورة الغاشية مكية

وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾  
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلِي نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ ﴿٥﴾  
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾

(١) - بمعنى قد .

(٢) - الداهية التي تغشى الناس بشدايقها وتلبسهم أهوالها . معنى القيامة . وقيل النار .  
من قوله ( وتغشى وجوههم النار ) .

(٣) - أى وجوه الكفار - وأما خص الوجوه لأن الحزن والسرور إذا استحكما في المرء أثرًا في الوجه - ( يومئذ ) يوم إذ غشيت ( خاشعة ) ذليلة لما اقترى أصحابها من الخزي والهوان ( عاملة ناصبة ) تعمل في النار عملًا تنصب فيه وهو حرها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل وارتهاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدود منها . وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة . وقيل هم أصحاب الصوامع . ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم والادب ، والتجهد الواصب . ( تصل نارًا حامية ) تدخل نارًا قد أحميت مدداً طويلة فلا حريق بعدل حرها . ( تصل ) أبو عمرو وأبو بكر . ( تسقى من عين آنية ) من عين ماء قد انتهى حرها . والثانية

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ  
لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا  
لَغِيَةً ۖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ

في هذه الصفات والأفعال وأجمع إلى الوجوه . والمراد أصحابها بدليل قوله ( ليس لهم طعام إلا من ضريح ) وهو نبت يقال له الشبرق . فإذا ينس فهو ضريح . وهو سم قاتل . والمذاب ألوان والمعدبون طبقات . فمنهم أكلة الزقوم . ومنهم أكلة التسلين . ومنهم أكلة الضريح . فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ( ولا طعام إلا من ضريح ) .

(١) ( لا يسمن ) — مجرور المحل لأنه وصف ( ضريح ) — ( ولا يغني من جوع ) .  
أي مضغنا الغذاء متفتتان عنه . وهما إمالة الجوع وإفادة السمن في البدن .

(٢) وصف وجوه المؤمنين . ولم يقل ووجوه لأن الكلام الأول قد طال وانقطع .  
(٣) متعمة في لين العيش .

(٤) رضيت بعملها وطاعتها لمارات ما أتاهم إليه من الكرامة والثواب .

(٥) من ملو المكان أو المقدار .

(٦) ( لا تسمع ) يا مخاطب أو الوجوه ( فيها لاغية ) أي لنوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو . لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعم الدائم . ( لا تسمع فيها لاغية ) مكى وأبو عمرو . ( لا تسمع فيها لاغية ) نافع .  
(٧) أي عيون كثيرة كقوله ( عانت نفس ) .

(٨) جمع سرير

(٩) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن يحلوه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعم .

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ <sup>(١)</sup> وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ <sup>(٢)</sup> وَزُرَّائِي مَبْنُوتَةٌ <sup>(٣)</sup> أَفَلَا  
يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ <sup>(٤)</sup> وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ <sup>(٥)</sup>  
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ <sup>(٦)</sup> وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ <sup>(٧)</sup>

(١) جمع كوب . وهو القدح . وقيل آنية لا عروة لها .

(٢) (موضوعة) بين أيديهم ليتلذذوا بها بالنظر إليها . أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب .

(٣) وسائد (مصفوفة) بعضها إلى جنب بعض مساند ومطارج إنما أراد أن يجلس جلس على مسورة وامتند إلى الأخرى .

(٤) وبسط عراض فاحرة . جمع زربية .

(٥) مهسوبة أو مفترقة في المجالس .

(٦) لما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وقصر النبي عليه السلام بأن ارتفاع السرور يكون مائة فرسخ ، والأكواب الموضوعة لا تدخل في حساب الخلق لكثرةها ، وطول المنارق كذا ، وعرض الزرابي كذا ، أنكر الكفار وقالوا " كيف يصعد على هذا السرير ، وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة ، وطول المنارق هذا الطول ، وبسط الزرابي هذا الانبساط ، ولم تشهد ذلك في الدنيا ؟ " فقال الله تعالى ( أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ) طويلاً ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم . فكذا السرير يطأه للؤمن كما يطأه للإبل ، ( وإلى السماء كيف رفعت ) رفعا بعيدا لمدى بلا إمساك وعمد ، ثم يجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذلك الأكواب ، ( وإلى الجبال كيف نصبت ) نصبا ثابتا فهي راضحة لا تميل مع طولها فكذا المنارق ، ( وإلى الأرض كيف سطحت ) سطوحها بتجهيد وتوطئة فهي كلها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق فكذا الزرابي . ويحوز أن يكون المعنى ( أفلا ينظرون إلى ) هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعملوا لآياته . وتخصيص هذه

فَذَكِّرْ<sup>(١)</sup> إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ<sup>(٢)</sup> لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ<sup>(٣)</sup> إِلَّا مَنْ تَوَلَّى<sup>(٤)</sup>  
وَكَفَرَ<sup>(٥)</sup> فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ<sup>(٦)</sup> إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ<sup>(٧)</sup>  
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ<sup>(٨)</sup>

الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال . والمرء إنما يستدل بما  
تكثر مشاهدته له . والعرب تكون في البوادي ونظرم فيها إلى السماء والأرض والجبال .  
والإبل أعز أموالهم ، وهم لها أكثر استملا منهم لسائر الحيوانات ، لأنها تجمع جميع  
المآرب المطلوبة من الحيوان وهي النسل والدر والجل والركوب والأكل بخلاف غيرها ،  
ولأن خلقها أعجب من غيرها : فإنه يضرها مفادة لكل من اقتادها بأزقتها لا تعاز ضعيفا  
ولا تمنع صغيرا ، ورأها طوال الأعناق لتتوء بالأوقار ، وجعلها بحيث يترك حتى تحمل  
عن قرب ويسرتم تهض بما حلت وتجوها إلى البلاد الشاحطة . وصبرها على احتمال العطش حتى  
إن ظمأها ليرتفع إلى العشر فصاعدا ، وجعلها ترمي كل نابت في البرارى مما لا يرعا سائر البهائم .

(١) فذكرهم بالآفة ليتفكروا فيها .

(٢) ليس عليك إلا التبليغ .

(٣) بمسلط . كقوله (وما أنت عليهم بجبار) . (بمصيطر) مدنى وبصرى وعن وعاصم .

(٤) الاستثناء منقطع . أى لست بمستول عليهم . ولكن من تولى منهم وكفر بالله فإنه الله  
الولاية عليه والفهر فهو يعذبه العذاب الأكبر . وهو عذاب جهنم . وقيل هو استثناء من قوله  
(فذكر) . أى (فذكر) — — — (إلا من) انقطع طمعه من إيمانه و(تولى) فاستحق (العذاب  
الأكبر) . وما بينهما اعتراض .

(٥) رجوعهم . وفاتحة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وأنه إياهم ليس إلا إلى الجبار  
المقتدر على الانتقام .

(٦) ثم إن علينا حسابهم (فحاسبهم على أعمالهم ونجاساتهم بها جزاء أعمالهم) . (على) لتأكيد  
الوعيد لا للوجوب . إذ لا يجب على الله شيء .

## سورة الفجر مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ (١) وَلَيْلٍ عَشْرِ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)

(١) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله (والصبح إذا أسفر). أو بصلاة الفجر.

(٢) عشر ذى الحجة. أو العشر الأول من المحرم. أو الآخر من رمضان. وإنما نكرت لزيادة فضيلتها.

(٣) شفع كل الأشياء ووترها. أو شفع هذه الليالي ووترها. أو شفع الصلاة ووترها. أو يوم الصحر لأنه اليوم العاشر ويوم عرفة لأنه اليوم التاسع. أو الخلق والخالق. (والوتر) حمزة وعلى: وفتح الواو غيرهما وهما لغتان: فالفتح مجازي. والكسر تميمي.

(٤) بعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل). قيل أريد به ليلة القدر.

(٥) (إذا) يطفى. وياء (يسر) تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة. ويسأل واحدا لا خفض عن سقوط الياء. فقال لا حتى تخدمني سنة. فسأله بعد سنة فقال "الليل لا يسرى، إنما يسرى فيه. فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة". وقيل معنى (يسرى) فيه كما يقال ليل نائم أى يتنام فيه.

حَلَّ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدِي حَجْرٍ <sup>(١١)</sup> أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ  
بِعَادِ <sup>(١٢)</sup> إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ

(١١) أى (هل) فيما أقسمت به من هذه الأشياء (قسم) أى مقسم به (الذى) عقل؟ سئى به لأنه يحجر عن التفات فيما لا ينبغي كما سئى عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى. يريد هل تحققت عنده أن تعظم هذه الأشياء بالإقسام بها؟ أو (هل فى) إقسامى بها إقسام (الذى حجر)؟ أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه؟ أو (هل فى) القسم بهذه الأشياء (قسم) منع (لدى) عقل ولب؟ والمقسم عليه محذوف. وهو قوله ليعذبن. يدل عليه قوله (ألم تر) إلى قوله (فصبت عليهم ريك سوط عذاب).

(١٢) ذكر تهذيب الأئمة التى كذبت الرسل فقال (الم) تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الإيقان؟ وهو استفهام تقرير. قيل لعقب عاد بن صوص بن إرم بن سام بن نوح، عاد. كما يقال لبنى هاشم. ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى - والإرم تسمية لهم باسم جدّهم - ولبن بعدهم عاد الأخيرة. فإرم عطف بيان لعاد وإبنان أنتم عاد الأولى القديمة. وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها. ويدل عليه قراءة ابن الزور (بعاد إرم) على الإضافة. وتقديره بعاد أهل إرم كقوله (واسأل القرية). ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث. و (ذات العباد) إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة. وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين. وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد. فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأخر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فسال أبى مثلها فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة. وكان عمره تسعمائة سنة. وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت. وفيها أصناف الأشجار والأنهار. ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته. فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابه أنه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه بما تم. وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه. فبعث إلى كعب فسأله فقال هى إرم ذات العماد. وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال. يخرج فى طلب إبل له. ثم التفت فايسر ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل.

أَتَيْتِ لَرِيْعَاتٍ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ (١) وَنَمُوْدُ الَّذِينَ جَاؤُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٢)   
 وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (٣) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ (٤) فَأَكْثَرُوا فِيهَا   
 الْفُسَادَ (٥) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (٦) إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِعَرِصَادٍ (٧)

(١) أى مثل عاد فى قوتهم وطول قانتهم . كان طول الرجل منهم أربعة ذراع . أو لم   
 يخفى مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا .

(٢) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا . قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود .   
 وبنوا الفا وسبالة مدينة كلها من الحجارة .

(٣) يردى القرى .

(٤) أى ذى الجنود الكثيرة . وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها إذا نزلوا . وقيل   
 كان له أوتاد يندب الناس بها كما فعل بآسية .

(٥) فى محل نصب على النتم . أو الرفع على هم (الذين) . أو الخبر على وصف المذكورين   
 عاد وثمود وفرعون .

(٦) تجاوزوا الحد ( فى البلاد فأكثروا فيها الفساد ) بالكفر والقتل والظلم .

(٧) مجاز عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه . إذ الصبّ يشعر بالدوام ، والوسط   
 بزيادة الإيلام . أى صبوا عذاباً مؤلماً دائماً .

(٨) هو المكان الذى يترقب فيه الرصد . مفعول من رصده . وهذا مثل لإرصاده العباد   
 وأنهم لا يفوتونه وأنه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه إن خيراً فخير وإن شراً   
 فشر .



فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١﴾  
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنِ ﴿٢﴾  
كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٣﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٤﴾

(١) (فقدّر عليه رزقه) ضيق عليه وجعله بمقدار بلته. (فقدّر) شاعى وزيد. أى الواجب لمن ربه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة ولا تهمة المراجعة. وهو قد عكس. فإنه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال "ربى أكرمنى" أى فضلى بما أعطانى. فىرى الإكرام فى كثرة الحظ من الدنيا. وإذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال "ربى أهاننى" فىرى الهوان فى قلّة الحظ من الدنيا لأنه لا تهمة إلا المراجعة وما يلذه وينعمه فيها. فوّده عليه زعمه بقوله (كلّا) أى ليس الإكرام والإهانة فى كثرة المال وقته. بل الإكرام فى توفيق الطاعة، والإهانة فى الخذلان. وقوله تعالى (فيقول) خبر المبتدأ الذى هو (الإنسان) ودخول الفاء لما فى (أنا) من معنى الشرط. والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر فى تقدير التأخير. كأنه قيل. (فأما الإنسان) ففعل ربى أكرمنى وقت الابتلاء. وكذا (فيقول) الثانى خبر لمبتدأ تقديره (وأما) هو (إذا ما ابتلاه) ربه. وسمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد. فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر. وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يفرج. ونحوه قوله تعالى (ونبلوكم بالشّر والخير فتنة). وإنما أنكر قوله "ربى أكرمنى" مع أنه أثبت بقوله (فأكرمه) لأنه قاله على قصد خلاف ما قصده الله عليه وأثبتته وهو قصده أن الله أعطاه ما أعطاه إكراماً له لاستحقاقه كقوله (إنما أوتيته على علم عندى) وإنما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه. (ربى) مجازى وأبو عمرو.

(٢) أى بل هناك شرّ من هذا القول. وهو أن الله يكرّمهم بالنفى فلا يؤذون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالمربة وحضّ أهله على طعام المسكين.

وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۖ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۖ<sup>(١١)</sup>  
 كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَآتَمَلَكْ صَفًّا صَفًّا ۖ  
 وَجِئَاءَ يَوْمٍ يُؤَمِّدُ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسُنُ  
 وَأَنَّهُ لَءَالِدٍ كَرِي ۖ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۖ<sup>(١٢)</sup>

(١١) أى (وتأكلون) الميراث (أكلا لماً) ذالماً - وهو الجمع بين الحلال والحرام . وكانوا لا يوزنون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم - (وتحبون المال) - يقال حبه واجبة بمعنى - (حياً جماً) كثيراً شديداً مع الحرص ومنع الحقوق . (يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون) بهى

(١٢) (كلًا) ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم . ثم أتى بالوعيد وذكّر تحسّره على ما فرطوا فيه حين لا تشفع الحسرة فقال : (إذا دُكَّتِ الأرض) إذا زلزلت (دكاً دكاً) دكاً بعد دكاً أى ذكر طينها ذلك حتى عادت هباءً منبثاً (وجاء ربك) - تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبيين آثار قهره وسلطانه ، فإن واحداً من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بمحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخوادمه . وعن ابن عباس "أمره وقضاؤه" - (والملك صفًا صفًا) أى يتزل ملائكة كلّ مناء فيصطفون صفًا بعد صفّ محدّقين بالجنّ والإنس (وجيء يومئذ بهمهم) - قبل أن تأتي برزت لأهلها كقوله (وبرزت الجحيم للغاوين) وقيل هو مجرى على حقيقته . ففى الحديث يؤتى بهمهم يومئذ لما سبعون ألف زمام مع كلّ زمام سبعون ألف ملك يمزونها - (يومئذ يتذكّر الإنسان) أى يتعظ (وأنّ له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى ؟ (يقول ياليتنى قدّمت لحياتى) هذه . وهى حياة الآخرة . أى ياليتنى قدّمت الأعمال الصالحة فى الحياة الغانية لحياتى الباقية .

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۖ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدًا ۖ يَتَأْتِيهَا  
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ۖ فَأَدْخُلِ  
فِي عِبَادِي ۖ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۖ

(١١) أى لا يتولى عذاب الله أحداً لأن الأمرة وحده فى ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والأغلال (وثاقه أحد). قال صاحب الكشف "لا يعذب أحد أحداً كعذاب الله ولا يوثق أحد أحداً كوثاق الله". (لا يعذب ولا يوثق) على. وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورجع إليها أبو عمرو فى آخر عمره. والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر. وقيل هو أبى ابن خلف. أى (لا يعذب) أحد مثل عذابه (ولا يوثق) بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده. ثم يقول الله تعالى للؤمن لما كرمهم عليه موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (يأتينا النفس المطمئنة) الآمنة التى لا يستغفها خوف ولا حزن. وهى النفس المؤمنة. أو المطمئنة إلى الحق التى سكنتها تلج اليقين فلا يخالجهما شك. ويشهد للتفسير الأول قراءة أبى (يأتينا النفس الآمنة المطمئنة) — وإنما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة — (أرجى إلى) موعد (ربك) أو ثواب ربك (راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخل فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم. وقال أبو حبيدة أى مع عبادى أو بين عبادى أى خواصى كما قال (وادخلى برحمتك فى عبادك الصالحين). وقيل النفس الروح. ومعناه (فادخل فى) أجساد (عبادى) كقراءة عبد الله بن مسعود (فى جسد عبدى). ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم يزل خلقته فدخل فى نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها. قبل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب. وقيل فى خبيب الذى صلبه أهل مكة. وقيل هى مائة من المؤمنين إذ العبرة لعدم اللفظ لا لخصوص السبب.

## سورة البلد مكية

وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۖ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۖ وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ ۖ

(١) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما جده على أن الإنسان خلق مغمورا في مكابد المشاق. واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أي ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم. عن شرحبيل يمزجون أن يقتلوا بها صيدا ويستحلون إخراجك وقتلك. وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتمجيّب من حالهم في مداوته. أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاماة الشدايد. واعترض بأن وعده فتح مكة تمجيا للتسليّة والتنفيس عنه فقال (وأنت حل بهذا البلد) أي (وأنت حل) به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر. وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فاحل ما شاء وحزم ما شاء: قتل ابن خطل وهو متعلق بإستار الكعبة، ومقيس بن صُبابة وغيرهما. وحزم دار أبي سفيان ونظير قوله (وأنت حل) في الاستقبال قوله (إنك ميت وأنت ميتون). وكفاك دليلا على أنه للاستقبال أن السورة مكية بالاتفاق. وأين الهجرة من وقت نزولها؟ فما بال الفتح؟

(٢) هما آدم وولده. أو كل والد وولده. أو إبراهيم وولده. (وما) بمعنى من أو بمعنى الذي.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿١١﴾ يُحْسِبُ أَنَّ لَنُيَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿١٢﴾ يَقُولُ  
 أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿١٣﴾ يُحْسِبُ أَنَّ لَنُيَرَّهُ أَحَدٌ ﴿١٤﴾ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُ عِثْنَ ﴿١٥﴾  
 وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿١٦﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٧﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١٨﴾ وَمَا  
 أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٩﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿٢٠﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٢١﴾  
 يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٢٢﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١١) جواب القسم .

(٢٢) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وعن ذي النون "لم يزل مربوطا بحبل  
 القضاء مدحوا إلى الاتجار والانهاء" .

(٢٣) الضمير لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم  
 ما يكابد . ثم قيل هو أبو الأشعث . وقيل الوليد بن المغيرة . والمعنى أيقظ هذا الصنديد القوي  
 في قومه المتضعف للؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه . ثم ذكر ما يقوله في ذلك  
 اليوم وأنه (يقول أهلك مالا لبدا) أى كثيرا . جمع لبدة . وهو ما تلبد أى كثر واجتمع .  
 يريد كثرة ما أنفق فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالي . (يُحْسِبُ أَنَّ لَنُيَرَّهُ أَحَدٌ) حين  
 كان ينفق ما ينفق رياء واقتارا . يعنى أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقبيا . ثم ذكر نعمه  
 عليه فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المراتيات (ولسانا) يعتر به عما في ضميره (وشفتين) .  
 يستر بهما فموره ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والتفخ (وهديناه النجدين) .  
 طريق الخير والنشر المفضين إلى الجنة والنار . وقيل التدين . (فلا اقتحم العقبة وما أدراك  
 ما العقبة فك رقة أو إطعام في يوم ذى مسغبة يتيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أو مسكينا ذَا مَتْرَبَةٍ) ثم كان  
 من الذين آمنوا) يعنى فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب أو إطعام  
 اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس كل خير . بل غمط النعم  
 وكفر بالمنعم . والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ <sup>(١)</sup> أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٢﴾  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّائِلْنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٣﴾

في الرياء والفضار . وقتلنا تسعمل لامع الماضي إلا مكرزة . وإنما لم تركز في الكلام الأفصح لأنه لم يفسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد "لا" ثلاث مررات وتقديره فلا فك رقية ولا أطعم مسكينا ولا آمن . والاقتحام الدخول والمجاورة بشدة ومشقة . والفحمة الشدة . بفعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس . وعن الحسن "عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان" . والمراد بقوله ( ما العقبة ) ما اقتحامها ومعناه أنك لم تتركه صعبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله . وفك الرقية تخليصها من الرق والإعانة في مال الكتابة ( فك رقية أو أطعم ) مكي وأبو عمرو وعمل ، على الإبدال من ( اقتحم العقبة ) . وقوله ( وما أدراك ما العقبة ) اعتراض ضريحهم ( فك رقية أو أطعم ) على اقتحامها ( فك رقية أو أطعم ) والمسغبة المجاعة . والمقربة القرابة . والمزبزة الفقر مفعلات من سبب إذا جاع وقرب في السبب — يقال فلان قرابي وذو مقربي — وترب إذا افتقر ومعناه التصيق بالتراب فيكون مأواه المزابل . ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم هم فاصب أى ذو نصيب ومعنى ( ثم كان من الذين آمنوا ) أى داوم على الإيمان . وقيل ( ثم ) بمعنى الواو . وقيل إنما جاء ثم لتراعى الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت . إذ الإيمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به .

<sup>(١)</sup> (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يتل بها المؤمن (وتواصوا) بالترحم فيما بينهم .

<sup>(٢)</sup> أى الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة . (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن أو بدلائلنا (هم أصحاب المشأمة) أصحاب الشمال . والميمنة والمشأمة اليمين والشمال . أو اليمين والشؤم . أى الميامين على أنفسهم والمشأمة عليهم .

<sup>(٣)</sup> وبأهمزة أبو عمرو وحزمة وحفص . أى مطبقة . من أوصدت الباب وآصده إذا طبقت وأغلقت . والله أعلم .

## سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَجْهَهَا <sup>(١)</sup> وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا <sup>(٢)</sup> وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا <sup>(٣)</sup>  
وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا <sup>(٤)</sup> وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَىٰهَا <sup>(٥)</sup> وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا <sup>(٦)</sup>  
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا <sup>(٧)</sup>

(١) وضوئها إذا اشرفت وقام سلطانها .

(٢) تبعها في الضياء والنور . وذلك في النصف الأول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور .

(٣) جلى الشمس وأظهرها للرأيين . وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه . لأن الشمس تتبيل في ذلك الوقت تمام الانجلاء . وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله ( ما ترك على ظهرها من دابة ) .

(٤) يستر الشمس فتظلم الآفاق .

(٥) ( ما ) مصدرية — في ( والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ) أي وبنائها وطبخوها أي بسطها وتسوية خلقها في أحسن صورة — عند البعض . وليس بالوجه لقوله ( فاعلمها ) لما فيه من فساد النظم . والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل ( والسماء ) والقادر العظيم الذي بناها ( ونفس ) والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها . وإنما تكررت النفس لأنه أراد نفساً خاصة من بين النفوس وهي

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ  
مَنْ دَسَّاهَا ۚ

نفس آدم . كأنه قال وواحدة من النفوس . أو أراد كل نفس . والتذكير للتكثير كما في (عاشت نفس) .

والواو الأولى في نحو هذا للقمم بالاتفاق . وكذا الثانية عند البعض . وعند النابيل الثانية للمطف . لأن إدخال القسم على القسم قبل تمام الأول لا يجوز . ألا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثم لكان المعنى على حاله . وهما حرفا عطف . فكذا الواو . ومن قال أنها للقسم احتج بأنها لو كانت للمطف لكان عطفها على عاملين لأن قولها (والليل) — مثلاً — مجرور بواو القسم . و (إذا يفشى) منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم . فلو جعلت الواو في (والنهار إذا تجلى) للمطف لكان النهار مبطوفاً على الليل جراً ، و (إذا تجلى) مبطوفاً على (إذا يفشى) نصباً . فصار كقولك إن في النار زينا والجحمة عمراً . وأجيب بأن واو القسم تترى منزلة الباء والفعل حتى لم يحز إبراز الفعل معها . فصاربت كأنها العاملة نصباً وجراً ، وصارت كعامل واحد له عاملان . وكل عامل له عاملان يجوز أن يطف على معموليه بماطف واحد بالاتفاق . نحو ضرب زيد عمراً وبكر خالداً فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما . فكنا هنا .

(١١) فألهما طاعها ومعصيتها أفهمها أن أحدهما حسن والآخر قبيح .

(١٢) (قد أفلح) — جواب القسم . والتقدير لقد أفلح . قال الزجاج صار طول الكلام موضواً عن اللام . وقيل الجواب محذوف . وهو الأظهر تقديره ليدمدن الله عليهم — أى على أهل مكة — لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دملهم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً . وإنما (قد أفلح) فلكام تابع لقوله (فألهمها فجورها وتقواها) على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء — (من زكّاها) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية . (وقد خاب من دسّاها) أغواها الله . قال عكرمة " أفلحت همس زكّاها الله . وخابت نفس أغواها الله " . ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد . والتدسية النقص والإخفاء بالفجور . وأصل دسّ دسّس . والياء بدل من السين المكررة .



كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا <sup>(١)</sup> إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا <sup>(٢)</sup> فَقَالَ لَهُمْ  
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ <sup>(٣)</sup> وَسَقِيهَا <sup>(٤)</sup> فَكَذَّبُوهُ <sup>(٥)</sup> فَعَقَرُوهَا <sup>(٦)</sup> فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ  
رَبُّهُمْ <sup>(٧)</sup> بِذُنُوبِهِمْ <sup>(٨)</sup> فَسَوَّاهَا <sup>(٩)</sup> وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا <sup>(١٠)</sup>

(١) بطغيانها إذا الحامل لم على التكذيب طغيانهم .

(٢) حين قام بقتل الناقة (أشقاها) أشقى ثمود قنار بن سالف وكان أشقر أزرق نصيرا .  
(وإذا) منصوب بـ (كَذَّبَتْ) أو بالطغوى .

(٣) صالح عليه السلام .

(٤) نصب على التحذير . أى احذروا عقرها (وسقيها) ؛ كقوله الأسد الأسد .

(٥) (فَكَذَّبُوهُ) فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا .

(٦) أى الناقة أسند الفعل إليهم وإن كانت العاقر واحدا ، لقوله (فنادوا صاحبهم  
فتعاطى فقتل) ، لرضاهم به .

(٧) أهلكتهم هلاك استئصال .

(٨) بسبب ذنوبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة .

(٩) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم .

(١٠) ولا يخاف الله عاقبة هذه النملة . أى فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد  
كما يخاف من عاقب من الملوك لأنه فعل في ملكه وملكه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .  
(فلا يخاف) مدنى وشائى .

## سورة الليل مكية

وهي إحدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى <sup>(١)</sup> وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى <sup>(٢)</sup> وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى <sup>(٣)</sup>   
 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى <sup>(٤)</sup> فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى <sup>(٥)</sup> وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى <sup>(٦)</sup>   
 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى <sup>(٧)</sup> وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى <sup>(٨)</sup> وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى <sup>(٩)</sup>   
 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى <sup>(١٠)</sup>

(١) المغشى إذا الشمس من قوله (والليل إذا يشأها)، أو النهار من قوله (يشأ الليل النهار)، أو كل شيء يواريه بظلامه من قوله (إذا وقب) .  
 (٢) ظهر بزوال ظلمة الليل .

(٣) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد .

(٤) جواب القسم . إن عملكم مختلف . وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره .

(٥) (فأما من أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالثبوت الحسنى وهي الجنة أو بالكلمة الحسنى وهي لا إله إلا الله (فسنيسره لليسرى) فسنبهته لعله اليسرى وهي العمل بما يرضاه ربه . (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالإسلام أو الجنة (فسنيسره للعسرى) لعله المؤذية إلى النار فتكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشد . أو متى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر . أو أراد بهما طريق الجنة والنار .

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى <sup>(١)</sup> ﴿١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ  
وَالْأُولَىٰ ﴿٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿٥﴾ الَّذِي  
كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٦﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَىٰ ﴿٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّىٰ ﴿٨﴾

(١) ولم ينفعه ماله إذا هلك. و(تردى) فعل من الردى وهو الهلاك. أو (تردى) في القبر  
أو في قصر جهنم أى سقط.

(٢) (إنا علينا) الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وإنا لنا الآخرة والأولى)  
فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اعتداء من اعتدى. أو أنهما لنا من ظاهرها من فبرنا  
فقد أخطأ الطريق.

(٣) خوفكم (نارا) تلهب لا يدخلها للخلود فيها (إلا الكافر) الذى كذب (الرسول  
وأعرض عن الإيمان وسبيد منها المؤمن) الذى يؤتى ماله للفقراء (يتركى) من الزكاة. أى  
يطلب أن يكون عند الله ذاك لا يريد به رياء ولا سمعة. أو يتفعل من الزكاة. و(يتركى)  
إن جعلته بدلا من (يؤتى) فلا محل له لأنه داخل فى حكم الصلة. والصلوات لا محل لها.  
وإن جعلته حالا من الضمير (يؤتى) لمحل النصيب. قال أبو عبيدة (الأشقى) بمعنى الشقى  
وهو الكافر. و(الآتقى) بمعنى التقي وهو المؤمن لأنه لا يختص بالصلى أشقى الأشقياء، ولا  
بالنجا آتقى النجاة. وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله  
(وسيجزيها الآتقى) لأن التقي يجب تلك النار المخصوصة لا الآتقى منهم خاصة. وقيل الآية  
وأردت في الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما  
ف قيل الأشقى وجعل غنصا بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له، وقيل الآتقى وجعل غنصا بالنجا  
كأن الجنة لم تخلق إلا له. وقيل هما أبوجهل وأبو بكر. وفيه بطلان زعم المرجحة لأنهم يقولون  
لا يدخل النار إلا كافر.

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتَنَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ<sup>(١)</sup>  
 أَلَّا عَلَى<sup>(٢)</sup> وَلَسَوْفَ يَرْضَى<sup>(٣)</sup>

(١) أى (وما لأحد) عند الله نعمة يجازيه بها إلا أن يفعل فعلا يتنى به وجه ربه فيجازيه عليه .

(٢) هو الرفع بسلطانه المنيع في شأنه وبرهانه . ولم يرد به الملق من حيث المكان . فذا آية الحدتان .

(٣) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقز عينه . وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام (ولسوف يظبك ربك قرضى) .

## سورة الضحى مكية

وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ ﴿٤﴾ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٥﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَضَى ﴿٦﴾

(١) (والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس . وإنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سحرا . أو النهار كله لمقابته بالليل في قوله (والليل إذا سجي) سكن . والمراد سكن الناس والأصوات فيه . وجواب القسم (ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ما تركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك . والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودَّعَكَ مفارقا فقد بالغ في تركك . روى أن الوحي تأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما . فقال المشركون إن محمدا ودَّعَهُ رَبَّهُ وَقَلَا . فزلت . وحذف الضمير من (قل) كحذفه من التناكرات في قوله (والناكرين الله كثيرا والناكرات) يريد والناكراته . ونحوه (فأرى . فهدى . فأخى) . وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف . (والآخرة خير لك من الأولى) أى ما أعد الله لك في الآخرة من المقام المحمود ، والحوض المورود ، والغير الموعود ، خيرا مما أعجبك في الدنيا . وقيل وجه اتصاله بما قبله أنه لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنت حبيب الله ،

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَغَاوًى <sup>(١١)</sup> وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى <sup>(١٢)</sup>

ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الأبياء وشهادة أمته على الأمم وغير ذلك . (ولسوف يعطيك ربك ) في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك ( قترضى ) . ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم إنَّ لا أرضى قطُّ وأحد من أمتي في النار .

واللام الداخلة على ( سوف ) لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة . والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ونحوه ( لأقسم ) فيمن قرأ كذلك لأنَّ المعنى لأنَّا أقسم . وهذا لأنها إذا كانت لام قسم لا تدخل على المضارع إلَّا مع نون التوكيد . فيبتعن أن تكون لام ابتداء ولا م الابتداء لا تدخل إلَّا على المبتدأ والخبر . فلا بد من تقديره مبتدأ وخبر كما ذكرنا كما ذكره صاحب الكشف . وذكر صاحب الكشف هي لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لأنَّ النون إنما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء . وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على ( سوف ) لأنَّ لام الابتداء لا تدخل على سوف . وذكر أن الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير يؤذن بأن البطء كأن لا محالة وإن تأخر .

<sup>(١١)</sup> عُدَّ عليه نعمه من أوَّل حاله ليقبس المرتقب من فضل الله على ما سلف منه لئلاَّ يتوقع إلَّا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقلَّ صبره فقال : ( أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم . والمنصوبان مفعولاه . والمعنى ألم تكن يتيماً حين مات أبوك فأوأك إلى عمك أبى طالب وصمَّك إليه حتى كفلك وربأك .

<sup>(١٢)</sup> أى ( وجدك ) غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع ( فهدى ) فترتك الشرائع والقرآن . وقيل ضلَّ في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده إلى القافلة . ولا يجوز أن يفهم به مدول عن حق ووقوع في غيٍّ . فقد كُتِبَ عليه الصلاة والسلام من أوَّل حاله إلى نزول الوحي عليه موصوماً من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان .

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿١﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٢﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ  
فَلَا تَنْهَرْ ﴿٣﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٤﴾

(١) (ووجدك) فقيرا فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم .

(٢) فلا تقلبه على ماله وحقه لضعفه .

(٣) فلا تزجره ، فأبذل قليلا أو ردّه بميلا . وعن السديّ المراد طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره .

(٤) أى حدث بالنبوة التى آتاك الله . وهى أجل النعم . والصحيح أنها نعم جميع نعم الله عليه . ويحلل تحتها تعليم القرآن والشرايع . والله أعلم .

## سورة ألم نشرح مكية

وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ <sup>(١)</sup> وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ <sup>(٢)</sup> أَلَمْ يُقْضَ  
ظَهْرَكَ <sup>(٣)</sup> وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ <sup>(٤)</sup>

(١) استفهم من انتفاء التمرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك . ولذا عطف عليه ( وضعنا ) اعتبارا للشيء . أى فسخناه بإودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين . فازلنا عنه الضيق والخرج الذى يكون مع العمى والجهل . ومن الحسن " ملع حكمة وعلماً " .

(٢) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها . وقيل هو زلة لا تعرف بينها . وهى ترك الأفضل مع إتيان الفاضل . والألياء يعاتبون بمثلهما . ووضعه عنه أن غفر له . والوزر الحمل الثقيل .

(٣) أقلله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض .

(٤) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . ومن يطع الله ورسوله . والله ورسوله أحق أن يرضوه ) وفى تسميته رسول الله ونبي الله . ومنه ذكره فى كتب الأولين .

وفائدة ( لك ) ما عرف فى طريقة الإيهام والإيضاح لأنه يفهم بقوله ( ألم نشرح لك ) أنك تم مشروحاتهم أوضح بقوله ( صدرك ) ما علم بهما ، وكذلك ( لك ذكرك ) و ( عنك وزرك ) .



فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٢﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٣﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٤﴾

(١) أى (فإن مع) الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين (يسرا) بإظهارى إياك عليهم حتى تنلهم . وقيل كان المشركون يعبرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى وهمه أنهم رضوا عن الإسلام لانقذار أهله . فذكره ما أتم به عليه من جلال النعم . ثم قال (إن مع العسر يسرا) كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تئس من فضل الله (فإن مع العسر) الذى أتم فيه (يسرا) . وحيى بلفظ (مع) لناية مقارنة العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب . وإتماما قال عليه الصلاة والسلام عند نزولها "لن يقلب عسر يسرين" ، لأن العسر أعيد معوثا فكان واحدا . لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية حين الأولى . واليسر أعيد نكرة . والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى . فصار للمعنى (إن مع العسر) يسرين . قال أبو معاذ يقال إن مع الأمير غلاما إن مع الأمير غلاما . فالأمير واحد ومعه غلامان . وإذا قال إن مع أمير غلاما وإن مع الأمير الغلام ، فالأمير واحد والغلام واحد . وإذا قيل إن مع أمير غلاما وإن مع أمير غلاما ، فهما أميران وغلامان . كننا فى شرح التأويلات .

(٢) أى إذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الرب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما (فإذا فرغت) من صلاتك فاجتهد فى الدعاء . واختلف أنه قبل السلام أو بعده . ووجه الاتصال بما قبله أنه لما عتد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ولا ينحلى وقتا من أوقاته منها . فلذا فرغ من عبادة ذنبا بأخرى .

(٣) واجعل رغبته إلى خصوصها ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه (وعل الله فليترك للمؤمنين) .

## سورة التين مكية

وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۖ وَطُورِ سِينِينَ ۖ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۚ لَقَدْ  
خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۚ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۖ

(١) أقسم بهما لأنهما عجبیان من بین الأشجار المثمرة . وروى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه " كلوا . فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه . لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البزاسير وتنفع من القيرس " وقال : " نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة " وقال " هي سواك وسواك الأنبياء قبل " . وعن ابن عباس رضى الله عنهما " هو تينكم هذا وزيتونكم هذا " وقيل هما جبلان بالشام منبثاهما . (وطور سينين) أخيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة ونحو سينون يرون في جواز الإعراب بالواو والياء ، والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب . (وهذا البلد) يعنى مكة (الأمين) ، من أمن الرجل أمانة فهو أمين . وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه . ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والأولياء . فنبت التين والزيتون مهاجر لإبراهيم ومولد عيسى ومثثوه . والطور المسكان الذى نودى منه موسى . ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ، ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين . أو الأولاد فمهمهمبط الوحى على عيسى ، والثالث على موسى ، والرابع على محمد عليه الصلاة والسلام . وجواب

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١﴾  
يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٢﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٣﴾

القمم (لقد خلقنا الإنسان) - وهو جلس - (في أحسن تقويم) في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه (ثم رددناه أسفل سافلين) أي ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفلى خلقا وتركيا . يعنى أقبح من قبح صورة . وهم أصحاب النار . أو أسفل من سفلى من أهل الدركات . أو (ثم رددناه) بعد ذلك التقويم والتحسين (أسفل) من سفلى في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله ، وأبيض شعره بعد سواده ، وثنتين جلده ، وكل سمعه وبصره ، وتغير كل شيء منه . أشبه دليف ، وصوته خفات ، وقوته ضعف ، وشهامته خرف .

﴿١﴾ دخل الفاء هنا دون سورة الانشاق للجمع بين التين . والاستثناء على الأول متصل ، وعلى الثانى منقطع . أى ولكن الذين كانوا صالحين من المرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والمهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة .

﴿٢﴾ الخطاب للإنسان على طريقة الانفتات . أى لما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع ، والبرهان الساطع ، بالجزاء . والمعنى أنك خلق الإنسان من نطفة ، وتقوم به بشرا سوياً ، وتدرجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوى ، ثم تنكسه إلى أن يبلغ أرذل العمر ، لا ترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق ، وأنت من قدر على خلق الإنسان على هذا كله لم تستعز بعادته . فما سبب تكذيبك بالجزاء ؟ أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أى فمن يسببك إلى الكذب بعد هذا الدليل ؟  
فلا بمعنى من .

﴿٣﴾ وعيد للبخار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله . وهو من الحكم والقضاء . وإله أعلم .

## سورة العلق مكية

وهي تسع عشرة آية

عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت . والجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل ثم  
سورة القلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلَمْ تَرَ  
وَرَبَّكَ الْأَكْرَمَ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

(١) عل ( باسم ربك ) التصب على الحال . أى ( اقرأ ) مفتتحا ( باسم ربك ) كأنه قيل قل  
بسم الله ثم اقرأ . ولم يذكر خلق مفعولا لأن ( الذى ) حصل منه الخلق واستأثر به  
لا خالق سواه . أو تقديره خلق كل شيء فينساو كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض  
المخلوقات بتقديره أولى من بعض . وقوله ( خلق الإنسان ) تخصيص للإنسان بالذكورين بين  
ما يتناوله الخلق لشرفه . ولأن التنزيل إليه . ويجوز أن يراد ( الذى خلق ) الإنسان . إلا  
أنه ذكر مبهما . ثم مقسما تنجيما لخلقه ودلالة على عجيبة خلقه .

(٢) إنما جمع ولم يقل من طرفة لأن الإنسان في معنى الجمع .

(٣) ( وربك الأكرم ) الذى له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم . يشتم على عباده  
النعم ، ويحلم عنهم فلا يماجلهم بالعقوبة مع كفرهم ويهودهم لتعمه . وكأنه ليس وراء  
التكرم بإفادة الفوائد العلية تكرم حيث قال ( الذى علم ) الكتابة ( بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم )

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿١﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٢﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٣﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٤﴾ أَرَأَيْتَ أَن يَسْتَرْفِتَهُ الْهَادِي ﴿٥﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿٦﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٧﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿٨﴾

فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ، وقهلم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة . وما دوت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ، ولا كتب الله للترلة ، إلا بالكتابة . ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا . ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به .  
(١) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطفائه ، وإن لم يذكر ، لدلالة الكلام عليه .

(٢) تولت في أبي جهل إلى آخر السورة .

(٣) إن رأى نفسه . يقال في أفعال القلوب رأيتي وعلمتني . ومعنى الرؤية العلم . ولو كانت بمعنى الإبصار لا ينتفع في فعلها الجمع بين الضميرين .

(٤) هو المفعول الثاني .

(٥) تهديد للإنسان من ماقية الطغيان على طريق الانقضاء . و (الرجعي) مصدر بمعنى الرجوع . أي إن رجوعك إلى ربك فيجازيك على طغيانك .

(٦) أي (أرأيت) أبا جهل (الذي ينهى) عبدا عن الصلاة (إن كان) ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله ، أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد ) (أرأيت إن) كان ذلك الناهي مكذبا بالحق متوليا عنه كما تقول نحن (لم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أخواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله . وهذا وعيد . وقوله (الذي ينهى) مع الجملة الشرطية مفعولا (أرأيت) . وجواب الشرط محذوف تحذيره (إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) ألم يعلم بأن الله يرى . وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني . وهذا كقوله إن أكرمك أتكفى . و (أرأيت) الثانية مكررة زائدة للتوكيد .

كَلَّا لَئِنْ لَرَّ يَنْتَه لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١١﴾ نَاصِيَةٍ كَنُفِيَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٢﴾  
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٣﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَا تَطَعُهُ ﴿١٥﴾ وَأُجْبَدُ وَأَقْرَبُ ﴿١٦﴾

(١١) (كَلَّا) ردع لأبي جهل عن نبيه من عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام . ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصره ولنسحقه بها إلى النار . والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة . وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف . واكتفى بلام العهد عن الإضافة العلم بأنها ناصية المذكور .

(١٢) (ناصية) بدل من الناصية . وإنما وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كاذبة خاطئة) على الإسناد المجازي . وهما لصاحبا حقيقة . وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ .

(١٣) النادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم . والمراد أهل النادي . روى أنك أبا جهل مرّ بالنبي عليه السلام وهو يصلي فقال ألم أنك ؟ فأظفله رسول الله عليه السلام . فقال أنت تدني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا ؟ فتزل . والزبانية لغة الشرط . الواحد زبينة . من الزب . وهو الذفع . والمراد ملائكة العذاب . وعنه عليه السلام "لودع ناديه لأخذته الزبانية عيانا" .

(١٤) ردع لأبي جهل .

(١٥) أى أثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله (فلا تطع المكذبين) .

(١٦) ودم على مبروكك . يريد الصلاة .

(١٧) وتقرّب إلى ربك بالسجود . فإك أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد . كذا الحديث والله أعلم .

## سورة القدر مكية

وقيل مدنية وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ<sup>(١)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ<sup>(٢)</sup>  
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ<sup>(٣)</sup>

(١) عظم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره . وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه . ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه . روى أنه أنزل جملة في ليلة القدر من الأوح المحفوظ إلى السماء الدنيا . ثم كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة . ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها . والقدر بمعنى التقدير . أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي . وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان . كما روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زبائن أبي بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان . وعليه الجمهور . ولعل الداعي إلى إختلافها أن يحمي من يريد بها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها . وهنا كإخفاء الصلاة الوسطى ، واسمها الأعظم وساعة الإجابة في الجمعة ، ورضاه في الطاعات ، وغضبه في المعاصي . وفي الحديث " من أدركها يقول اللهم إنك غفور رحيم فاعف عني " .

(٢) أي لم تبلغ درايتك غاية فضلك . ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر . وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح ، وفصل كل أمر حكيم . وذكر في تخصيص هذه المدة أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر رجلا من بني إسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر . فمدح المؤمنين من ذلك وتفاضلت إليهم أعمالهم . فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الفاضل .

تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَامٌ  
مِى حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۖ

(١١) (تنزل الملائكة) إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض (والروح) - جبريل، أو خلق من الملائكة  
لأمرهم الملائكة إلا تلك الليلة. أو الرحمة - فيها بإذن ربهم من كل أمر) أي تنزل (من) أجل (كل  
أمر) فضاء الله تلك السنة إلى قابل. وعليه وقف.

(١٢) ما هي الأسلامه خبر ومبتدا. أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير. ويقضى في غيرها  
بلاء وسلامة. أو ما هي الأسلام لكثرة ما يسمعون على المؤمنين. قيل لا يقون مؤمنا ولا مؤمنة  
إلا سألوا عليه في تلك الليلة. وقد حرم من السلام الذين كفروا.

(١٣) أي إلى وقت طلوع الفجر. بكسر اللام حمزة وصل وخلف. والله أعلم.



## سورة البينة

مختلف فيها . وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ  
الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾  
وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

(١) (لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى  
— وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الإسلام من يدين به — (والمشركين) عبدة الأصنام  
(منفكين) منفصلين عن الكفر — وحذف لأن صلة الذين تدل عليه — (حتى تأتيهم البينة)  
الجنة الواضحة . والمراد محمد صلى الله عليه وسلم . يقول : لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله  
عليه وسلم . فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض .

(٢) أى محمد عليه السلام . وهو يدل من البينة .

(٣) يقرأ عليهم قراطيس (مطهرة) من الباطل .

(٤) فى الصحف مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق والعدل .

(٥) فمنهم من أنكر نبوته بشيا وحسدا . ومنهم من آمن . وإنما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع  
أولا بينهم وبين المشركين لأنهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم . فإذا وصفوا بالتفوق عنه  
كان من لا تأخبط له هذا الوصف .

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ <sup>(١١)</sup> حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ  
 هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ  
 الْبَرِيَّةِ ﴿١٣﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسَنَ رَبٌّ ﴿١٤﴾

(١١) (وما أمروا) يعنى فى التوراة والإنجيل (إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير  
 شرك ونفاق (حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة (ويقوموا الصلاة ويؤتوا  
 الزكاة وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة .

(١٢) نافع يهزمها . والقراء على التخفيف . والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه  
 ورفض الأصل . وقوله (خير البرية) يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأن البرية  
 الخلق . واشتقاقها من برأ الله الخلق . وقيل اشتقاقها من البراء . وهو التراب . ولو كان  
 كذلك لما قرعوا البرية بالهمز . كننا قال الزجاج .  
 (١٣) إقامة .

(١٤) (رضى الله عنهم) يقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها . (ذلك) الرضا (لمن حسن  
 ربّه) . والله أعلم .

## سورة الزلزلة

مختلف فيها . وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأُتْرِجَتِ الْأَرْضُ أَتْفَالًا ۝  
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا ۝<sup>(١)</sup>

(١) أى (إذا) حركت (الأرض زلزالها) الشديد الذى ليس بسده زلزال —  
وقرى بفتح الزاى . فالمكسور مصدر . والمفتوح اسم — (وأُتْرِجَتِ الأرض أَتْفَالًا)  
كنوزها وموتاهها — جمع ثقل وهو متاع البيت . جعل ما فى جوفها من الدفائن أهالًا لها —  
(وقال الإنسان ما لها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها — وذلك عند  
النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاهها . أحياء ، فيقولون ذلك لما يبرهم من الأمر الفظيع  
كما يقولون (من بعثنا من مرقدنا) . وقيل هنا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث .  
فأما المؤمن فيقول (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) — (يومئذ) بدل من (إذا) .  
وناصبها (تحدثت) . أى (تحدثت) الخلق (أخبارها) غلظ أول المقبولين لأن المقصود  
ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق . قيل ينطقها الله وتخبر بها عمل عليها من خير وشر .  
وفى الحديث " تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها " .

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ هَآ (١١) ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّرُؤَا  
 أَعْمَلِهِمْ (١٢) ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (١٣) ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ  
 ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (١٤) ۞

(١١) أى (تحدث أخبارها) بسبب إيماء ربك (لها) أى إليها وأمره إياها بالتحديث .

(١٢) يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين ،  
 وسود الوجوه فزعين . أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار .

(١٣) أى جزاء أعمالهم .

(١٤) كلمة صغيرة .

(١٥) تمييز .

(١٦) أى جزاءه .

(١٧) قيل هذا في الكفار والأول في المؤمنين . وروى أنه أعرابياً أنكر (خبراً به)  
 فقيل له قدست وأثرت فقال .

خذنا بطن هريش أوقفها فإنه كلا جانبي هريش لحي طريق

وروى أنه جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقر به . فقرأ عليه هذه الآية . فقال حسبي  
 حسبي . وهى أحكم آية . وسميت الجلامية . والله أعلم .

## سورة العاديات

مختلف فيها . وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝  
فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ  
لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝<sup>(١)</sup>

«١» أقسم بحيل الغزاة تعدو فتضبح — والضبح صوت أنفاسها إذا مدون .  
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حكاه فقال «أح أح» . وانتصب (ضبحا) على  
بضحين — (الموريات) توري نار الحياجب — وهي ما ينقدح من حوافرها — (قدحا)  
تادحات صاكتات بجوافرها الجمارة — والقدح الصك . والإيراء إخراج النار . تقول قدح  
أورى وقدح فاصله . وانتصب (قدحا) بما انتصب به (ضبحا) — (المغيرات) تغير على العدو  
في وقت الصباح (فأثرن به نقعا) فويحين بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا) من  
جموع الأعداء . ووسطه بمعنى توسطه . وقيل الضمير لمكان الغارة ، أو للعدو الذي دل عليه  
(والعاديات) . وعطف (فأثرن) على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لأت المعنى واللاتي  
مدون فأورين فأثرن فأثرن . وجواب التعميم (إن الإنسان لربه لكونود) لكفور . أي إنه  
لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران . وإاة الإنسان على كنوده (لشديد) . يشهد على  
نفسه . أو إن الله على كنوده لشاهد ، على سبيل الوحيد .

وَأَنَّهُ لَحِبٌّ لَّخَيْرٍ لَّشَدِيدٍ ﴿١١﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿١٢﴾  
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١٤﴾

(١١) وَأَنَّهُ (لَا جِلَّ حَبِّ الْمَالِ لِيُخِيلَ مَسْكًا . أَوَّانَهُ لَحِبُّ الْمَالِ لِقَوَى وَهُوَ لَحِبُّ مِبَادَةِ اللَّهِ ضَعِيفٌ .

(١٢) أَفَلَا يَعْلَمُ (الْإِنْسَانُ إِذَا هُمُ) بَعَثَ (مَا فِي الْقُبُورِ) مِنَ الْمَوْتَى - وَ (مَا) بِمَعْنَى مَنْ - وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) مِيزَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) لِمَا لَمْ يَجَازِ بِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ؟ وَخَصَّ يَوْمَئِذٍ ذَلِكَ وَهُوَ عَالِمٌ بِهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ لِأَنَّهُ الْجَزَاءُ يَقَعُ يَوْمَئِذٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

## سورة القارعة مكية

وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَتْكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ  
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِيشِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾

(١) القارعة) مبتدأ . و (ما) مبتدأ ثان . (القارعة) خبره . والجملة خبر المبتدأ الأول  
وكان حقه ما هي . وإنما كرر تفعيلاً لثانها .

(٢) أى أى شئ أعطيك ما هي ومن أين علمت ذلك .

(٣) (يوم) نصب بمضردلت عليه القارعة . أى تفرع (يوم يكون الناس كالفرش  
المبثوث) . شبههم بالفرش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل  
جانب كما يتطاير الفراش إلى النار . وتسمى فراشا لتفوشه وانتشاره . وشبه الجبال بالعن  
— وهو الصوف المصنغ ألوانا — لأنها ألوان (ومن الجبال جدد بيض وحمى مختلف ألوانها) ؛  
وبالمنفوش منه لتفوق أجزائها .

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ  
مَوَازِينُهُ ﴿٣﴾ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ﴿٥﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿٦﴾

(١) (فأما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق — وهى جمع موزون ، وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله . أو جمع ميزان . وثقلها رجحانها — (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا أو مرضية . (وأما من خفت موازينه) باتباعه الباطل فسكنه وماواه النار . وقيل لاوى أم على التشبيه . لأن الأم مأوى الولد ومقرضه .

(٢) الضمير يعود إلى هاروية . وألغاه للسكت . ثم فسرها فقال ( نار حامية ) بلغت النهاية فى الحرارة . والله أعلم .



## سورة التكاثر مكية

وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهٰكِرُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝  
 ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ ۝ لَتَرَوُنَّ  
 الْجَحِيْمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ ۝ ثُمَّ لَتَسْعُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيْمَ ۝

(١) شغلکم التبارى فى الكثرة والتباہى بها فى الأموال والأولاد عن طاعة الله .

(٢) حتى أدركکم الموت على تلك الحال أو حتى زرتُم المقابر وعدتُم من فى المقابر من موتاكم .

(٣) ردع وتنبیه على أنه لا یلبى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همہ ولا یهتم بدينه .

(٤) (سوف تعلمون) عند التزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلاً سوف تعلمون) فى القبور .

(٥) تکریر الردع للإظهار والتخويف .

(٦) جواب (لو) محذوف . أى (لو تعلمون) ما بین أيديکم (علم اليقين) علم الأمر اليقين أى کلمکم ما تمیقنونه من الأمور لما أهاکم التكاثر أو لفطم ما لا یوصف . ولكنکم ضلال جهلة .

(٧) هو جواب قسم محذوف . والقسم لتوكيد الوعيد . (لترون ) بضم التاء شامى وعلى .

(٨) كثره معطوفاً بـ "تنليظاً فى التهديد وزيادة فى التويل . وأولاً بالقلب والثانى بالعين .

(٩) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته .

(١٠) (ثم لتسألن يومئذ عن ) الأمن والصحة فى أنفستموها ، عن ابن مسعود رضى الله

عنه . وقيل عن التتم الذى شغلکم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه . وعن الحسن "ما سوى كن

يؤويه ، وأثواب تواريه ، وكسرة تقويه " . وقد روى صرفوها . والله أعلم .

## سورة العصر مكية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا<sup>(١)</sup> بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

(١) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى (والصلوة الوسطى صلاة العصر) في مصحف حفصة . ولأن التكليف في أدائها أشق ثبات الناس في تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بما يشبه . أو أقسم بالعشق كما أقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة . أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف السجائب . وجواب القسم (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَنُفٍ) أى جلس الإنسان لى خسران من تجارتهم (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتوَّصَّوْا بِالْحَقِّ) بالأمر الثابت الذى لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته وإتباع كتبه ورسله (وتوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ) عن المماضى وعن الطاعات وعن ما يبلى به الله عباده . (وتوَّصَّوْا) فى الموضعين فعل ماضٍ معطوف على ماضٍ قبله . والله أعلم .

## سورة الحمزة مكية

وهي تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> أَلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ <sup>(٥)</sup>  
 أَخْلَدَهُ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ <sup>(٨)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ <sup>(٩)</sup>

(١) (ويل) مبتدأ خبره (لكل حمزة) أى الذى يعيب الناس من خلفهم .

(٢) أى من يعيهم مواجهة . وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه . قيل نزلت  
 فى الأخنس بن شريق . وكانت عادته النية والوقية . وقيل فى أمية بن خلف . وقيل  
 فى الوليد . ويموز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح .  
 يدل من كل . أو نصب على الذم .

(٣) (جمع) شامى حمزة وعلى مبالغة . وهو مطابق لقوله (ومدده) أى جملة عدة  
 لحوادث الدهر .

(٤) أى تركه خالدا فى الدنيا لا يموت . أو هو تعرض بالعمل الصالح وأنه هو الذى  
 أخلد صاحبه فى النعم . فأما المال لما أخلد أحدا فيه .

(٥) ودع له من حسباته .

(٦) (الينذة) الذى جمع (فى) النار الى شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها .

(٧) يعجيب وتنظيم .

نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿١﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ ﴿٢﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ  
مُؤَصَّدَةٌ ﴿٣﴾ فِي عَمِدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٤﴾

(١) خبر مبتدأ محذوف . أى هى ( نار الله الموقدة ) نبتها ( التى تطلع على الأفئدة )  
يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع أفئدتهم وهى أوساط القلوب .  
ولا شئ فى بدن الإنسان ألطف من القواد ولا أشد ألماً منه بأذى أذى يمسّه . فكيف إذا  
أطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ؟ وقيل خص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والمقابر  
الفاسدة . ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتمل عليها .  
(٢) أى النار أو الحطمة .

(٣) مطبقة .

(٤) بضمين كوفى غير حفص . الباقون ( فى عمدة ) وهما لفتان فى جمع عماد كإهاب  
وأهب وحمار وحمير .

(٥) أى تؤصد عليهم الأبواب وتمتد على الأبواب العمدة استينافاً فى استيناف .  
فى الحديث " المؤمن كبس فطن ، وقاف مثبّت لا يعجل ، عالم ورع . والمنافق همزة أنة  
حطمة يحاطب الليل لا يبالي من أين اكتسب وفيه أنقى " والله أعلم .

## سورة الفيل مكية

وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

(١) (كيف) في موضع نصب بـ (فعل) لا بـ (ألم تر) لما في (كيف) من معنى الاستفهام. والجملة سدّت مسدّ مفعولى (تر). وفي (ألم تر) تعجيب أى عجب الله نبيه من كفر العرب، وقد شاهدت هذه العظيمة من آيات الله. والمعنى أنك رأيت آثار صنع الله بالهيشة وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة.

(٢) روى أن أبرهة بن الصبّاح ملك اليمن من قبل أحمصة النجاشي، بن كنيسة بصنعاء وسمّاها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج. فخرج رجل من كنانة فقعدها ليلا لحرقها فأغضبه ذلك. وقيل أجبت رقة من العرب نارا لحملتها الريح فأحرقتها لخاف ليهدم الكعبة. فخرج بالهيشة ومعه فيل اسمه مجود— وكان قويا عظيما— وأثنى عشر فيلا ضيره. فلما جاء المشتمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع. فأبى وصبا جيشه وقدم الفيل. وكانوا كلما وجهوه إلى الحرم يرك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن هروا فأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من الصدمة وأصغر من الحصاة. فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففزوا وهلكوا. وما مات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه. وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يلقى فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فمات ميتا بين يديه. وروى أن أبرهة أخذ

أَلَّا يَجْعَلَ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ <sup>(١١)</sup> وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ <sup>(١٢)</sup>  
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ يَّبْجِيلٍ <sup>(١٣)</sup> يَجْعَلُهُمُ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ <sup>(١٤)</sup>

لعبد المطلب مائى بهر نغزج إليه فيها . فمظم في عينه وكان رجلا جسيما وسيما . وقيل هذا سيد قريش وصاحب مير مكة الذى يطعم الناس في السهل والوحوش في رهوس الجبال . فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني . جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آباءك وشرفكم في قديم الدهر فالماك عنه ذود أخذ لك . فقال أنا رب الإبل ولليت رب سيجميه .

<sup>(١١)</sup> في تضليل وإبطال . يقال يضلل كيده إذا جعله ضالاً ضالها . وقيل لاهربى القيس الملك الضليل لأنه ضلأ ملك أبيه أى ضيعه . يعنى أنهم كادوا البيت أولا بناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه . وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل كيدهم بإرسال الطير عليهم .

<sup>(١٢)</sup> حزائى الواحدة إباله . قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا .

<sup>(١٣)</sup> وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه (يرميهم) أى الله أو الطير . لأنه اسم جمع مذكور . وإنما يؤت على المعنى .

<sup>(١٤)</sup> هو معزب من "منك كل" وعليه اليهود . أى الآجر .

<sup>(١٥)</sup> زرع أكله الدود .

## سورة قريش مكية

وهي أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشٌ<sup>(١)</sup>

(١) متعلق بقوله (فليعبدوا). أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلين. ودخلت الفاء في الكلام من معنى الشرط. أي إن نعم الله عليهم لا تنحصر. فإن لم يبدو له أثر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة. أو بما قبله أي (بجعلهم كمصنف ما كوله لإيلاف قريش) يعني أن ذلك الإيلاف، لهذا الإيلاف. وهذا كالضمين في الشعر وهو أن يتماق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به. وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل. ويرى عن الكسائي ترك التسمية بينهما. والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم لبتسامع الناس بذلك فيحترموهم ففضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يمتري أحد عليهم. وقيل المعنى اعجبوا (لإيلاف قريش). (لإيلاف قريش) شاعى أي المؤلفة قريش. وقيل يقال ألفته ألفا وإلافا. وقريش ولد النضر بن كنانة. سموه بتصغير القريش. وهو دابة عظيمة في البحر تمسث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار. والتصغير للتعظيم. فسّموه بذلك لشدة همهم ومنعتهم تشبها بها. وقيل من القريش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسّابين بقبائلهم وضريرهم في البلاد.

إِلَيْنِهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ <sup>(١)</sup> فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ  
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ <sup>(٢)</sup>

(١) أطلق الإبلان ثم أبطل عنه المقيد بالرحلتين فصغيا لأمر الإبلان وتذكيرا لعظيم النعمة فيه. ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولاً به. وأراد رحلتى الشتاء والصيف. فأفردلاً من الإبلان. وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون. وكانوا في رحلتهم آمين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم.

(٢) التنكير في (جوع) و (خوف) لشدةهما. يعنى (أطعمهم) بالرحلتين (من جوع) شديد كانوا فيه قبلهما (وآمنهم من خوف) عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف المخطف من بلدهم ومسايرهم. وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة (وآمنهم من) خوف الجذام فلا يصيبهم بلدهم. وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام.



## سورة الماعون

مختلف فيها . وهي سبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُخْضِ  
عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ  
سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

(١) أى هل ( رأيت الذى يكذب ) بالجزاء من هو ؟ إن لم تعرفه (فذلك) الذى يكذب بالجزاء هو (الذى يدع اليتيم) أى يدفعه دفعا عنيفا يحقوه وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولا) يبعث أهله (على) بلل (طعام المسكين). جعل لم التكذيب بالجزاء، منع المعروف، والإقدام على إيذاء الضعيف. أى لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لحشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك. فحين أقدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء. ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) يعنى بهذا المنافقين. أى لا يصلونها صرا لأنهم لا يستقدون وجوبها وصلونها علانية رياء. وقيل (فويل) للمنافقين (الذين) يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وأنهم لا يريدونها قربا إلى ربهم ولا تأدية لفرض. فهم يخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون، ويظهرون للناس أنهم يؤدون الفرائض، ويمنعون الزكاة

وما فيه منفعة. وعن أنس والحسن قالا "المحدثه الذي قال (عن صلاتهم) ولم يقل في صلاتهم" لأن معنى "عن" أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها. وذلك فعل المناقذين. ومعنى "في" أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس. وذلك لا يخلو عنه مسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره. والمرأاة مفاعلة من الإراءة لأن المرأى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به. ولا يكون الرجل مرأيا بإظهار الفرائض. فنحققها الإعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم "ولا غمة في فرائض الله". والإخفاء في التطوع أولى. فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا. والمساعدون الزكاة. وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يتجاوز في العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها. وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار والملح. والله أعلم.

## سورة الكوثر مكية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ  
هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

(١) هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة . وقيل هو نهر في الجنة أحلى من العسل ، وأشدّ بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وألين من الزبد . حافظه الزبرجد ، وأوانيه من فضة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "هو الخير الكثير" . فقيل له إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة ، فقال هو من الخير الكثير .

(٢) فاعبد ربك ، الذى أمرك بإعطائه وشرفك وصافك من منى الخلق ، مراغما لقومك الذين يبدون غير الله ( وانحر ) لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لعبدة الأوثان في التحر لها .

(٣) أى من أبغضك من قومك بخلافتك لهم ( هو الأبتَر ) المتقطع عن كل خير لا أنت . لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك . وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وقفا كرا إلى آخر الدهر . يبدأ بذكر الله ويتلى بذكرك . ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف . فذلك لا يقال له أبتَر . إنما الأبتَر هو شأنك المندى في الدنيا والآخرة . قيل نزلت في العاص بن وائل . سماء الأبتَر . والأبتَر الذى لا عقب له . وهو خبر إك . و ( هو ) فصيل .

## سورة الكافرون مكية

وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ  
مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾  
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

(١) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون . روى أن رجلاً من قريش قالوا : يا عبد هلّم فاتبع ديننا ونقتع دينك . تعبد آلهتنا سنة وتعبد إلهك سنة . فقال : ما ذا الله أن أشرك به غيره . قالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصديقك وتعبد إلهك . فنزلت . فهدا إلى المسجد الحرام وفيه الملائ من قريش فقرأها عليهم فأيسوا .

(٢) أى لست فى حالى هذه عابدا ( ما تعبدون ولا آتم عابدون ) الساعة ( ما أعبد ) يعنى الله .

(٣) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ( ما عبدتم ولا آتم ) فيما تستقبلون ( عابدون ما أعبد ) . وذكر بلفظ ( ما ) لأن المراد به الصفة أى لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق . وأذكر بلفظ ( ما ) ليتقابل اللفظان . ولم يصح فى الأول ( من ) وصح فى الثانى ( ما ) بمعنى الذى .

(٤) لكم شرككم ولى توحيدى . وفتح الياء نافع وحفص . وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال له : تأبذ يا ابن مسعود . فقرأ ( قل ) يٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ . ثم قال له فى الركعة الثانية : أخلص . فقرأ ( قل ) هو الله أحد . فلما سلم قال : يا ابن مسعود سل تحب . والله أعلم .

## سورة النصر مدنية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ <sup>(١)</sup> وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ <sup>(٢)</sup>  
أُفْوَاجًا <sup>(٣)</sup> فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا <sup>(٤)</sup>

(١) منصوب بسبح وهو لما يستقبل . والإعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة .  
وروى أنها نزلت في أيام التشريق بمعنى في همة الوداع .

(٢) النصر الإماناة والإظهار على العدو . والفتح فتح البلاد . والمعنى نصر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة ، أو جلس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك  
عليهم .

(٣) هو حال من الناس على أنك (رأيت) بمعنى أبصرت أو عرفت ، أو مفعول ثان على أنه  
بمعنى علمت .

(٤) (أفواجا) حال من فاعل (يدخلون) . وجواب إذا (فسبح) . أى (إذا جاء نصر الله) إياك على  
من ناولك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الإسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا  
يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أو فصل  
له ( واستغفره ) تواضعا وهضبا للنفس أودم على الاستغفار ( إنه كان ) ولم يزل (توابا) التواب  
الكثير القبول للتوبة ، وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة . وروى أنك عمر رضى الله عنه  
لمّا سمعها بكى . وقال الكمال دليل الزوال وطاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ستين .  
واقه أعلم .

## سورة أبي لهب مكية

وعى خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ <sup>(١)</sup> مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ <sup>(٢)</sup>

(١) التباب الهلاك . ومنه قولهم "أشابة لم تابة" أى هالكة من الهرم . والمعنى هلكت يدها — لأنه فيما يروى أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم — (وتب) وهلك كله . أو جعلت يدها هالكيتين ، والمراد إهلاك جملته كقوله (بما قدست يدك) ، ومعنى (وتب) وكان ذلك وحصل ، كقوله :

جزاني جزاء الله شرَّ جزائه • جزاء الكلاب العاويات . وقد فعل

وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (وقد تب). روى أنه لما نزل (وأنذر عشيرتكم الأفرين) رقى الصفا . وقال يا صباحاه . فاستجمع إليه الناس من كل أوب فقال عليه الصلاة والسلام : — يا بنى عبد المطلب ! يا بنى فهر ! إن أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدق ؟ قالوا نعم . قال فلأنى تنذر لكم بنى الساعة . فقال أبو لهب تبأ لك . ألهذا دعوتنا ؟ فزلت . وإنما كاه والتكنية تكمة لاشتهاره بهادون الاسم أو لكراهة اسمه . فاسمه عبد العزى . أو لأن ماله إلى نار ذات لب فوافقت حاله كنيته (أبى لهب) مكى .

(٢) (ما) للنفى (وما كسب) مرفوع . وما موصولة أو مصدرية . أى ومكسوبه أو وكسبه . أى لم ينفعه ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه . أو ماله التالذ والطارف . وعن ابن عباس رضى الله عنهما (ما كسب) ، ولده . وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أنى حقاً فانا أفتدى منه فمضى بمالى وولدى .

سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿١٢﴾ وَأَمْرًا لَهُمْ مِمَّا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿١٣﴾ حِمْلًا لَ الْخَطْبِ ﴿١٤﴾ فِي جِيدِهَا  
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿١٥﴾

(١١) سيدخل. (سيعمل) البرجمي من أبي بكر. والسين للوعيد. أى هو كائن لا محالة وإن  
ترانى وقته .

(١٢) توقد .

(١٣) هى أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان .

(١٤) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتشترها بالليل في طريق رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . وقيل كانت تمشي بالقيمة فتشعل نار العداوة بين الناس . ونصب عاصم (حمالة  
الخطب) على الشتم . وأنا أحب هذه القراءة . وقد توصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل  
من أحب شتم أم جميل . وعلى هذا يسوغ الوقف على (أمراة) لأنها عطف على الضمير  
في (سيعمل) أى سيعمل هو وأمرأته . والتقدير أضى (حمالة الخطب) . والباقون بالرفع على  
أنها خبر (أمراة) ، أوهى (حمالة) .

(١٥) حال أو خبر آخر . والمسد الذى قتل من الحبال قتلا شديدا من ليف كان أو جلد  
أو غيرها . والمعنى (في جيدها حبل) مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك  
وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون ، تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع  
من ذلك ويحزع بهلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدّة . والله أعلم .

## سورة الإخلاص

أربع آيات مكتبة عند الجمهور . وقيل مدنية عند أهل البصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

(١١) (هو) ضمير الشأن . و(الله أحد) هو الشأن . كقولك هو زيد منطلق . كأنه قيل : الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له . وعمل (هو) الرفع على الابتداء . والخبر هو الجملة . ولا يحتاج إلى الراجع . لأنه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى . وذلك أن قوله (الله أحد) هو الشأن الذي (هو) عبارة عنه . وليس كذلك زيد أبوه منطلق فأتت زيد والجملة يدلان على معنيين مختلفين . فلا بد مما يصل بينهما . عن ابن عباس رضى الله عنهما قالت قريش يا عبدصيف لنا ربك الذي تدعوننا إليه فقلنا . يعنى الذى سألتموني وصفه (هو الله تعالى) . وعمل هذا (أحد) خبر مبتدأ محذوف أى هو (أحد) . وهو بمعنى واحد . وأصله واحد . فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا . والدليل على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد إما أن يكون في تدبير العالم وتحليقه كائنا أو لا . فإن كان كائنا كان الآخر ضامعا غير محتاج إليه . وذلك نقص . والناقص لا يكون إلها . وإن لم يكن كائنا فهو ناقص . ولأن العقل يقتضى احتياج المفعول إلى فاعل والفاعل الواحد كاف . وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد . فيفنى ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها . وإذا حال . فالقول بوجود إلهم عال . ولأن أحدهما إما أن يقدر على أن يستر شيئا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر . فإن قدر لم يكن المستور عنه جاهلا . وإن لم يقدر لم يكن حجة عاجزا . ولأن لو فرضنا معدوما يمكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاد الآخر كان كل واحد منهما عاجزا . والعاجز لا يكون إلها . وإن قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون إلها . وإن قدرا جميعا فلما أتت يوجدها بالتعاون فيكون كل واحد منهما



اللَّهُ الصَّمَدُ <sup>(١)</sup> لَمْ يَلِدْ <sup>(٢)</sup> وَلَمْ يُولَدْ <sup>(٣)</sup> وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ <sup>(٤)</sup>

محتاجا إلى إغاثة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا . وإن قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فإذا أوجده أحدهما فإنما أن يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال . وإن لم يبق فحينئذ يكون الأول مزبلا قدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون إلها . فإن قلت الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمك أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا . قلنا الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا . وإنما الشريك لما نفذت قدرته . بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تمييزا .

(١) هو فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده . وهو السيد المصمود إليه في الحاج . والمعنى (هو الله) الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض والخلق وهو واحد لا شريك له . وهو الذي يصيد إليه كل مخلوق . ولا يستغنون عنه وهو النفي عنهم .

(٢) (لم يلد) لأنه لا يمانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا . وقد دل على هذا المعنى بقوله (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) .

(٣) لأن كل مولود محدث وجسم . وهو قديم لا أول لوجوده . إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الوساطة بينهما . ولو كان حادثا لانفقر إلى محدث . وكذا الثاني والثالث . فيؤدي إلى التسلسل وهو باطل . وليس يحسم لأنه اسم التركيب . ولا يخلو حينئذ من أن يتصف بكل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء إلها فيفسد القول به كما فسد بالهين . أو غير متصف بها بل بأضدادها من سمات الخلو وهو محال .

(٤) ولم يكافئه أحد أي لم يماثله .

سأله أن يصفه لم فأوحى إليه ما يحتوي على صفاته تعالى . لقوله (هو الله) إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها . وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام وأتساق وانتظام . وفي ذلك وصفه بأنه حي لأن المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون حيا . وفي ذلك وصفه بأنه صميع بصير مرید متكلم إلى غير ذلك

من صفات الكمال إذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا بأضدادها وهي نقائص وذا من أنارات الحدوث . فيستحيل اتصاف القديم بها . وقوله ( أحد ) وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبأنه المتفرد بإيجاد المدومات والمتوحد بعلم الحقيقات . وقوله ( الصمد ) وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه . وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غنى لا يحتاج إلى أحد . ويحتاج إليه كل أحد . وقوله ( لم يلد ) نفى للشبه والمجانسة . وقوله ( ولم يولد ) نفى للحدوث ووصف بالقدم والأولية . وقوله ( ولم يكن له كفوا أحد ) نفى أن يماثله شيء . ومن زعم أن نفى الكفء وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للمثل والكفار يدعونه في الحال فتدناه في فيه . لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة . إذ الحادث لا يكون كذا في القديم . وحاصل كلام الكفرة يؤول إلى الإلشراك والتشبيه والتعطيل . والسورة تدفع الكل كما تزرنا .

واستحسن سيويه تقديم الظرف إذا كان مستقرا أى خبرا ، لأنه لما كان محتاجا إليه قدم يعلم من أول الأمر أنه خبر لا فضلة ، وتأخيره إذا كان لفوا أى فضلة ، لأن التأخير مستحق للفضلات . وإنما قدم في الكلام الأفضح لأن الكلام سبق لنفى المكافاة عن ذات البرأى سبحانه . وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الأهم تقديمه .

وكان أبو عمرو يستحب الوقف على ( أحد ) ولا يستحب الوصل . قال عبد الوارث على هذا أحركنا القراء . وإذا وصل تون وكسر أو حذف التنوين كقراءة (عزير ابن الله) . (كفوا) يسكون الفاء والهمزة ، حمزة وخلف ( كفوا ) متقلبة غير مهموزة ، حفص . الباقرن متقلبة مهموزة . وفي الحديث "من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن" لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته ، وعلى الأوامر والنواهي ، وعلى القصص والمواعظ . وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات . فقد تضمنت ثلث القرآن . وفيه دليل شرف علم التوحيد . وكيف لا يكون كذلك والعلم بشرف بشرف المعلوم . ويتضح بوضوح . ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته . وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه . فاعلم أنك بشرف منزلة وجلالة محله . اللهم احشرونا في زمرة العالمين بك العالمين لك الراغبين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلغائك . وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) فقال "قد وجبت" فقيل يا رسول الله ما وجبت ؟ قال " وجبت له الجنة " .

## سورة الفلق

تختلف فيها . وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ  
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

(١) أى الصبح أو الخلق أو هو واد في جهنم أو جب فيها .

(٢) أى النار والشيطان . و (ما) موصولة والمائد محذوف . أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق . وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه ( من شر ) بالتنوين . و ( ما ) على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجوز بدل من ( شر ) أى شر خلقه أى من خلق شر . أو زائفة .

(٣) الفاسق الليل إذا احتكر ظلامه . ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء . وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدى يده إلى القمر فقال : — "تعوذى بالله من شر هذا فإنه الفاسق إذا وقب " . ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده .

(٤) النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقيين . والتفت النفخ مع ريق . وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في إنكار تحقق السحر وظهور أثره .

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ <sup>(١)</sup>

(١) أى إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده . بل هو الضائر لنفسه لاغتيابه يسرور غيره . وهو الأسف على الخير عند الغير .

والاستمادة من شر هذه الأشياء بعد الاستمادة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد . وختم بالحسد ليعلم أنه شرها . وهو أول ذنب عصى الله به في السماء من إبليس وفي الأرض من قابيل . وإنما حوِّف بعض المستماد منه ونكر بعضه لأت كل نقائه شريفة . فلذا عرفت النفاقات ؛ ونكر فاسق لأت كل فاسق لا يكون فيه الشر . إنما يكون في بعض دون بعض . وكذلك كل حاسد لا يضر . ورب حسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات . والله أعلم .

## سورة الناس

مختلف فيها . وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ <sup>(١)</sup> مَلِكِ النَّاسِ <sup>(٢)</sup> إِلَهِ النَّاسِ <sup>(٣)</sup>

(١) أى مربيهم ومصلحهم .

(٢) مالكهم ومدير أمورهم .

(٣) معبودهم .

ولم يكنف بإظهار المضاعف إليه مرة واحدة لأن قوله (ملك الناس إله الناس) عطف بيان (رب الناس) . لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاف لا يشركه فيه . وعطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضممار . وإنما أضيف الرب إلى الناس خاصة ، وإن كان رب كل مخلوق ، تشريفا لهم ، ولأن كل الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فن صدور الناس . فكانت قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم . وقيل أراد بالأول الأطفال ، ومعنى الربوبية يدل عليه ، وبالتالى الشباب ، ولفظ الملك المنه عن السياسة يدل عليه ، وبالتالى الشيخوخ ، ولفظ الإله المنه عن العبادة يدل عليه ، وبالرابع المالحين ، إذ الشيطان ولع بإغوائهم ، وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه .

مِنْ شَرِّ آلُوسَوَاسٍ الْخَنَاسِ <sup>(١)</sup> الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُدُورِ  
النَّاسِ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ <sup>(٣)</sup>

(١) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلال بمعنى الزلزلة . وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلال . والمراد به الشيطان . سمي بالمصدر كآته وسوسة في نفسه لأنها شغله الذي هو حاكف عليه . أو أريد ذو الوسواس . والوسوسة الصوت الخفي .

(٢) الذي عادته أن يخنس . منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالمواج والبتات . (٣) روى عن سعيد بن جبير <sup>٢٠</sup> إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان ووتى . وإذا غفل وجع ووسوس إليه <sup>٢١</sup> .

(٣) في عمل الجزء على الصفة . أو الرفع أو النصب على الشتم . وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على (الخناس) .

(٤) بيان للذي يوسوس على أكل الشيطان ضربان جنى وإنسى كما قال (شياطين الإنس والجن) وعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تمؤذت بالله من شيطان الإنس ؟ روى أنه عليه السلام بحر فروض . بجماعه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله ؟ فقال طب . قال ومن طبه قال لبيد بن أعصم الهودي . قال ومن طبه ؟ قال بمشط ومشاطة في جف طلمة تحت واعوقة في بئر ذى أروان . فأتته صلى الله عليه وسلم فبحث زيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم فترحوا ماء البئر وأخرجوا الحنف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مفروزة بالإبر . فزلت هاتان السورتان فكلمنا قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال . وجعل جبريل يقول باسم الله أرقبك والله يشفيك من كل داء يؤذيك . ولهذا جوزوا الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسرائرية والبرائية والمهندية فإنه لا يحمل اعتقاده ولا اعتياده عليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله ( بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأئام وأصحابه مفتاح دار السلام آمين .

يُتوفيق الله ومعونته قد تم طبع المجلد الثالث  
من " تفسير القرآن الجليل المسمى ( بمدارك التنزيل  
وحقائق التأويل ) تأليف الإمام الجليل العلامة  
أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي "  
بدار المطبعة الأميرية ببولاق مصر في اليوم العشرين  
من شهر رجب لسنة إحدى وستين وثلاثمائة وألف  
من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة  
وأزكى التحية ، في عهد حضرة صاحب الجلالة  
الملك الصالح " فُكاروق الأول " ملك مصر  
حفظه الله وأدامه ، وأيد ملكه وأسعد أيامه ، وأعز به  
الإسلام والمسلمين ، إنه جميع بحسب ما

مدير المطبعة الأميرية

محمد كبرى











